



تراشنا

نَهَائِيَةُ الْاَدَبِ

فِي

فَنَوِهِ الْاَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السَّفَرِ الثَّالِثِ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استبراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع کوستا اسوامس وشركاه
• شارع وقف النكر بوسط القاهرة - ١١٨ - ٩٠
القاهرة

فهرست

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوري

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب وأخبار الكهنة،
والزجر، والقال، والطيرة، والفراسة والذكاء، والكنايات،
والتعريض، والأحاجي، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

مصحفة

- في الأمثال ١
ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ٢
ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤
ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥
ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه ٦
ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٦
ومن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٦

صفحة

٦	ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم
٧	حرف الهمزة
١٩	حرف الباء
٢١	حرف التاء
٢٣	حرف الثاء
٢٣	حرف الجيم
٢٦	حرف الحاء
٢٨	حرف الخاء
٣٠	حرف الدال
٣٠	حرف الذال
٣١	حرف الزاء
٣٣	حرف الزاي
٣٤	حرف السين
٣٥	حرف الشين
٣٦	حرف الصاد
٣٨	حرف الضاد
٣٨	حرف الطاء
٣٩	حرف الظاء
٣٩	حرف العين
٤٢	حرف القين
٤٣	حرف القاء

صحيفة

- ٧١ ... الثانية الجعدى ...
 ٧١ ... أمية بن أبي الصلت التتقى ...
 ٧١ ... حسان بن ثابت ...
 ٧١ ... الحطيئة ... - ...
 ٧٢ ... متمم بن نويرة ...
 ٧٢ ... أبو ذؤيب الهذلي ...
 ٧٢ ... الخنساء ...
 ٧٣ ... عمرو بن معد يكرب ...
 ٧٣ ... معن بن أوس ...
 ٧٣ ... زياد بن زيد ...
 ٧٣ ... أئمن بن نعيم ...
 ٧٤ ... ومما يمثل به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام ...
 ٧٤ ... القطامي ...
 ٧٤ ... الطرماح ...
 ٧٤ ... الكيث بن زيد الأسدي ...
 ٧٤ ... المساور بن هند ...
 ٧٥ ... عدى بن الرقاع ...
 ٧٥ ... الفرزدق ...
 ٧٦ ... جرير ...
 ٧٦ ... الأخطل ...
 ٧٧ ... الصلتان العبدى ...

صفحة

كثير عزة	٧٧
جميل	٧٨
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة	٧٨
ومما يمثل به من أشعار المحدثين	٧٨
إبراهيم بن هرمة	٧٨
بشار بن برد	٧٩
أبو العتاهية	٨٠
سلم بن عمرو الناصري	٨١
صالح بن عبد القدوس	٨٢
ابن ميادة	٨٣
أبو نواس	٨٣
أبو عينة المهلب	٨٤
عبد الله بن أبي عتبة	٨٤
العباس بن الأحنف	٨٤
مسلم بن الوليد	٨٥
منصور التميمي	٨٥
العتابي	٧٦
أشجع السلمي	٨٧
الجرهمي	٨٧
محمود الوراق	٨٨
محمود بن حازم الباهلي	٨٨

صحيفة

٤٤ حرف القاف

٤٦ حرف الكاف

٤٨ حرف اللام

٥٠ حرف الميم

٥٤ حرف النون

٥٥ حرف الهاء

٥٦ حرف الواو

٥٧ ما جاء فيما أوله (لا)

٦٠ حرف الياء

٦١ وما يفتتل به من أشعار الجاهلية

٦١ امرؤ القيس بن حجر

٦١ زهير بن أبي سلمى

٦٢ النابغة الذبياني

٦٣ طرفة بن العبد

٦٣ أوس بن حجر

٦٤ بشر بن أبي خازم

٦٤ المتلمس

٦٤ الأنوفه الأودي

٦٥ تميم بن أبي مقبل

٦٥ حيد بن ثور

٦٥ عدى بن زيد

صفحة

٦٦	الأسود بن يعفر...
٦٦	عقمة بن عبدة...
٦٦	عمرو بن كلثوم...
٦٦	الحارث بن حلزة...
٦٧	حاتم الطائي...
٦٧	المرقش الأصغر...
٦٧	النمر بن تولب...
٦٧	مهلهل بن ربيعة...
٦٨	طفيل الننوي...
٦٨	عروة بن الورد...
٦٨	الاعشى (ميمون بن قيس)...
٦٨	لقيط بن معبد...
٦٩	تأبط شرا...
٦٩	المثقب العبدى...
٦٩	الممرك العبدى...
٦٩	أفنون التغلبي...
٦٩	الأضبط بن قريع...
٦٩	سويد بن أبي كاهل...
٧٠	ومما يمتثل به من أشعار المخضرمين...
٧٠	ليبد بن ربيعة...
٧٠	كعب بن زهير...

١٠٩	أبو الحسن عبد الله ...
١١٠	أبو الفرج البقاء ...
١١٠	ابن سكرة المشي ...
١١٠	ابن المجاج ...
١١١	أبو الحسن الموسوي القتيب ...
١١٢	أبو طالب المأمون ...
١١٢	ابن العميد ...
١١٣	الصاحب بن عباد ...
١١٣	الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي ...
١١٣	أبو بكر محمد بن عباس الخوارزمي ...
١١٤	بدیع الزمان أبو الفضل المهنائي ...
١١٤	إسماعيل الناشئ ...
١١٥	أبو الفتح علي بن محمد البستي ...

الباب الثاني :

١١٦	في أوابد العرب ...
١١٦	البحيرة ...
١١٦	الوصيلة ...
١١٧	السائبة ...
١١٧	الحامي ...
١١٧	الأزلام ...
١١٨	الميسر ...

صحفة

١٢٠	نبح المقت...
١٢٠	رى البعرة...
١٢٠	ذبح العتار...
١٢٠	عقد السبع والعشر...
١٢١	ذبح الظبي...
١٢١	حيس البلايا...
١٢١	خروج الهامة...
١٢١	إغلاق الظهر...
١٢١	العمية والتففة...
١٢٢	بكاء المقتول...
١٢٢	رى السن فى الشمس...
١٢٢	خضاب النحر...
١٢٢	البصفيق...
١٢٢	جر النواصى...
١٢٣	كى السليم عن الحرب...
١٢٣	ضرب الثور...
١٢٣	كعب الأرنب...
١٢٤	حيض السمرة...
١٢٤	الطارف والمطروف...
١٢٤	وطء المقاتل...
١٢٤	تعليق الحل على السليم...

صيفة

- ٨٩ ... السمويل بن عدياء ...
- ٨٩ ... محمد بن أبي زرعة المشقي ...
- ٨٩ ... أبو الشيص ...
- ٨٩ ... علي بن جبلة ...
- ٨٩ ... الجلاج الحارثي ...
- ٩٠ ... عبد الصمد بن المعتل ...
- ٩٠ ... الحمدوني ...
- ٩٠ ... العتي ...
- ٩١ ... أبو سعيد الخزوي ...
- ٩١ ... دجيل بن علي الخزاعي ...
- ٩٢ ... إسماعيل بن إبراهيم الموصلي ...
- ٩٢ ... المؤمل بن أميل ...
- ٩٢ ... إبراهيم بن العباس ...
- ٩٣ ... أبو علي البصير ...
- ٩٣ ... سعيد بن حميد ...
- ٩٣ ... علي بن الجهم ...
- ٩٣ ... ابن أبي فنن ...
- ٩٤ ... يزيد بن محمد المهالي ...
- ٩٤ ... عمارة بن عقيل ...
- ٩٤ ... أحمد بن أبي طاهر ...
- ٩٤ ... أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ...

صفحة

٩٦	أبو عيادة البحرى
٩٨	ديك الجن
٩٩	ابن الرومى
٩٩	عبد الله بن المعتر
١٠٠	عبد بن عبد الله بن طاهر
١٠١	ابن طباطبا العلوى
١٠١	منصور الفقيه
١٠٢	ابن بسام
١٠٢	بحظة
١٠٣	الصنوبرى
١٠٤	أبو الفتح كشاجم
١٠٤	ومما يقتل به من أشعار المولدين
١٠٤	أبو فراس الحمدانى
١٠٤	أبو الطيب المتنبى
١٠٧	المبرى بن أحمد
١٠٧	أبو بكر محمد بن هاشم الخالدى
١٠٨	أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى
١٠٨	الخباز البلى
١٠٨	أبو إسحاق الصائى
١٠٨	عبد العزيز عمر بن نباتة
١٠٩	ابن لنكك البصرى

الباب الثاني :

٢٦٥	في المجاء وفيه أربعة عشر فصلا
٢٦٦	ذكر ما قيل في المجاء ومن يستحقه
٢٧١	ومما قيل في المجاء من النظم
٢٨٤	ذكر ما قيل في الحسد
٢٨٩	ذكر ما قيل في السعاية والبنى والفتية والتميمة
٢٩٤	ذكر ما قيل في البخل والقرم
٣١٤	احتجاج البخلاء وتعمينهم للبخل على قبحه
٣٢٣	ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة
٣٣٨	ذكر آداب الأكل والمؤاكلة
٣٤٠	ذكر الاقتصاد في الطعام والعفة عنها
٣٤٣	ذكر أخبار الأكلة
٣٤٦	ذكر ما قيل في الجبن والفرار
٣٥٣	ذكر ما قيل في الحق والجهل
٣٥٩	ذكر ما قيل في الكذب
٣٦٤	ذكر ما قيل في الغدر والخيانة
٣٦٥	ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة
٣٧٠	ذكر ما قيل في الكبر والعجب
٣٧٦	ذكر ما قيل في الحرص والطمع
٣٧٨	ذكر ما قيل في الوعد والمطل
٣٨١	ذكر ما قيل في العي والحصر

مطابق کوستا سواس و شرکاء
ه خارج وقت لکړ پر مټ په نظم - ۹-۱۸
۱۲۱۵

صيفة

ذهب الخدر	١٢٥
الحلا	١٢٥
التعشير	١٢٥
عقد الرتم	١٢٥
دائرة المهقوع	١٢٦
شق الرءاء والبرقع	١٢٦
نوء السماء	١٢٦
النسيء	١٢٦
وأد البنات	١٢٦

الباب الثالث :

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والقال والطيرة والفراصة والذكاء	١٢٨
أخبار الكهنة	١٢٨
الزجر	١٣٤
القال والطيرة	١٤٣
الفراصة والذكاء	١٤٩

الباب الرابع :

في الكايات والتعريض	١٥٢
---------------------	-----

الباب الخامس :

في الألفاظ والأحاجي	١٦٣
وما يتصل بهذا الباب مسائل المويض	١٧١

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والمجود، والمجون، والفكاهات، والملح، والنجر، والمعاقرة
والنتمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

مصحفة

١٧٣	في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا
٢٠٠	ذكر ما قيل في الاختصار
٢٠٤	ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام
٢٠٨	ذكر من آتته اليهم الجود في الجاهلية وذكر شيء من أخبارهم
٢١٨	ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال
٢٢٠	ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام
٢٣٠	ذكر ما قيل في وفور العقل
٢٣٣	ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به
٢٣٧	ذكر ما قيل في الصدق
٢٣٩	ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة
٢٤٤	ذكر ما قيل في التواضع
٢٤٧	ذكر ما قيل في الفناعة والتزاهة
٢٤٨	ذكر ما قيل في الشكر والثناء
٢٥٤	ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز
٢٥٧	ذكر ما قيل في الشفاعة
٢٥٨	ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقائل ،
والطيرة ، والقراءة ، والذكاء ، والحكايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألفاظ ،
وفيه خمسة أبواب .

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

١٠ ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز في آي كثيرة . فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) ونكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنَبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : أدخلوا الصراط ، ولا تعزجوا " فالصراط : الإسلام ، و"ستور" : حدود الله تعالى ، والأبواب : محارم الله ، والداعي : القرآن .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر ، شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا أنتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النطّام : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيحاء اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأتق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما تمثّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :

”إياكم وخضراء الدّمن“ فقيل له : وما ذلك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منبت السوء !“

”كلّ الصيد في جوف القرا“ قاله لأبي سفيان يتألمه على الإسلام .

”مات فلان حتف أمه“ .

”لا يقطع فيه عتران“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ المنبت : المتقطع عن أصحابه في السفر والظهور : الدابة ، قاله في التلو في العبادة .

”الآن حيّ الوطيس“ : ضربه في الحرب .

”يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكَيْي“ .

”أَشْتَدُّ أَرْمَةً تَنْفِرِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية“ .

”الناس كعائد النّهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام

إذا فقهوا“ .

”النّاس كإبل ، مائة لا يجِدُ فيها راحلة“ .

”المؤمن حين لّن ، كالجل الأنيّف إن أقيّد أقاد ، وإن أُنيخ على صخرة أَسْتَناخ“ .

”المؤمن للمؤمن كالبنيان يُشدُّ بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم آهنتم“ .

”مثل أصحابي كاللّح لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أُمّي كالطّمر ، لا يُدرى أقله خير أم آخره“ .

”مثل أبي بكر كالقطر أين وقع نفع“ .

”عمّالكم كأعمالكم وكما تكونوا يوتى عليكم“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : ”والقد بيننا كشرج

العَيبَة“ يعنى إذا أنخل بعضه أنخل جميعه .

”المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها ، وإن داريتها أستمعت بها“ .

”المتشبع بما لم يُعطه كلابس ثوبَي زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تنبؤنحاصا وروح بطانا“ .

②

”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيباً ولا تطعم إلا طيباً“ .

”مثل المؤمن كالسنبلة تميل أحياناً، وتعتدل أحياناً“ .

”مثل الجليس الصالح كالعطار، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه، ومثل

الجليس السوء كالكير إن لم يحرق ثوبك آذالك بدخانهِ“ .

”علم لا ينفع كثر لا ينفع منه“ .

وقال : ”المؤمن مرآة أخيه“ .

”قد جدع الحلال آف الغيرة“ .

”الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى“ .

”نية المرء خير من عمله“ .

”إن من الشغل حكمة وإن من اليأس لحرأ“ .

”من كثر سواد قوم فهو منهم“ .

”الأعمال بنحواتها“ .

”صاقي القوم آخرهم شرباً“ .

”المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من ينال“ .

”المستشير معان والمستشار مؤتمن“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده :

لست مع الفزاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشد ما قبله .

ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه : البني ، والنكث ، والمكر .

فلّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

أحرص على الموت توهب لك الحياة ؛ قاله خالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردّة .

كبر القول ينسى بعضه بعضا ، وإنما لك ما وعى عنك .

لا تحكم المستشار خبا فتؤثى من قبل خشك .

خير الخصلتين لك أبغضهما إليك .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من كتم سرّه كان الخيلار في يده .

أشقى الولاء من شقيت به رعيته .

اتقوا من تبغضه قلوبكم .

أعقل الناس أعذرهم للناس .

اجعلوا الرأس رأسين .

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكر والصبر بغيران لما باليت أيهما ركبت .

من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

ما الخمر صرّفاً يذهب للعقول من الطبع .

إلى الله أشكو ضعف الأيمن وخيانة القوى .

اقتصاد في سنة خير من آجتهاد في بدعة .

لا يكن حبك كلفاً ، ولا يبغضك تلاف .

١٠

١٠

٢٠

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَزُغُ اللهُ بالسلطان أكثر مما يَزُغُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُزِلَ، مثلها منه اذا عمل .

أتم إلى إمام فَعَالٍ، أحوَجُ منكم إلى إمام قَوَالٍ؛ قاله يوم صعد المنبر فأرْبَجَ عليه .

وقال يوم قُتِلَ : لأن أُقْتَلَ قبل الدماء، أحبُّ إلىَّ من أن أُقْتَلَ بعد الدماء .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أتبع له الأبعد؛

ومن بالغ في الخصومة أثمَ، ومن قصر فيها ظلمَ .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

الناس من خوف الذلِّ في الذلِّ .

إن من السكوت ما هو ابغى من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدموه بالتحية؛ ولكل طاعم حشمة فابدموه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب " الأمثال " للبدائي . [والمبدائي^(١)] : هو

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم المبدائي النيسابوري - والمبدائي^(١) : بفتح الميم

وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهي محلة

بنيسابور؛ توفي سنة تسع وثلاثين وستمائة^(٢) ووضعت على حروف المحجم .

فإن ذلك ما جاء منها على حرف الهمة :

حرف الهمزة

يقول العرب : "إِنَّ الْمُوصِّينَ بَنُو سَهْوَانَ" قال الميداني : يُضْرَبُ بْنُ يَسْمُو عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَمْرِيهِ ، وَبَنُو سَهْوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَهْدَ إِلَيْهِ فَسَمَّا وَنَسَى .

وقولهم : "إِنَّ الرِّثْيَةَ تَهْتَأُ الْغَضَبُ" قال : الرِّثْيَةُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ يَخْلُطُ بِالْحَلْوِ ، وَالْقَتُّ : التَّسْكِينُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ جَانِمًا فَسَقَوْهُ الرِّثْيَةَ فَسَكَنَ غَضَبَهُ ، فَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ : يَضْرِبُ فِي الْمَهْدِيَةِ ثَوْرٌ الْوَفَاقِ .

وقولهم : "إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يَفْلَحُ" أَيِ يَسْتَعَانُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ بِمَا يَشَاكِلُهُ وَيَقَاوِيهِ .

وقولهم : "إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرُكُ مَا فِيهَا" فِي اللَّقَطَةِ وَذِمِّ الدُّنْيَا .^(١)

وَالنَّفْسُ تَكْتَلِفُ بِالدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرُكُ مَا فِيهَا

وقولهم : "إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعَصِيَّةِ" يُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ الْأَفْعَى الْجَرْمِيَّ ، ذَلِكَ أَنَّ نَزَارًا لِمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَيْنَهُ : مَضْرُ ، وَإِيَادَا ، وَرَبِيعَةً ، وَأَوَّلًا ، قَالَ : يَا بَنِيَّ ! هَذِهِ الْقَبَةُ الْحَمْرَاءُ — وَكَانَتْ مِنْ آدَمَ — لِمَضْرُ ، وَهَذِهِ الْقُرْسُ الْأَدْعَمُ وَالْخِلَاءُ الْأَسْوَدُ لِرَبِيعَةٍ ، وَهَذِهِ الْخَادِمُ — وَكَانَتْ شَمَطَاءً — لِإِيَادَا ، وَهَذِهِ الْبَدْرَةُ وَالْمَجْلِسُ لِأَوَّلًا ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَهْشِمُونَ ، فَأَتُوا الْأَفْعَى الْجَرْمِيَّ وَمَتَلَهُ بِخَيْرَانٍ ، فَتَشَاخَرُوا .

(١) فِي الْمِيدَانِي : وَهَذَا فِي بَيْتِ أَتْلَهُ . وَالنَّفْسُ الْخُ

- في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبيناهم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلاب قد رعى، فقال :
 إن البعير الذي رعى هذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إباد : إنه لأبتر،
 وقال أنمار : إنه لشروء، فساروا قليلاً، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير،
 فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال
 إباد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمار : أهو شروء؟ قال : نعم، هذه والله صفة
 بعيري، فدلوني عليه، فقالوا : والله ما رأيناه، فقال : هذا والله الكذب كيف
 أصنعكم وأنتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجرات، فلما نزلوا، نادى
 صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملي وصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نره، فاختصموا
 إلى الأضي، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى
 جانباً وترك جانباً، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة والثانية
 فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطشه، وقال إباد : عرفت أنه أبتر
 باجتماع بعره ولو كان ذنباً لمصح به، وقال أنمار : عرفت أنه شروء، لأنه يرى
 في المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه، فقال الأضي : ليسوا بأصحاب
 جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال :
 أنتم ناجون إلى وأنتم كما أرى؟ ثم أنظم وذبح لهم شاة، وأنهم بخر، وجلس لهم الأضي
 بحيث لا يرى، فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لهما لولا أن شاة غذيت بلبن كلبة،
 وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب نمر لولا أن حُبْلَه نبتت على قبر، فقال إباد : لم أر
 كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له، فقال أنمار : لم أر كاليوم
 كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدنوا قهرمانه، فقال : ما هذه الخمر،

وما أصرها؟ قال: هي من حُبلة غرستها على قبر أبيك، وقال للراعى: ماهذه الشاة؟
 فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمتها ماتت؛ ثم أتى أُمته، فقال: أصدقيني،
 مَنْ أبى؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخَفْتُ أن يموت
 وليس له ولد، فأمكنت من نسي أبى عم له كان نازلاً عليه فولدت. فرجع إليهم
 وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمصر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير،
 فسميت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء.
 أسود، فصار لربيعة الخيل الدُّمُّ وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم
 الشمطاء فلصاحبها الخيل ألباق وأنشاية. فسميت: إباد الشمطاء، وقضى الأمان
 بالبراهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأعمى: إيا المعص من العصية،
 وَإِنْ حُشِنَا مِنْ أَخْشَرٍ فَارْسَلْهُمَا مِثْلًا.

وقولهم: "إِنْ الْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحَمْرَةَ": يضرب للرجل المجهول.

وقولهم: "إِنِّي لَا أَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ": يضرب للأمر زئيمه وأنت
 تعلم ما فيه مما تكده.

وقولهم: "أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ": يضرب للتكبر الصغير الشأن.

وقولهم: "إِنَّ الذِّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصَدٌ" أى أنصار وأعوان: يضرب
 لمن يَخْذُلُهُ ناصروه.

وقولهم: "إِنْ يَدَمَ أَظْلَاكَ فَقَدْ تَقَبَّ حَفِي": الأضل: ما تحت مَنِمِ البعير؛
 والخلق: قائمته. يعبره المشكك إليه فنشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه.

وقولهم: "إِنْ تَسْلَمِ الْجَلَّةُ فَالتَّيْبُ هَدَرٌ" الْجَلَّةُ: جمع جليل يعنى العظام من الإبل، والتَّيْب: جمع ناب وهى الناقة المسنة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ" يقال: إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة: بل ينبى قبل طلوعها، فراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قولى يبقون على، فقال العدل: إن يبع عليك قومك لا يبع عليك القمر، فذهبت مثلا: يضرب للأمر المشهور .

وقولهم: "إِنْ كُنْتُ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا" الإعصار: ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض: يضرب للدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم: "إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا" قالوا: قالت غنية الأعرابية لأبنها، وكان عارما مع ضعفه، فواب يوما فنى فقطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حسن حاي ثم واب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته فى أرجوزتها فقالت

أَحْلَيْتُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّافَا * إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا ^(١)

ف قيل لأعرابي: ما تفارق العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورا والسواجير لنكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوند فيصير كل قطعة شظاذا وإن جعل لرأس الشظاظ كالقلمكة صار للبختي ميارا وهو

العود الذى يدخل فى أهله، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشد على خَلْفِ الناقة .

وقولهم : " إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَوُكَّلُ الْكَتِفُ " : يضرب للرجل الداهى ، قال بعضهم : لِمَ تَوُكَّلُ الْكَتِفُ مِنْ أَسْفَلِهَا ؟ قال : لأنها تنشر عن عظمها وتبقى المرقمة مكانها ثابتة .

وقولهم : " إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعَنْبُ " أى لا تجد عند ذى آلتيت السوء جيلا ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الأتصار ، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : " أَخُو الظُّلْمَاءِ أَعْمَى بِاللَّيْلِ " : يضرب لمن يخطئ حجة ولا يبصر المخرج مما وقع فيه . ١٠

وقولهم : " إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ وَتُحْطِى الْمَقْصِلَ " : يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : " أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النُّوَاةُ " : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : " إِذَا صَاحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَاحَ الدَّيْكِ فَلْتُذَبْحْ " قاله الفرسزدق فى امرأته قالت الشعر . ١٥

وقولهم : " إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ " : يضرب لمن يخافك جدا .

وقولهم : "إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعَجَلْ بِشْرَبِكَ" : يضرب لمن أشرف على إدراك
بقيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : "أَبْطَشُ مِنْ دَوَسَرٍ" هي إحدى كُتُب النمل أشتها بطشا
ونكايه ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبْتُ دَوَسَرٌ فِيمَ ضَرْبَةٍ • أَثْبَتُ أَوْتَادَ مَلِكٍ فَاسْتَقَرَّ •

وقولهم : "أَبْرَمًا قَرُونًا" البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبعده ، والقرون :
الذي يقرن بين الشئين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللحم بفاء
إلى أمراته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له :
أَبْرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : "الثَّيْبُ جَمَّالَةُ الرَّاكِبِ" : يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة
عند إغواز جليلها ؛
وقولهم :

"الْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لُبُوسَهَا • إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا"

أول من قال ذلك يهيم : وهو رجل من بني غراب بن قزارة ، وكان سابع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع . وهم في إيلهم قتلوا منهم ستة وتركوا
١٥ يهيم لحقه فقال : دعوني أتوصل معكم إلى أهلي فأقبل معهم ، فلما كان من الغد
خروا جزورا في يوم شديد آخر ، فقال بعضهم : أظلو لحكم لانهسده الضَّحُّ ، فقال

(١) في اللسان : ومرواه « فيه » لأنه غند على يوم الخمر .

ييس : لكن بالآثلاث^{١١} لم لا يظلل ، فأرسلها مثلاً ، ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها
انظر فقالت : ما جاء بك من بين إخوانك وأنت أحبهم ، فقال : ما خيرك القوم
فختاري ، فأرسلها مثلاً ، ثم أعطته ثياب إخوانه ومتاعهم ، فقال : يا حبيذا التراث
لولا الدلة ، فأرسلها مثلاً ، وأخذ يوماً يرمُ سكيناً ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال :
أقتل بها قسلة إخواني ، فقيل له : إنك لأحق ، فقال : ما يؤمنك من أحق في يده
سكين . فأرسلها مثلاً ، ثم إنه مرَّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهديها
لبعض قتلة إخوانه فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟
فقال :

البس لكل حالة لبوسها ، إنا نعيمها وإما بوسها

وقوله : "الصيف ضيبت اللبن" قال الأصمعي : معناه تركت الشيء
في وقته ، وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أقول من قاله عمرو بن
عُدس ، وكان قد تزوج دختوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فلتفت
وسأل لعابه فتأففته فأنبته وهي لتأفف منه ، فقال : أتحبين أن أطأك ؟ قالت : نعم ،
فطلقها ، وتزوجها في ضرر حسن الوجه ، فضايتهم ذات يوم غارة والفتي نائم بغامت
دختوس فأنبته وقالت له : الخيل . فجعل يقول : الخيل الخيل . من الخوف حتى
مات قرقاً وسُيِّمت دختوس فبلغ عمرو الخبير فركب ولحقهم وقتل حتى استنقذ

(١) قال باقوت في معجمه : أثلثت «أثلاث» هو الموضع المذكور في المثل في سفر الزوايات ؛ لكن
الآثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الآثلاث «أثلاث» جمع أكلة وهو صنف من
الطرفة . كيرطلان فإنه مائة خمس .

جميع ما أخذوا وأستقنوها فوضعها قدامه على السرج ورتعا إلى أهلها ، ثم
اصابهم سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقعة وقال : الصيف
ضيعت اللبن .

وقولهم : ” أَضْطَرُّهُ السَّبِيلُ إِلَى مَعْطَشِهِ ” وهو أن رجلا عطش وكان قد
أتى واديا له غور وماء شديد الجرية ، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن يزل فيأخذ به
الماء ، ولم يجد ماء فأت عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذي كان فيه إلى شر .
وقولهم :

” إِنْ الْحَمَاءَ أُولِعَتْ بِالْكِنَّةِ * وَأُولِعَتْ كَتَبُهَا بِالْفُظْنَةِ ”

الحماة : أم الزوج ، والكِنَّة : امرأة الابن والأخ ، والفُظْنَةُ : التهمة ، وبين الحماة والكنة
عداوة مُسْتَحِكَّةٌ : يُضْرَبُ بها المثل في الشريعة بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : ” إِنْ لَلَّه جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ ” قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر
سقى عسلا فيه سم فمات : يضرب عند الشتمة بمصباح العدو .

وقولهم : ” إِنْ الْهَوَى لِيَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ ” أى من هوى شيئا مال نحوه
فيحيا أو يجيلا ، كما قيل

وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى * إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

وقولهم : ” إِنْ الْجَوَادُ قَدْ يَعْثُرُ ” : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجليل
ثم تكون منه الزلة .

وقولهم : "إن الشفيق بسوء ظنٍّ مُولَع" : يضرب لعنى بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : "إن خصلتين خيرُهما الكذب لخصلتنا سوء" : يضرب للرجل يستتر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : "أحاديثُ طمسم وأحلامُها" : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : "أحسفاً وسوءَ كيلةٍ" : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : "الحقُّ أبلج، والباطلُ لجَلَج" : معناه أن الحق واضح بين والباطل يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجاً .

وقولهم : "الحزمُ سوءُ الظنِّ بالناس" : هذا المثل قاله اكثم بن صيفي .

وقولهم : "اختلط الخائِرُ بالزُّياد" . الخائِر : ما خسر من اللبن ، والزُّياد : الزبد : يضرب للقوم يقعون في التخليط من أمرهم .

وقولهم : "أخطأتِ أسنهُ الحُفْرة" : يضرب لمن رام شيئاً فلم يثله .

وقولهم : "ادعِ الى طِعَانِكَ، مَنْ تدعوه الى جِفَانِكَ" أى استعمل فى حوائجك من تخصه بمعرفتك .

وقولهم : "أروغاًناً يائِعال، وقد عَلِقَتْ بالحبال" تعللة : التعلب : يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

٥

١٠

١٥

وقولهم : "إِزِمَ فَقَدْ أَفْقَتْهُ مَرِيضًا" يقال : أفتت السهم إذا وضعت قُوَّه في الوتر : يضرب لمن تمكن من طليته .

وقولهم : "أَضْرَطًّا وَأَنْتِ الْأَعْلَى ؟" قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ ، وذلك انه بينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأينر فقال له سُلَيْكُ : الليل طويل وَأَنْتِ مقمر ، فأرسلها مثلاً : ثم ضمه سُلَيْكُ بيديه ضَمًّا أَضْرَطَّهُ ، فقال له : أَضْرَطًّا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فأرسلها مثلاً : يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم : "أَضَلَلْتَ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا" : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمور .

وقولهم : "أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَى بَحْمَرَةً" : يضرب لمن يختار الموان على الكرامة .

وقولهم : "أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا" معناه لا تحتك بنفسك بأنك لا تنظر ، فإن ذلك يَبْطُك . قال ليبد

أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا .. إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزَيِّرُ بِالْأَمَلِ

وقولهم : "أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا" أي أجمع بين الكبر والفقير .

وقولهم : "أَمَكْرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ ؟" هذا مثل قاله عبد الملك بن عمرو ، وإن عمرو

أَبْنُ سَعِيدٍ لما قبض عليه وبكاه ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَانْقَضَ حَقِّي بَانَ تَخْرُجَنِي لِلنَّاسِ فَتَقْتُلَنِي بِحَضْرَتِهِمْ فَاقْعَلْ ، وَإِنَّمَا أُرَادَ عَمْرُو بِهَذِهِ الْمَقَالَةَ أَنَّ بَخَالْفَهُ عِبْدَ الْمَلِكِ فَيُخْرِجُهُ فَيَمْنَعُهُ مِنْهُ أَصْحَابُهُ . فقال : أَمَا أَمِيَّة ! أَمَكْرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ : يضرب لمن أراد أن يَمْكُرَ وهو متهور .

وقولهم : "أَهَوْنُ هَالِكٍ جُجُوزٌ فِي هَامٍ مَسَّةٍ" : يضرب للشئ، يُستخَفُّ به وبهلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه من تَقَنَّا

• وقولهم : "أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ" أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمة وجعل يسبهم ثم رجع إلى قومه فسأله عن إبله ، فقال هذا المثل .

• ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيداوى أغار على بنى عبد الله بن عطفان وأستاق إبل زهير وراعيه ، قال زهير في ذلك قصيدته التى أولها

١٠ بان الخليلط ولم ياووا لمن تركوا * وزقودك أشتياقا أية سلخوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرِدْ الإبل ، فهجاه ، فقال كعب أبنته : أوسعتهم سبّا وأودوا بالإبل ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

• وقولهم : "أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذى يقال فيه : إِنَّكَ أَبْلٌ مِنْ مَالِكٍ ، وذلك أن مالكا تزوج بأمرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكنا تورّد يا سَعْدُ الْإِبِلِ .

فغضب مثلاً لمن قصّر في طلب الأمر .

- وقولهم : " إِنْ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ " قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن
سُوَيْدَ بْنَ رَيْمَةَ التَّمِيمِيَّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدَ بْنَ هَنْدٍ وَهَرَبَ فَتَنَزَّاهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ وَأَخِيهِ مَائَةً
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِجَمْعِهِمْ فَلَقِيَهُمُ الْخَبْرُ فَتَنَزَّاهُ فِي نَوَاحِي بِلَادِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا عَجُوزًا
كَبِيرَةً وَهِيَ حَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ : إِنِّي لِأَحْسِبُكَ أُعْجَمِيَّةً ، قَالَتْ :
لَا وَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ يَخْفُضَ جَنَاحُكَ ، وَيَهْدِيَ عِمَادُكَ ، وَيَضَعُ وَسَادُكَ ، وَيَسْلُبَكَ
بِلَادُكَ ، مَا أَنَا بِأُعْجَمِيَّةٍ ، قَالَ : فَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ ، سَادَ
مَعْدَا كَبْرًا عَنْ كَبَرٍ ، وَأَنَا أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ ، قَالَ : فَمَنْ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : هُوَذَّةُ
أَبْنِ جَرُولٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟ أَمَا تَعْرِفِينَ مَكَانَهُ ؟ قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَكَانَهُ
حَالُ بَنِي وَيْنِكَ ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاقِعُهُ لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَعْلَى مِثْلَ أُبَيْكَ وَأَخِيكَ
وَزَوْجُكَ لِأَسْتَبْقِيَتِكَ ، فَقَالَتْ : وَاقِعُهُ مَا أَدْرَكَتَ ثَارًا ، وَلَا حَمَوتَ عَارًا ، مَعَ كَلَامٍ
كَثِيرٍ كَلَّمْتَهُ بِهِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ : أَلَا قَتَى مَكَانَ عَجُوزٍ !
فَنَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ مَكَثَتْ سَاعَةً فَلَمْ يَفِدْهَا أَحَدٌ ، فَقَالَتْ : هَيْمَاتٍ صَابَرَتِ الْفِتْيَانُ
مِثْلًا ، فَنَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ وَلَبِثَ عَمْرُو عَامَةً يَوْمَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَحَدٍ ، حَتَّى
إِذَا كَانَ أَمْرُ النَّهَارِ أَقْبَلَ رَاكِبٌ يُسَمَّى عَمَّارًا يُوضِعُ بِهِ رَاحِلَتَهُ حَتَّى أَتَاهُ إِلَهُ ، فَقَالَ
لَهُ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ :
سَطَعَ الشَّيْطَانُ وَكُنْتُ طَوِيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ وَطَنَتْنِي طَعَامًا ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ الشَّقِيَّ وَافِدُ
الْبَرَّاجِمِ ، فَنَهَبَتْ مِثْلًا وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ ، قِيلَ : إِنَّهُ أَحْرَقَ مَائَةً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ :
تَسْعَةً وَتِسْعِينَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ، وَوَاحِدًا مِنَ الْبَرَّاجِمِ .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غير وائده البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان؛ قال جرير

وأخرنا نكم عمرو كما قد نُزِيتُ * وأدرك عمارا شقي البراجم
ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام؛ قال الشاعر

إذا ما مات ميت من تميم * وسرك أن يعيش، فبغى يزد
بجذبز أو يلعم أو يجمر * أو التوى للثقف في الجداد
تراه يُنقب الآفاق حولا * لياكل رأس لقمان بن عاد
وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في ملكة طمعا .

حرف الباء

١٠ قول العرب : " بلغ السيل الزبى " هي جمع زبية وهي حفرة تُحفَر للأسد إذا أرادوا صيده لا يصلوها الماء فلذا بلغها السيل كال مجحفا : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : " بين العصا ولحائها " الماء : القشر : يضرب للمتخلفين المتفقيين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

١١ وقولهم : " بينهم داء الضراير " هي جمع ضرة يضرب للعداوة إذا رمحت بين قوم .

وقولهم : " بينهم عطر منشم " قال الأصمعي : منشم كانت عطارة بمكة وكانت تُراعى وحرمهم إذا أرادوا القتل تطيؤوا من طيبها فانما فعلوا ذلك كثرت

بينهم القتل فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشر العظيم ، وفيه
يقول زهير

تَمَارَكُمَا عَيًّا وَذِيَّانَ بَعْدَ مَا * تَخَافُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : " به داءٌ ظبي " : أى أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيل :
ربما يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه معناه أن به داء لا يعرف .

وقولهم : " بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَّ " الثَّنَةُ : الشررات اتى في مؤنث رُسغ الدابة :
يضرب عند بلوغ الشر النهاية .

وقولهم : " بَرَحَ الخَفَاءُ " أى زال من قولهم ما برح . والمعنى زال الشر فوضع
الأمر ، ويقال : انخفاء المتطاعى من الأرض ، والبراح المرتفع أى صار انخفاء برّاحا .

وقولهم : " بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ " : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له
على ما في نفسه .

وقولهم : " بَاتَ فُلَانٌ يَسْوَى القَرَّاحِ " : يعنى الماء الخالص لا يخالطه شيء :
يضرب لمن سامت حاله ، وقد ماله بحيث يشوى الماء شهوة للطبخ .

وقولهم : " بَجَّ بَجَّ سَاقٌ بِمَحَلَّالٍ " هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيء .
وكلامه . وأول من قال ذلك الوردية بنت ثعلبة ، وذلك أن دُهل بن شيبان كان زوج
الوردية وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فزوج رقاش بنت عمرو بن عثمان من
بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالَان ، فقالت الوردية ذلك ، فنهبت مثلا .

حرف التاء

وقولهم : "تَرَكَ الظَّيُّ ظِلَّهُ" أى كَلَسَهُ الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِهِ : يضرب لمن نهر من شئ . فتركه تركا لا يعود له .

وقولهم : "تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّبْرِ" وهى لَيْلَةٌ يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْ مَتَى فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وقولهم : "تَرَكَتُهُ أَنْفَى مِنَ الرَّاحَةِ" أى عَلَى حَالٍ لَا خَيْرَ فِيهِ كَمَا لَا شِعْرَ عَلَى الرَّاحَةِ : يضرب فى اصطلاح الدهر .

وقولهم : "تَجُوعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِتَدْيِهَا" : أى لَا تَكُونُ ظِلًّا وَإِنْ آذَاهَا الْجُوعُ .

- ١٠ . اَوَّلُ مَنْ قَالَه الْحَارِثُ بْنُ سَلِيلٍ الْأَسَدِيُّ وَكَانَ حَلِيفًا لِعَلْقَمَةَ بْنِ حَصِيفَةَ الطَّائِي فَنَزَاهُ
فَنَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ الزَّيْءِ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِهَا ، قَالَ : أَتَيْتُكَ خَاطِبًا وَقَدْ يُنْكِحُ
الْخَاطِبُ ، وَيُدْرِكُ الطَّالِبُ ، وَيَمْتَنِعُ الرَّاعِبُ ، قَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : أَنْتَ كَفَّ كَرِيمٌ يُقْبَلُ
مِنْكَ الصَّفْوُ ، وَيُؤْخَذُ مِنْكَ الْعَفْوُ ، فَأَقِمْ نَظْرَ فِى أَمْرِكَ ، ثُمَّ أَنْكُحْ إِلَى أُمِّهَا ، قَالَ :
إِنَّ الْحَارِثَ سَيَدَ قَوْمِهِ حَسْبًا وَمَنْعِبًا وَبَيْتًا ، وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْنَا الزَّيْءُ فَلَا يَنْصَرِفُ
إِلَّا بِمَاجِدَتِهِ ، قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِأَبْنَتِهَا : أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ الْكَهْلُ الْجَمِّحُ ، أَوَالِ
١٥ . الْمُنَاحِ ، أَمْ الْقَتَى الْوَضَّاحُ ؟ قَالَتْ : بَلِ الْقَتَى الْوَضَّاحُ ، قَالَتْ : إِنْ الْقَتَى يُغِيرُكَ ،
وَإِنْ الشَّيْخُ يُغِيرُكَ ، وَلَيْسَ الْكَهْلُ الْفَاضِلُ ، الْكَثِيرُ النَّاتِلُ ، كَالْحَلِيطِ السِّنِّ ، الْكَثِيرِ
السِّنِّ ، قَالَتْ يَا أُمَاهُ : إِنْ الْفَتَاةُ مَحَبَّ الْقَتَى ، كَتَبَ الزَّيْءُ أُنَيْقُ الْكَلَا ، قَالَتْ : أَيُّ

بنية ! إن التقى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : إن الشيخ يُبلى شبّابى ، ويدنّس ثيابى ، ويُسَمِّت بى أترابى . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فترجوها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخدام وألف درهم ، فأبقتى بها ، ثم رحل بها إلى قومه فبقيا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه ، إذ أقبل شبّاب من بنى أسد يتعلجون فتغنست الصمّاء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال : ما بيك ؟ قالت : .
 مالى وللشيوخ ، الناهضين كالتروخ ، فقال لها : تَكْنُكِ أنك ! مجموع الحزّة ولا تأكل بشديها ، ثم قال لها : وأبيك ، لرب غارة شهدها ، وسيدة أردقتها ، ونمرة شريتها ، فألقى بأهلك فلا حاجة لى فيك ، وهذا المثل يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسهس المكاسب .

وقولهم : " كَجَشَأَ لَقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ " : يضرب لمن يدعى ما ليس يملك .

وقولهم : " تُخَيِّرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتَهُ " : أى منظره يخبر عن غيره .

وقولهم : " تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصِيبَةٍ " : أى إلى من لم يهت بهم بشأنك . قال الشاعر

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصِيبَةٍ ۚ فَأَصْبِرْ عَلَى الْجَمَلِ الثَّقِيلِ أَوْ مُتْ

وقولهم : " تَجَاوَزَ الرُّوْضَ إِلَى الْقَاعِ الْقَرِيقِ " : يضرب لمن يعدل بمجاحته من

الكريم إلى اللّهم ، والقرق : المستوى .

وقولهم : " تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ " : أى لا أفضى براه : يضرب

للمن خبره خير من مرآه ، أول من قاله : المتقاربان . جاء القلاء

وقولهم : "تَقَطَّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعُ" : يضرب في ذم الطمع .

وقولهم : "تَقَلَّدَها طَوَّقُ الحمامةِ" كناية عن التَّصَلُّةِ الصَّيْحَةِ التي لا تزياله ولا يفارقه .

حرف الشاء

وقولهم : "ثَارَ حَائِلُهُمْ على نابلهم" الحابل : صاحب الحباله ، والنابل : صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ في فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم .

وقولهم : "ثَوَّرَ كِلَابٌ في الرَّهَانِ أَقْعَدُ" : هو كِلَابُ بن ربيعة بن عامر ابن صَمْعَةَ القيسى كان يحق ، وذلك أنه أرتبط بحمل ثور ليسانى عليه ، والأقعد من القعيد وهو المتخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لمن يؤم مالا يكون .

حرف الجيم

وقولهم : "جَرَى المَذَكَّاتِ غِلَابٌ" المَذَكَّةُ من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يوصف بالتهريز على أقرانه في حلبة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : "جَزَاءُ سِنَمَارٍ" وهو الذى بنى الخوارج وقدم خبره في مبادئ العرب .

وقولهم : "جَرَحَهُ حيث لا يَضَعُ الرَّاقي أَقْنَهُ" قالته جنجلة بنت الحارث ، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عذراء ، وكان حنظلة شيطانيا فخرجهت في ليلة

مطرية فبصرها رجل فوثب عليها وأقتضها ، فصاحت وقالت : لَسْتُ . قيل أين ؟
قالت : حيث لا يضع الراقي أُنْفَه : يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه .

وقولهم : ” جَجَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا “ : يضرب لمن يعد ولا يفي .

وقولهم : ” بَرَى مِنْهُ مَجَرَى اللَّدُودِ “ وهو ما يُصَبُّ في أحد شِقِّ القم من
الدواء ، يضرب لمن يُفَضِّض وَيُكْرِه .

وقولهم : ” بَمَاعَةً عَلَى أَقْدَاءَ “ . معناه أَجْبَاعٌ بِالْأَيْدِي ، وَأَقْرَاقٌ بِالْقُلُوبِ ،
وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم ” هُدْنُهُ عَلَى دَخْنٍ “ : يضرب لمن يُضْمِرُ أذى
وَيُظْهِرُ صَفَاءً .

وقولهم : ” جَارٌ بَكَارٍ أَبِي دُوَادَ “ يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره
رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب
المثل في حسن الجوار ، قال طرفة

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَّتْ بِهِ : جَارٌ بَكَارٍ الْحُدَاثِي الَّذِي أَتَصَفَّا
والحُدَاثِي هو أبو دُوَادَ .

وقولهم : ” جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيِّرَةِ “ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة زُفَّتْ فَاطِمَةُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

وقولهم : ” جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ “ . أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير
كان جازراً على أهل مملكته يسلبهم مافي أيديهم وإن أمر أنه سمعت صوت السؤال

قالت : لى لأرحم هؤلاء وإنى لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ، فقال : جزع كلبك يتبعك ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخيه : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وأجلس مكانه ، فوافقهم على ذلك ، ثم وشوا على الملك فقتلوه ، فتر به عامر بن جذيمة وهو مقتول ، قال : ربما أكل الكلب مؤذبه اذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ، والمثل يضرب فى اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به .

وقولهم : " جاءتهم عوانا غير بكر " أى مستحكة غير ضعيفة يريدون حربا أوداهية عظيمة .

وقولهم : " جاء بصحيفة المتلئس " إذا جاء بالنهاية ؛ وكان من خير صحيفة المتلئس أن المتلئس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن أمري القيس فجلسهما ١٠ فى صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، فطال بقاؤهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فجاها بجاء وكتب معهما إلى أبى كرب عامله على حجر أن يقتلها ، وقال : قد سكبت لكا بجاء ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلئس لطرفة : هل لك فى كائنا ، فإن كان فيها خير مضينا له ، وإن كان شرا آتينا ، فأبى طرفة وقرأ المتلئس كتابه فإذا فيه ١٥ السوءة فأنفاه فى الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابها ، قال : ومضى المتلئس حتى لحق بملوك بنى جفنة بالشام وسار طرفة بكتابها ، فلما انتهى إلى العامل قتله .

وقولهم : " جندلتان أصطككا " : يضرب لقرتين يتصاولان .

وقولهم : "جَزَيْتُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ" : الكفاة .

- وقولهم : "جاءوا على بكرة أبيهم" أى جاءوا جميعا لم يختلف منهم أحد .
 وقيل : بل البكرة ثابت البكرة . بعضهم بالقلة أى بحيث تعلمهم بكرة أبيهم . وقيل بل
 البكرة التى يستقى عليها . معاء جاءوا معهم يتلو بعضها كدوران البكرة على نسق واحد ؛
 وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم ، وقال ابن الأعرابي :
 البكرة : جماعة من الناس أى بإجماعهم .

وقولهم : "جَاوَزَ الْحَزَامَ الطَّيِّبِينَ" : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

- قولهم : "حَرَلَكْ لَهَا حَوَارَهَا نَحْنُ" الحوار : ولد الناقة ، والجمع القليل أحورة
 والكثير حوران وحيران . معناه ذكركم بعض أشبهلته يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
 لما وية حين أراد أن يستنصر أهل الشام . أى أريهم دم عثمان على قيصره .

وقولهم : "حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ" أى أَخَذْتُهَا بِالْقُوَّةِ إِذْ لَمْ يَتَأْتِ بِالرَّفْقِ .

وقولهم : "حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ" أى نَقْلًا بِمَثَلٍ : يضرب فى التسوية بين
 الشئيين ؛ ومثله : حَذَوِ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ . وقد تقدم .

- وقولهم : "حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ" معناه أنه أَخْتَرَ الدَّهْرَ شَطْرَى خَيْرِهِ
 ١٥ وشَرَّهَ فَعَرَفَ مَا فِيهِ .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى" ؛ قال امرؤ القيس
إذا ما لم تكن ليلَ قَمَرِي ۝ كأنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصَى
فتملا بيتنا أَفْطًا وَسَمًا ۝ وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِبعك
وربك ، والآخرة القناعة باليسير .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ" أى آكف بالقليل
عن الكثير .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُهُ" أى آكف بسماعه ولا تعابه ، قال :
ويجوز أن يريد يكتفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه ، والمثل قائمه
فاطمة بنت الخُرَّشْب من بنى أنار بن فيض أم الربيع بن زيد ، وذلك أن أبها الربيع ١٠
كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا ، فتعرض قيس لأثم الربيع وهى على
راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدروع ، فقالت له : أين عُرْبُ عَنْكَ
يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بأنهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا
وشاعروا ، وإن حسبك من شَرِّ سَمَاعِهِ ، فنحبت كلمتها مثلا تقول : كفى بالمقالة عارا
وإن كان باطلا . ١٥

وقولهم : "حَلَقْتُ بِهِ عَقَاءُ مُغْرِبٍ" : يضرب لما ليس منه ؛ قال الشاعر
إذا ما أبْنُ عبد الله خَلَى مكانه ۝ فقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَقَاءُ مُغْرِبُ

قال الميبدانى : والعقاء طائر عظيم معروف الأسم مجهول الجسم يقال : كان
بارض الرّس جبل يقال له : دَخَّ مَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ، وكان يأتيه طائر عظيم لما عَقَّ

طويلة؛ وهي من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبية وتنقض على الطير فتاكلها، فجاءت يوما وأعوذها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عتقاء مغرب : لأنها تقرب بكل ما تأخذه، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان ، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلاً .

قال عنترة بن الأعرس الطائي في مرثية خالد بن زيد

لقد حَلَقْتَ بِالْجُودِ عَتَاءَ كَأْسُرٍ . كَفَفْتَ دَخْ حَلَقْتَ بِالْحَزَّورِ
فَمَا إِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعْرَفُ بَيْضُهَا . وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مُنْجِدٍ أَوْ مُغَوِّرِ

وقولهم : "حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ" كَرَعَ إِذَا تَنَاوَلَ الْمَاءَ بَقِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ :
يضرب للمريض في جمع الشيء .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ إِنْضَاجِهِ أَنْ تَقْتُلَهُ" : يضرب لطالب الثأر فيقول :
لَأَقْتُلَنَّ فَلَانًا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فيقال : لا تعد ، حسبك أن تترك تارك وطلبك :
ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

١٥

قولهم : "خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِينُ" : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة ، ومثله :
خَيْرَ إِيَّائِكَ تَكْفِينُ .

وقولهم : "خامري أم عامر" معناه استري : وأم عامر : الضبع ، يشبه بها الأحمق ،
ومثله : خامري حضاجر ، أنك ما تحاذر : وهو اسم للذكر والأُنثى من الضباع .

وقولهم : "خلا لك الجوف فيضي وأصغري" قاله طرفة بن العبد ، وكان
في سفر مع عمه فنصب نخاً للقنابر وثر حياً فلم يصد شيئاً ، فلما تحملوا رأى القنابر
يلتظن الحب الذي ثره لحن . فقال في ذلك

يا لك من قسوةٍ بعمري ! . خلا لك الجوف فيضي وأصغري
وقري ما شئت أن تقري « قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع التفع فما ذا تحذري ؟ » لا بهد من صيدك يوماً فاصغري !
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها .

وقولهم : "خلع الدرع بيد الزوج" المثل لقاش بنت عمرو بن ثعلب بن وائل ،
وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : أخلعي ، فقالت :
خلع الدرع بيد الزوج . فقال : أخلعيه لأنظر إليك ، فقالت : التجرد لغير النكاح
مثله ، فذهبت كلتاها مثلين يضربان في وضع الشيء في غير موضعه .

وقولهم

"خل سبيل من وهى سقاؤه" ومن هريق بالقلاة مأوّه
يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك .

وقولهم : "عمرو أبا الروقاء ليست سكر" : يضرب للنفي الذي لا فضل له
على أحد .

حرف الدال

قولهم : " دَمْتُ لِحَنِّكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا " أى أَسْتَعِذُّ لِلنَّوَابِثِ قَبْلَ
حُلُومِهَا ، وَالتَّعْمِيتِ : التَّيْلِينَ .

وقولهم : " دَعِ أَمْرًا وَمَا اخْتَارَ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ؛

قال الشاعر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمْكَنَتْهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينَةُ !
وَأَعْجَبُهُ الْحُبُّ فَاقْتَادَهُ . وَتَاهَ بِهِ التَّيْبُ فَاسْتَحْصَنَهُ ،
فَدَعَتْهُ قَدَمَاهُ تَدِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَةً !

حرف الذال

قولهم : " ذَكَرْنِي قَوْلُكَ حَمَارَى أَهْلِي " أصله أن رجلاً نرج يطلب حمارين
ضالَّاهُ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَنَسِيَ الْحَمَارَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا رَأَاهَا فَوَّاهَا
فَقَالَ : ذَكَرْنِي قَوْلُكَ حَمَارَى أَهْلِي ، وَقَالَ

لَيْتَ الْقَلَابَ عَلَى النِّسَاءِ عَرَّمٌ .. كَيْ لَا تَنْسُرَ قَيْصَةَ إِنْسَانًا

وقولهم : " ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا " وَيُقَالُ : تَهَرَّقُوا ، أَيْ تَهَرَّقُوا تَهَرُّقًا لَا أَجْتِمَاعَ
مَعَهُ .

وقصة سبل لما تَهَرَّقُوا بِسَبَبِ سَبِيلِ الْعَرَمِ مَشْهُورَةٌ ؛ وَسَنَدُ كَرَاهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي التَّارِيخِ .

- وقولهم: "ذهبوا شُغْرَبَغْرًا، وَشَدَّرَ مَدَّرًا، وَخَذَعَ مَدْعًا" أى فى كل وجه .
- وقولهم: "ذَلَّ بعد شِمَاسِهِ الْيَعْقُورُ": يضرب لمن أتاه بعد جماعه، واليعفور: فرس .
- وقولهم: "ذَهَبَتْ طُولًا، وَعَدِمَتْ مَعْقُولًا": يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

- وقولهم: "رَمَنَى بِدَانِهَا وَأَنَسَلَتْ" أصل هذا المثل: أن سعد بن زيد مائة تزوج رُحْمَ أبنه الخزرج، وكانت من أجل النساء، وكان ضرائرها إذا سابَّتها يقلن لها: يا غلاء، فقالت لها أمها: إذا سابَّتك فابديين بذلك، ففعلت رُحْمَ ذلك مع ضربتها، فقالت: رمنى بدانها وأنسلت، فذهبت مثلا: يضرب لمن يُعِدُّ الآخر بما هو يُعِيرُ به .
- وقولهم: "رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثَافِي" وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران ويُصب عليها القدر: يضرب لمن رُمِيَ بداهية عظيمة .
- وقولهم: "رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ" الصَّلف: قلة الخبير، والراعدة: السحابة ذات الرعد: يضرب للبخيل مع السَّعة .
- وقولهم: "رَجَعَ بِحُفَى حُنَيْنٍ" أصله أن حُنَيْنًا كان إسكافا بالبحيرة وساموه أعرابيَّين فَاخْتَلَفَا حَتَّى أَغْضَبَهُ، فلما أَرْمَلَ الأعرابيَّ أخذ حنين الخفين فأتى أحدهما على طريق الأعرابيَّ، ثم أتى الآخر بموضع آخر على طريقه، فلما مرَّ الأعرابيَّ بالخلف الأول قال: ما أشبه هذا بخنف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما،

ثم مرّ بالآخر فقدم على ترك الأثول فأناخ راحلته وأنصرف إلى الأثول وقد كَنَّ له حينئذٍ ، فآخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خنّى حينئذٍ ، فدمعت مثلاً : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

وقولهم : "رُبُّ سِلَاحٍ لِقَاعِدٌ ، وَآكِلٌ غَيْرِ حَامِدٍ" أول من قاله التابئة الذُّبْيَانِي ، وكان سبب ذلك أن وفدًا إلى النعمان وفيهم رجل من بني عَئْسَ يقال له : شَقِيقٌ ، فأتى عنده ، فلما حبا النعمان الوفد بعث بجائه إلى أهله ، فقال التابئة في ذلك

أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ جِئَاءٌ وَنِعْمَةٌ * وَرُبُّ أَمْرٍ يُسْعَى لِأَنْتَرِ قَاعِدٍ

وقولهم : "رُبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ" قاله أَكْثَمُ بْنُ صَيْفٍ ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلاً قال للأحنف ١٠ ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وقولهم : "رُبُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي" : يضرب في النهي عن الإكثار ١٥ عتافة الإجمار ؛ ذكروا أن ملكاً من ملوك جَمِيرٍ خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقها على صخرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنساناً دُجِعَ على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربُّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي .

ومثله قولهم : "رُبُّ رَأْسٍ حَصِيدٍ لِسَانَ" : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : "رُدَّ الْحَجَرُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ" : أى لا تقبل الضيم وأرم من رماك .

حرف الزاى

وقولهم : " زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدِ وَلَدُهُ " : يعرب في عجب الرجل بهبطه .

وقولهم : " زَايِحٌ يَعُودُ أَوْ دَع " اى لا تستعن إلا بأهل السر والتجربة .

وقولهم : " زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ " . قائله بعض نساء العرب ، قالوا :

كان ذوالإصبع المتوأتى غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهن عيرة عليهن ، فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن . فقالت إحداهن : لننقل كل واحدة منا ما في نفسها ، ولنصدقن جميعا ، فاشتبهت كل واحدة من الثلاثة زوجا وصفت من جماله وجماله وسمة

حاله ، ثم أتت الصغرى أن تتكلم . فقالوا : لا بد أن تقول ، وألحوا عليها ، فقالت : (١١) زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ ، فزوجهن .

وقولهم : " زُرْعِيَّا تَزْدَدُ حَبًّا " قاله معاذ بن صرم الخزاعي ، وكانت أمته من عك ،

وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله ، فحمل على عير ، فلاحقه ابن خل له يقال له : الفضبان فضاغما . فقال له الفضبان : والله ! لو كان فيك خير لما تركت قومك . فقال : زُرْعِيَّا - تَزْدَدُ حَبًّا ، فأرسلها مشلا ، وفي ذلك يقول الشاعر

إِذَا شِلْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرْدَادَ حَبًّا فَزُرْغِيَا

وقال آخر

عليك بإغساب الزيارة إنها * إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْمَجْرَسَلَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطْرَ يُسَامُ دَائِمًا * وَيُسَالُ بِالْأَيْدَى إِذَا هُوَ أَمْسَا

حرف السين

وقولهم : "سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ" قاله ضُبَّةُ بْنُ أَدْلَمَةَ لَامَهُ النَّاسَ عَلَى قَتْلِ قَاتِلِ
أَبْنِهِ فِي الْحَرَمِ، وَقَالَ : إِنَّهُ نَحْرَمُ بْنُ نَوْفَلِ الْمُهَلَّبِيِّ .

وقولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ" أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَلْتَمِسُ الْعِشَاءَ،
فَوَقَعَ عَلَى ذَنْبٍ فَأَكَلَهُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي غَنِيٍّ قَالَ لَهُ : سِرْحَانُ
أَبْنِ هَزَلَةَ كَانَ بَطْلًا فَاتَّكَأَ قَالَ رَجُلٌ ! وَاقِهِ لِأَرْعَيْنِ إِيَّايَ هَذَا الْوَادِي، فَوَرَدَ بِإِيْلِهِ،
فَوَجَدَ سِرْحَانًا فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ إِيْلَهُ وَقَالَ

أَلْبَيْحُ نَصِيحَةٍ : أَنْ رَأَيْتُ أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِيَطْعَانِ

يَضْرِبُ فِي طَلَبِ الْحَاجَةِ يُؤَدِّي صَاحِبُهَا إِلَى التَّلَفِ .

ومثله قولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ" وَهُوَ الْأَسَدُ .

وقولهم : "سَكَتَ الْفَأُ، وَنَطَقَ خَلْقًا" اخْلُفْ : الرَّدَى، مِنَ الْقَوْلِ
وغيره .

وقولهم : "سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً" أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ سُوَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَخُو بَنِي
عَامِرٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِأَبْنِهِ أَسَّ، فَوَقَفَ بِمَزْوَرَةٍ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيحٍ
الْتَقَى قَالَ لَهُ : مِنْ هَذَا؟ قَالَ : أَبْنَى ! قَالَ : حَيْلَكَ لَقَدْ يَأْتِي [أَيْنَ أَمْلُكَ ؟]
قَالَ : لَا وَاقَهُ مَا أَتَى فِي الْبَيْتِ، وَلَكِنِّي أَبْطَلْتُ إِلَى أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْلُعُ دَقِيقًا،
قَالَ أَبُوهُ : سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً، فَأَرْسَلَهَا مَتَلًا .

وقولهم : "سحابٌ نَوَّعَ مَأْوَهُ حَمِيمٌ" : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : "سوءُ الأَسْتِمْسَاكِ خيرٌ من حُسْنِ الصَّرْعَةِ" : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : "شُخْبٌ في الإِنَاءِ وشُخْبٌ في الأرض" : يضرب لمن يتكلم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : "شَرِيقٌ بالرِّيقِ" أي ضربه أقرب الأشياء إلى نفسه .

وقولهم : "شِنْشَنَةٌ أعرفها من أنْزَمَ" قاله أبو أنْزَمَ الطائي : وكان له ابن يقال له : أنْزَمُ ، فأتى وترك بين ، فوشوا على جفم يوم نادموه ، وكان أبوهم عاقلاً له قال

إِنِّي ضَرَجُونِي بِاللِّمِّ « شِنْشَنَةٌ أعرفها من أنْزَمِ

والشِنْشَنَةُ : الطليعة والمعدة : يضرب من غلب الشبه .

وقولهم : "شَمَّرَ ذَيْلًا ، وَأَدْرَعَ لَيْلًا" : يضرب على الحب في الحدة والطلب .

وقولهم : "شَنُوءَةٌ بين يتلوى رُضْعٌ" الشنوعة : ما يستغذر من القول والفعل : يضرب قوم أجمعوا على بخور وقاحة ليس فيهم مرشد ولا ناص .

وقولهم : "شَيْخٌ بِحَوْزَانٍ لَهُ أَلْقَابٌ" وبه « اللقب والمعق والنراب »

حَوْزَانٍ بأرض الشام : يضرب لمن يظهر للناس العفاف ، ومن حقّه أن يحتز منه .

وقولهم : " شَغَلَ الْخَلَى أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا " : يضرب القسول شيئا هو إليه
أخرج من السائل .

وقولهم : " شَبَّ عَمْرُو عَنْ الْعَلُوقِ " قاله جذبة الأبرش، وعمرو هذا هو
ابن أخته وهو عمرو بن عدى بن نصر .

حرف الصاد

- قولهم : " صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ " قال ذلك يسار الكواعب ، وكان عبدا
أسود يرمى لأهله إبلا ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه ، فزأهله يوما سائرين بجذاه
الإبل التي يراها ، فممد إلى لقوح فخلبها في علبة ، حتى ملأها ثم مشى بها ، وكان أبخج
الرجلين ، حتى أتى بها أبنه مولاة يسقيها ، وهي راكبة على جملها ، فنظرت إلى رجله
فتبسمت ، ثم شربت اللبن وجرته خيرا ، فانطلق فربحا حتى أتى صاحبه ، فقص عليه
القصة ، فقال : آمغر بنفسك ولا تسغر بينات الأحرار ، فقال : والله لقد دحككت
إلى دحكة لا أخيبها ، يريد : ضحكك ، وكان أعجمي اللسان ، ثم باا فقام فخلب في علبة
فلأها ، ثم أتى أبنه مولاة ، فنبها من نومها فاستيقظت وشريت ، ثم اضطجعت
وجلس يسار حيا لها ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بمجاشي ! فقالت :
لا والله ! فما هي ؟ قال : ذلك الرجل الذي دحككت إلى . فقالت : حياك الله ،
وقامت إلى سقط لها فانرجت منه بنجورا ودنها طيبا ، ومحمدت إلى موسى كانت
تحف به الشعر ، وأخذت مجرة فيها نار ، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته ،
وطاطات كأنها تصليح البخور ، فصعدت إلى مذا كبره فسحقها بالموسى ، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صبرا على مجامر الكرام ، ثم أومات إلى أنها تمهته وقالت :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارةً فتصبر عليه، فإن ربحك وريح الإبل وأنا أعانك،
ثم أشتتة الدهن على المومي، ورفعتة فوضتة بين عينيه فاستتلت بها الله . وقالت :
قم إلى إبلك يا بن الخليفة، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟
قال : أنزلك الله، أو قد عمى بعرك ؟

إذ لا ترى أنفا ولا أذنين • أما ترى وباصة العينين

هذا أحد الأقوال في هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال :
إن أعرايا قدم الحضري بليل ، فباعها بحال كثير وأقام لحوائج له . فظن قوم من
جبرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب
طعما في ماله، فرغب فيها فزوجوه إياها، ثم أخذوا طعاما وجموا الحى، وجلس
الأعرابي في صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابي،
ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدموا له يجرة فيها بخور لاعهد له به، وكان لا يلبس
السراويل، فلما جلس على المجرة، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة
لابد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال: صبرا على مجامر الكرام، فنهبت مثلا
وأحترقت مذاكيره، وخرق القوم، وأوتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل
إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تعود الجمر، فنهبت مثلا : يضرب
لمن لا قديم له .

وقولهم : " صبار الزج قدَّمَ السنان " : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير
استحقاق لذلك .

وقولهم : " صرح الخفض عن الزيد " : يضرب للأمر إذا أنكشف وتبين .

وقولهم : "صَفَقَهُ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ" هو حاطب بن أبي بثة كان حازما ،
فباع بعض أهله بئمة فُتِنَ فيها حين لم يشهدا حاطب ، فسارت مثلا لكل أمر
ينرم دون صاحبه .

حرف الضاد

• قولهم : "ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ" وذلك أن الغريبة تردحم على
الحياض عند الورد ، وصاحب الخوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب
في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : "ضَلَّ الدَّرِيصُ نَفَقَهُ" الدَرِيصُ : ولد الفأرة والبربوع والمفزة
وأشباه ذلك ، ونفقته : بجره : يضرب لمن يُعْنَى بأمره ويُعَدُّ حُجَّةً لخصمه ، فيُنسَى عند
الحاجة .

١٠

وقولهم : "ضَلَّ حِلْمُ أَمْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟" أى هَبْ أَدَّ عَقْلَهَا نَعْب
فَأَيْنَ نَعْبَ بَصَرِهَا ؟ : يضرب في استبعاد عقل الحليم .

وقولهم : "ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ" : يضرب لمن أضطرو لشيء ففتر
بأنفسه في طلبه .

حرف الطاء

١٥

قولهم : "طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالِهِ وَعَلَى بُلَيْثِهِ" قال الشاعر

وصاحب مرامتي داجيتي * على بِلَالٍ غَسِبَهُ طَوَيْتُهُ

ويقال : طويت السقاء على بُلَيْثِهِ إِذَا طَوَيْتَهُ وَهُوَ نَدِيْلُهُ إِنَّ طَوِيَّ يَأْبَسُ تَكْسُرُ ،

وإن طوى نَدِيْلًا غَفَنَ : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ، قال الشاعر

ولقد طويْتُكُمْ عَلَى بُلَاتِكُمْ . وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
فَإِذَا الْقِسْرَابَةُ لَا تُهَرَّبُ قَاطِعًا . وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
وَالْأَذْرَابِ : جَمْعُ قَرِيبٍ وَهُوَ الْقِسَادُ .

وقولهم : "طويته على غيره" : غرَّ الثوب : أتركه الأثرل : يضرب لمن
يؤكل إلى رأيه وما أنطوى عليه .

حرف الظاء

١٢

وقولهم : "ظالمٌ يعودُ كثيرًا" : يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه .
وقولهم : "ظننَّ رعووم، خيرٌ من أمَّ سوؤوم" : الظننَّ : الحاضنة ، والرعووم :
المعطوف ، والسوؤوم : الملول : يضرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام .
وقولهم : "ظاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ" معناه ظاهر .
وقولهم : "ظِلَالٌ صَبِيفٌ مَا لَهَا قِطَارٌ" : يضرب لمن له ثروة ولا يُجِدَى
على أحد .

حرف العين

وقولهم : "عند الصباح يحمّدُ القومُ السَّريَّ" أول من قاله خالد بن الوليد
لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه ، وكان بالجماعة أن يسير إلى العراق ، وثالثه مشقة
بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمّدُ القومُ السري :
يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .
وقولهم : "عند جُهينة الخبيرُ البقيرين" : يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : "عِرَّارُهُ وَتَدُهُ" أى أهلكه؛ وأصله أن رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وتد، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : "عند التّطاح يُغْلَبُ الكبشُ الأَجَمُّ" وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

- وقولهم : "على أهلها تَجْنِي بَرَأقش" قالوا : كانت بَرَأقش كلبّة لقوم من العرب ، فاعير عليهم فهيربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبعت القوم آثارهم بُباحها ، فأدركوهم فقتلوهم ، قصيا بقول حمزة بن يَئُض بل جناها أُنْع على كَرِيم * وعلى أهلها بَرَأقش تَجْنِي وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

- ١٠ وقولهم : "عسى الغُورُ أبُو سَا" الغُورُ : تصغير غار ، والأبوس : جمع بؤس وهو الشدة ، قالت الزَّيَّاء عند رجوع قَصِير من العراق ، ومعه الرجال ، وكان النور على طريقه ، ومعناه لعل الشَّرَّاء يَتَكَّم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم : "عُشْبٌ وَلَا بَعِيرٌ" : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

١٥

وقولهم : "عَادُ غَيْثٌ عَلَى مَا أَقْصَدَ" : يضرب للرجل فيه فساد ، ومصلحته أكثر .

وقولهم : "عاد السهم إلى النّزعة" أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : " عصا الجبان أطول " لانه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها .

وقولهم : " على الخير سقطت " المثل لما لك بن جبير العامري ، وتمثل به الفرزدق حين لقي الحسين بن علي رضي الله عنهما ، عند مقلعه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراك ؟ فقال : على الخير سقطت ؛ فلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والنصر من السيئه .

وقولهم : " عادة السوء شر من المعرم " معناه أن المعرم إذا أذيت فارتك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : " يجعجج لما عضة الطعان " أى صاح ، والظعان : نسع يشد به المودج : يضرب لمن يضح إذا لزمه الحق .

وقولهم : " عند الرهات تعرف السوابق " : يضرب لمن يدعى ما ليس فيه .

وقولهم : " عاد الأمر إلى نصابه " : يضرب فى الأمر يتولاه أربابه .

وقولهم : " عينك عبرى والقواد فى دد " الدد والدندب : اللدأ : اللب واللاهؤ : يضرب لمن يظهر حزنا لحزنك وفى قلبه خلاف ذلك .

وقولهم : " عمر فطة نسق من القوادق " ويروى : القوايق ؛ المرططة : شجرة خشنة المس ، والقوادق : السحاب الكثير الماء : يضرب للشريكرم ويجهل .

حرف الغين

- قولهم: "غُدَّةُ كَفْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ" قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أربد بن قيس اخو كيد ابن ربيعة العامري الشاعر لأمه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل ، قال : "دعه ، فإن يُرد الله به خيراً سيده" فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا عجم ، ما لي إن أسأمتُ؟ قال : " لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم " قال : تجعل لي الأمر بـعدك ، قال : "ليس ذاك إلي ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال : فـجعلني على الوبر وأنت على المدر ، قال : " لا " قال : فما ذا تجعل لي ؟ قال : " أجعل لك أعتة أنـحـلـل تغزو عليها " ، قال : أو ليس ذلك إلى اليوم ؟ وكان قد أوصى إلى أربد بن قيس : " إذا رأيته أكلته فدر من خلفه فاضربه بالسيف " فاختطف أربد سيفه شبراً فخبسه الله تعالى فلم يقدر على سلّه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : " اللهم أكفنيهما بما شئت " فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة في يوم صائغٍ صابح فأحرقته ، وولى عامر بن الطفيل هارباً وقال : يا عجم ، دعوت ربك فقتل أربد ، وإفقه لأملائها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مُرداً ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " بمنعك الله من ذلك " فصار عامر حتى نزل بيت ١٥ امرأة سَلُولِيَّةَ ، فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عظيمة ، فقال : غُدَّةُ كَفْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسألوا أهل العرب وأذنهم ، فصار كلامه مثلاً : يُضْرَبُ فِي خَصْلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

وقولهم : " غَرَنِي بِرْدَاكَ مِنْ خَدَايَ " ويروى : من غداي ؛ أصل المثل

أن رجلا استعار بُردَي امرأة فلبسهما، ورَمَى بِحَقْلَانِ كَانَتْ عَلَيْهِ، فاسترجعت المرأة بُردَيها فقال له: يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ مَالَهُ طُعْمًا فِي مَالٍ غَيْرِهِ .

حرف النساء

وقولهم: "فِي وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ أَمْرَهُ" أى نَمَاهُ وَخَيْرُهُ، وَيُقَالُ: أَمِرْتُ أَمْوَالَ بَنِي فُلَانٍ إِذَا نَمَتْ وَكَثُرَتْ: يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَدَلُّ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

وقولهم: "فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ" زعمت العرب أن الأرب أَلْضَطَّتْ تَمْرَةً فَاخْتَلَسَهَا التَّلَبُّ فَأَكَلَهَا، فَانْطَلَقَا يَجْتَمِعَانِ إِلَى الضَّبِّ، فَقَالَتِ الْأَرْبُ: يَا أَبَا الْحِجْلِ، قَالَ: سَمِيمًا دَعَوْتُ، قَالَتْ: أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ، قَالَ: عَادِلًا حَكَمْنَا، قَالَتْ: فَانْصَرَجَ إِلَيْنَا، قَالَ: فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ، قَالَتْ: إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً، قَالَ: حُلُوءَةً فَكُلِيهَا، قَالَتْ: فَاخْتَلَسَهَا التَّلَبُّ، قَالَ: لِنَفْسِهِ بَنَى الْخَيْرِ، قَالَتْ: لَطَمْتُهُ، قَالَ: بِحَقِّكَ أَخَذْتِ، قَالَتْ: لَطَمَنِي، قَالَ: حُرٌّ أَتَصْمِرُ، قَالَتْ: فَاقْضُ بَيْنَنَا، قَالَ: حَلَّتْ حَدِيثَيْنِ أَمْرًا، فَإِنْ أَبَتْ فَارْبَعَةً، فَنَهَبَتْ أَقْوَالَهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم: "فَتَى وَلَا كِبَالَكَ" قَالَهُ مُثَمَّمُ بْنُ نُورٍ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .

وقولهم: "فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا" أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ جَارِيَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ، قَالَ الْحَكَمُ بْنُ سَخْرٍ التَّنْفِي: نَحَرْتُ مَفْرَدًا فَرَأَيْتُ بِأَمْرَةٍ (وَأَمْرَةً مَوْضِعٌ)، جَارِيَتَيْنِ أُخْتَيْنِ لَمْ أَرْ بِكُلِّهِمَا، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا، قَالَ: ثُمَّ حَمَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعَى أَعْلَى، وَقَدْ أَعْيَلْتُ وَصَلَّ خَضَابِي، فَلَمَّا صَرْتُ بِأَمْرَةٍ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ، فَسَالَتْ

سؤال مُنيكة، قال قُلت : فلانة ؟ قالت : فدى لك أبى وأُمى ، أأنى تعرُفنى وأُنكرُك ؟
قال قُلتُ : أنا الحَكَمُ بنُ حَمْرٍ ، قالت : رأيُك عامٌ أوَّلُ شاباً سُوقَةً ، وأراك العام
شيخاً مَلِكاً ، وفى دُونِ هذا ما تُنكرُ المرأةُ صاحبها ، فذهبت مثلاً ، قال قُلت : ما فعلت
أختك ؟ قال : فتَنَفَّست الصُّعداءَ ، وقالت : تزوجها أبى عم لها وذهب بها ، فذاك
حيث تقول

إذا ما قُلتنا نحوَ تَجَدُّ وأهلها * فحسبى من الدنيا قُلولٌ إلى نجد
قال قُلت : أما إني لو أدركتها لترَوَّجْتُها ، قالت : وما يَمْنَعُكَ من شريكها
فى حُسْنِها وجمالها وشقيقتهما ؟ قال قُلت : يَمْنَعُنِي من ذلك قول كثيرٍ حيث يقول
إذا وصلتنا خُلةٌ كى تَربَلَّنا * أَيْدِنا وقلنا الحاجيةُ أوَّلُ

١٠ فقالت : كثيرٌ بينى وبينك ، أليس الذى يقول
هل وصل عَزَّةٌ إلا وصل غانية ؟ * فى وصل غانية من وصلها خَلَفُ
قال : فتركت جوابها عيًّا .
وقولهم : ” فأتكَّةٌ واثقةٌ بِرِى ” زعموا أن امرأةً كُتِرَ لِبِنُها ومُفَنِّتٌ شُهرُها ،
فقال لها زوجها : لمَ تَهْرِيقِنِي ؟ فقالت : فأتكَّةٌ واثقةٌ بِرِى : يضربُ للفَسْدِ الذى
وراء ظهره مَيسرة .

١٥

حرف القاف

قولهم : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ ” أصله أنب قوماً اجتمعوا
يخطبون فى صلح بين حيين ، قُتل أحدهما من الآخر قتيلاً ليرضوا بالدية ، فبيناهم
فى ذلك ، إذ جاءت أمةٌ يقال لها : جَهِيْزَةٌ ، فقالت : إن القاتل قد ظَفَرَ به بعضُ

أولياء المقتول قتله ، فقالوا : قطعت جهة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه يجهله .

وقولهم : "قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا" : يضرب للبخيل يعتل بالإعدام .
ومثله : "قَبْلَ النَّفَاسِ كُنْتَ مُصَفَّرَةً" .

وقولهم : "قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ" : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : "قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى" : يضرب في الحث على الجدة في الأمر .

وقولهم : "قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَةَ فِي النَّارِ" قاله عُرْفُطَةُ بْنُ عَرْفَةَ سَيْدِ بْنِ هِزَانَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُصَيْنِ بْنِ نَيْتِ الْمَكْلِيِّ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ ، قَتَلَتْ حُكْلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزَانَ ، وَأَسْرَ عُرْفُطَةُ بْنُ عُكْلَ رَجُلَيْنِ ، قَالَ لَهَا : أَيَكُمُ أَفْضَلُ لِأَقْتَلَهُ بِضَاحِبَتَا ؟ فَعَلَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِخَبَرِ أَنْ صَاحِبَهُ أَكْرَمَ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا جَمِيعًا ، فَقَتَلَهُمَا أَحَدُهُمَا لِلْقَتْلِ ، فَعَمِلَ الْآخَرُ يَصْرِطُ ، فَقَالَ عُرْفُطَةُ : قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَةَ فِي النَّارِ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا : يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَخُوفٌ بِالْأَمْرِ فَيَجْزَعُ قَبْلَ وَقْعِهِ . وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقولهم : "قَدْ بَيَّتَ الصَّبْحُ لِنَيِّ عَيْنَيْنِ" : يضرب في ظهور الأمر كل الظهور .

وقولهم : "قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا" الْقَارَةُ : قَبِيلَةٌ قَدْ تَهْتَمُّ ذِكْرَهَا فِي الْأَنْسَابِ .

وقولهم : "قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلَأُ الْكَائِنُ" أَيْ تَوْخِذُ أَهْبَةِ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقْعِهِ .

ومثله . "قبل الرمي يراش السهم" : يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها .
وقولهم : "قَلْبَ له ظَهَرِ الحِجْنِ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ، ثم حال
عن عهده .

وقولهم : "قد ألقى عصاه" إذا استقر من سفر أو غيره ، يقال : إنه لما بوع
لأبي العباس السفاح ، قام خطيباً فسقط الفضيبي من يده ، فقام رجل من القوم وأشد
• فالتفت عصاه وأستقر بها التوى • كما قسرت عيناً بالإياب المسافر
وقولهم : "قد وثى طرفاه" : يضرب لمن ذل وضعف عن أن يتم له أمر ؛
قال النجاشي

وإن فلانا والإمارة كالذي • وثى طرفه بعد ما كان أجدا
وقولهم : "قدت سيورهم من أدبكم" : يضرب للشيثين يستويان في الشبه
• قال الشاعر

وقدنت من أدبهم سيورى •

وقولهم : "قد بلغ الشظاظ الوركين" الشظاظ : عويد يُجعل في عروة
الجواني : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزام الطيين .

١٥ حرف الكاف .

وقولهم : "كان كراعاً ، فصار ذراعاً" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزاً .
قوياً .

وقولهم : "كلام كالعمل ، وفعل كالأسل" : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : "كُنْتَ تَبْكِي مِنَ الْأَثْرِ الْعَافِي فَقَدْ لَاقَيْتَ أَخْلُودًا" : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : "كُلَّ ذَاتٍ يَعْلِي سِتْنِمَ" هذا من أمثال أكم بن صيفي ، قال الشاعر

أفاطم إني هالك فتبّتي ، ولا تجزعي ، كل النساء تلئم

أى مستفارق زوجها .

وقولهم : "كُلَّ أَرْبَ تَهْوَر" قاله زهير بن جديمة لأخيه أسيد ، وذكر الخليل في وقائع العرب .

وقولهم : "كُلَّ فَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ" : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : "كُلَّ الصَيْدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا" العرا : الحمار الوحشي ، أصل المثل أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر ظلياً ، والثالث حمارة ، فتناولوا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف العرا : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "كَدَمْتَ غَيْرَ مَكَّدَمٍ" : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : "كَالْتَوْرُ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقَرُ" : يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم ، ويأتي ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : "كَالْكَبْشِ يَحْمِلُ شَقْرَةً وَزَنَادًا" : يضرب لمن يتعرض للهلاك .

وقولهم : "كَالْمُسْتَعِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ" : يضرب في الخللين يمتنعان على الرجل .

- وقولهم : " كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانَ " : يضرب ابن عجل في طلب حاجته .
- وقولهم : " كَلَاهُمَا وَتَمَرَا " أول من قاله عمرو بن حمران الجمدي ، وذلك أنه مرَّ برجل وبين يديه زُبْدٌ وَسَنَامٌ وَتَمْرٌ ، فقال : أَلْتَنِي مِمَّا يَنْ يَدِيكَ ، فقال : أَيْمًا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَزُبْدُ أَمْ سَنَامٌ ؟ فقال : كَلَاهُمَا وَتَمَرَا ، فسارت مثلا .
- وقولهم : " كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدَّةِ " يقال : إن رجلا وجد صيدا ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب في طلب الشيء يؤدي صاحبه إلى تلف النفس .
- وقولهم : " كَذَى الْعَرَبُ كَوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ " : يُضْرَبُ فِي اخْذِ الْبَرَى ، بِضَرْبِ الْجَانِي ، وَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي أَوَابِدِ الْعَرَبِ .
- وقولهم : " كَالْمَحْتَاضِ عَلَى عَرَضِ السَّرَابِ " : يُضْرَبُ لِمَنْ يَطْمَعُ فِي مَحَالٍ .
- وقولهم : " كَلَّ لِبَالِهِ لَنَا حَنَادَسٌ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُ إِلَّا مَا تَكْرَهُ .

حرف اللام

﴿ ١١ ﴾

- وقولهم : " لَوْ ذَاتُ مِسْوَارٍ لَطَمْتَنِي " معناه لو ظلمني من كان كفؤا لي لمان علي ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم
- فلو أني بُليتُ بهاشمي * خؤولته بنو عبد المَدَانِ
- لمان علي ما ألتني ولكن * تعالى فانظري بمن آبتلاني
- وقولهم : " لَوْ غَيْرَ ذَاتِ مِسْوَارٍ لَطَمْتَنِي " روى الأصمعي : أن حاتما الطائي مرَّ ببلاد عَتَّةَ فِي بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ فَنَادَاهُ أَسِيرُ لَمْ : يَا أَبَا سَفَانَةَ : أَكَلْتِ الْإِسَارَ

والقمل، فقال: ويحك، أسأت إذ تَوَهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القوم به ثم قال: أطلقوه وأجملوا يدي في القيد مكانه، ففعلوا ذلك؛ ثم جاءته امرأة بيعير ليفصده فتحره فطلمته فقال: لو غير ذات سوار لطمنتي، يعني أني لا أقتص من النساء، ثم عَرف، فهدى نفسه فدأ عظيما .

• وقولهم: "لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ" قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مُرَادٍ، فطرقوه ليلا، فأتوا القطا، فرأته امرأته فنبهته فقال: إنما هذا القطا، فقالت: لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ؛ فصار مثلا: يُضْرَبُ لِمَنْ يُحْمَلُ عَلَى مَكْرُوهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهِ؛ وَقِيلَ: إِنْ لَتِي قَالَتْ لَهُ حَذَامُ بِنْتُ الرِّيَّانِ .

وقولهم: "لَيْسَ لَهُ جِلْدُ الْبَمْرِ"؛ يَضْرَبُ فِي إِظْهَارِ الْعِدَاوَةِ وَكُشْفِهَا .

• وقولهم: "لَقَدْ دَلَّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ" أصله أن رجلا من العرب

كان يبعد صمنا، بغاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك:

أَرَبُّ يَبُولِ الثُّعْلُبَانِ بِرَأْسِهِ؟ لَقَدْ دَلَّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

وقولهم: "لَيْسَ هَذَا بَعْشِكِ فَأَدْرُجِي"؛ يَضْرَبُ لِمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ .

وقولهم: "لَمْ أَجِدْ لَشَقْرَتِي مَحَرًّا"؛ يَضْرَبُ عَنَرًا فِي تَعَدُّرِ الْحَاجَةِ .

• وقولهم: "لَوْ سَمِعْتُ الْعَارِيَّةُ أَيْنَ تَذْهَبِينَ لَقَالَتْ أَكْسَبُ أَهْلِي ذِمًّا"

هذا من كلام أكنم بن صيفي: يَضْرَبُ فِي سُوءِ الْجَزَاءِ لِلنِّعَمِ .

وقولهم: "لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ، مِرْعَةُ الْعَدْلِ" أي لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْجَلَ بِالْعَدْلِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الْعَدْرَ .

وقولهم : " ليس القُدَّامَى كَالْخَوَافِي " : يُضْرَبُ عِنْدَ التَّفْضِيلِ .

وقولهم : " لَوْ كُورِيَتْ عَلَى دَاوُدَ لَمْ أَكْرَهْ " أَيْ لَوْ عُوْثِيَتْ عَلَى ذَنْبٍ مَا أَمْتَعَضْتُ .

وقولهم : " لَيْسَ عَلَى الشَّرْقِ طَحَاءٌ يَحْجُبُ " أَيْ لَيْسَ عَلَى الشَّمْسِ سَحَابٌ :

يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ .

وقولهم : " لَا كُورِيَتْ كَيْةُ الْمَتْلُومِ " أَيْ تَجَا بَلِينَا ؛ وَالْمَتْلُومُ : الَّذِي يَتَّبَعُ الدَّاءَ .

حَتَّى يَعْلَمَ مَكَانَهُ : يُضْرَبُ فِي التَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ .

وقولهم : " لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَفْقَهُ " قَالَتْهُ الزَّيَّاءُ لَمَّا رَأَتْ قَصِيرًا مَجْدُوعًا ؛

وِخْبَهُ يَأْتِي فِي بَابِ الْمَكَايِدِ .

حرف الميم

١٠ قولهم : " مَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ فِي الْوَادِي الرَّغْبِ " الشَّفْعَةُ : الْمَطَرَةُ الْمَيْنَةُ ، وَالرَّغْبُ :

الْوَاسِعُ : يُضْرَبُ لِلَّذِي يَعْطِيكَ قَلِيلًا لَا يَقَعُ مِنْكَ مَوْعِدًا .

وقولهم : " مَا وَرَاعَكَ يَا عِصَامُ ؟ " يُقَالُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو

مَلِكُ كِنْدَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ بِجَمَالِ ابْنَةِ عَوْفِ بْنِ مُخَلَّمٍ فَارْسَلَ إِلَيْهَا أَمْرَأَةً ذَاتَ عَقْلِ

وَلِسَانٍ ، يُقَالُ لَهَا : عِصَامُ ، وَقَالَ : أَتَنْهِي لِمَا يَنْبَغِي بِجَاهِلَا ، فَلَمَّا أَتَتْهَا إِلَيْهَا وَنَظَرَتْهَا

خَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ : " تَرَكْتُ الْإِلْدَاعَ ، مَنْ كَشَفَ الْقِتَاعَ " فَتَحَبَّتْ مِثْلًا ، ثُمَّ عَادَتْ ١٤

إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا وَرَاعَكَ يَا عِصَامُ ؟ فَقَالَتْ : " صَرَّحَ الْخَضُّ عَنْ الزُّبْدِ " فَارْسَلَتْهَا

مِثْلًا ؛ وَصَاقَ الْمِيْدَانِي عَلَى هَذَا الْمَثَلِ كَلَامًا طَوِيلًا قَالَتْهُ عِصَامُ فِي وَصْفِ أَعْضَاءِ

الْمَخْطُوبَةِ .

وقولهم : " ما يوم حليمة بسر " هي حليمة بنت الحارث بن أبي شير، كان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأنجحت لهم طيبا في مراكب فطيبتهم، فلما آتته إلى كيد بن عمرو وذهبت لتخلفه، قبلها، فاطمته وأنت أباه، فقال لها : ويلك أسكتي عنه، فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤاد، وإني مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شره؛ فصار إلى المنذر بالجيش، قتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، قيل فيه : ما يوم حليمة بسر .

وقولهم : " ما أشبه الليلة بالبارحة " أي ما أشبه بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرعى ولا كالسعدان " قالوا : السعدان أخضر الشب لبنا، ومنايته السهول : يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله، وأول من قال المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل : بل قالت امرأة من طيء تزوجها أمرؤ القيس بن مجمر الكندي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت : مرعى ولا كالسعدان، أي إنك إن كنت رضا فليست كفلان .

وقولهم : " ماء ولا كصداء " صدأ : ركية عذبة؛ قال ضرار السعدي

وإني وتيسى بزنب كالذي ٥ تطلب من أحواض صدأ مشربا .

١٥ . معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لحرط حسنها، كالذي يرد الماء فإنه يزاحم عليه لحرط عنوبته .

وقولهم : " محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا " هو سالم بن دارة النطفاني، ودارة : أمه، وكان قد هجا بعض بني فزارة فأغتاله زميل قنله، فيه يقول الكيت فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه : محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : "مَلَكْتَ فَأَسْجِخْ" الإسجِخ : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسن العفو؛ وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته؛ ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : "من يتكح الحسنة يعط مهرها" أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : "من سرّه بنوه ساءته نفسه" قاله ضرار بن عمرو الضبيّ : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فأرهم يوما وأولادهم، فعلم أنهم لم يلقوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلا .
وقولهم : "من أشبه أباه فإِ ظلم" معناه ظاهر .

وقولهم : "من يرّ يوما يرّ به" قاله كَلْحَب بن شُؤب الأسدّيّ، وكان يُغير على طيٍّ وحده، فعدّتا حارثة بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفّني مؤونة هذا الجليث؟ فقال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فساموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظلّ أراكية فترل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فأنقبه ففزع يده اليمنى من مُسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدّوه وثاقا وأنوا به حارثة، فقال له : يا كَلْحَب، إن كنت أسيرا فطلما أسرت، قال : من يرّ يوما يرّ به، فأرسلها مثلا، وقال حوذة وهو ابن المقتول ١٥ لحارثة : أعطنيه أقتله بأبى، قال : دونكه ! وجعلوا يتكلمون وهو يبالغ بكافه حتى أخذ، ثم وثب على رجله فاتبعوه بالليل فأعجزهم .

وقولهم : "من سلّك الجدد آمن العثار" الجدد : الأرض المستوية : يُضرب فى طلب العاقبة .

وقولهم : "مَنْ يَشْتَرِي سِفِي وَهَذَا أَثَرُهُ؟" قاله الحارث بن ظالم، وذلك انه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العباسي على ما تذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب، فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدركوه محمرا فمطف عليهم وقتل منهم جماعة وكروا عليه فجعل لا يقصد الجماعة إلا فرقها وهو يقول : من يشتري سِفِي وهذا أثره، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : "مِنْ مَالٍ جَعْدٌ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ" قاله جعد بن الحُصَيْن أبو جعفر ابن جعد الشاعر، وكان قد كبر فتفرق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه فعلق بغي من الحلي يقال له : عَرَابَةٌ فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد، فظن جعد لذلك، فقال في ذلك

أبلغ لديك بنى عمرو مُضْلِلَةٌ .. عمروا وعَوْفا وما قولي بمردود
بانت يتي أُمِّي فوق داهية .. سوداء قد وعدتني شرَّ موعود
تُعْطِي عَرَابَةً بالكَمِينِ مَجْتَنَحًا .. من الخَلْقِ وتُطْغِي على العود
أُمِّي عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسْرِبُهُ .. من مَالٍ جَعْدٍ، وجعدٌ غيرُ مُحَمَّدٍ
يُضْرِبُ للرجل بَصَابِ من مَالِهِ وَيَنْتَمِ .

وقولهم : "مَنْ مَأْمَنَهُ يَوْئِي الْحَنِيزِ" قاله أكرم بن صيفي .

وقولهم : "مَنْ يَمِشْ يَرْضَ بِمَا رَكِبَ" : يضرب للذي يضطر إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : "مَنْ يَلْقَ أَبْطَالَ الرِّجَالِ يَكَلِّمُ" قاله عُقَيْل بن علقمة المُرِّي ، وقد رماه عُمَيْسُ أَيْبَةُ بِسَهْمٍ فَخَلَّ نَخْذِيهَ، فقال أَيْبَاتُ مِنْهَا

إِنَّ بَنَى زَقْلُونَى بِالدِّمِ * شَيْشَنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْرِمِ
* مِنْ يَلَقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ *

وقولهم : "من لا يذُدُّ عن حوضه يُهْلَمُ" أى من لم يدفع عن نفسه يُظلم،
قاله زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمٍ .

وقولهم : "مَكْرَهُ أَخْوَلُكَ لِابْطُل" قاله أَبُو حَنْشَلٍ خَالُ بَيْهَسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجَلُّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : "مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرَقِ" : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَمَانِيهِ
صَاحِبِهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

وقولهم : "نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامَا" هو عَصَامُ بْنُ شَهْرٍ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
ابْنِ الْمُنْتَدِرِ : يُضْرَبُ فِي نَبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ؛ وَقِيلَ فِي هَذَا
نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامَا * وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
* وَصِيَّتُهُ مِلْكَاهُمَا *

وقولهم : "نَظْرَةٌ مِنْ ذَى عَالَى" أى مِنْ ذَى هَوَى : يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْظُرُ بَوْدَ .

وقولهم : "تَزَّتْ بِهِ الْبَطْنَةُ" : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ التَّعْمَةَ ؛
قال الشاعر

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّاسِزِ يَطْلُطُهُ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَى مَقْرُونَا

وقولهم : "نجوت وأرهتكم مالكا" قال عبد الله بن همام السلولي
فلما خَشِيتُ أظْفَرِيهم • نجوت وأرهتكم مالكا
يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْجُو مِنْ هَلَكَةٍ تَنَسَّبَ فِيهَا شِرْكَاءُهُ وَأَصْحَابُهُ .
وقولهم : "نام عصام ساعة الرحيل" : يُضْرَبُ لِمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بَعْدَ مَا وَلَّى .

حرف الهاء

وقولهم : "هذنة على دخن" .
وقولهم : "هذا أوان شذكم فشدوا" .
ومثله قولهم : "هذا أوان الشذ فاشتدنى زيم" قال الأصمعي : زيم : أَسَمَ
فَرَسٌ : يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِالْجَلَّةِ .
وقولهم : "هو على حيل ذراعك" أى الأمر فيه إليك : يُضْرَبُ فِي قَرَبِ
الْمُتَنَاقِلِ ؛ وَحِيلُ الذَّرَاعِ : عِرْقُ فِي الْيَدِ .
وقولهم : "هان على الأملس ما لاقى الدير" : يُضْرَبُ فِي سُوءِ أَهْتَامِ الرَّجُلِ
بِشَأْنِ صَاحِبِهِ .

وقولهم : "هوين حاذف وقاذف" الحانف بالعصا ، والقانف بالحصى :
يُضْرَبُ لِمَنْ هَوَيْنَ الشَّرَّينِ .

وقولهم : "هو على طرف الثمام" الثمام : نبت ضعيف سهل المتناول تسد به
خصائص البيوت ، وربما حُشِيتُ بِهِ الْخُفَّاءُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْهَى عَلَى قَدْرِ قَامَةِ الْإِنْسَانِ :
يُضْرَبُ فِي تَسْمِيلِ الْحَاجَةِ وَقَرَبِ النِّجَاحِ .

وقولهم : "هي العُمرُ تُكفَى الطلاء" : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

- قولهم : "وافق شُنُّ طبقة" قال الشرق بن القطامي : كان رجل من دماء العرب وعقلاهم يقال له : شُنُّ ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيترجها ، فيبنا هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق فسارا جميعا ، فقال له شُنُّ : أتجملني أم أحملك ؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف تجملني أو أحملك ؟ ! ثم سارا فأتيا إلى زرع قد استحصد ، فقال شُنُّ : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك ، تبنا مستحصدا فنقول : أكل أم لا ! فسكت ، ثم سارا حتى دخلا القرية فبقيا جنازة ، فقال شُنُّ : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ترى جنازة فقال عنها أبيت صاحبها أم حي ! فسكت عنه شُنُّ وأراد مفارقه فآبى أن يتركه وصار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألت عن ضيفه ، فقال : ما رأيت أجهل منه ، وحشني بحديثه ، فقالت : يا أبيت ما هذا بجاهل ! قوله : أتجملني أو أحملك ؟ أراد أن يتحدثني أم أحذرك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فاكلوا منه أم لا ؟ وأما الجنازة ١٥ فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقدم مع شُنُّ فحادثه ، وقال له : أتحب أن أفسرك ما سألتني ؟ قال نعم ، ففسره ، فقال شُنُّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرتني من صاحبه ؟ فقال : أبتة لي ، فخطبها إليه فزوجها إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شُنُّ طبقة ، فذهبت مثلا : يضرب للتوافقين ؛

وقال الاسمعي : هم قوم كان لهم وعاء من آدم فنشئ فجعلوا له طبقاً فواقعه قعيل :
وافق شن طبقه، ورواه أبو عبيدة في كتابه، وقال ابن الكلبي : طبقه : قبيلة من إداد
كانت لا تطلق فأوقعت بها شن بن أنص بن دُعَيْمٍ فانتصفت منها وأصاب فيها
فَضْرِبَتَا مثلاً وأُتْسِدَ

لَقِيَتْ شَنْ إِيَادَا بِالنَّاسِ طَبَقًا، وافق شن طبقه

وقولهم : "وجدتُ الناسَ أَخْبَرَ ثَقْلُهُ" أصله أَخْبَرُ الناسَ ثَقْلُهُمْ : يُضْرَبُ
في ذمِّ الناسِ وسوءِ معاشرتهم .

وقولهم : "وَلَوْ دُ الْوَعْدُ عَاقَرُ الْإِيْحَازِ" : يُضْرَبُ لِمَنْ يَكْثُرُ وَعْدُهُ وَيَقُلُّ قَدْرُهُ .

وقولهم : "وَدَّعَ مَا لَا مُوَدَّعَهُ" لأنه إِذَا اسْتَوْدَعَهُ غَيْرَهُ قَعْدَ وَدَّعَهُ وَغَرَّرَ بِهِ
ولعله لا يرجع إليه .

وقولهم : "وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبَيْءُ الْمَنَهِلِ" : يُضْرَبُ فِي التَّهْوِي عَنْ اسْتِحْجَالِ
الْجَهْلِ .

ما جاء في ما أوْله (لا)

قولهم : "لَا تَحْبَأْ لِعِطْرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ" وَيُقَالُ : "لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ"
أَوَّلُ مَنْ قَالَ أَمْرًا مِنْ عُدَّةٍ ، يُقَالُ لَهَا : أَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ مِنْ
بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ : عَرُوسٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَتَرَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ نَوَظِلٌ ، وَكَانَ
أَعْمَرَ أَبْنَى بَنِي لَاحِمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَ : ضَمِّي إِلَيْكَ عِطْرَكَ ، قَالَتْ : لَا عِطْرَ
بَعْدَ عَرُوسٍ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، وَيُقَالُ : إِنْ رَجُلًا تَزَوَّجَ أَمْرَأَةً ، فَلَمَّا أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ

وجدها قَتْلَةً فقال لها : أين الطَّيْبُ ؟ فقالت : خَبَأَتْهُ ، فقال لها : لَا تَحْبِيْاً لِمِطْرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ : يُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ تَقِيْسٌ .

وقولهم : " لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ " : يُضْرَبُ لِمَنْ أُصِيبَ وَنُكِبَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، يُقَالُ هَذَا مِنْ امْتِثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَه لِأَبِي عَزْرَةَ الشَّاعِرِ وَكَانَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَّ عَلَيْهِ وَأَطْلَقَهُ .
ثم أَنَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَاسْرَهُ ، فَقَالَ : مَنْ عَلَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ " أَيُّ لَوْ كُنْتَ مُؤْمِنًا لَمْ تَعُدْ لِقَاتِنَا .

وقولهم : " لَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ " أَقُولُ مِنْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيُّ^(١) ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ غَسَّانَ كَانَ يَطْلُبُ فِي بَنِي عَامِرٍ دَحْلًا فَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالِكًا وَسِمَاكَ ابْنَيْ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ فَاحْتَبَسَهُمَا زَمَانًا ثُمَّ دَعَا بِهِمَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَاتِلُ أَحَدِكُمَا ، فَايَكَا أَقْتُلُ ؟ فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَقْتُلْنِي مَكَانَ أُخَى ، فَتَقْتُلُ سِمَاكَ وَخُلِيَّ سَبِيلَ مَالِكٍ ، فَقَالَ سِمَاكَ حِينَ ظَنَّ أَنَّهُ مُقْتُولٌ فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلْتُمَا مَالِكًا ، لَكُنْتُ لَهُمْ حِجَّةً رَاصِدَةً بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرَقِبٍ * وَيَوْمَا عَلَى طَرِيقٍ وَارِدَةٍ فَأَمَّ سِمَاكَ فَلَا تَجْزِي ، فَلِلْمَوْتِ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةُ

وَأَنْصَرَفَ مَالِكٌ إِلَى قَوْمِهِ فَأَقَامَ فِيهِمْ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مَرَّ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ يَتَنَقَّى بِقَوْلِ سِمَاكَ * فَأَقْسَمَ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا * فَسَمِعَتْهُ أُمُّ سِمَاكَ ، فَقَالَتْ : يَا مَالِكُ ، قَبِجَ اللَّهُ الْحَيَاةَ بَعْدَ سِمَاكَ ، أَخْرَجَ فِي الطَّلَبِ تَفْرَجَ فَلَقِيَ قَاتِلَ أَخِيهِ يَسِيرُ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ وَفَرَاغِ الْأَلْ : " لَا يَلِجُ " .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ : " الْبَاطِلُ " بِالْأَلَامِ فِي فَرَاغِ الْأَلْ : " الْبَاطِلُ " .

من أحسن لى الجبل الأحمر، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة من الإبل، قال : لا أطلب أثرا بعد عين، فنهبت مثلا .

وقولهم : " لا يرسل السائق إلا مُمسكا ساقا " أصله فى الجرباء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

• وقولهم : " لا مائة أبقيت ، ولا حرك أبقيت " ويرى : ولا دترك ، أصله أن رجلا كان فى سفر ومعه أمراءه ، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير فاعتسلت به فغد ولم يكن لها لئسها فمطشا قال هذا القول فسار مثلا ، وقيل : إن الذى قاله الضب بن أروى الكلاعى قاله لأمراته حمرة بنت سبيع ، قال الفرزدق وكنت كذات الحيف لم تبق ماعا • ولا هى من ماء العذابة طاهر

١٠ وقولهم : " لا ناقتى فى هذا ولا بحلى " المثل لخارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة ثليا وعاجت الحرب بين الفريقين وأعتلها الخارث ، قال الراعى وما هجرتك حتى قلت مُعلنة • لا ناقة لى فى هذا ولا بحل يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

• وقولهم : " لا يتططح فيها عزان " قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
١٥ وقولهم : " لا يُنبِتُ البقلة ، إلا الحقلة " الحقلة : القراح ، أى لا يلد الوالد إلا مثله : ويضرب مثلا للكلمة النسيمة تخرج من الرجل النسيس .

• وقولهم : " لا تدخُل بين العصا وحلها " : يضرب فى المتصالحين المتصافين .
• وقولهم : " لا يحزنك دم هراقه أهله " قال هذا المثل جذيمة : يضرب لمن يوقع حسه فيها لا تحلص له منه .

حرف الياء

وقولهم : "يَدَاكَ أَوْكَأَ وَفُوكَ نَفَخَ" أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يبرُّ على زَقٍّ قد نَفَخَ فيه فلم يُحَسِّنْ إحكامه ، فلَبَّاَ توسط البحر نرجحت منه الريح ففرَّقَ فاستغاثَ برجل ، فقال له : يدَاكَ أَوْكَأَ وَفُوكَ نَفَخَ ، فذهبت مثلا : يُضْرَبُ لِمَنْ يَجْنَى عَلَى نَفْسِهِ الْحَيِّينَ .

وقولهم : "يَسُجُّ وَيَأْسُو" : يُضْرَبُ لِمَنْ يُصِيبُ فِي التَّدْبِيرِ مَرَّةً وَيُخْطِئُ أُخْرَى ؛ قَالَ الشَّاعِرُ

إِنِّي لِأَكْثَرِمَا شُئْنِي عَجَبًا ۖ يَدٌ تَسُجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُو

وقولهم : "يُسِرُّ حَسَوًا فِي أَرْتَعَاءٍ" أصله أن الرجل يُؤَوِّي بِاللَّيْلِ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَرِيدُ الرِّغْوَةَ خَاصَّةً فَيُسْرِهَا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَنَالُ مِنَ اللَّيْلِ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُرِيدُ أَنَّهُ يُعِينُكَ وَإِنَّمَا يَخْذُلُكَ إِلَى نَفْسِهِ ؛ قَالَ الْكَلْبِيُّ

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُونًا ۖ وَنَحْسَاءَ بِمَلَّةٍ مُرْتَفِينَا

وقولهم : "يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا" : يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُدْرِكُ حَاجَتَهُ فِي تَوَدَّةٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنْشَدُ فِيهِ

تَسَالَتِي أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا ۖ يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : "يُصْبِحُ ظِمَامًا فِي الْبَحْرِ قُهُ" : يُضْرَبُ لِمَنْ يَعاشرُ بَخِيلًا مُثْرِيًا .

وقولهم : "يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ" مأخوذ من قول عُبَيْدِ بْنِ أَبِي لُبَّابٍ :

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَاجِدًا ۖ يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ .

وهو الحبل الذي يُشَدُّ فِي وَسْطِ الْعَرَاقِ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَبَالِغُ فِيمَا عَلَى مِنَ الْأَمْرِ .

وقولهم : "يُكْوَى البعيرُ من يسيرِ الداء" : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
قَبْلَ أَنْ يَنْقُطَ وَيَنْقَاطِمَ .

وقولهم : "يعود على المرء ما يَأْتُرُ" وَيُرْوَى : يَنْدُو، مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتُرُ، أَيْ يَتَّبِعُهُ فَلَمَّا مَنَعَهُ أَنْ يَنْتَشِدَ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ،
وَمِنَهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

أَحَارِبَنَّ عَمْرُوكَانِي نَجْمُ • وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُرُ

❦

وَمَا يَجْتَمِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ جُمَرٍ : قَدْ تَقَلَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْأَسْتِثْنَادِ عَلَى أَسْنَانِ
الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ

١٠

• وَالسِّرُّ خَيْرُ حَقِيَّةِ الرَّجُلِ • • رَضِيَتْ مِنَ الْفَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ •
• إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقِيَّانِ مُصِيبٌ •

وَقَالَ أَيْضًا

وَقَامَ جُلُومُ بَنِي أَبِي سَم • وَالْأَشْقِيَّانِ مَا كَانَ الْعَتَابُ

وَقَالَ

١٥

فَإِنَّكَ لَمْ يَخْرُ عَلَيْكَ كُفَايِرُ • ضَمِيرٌ وَلَمْ يَنْلِكَ مِثْلُ مُنْطَبِ

زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ يَقُولُ

وَمَنْ يَنْتَرِبُ بِحَسَبِ عُلُوقِ صَدِيقِهِ • وَمَنْ لَا يُكْرِمُ هَمَّهَ لَا يُكْرِمُ

وَمِمَّا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ • وَلَوْ خَالَهَا تَحَقَّى عَلَى النَّاسِ تَسْلَمُ

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضربن بأنساب ويوطأ بمنس
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يقره ومن لا يتق الشتم يستم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
ومن لا يلد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يئس أطراف الزجاج فإنه * مطيع الموالى ركب كل هدم

وقال أيضا

وهل ينبت الخلق إلا وشيجه * وتفرس إلا في متابها النخل

وقال أيضا

والسردون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

وقال أيضا

فإن الحق مقلعه ثلاث * يمين أو غار أو جلاء

١٠

يقول: إنما الحقوق تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة واضحة؛
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق .

الناطقة الذبياني: اسمه زياد بن عمرو، ويكنى أبا أمية؛ غلب عليه «الناطقة»

لأنه عبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال: وكذلك الجعدي؛ وقيل: إنما لقب بالناطقة
تسوله

* فقد نبقت لهم منا شؤون *

وقيل في نسبه: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة

أبن خوف بن سعد بن ذبيان .

فما يَمْتَلِ به من شعره قوله

* فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * * فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّيْبَابُ *

وقال

وَلَسْتُ بِمُسْتَقِي أَخًا لَا تَأْمُرُهُ * عَلَى شَعْبٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْلَبُ؟

وقال أيضا

إِسْتَبَقَ وَفَكَ الصَّدِيقَ وَلَا تَكُنْ * قَبَّ يَعْصُ بِنَارٍ مِلْحَاةَا

طرفة بن العبد يقول

* حَنَاتِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضِ * مَا أَشَبَّهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ *

وقال أيضا

سُبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

وقال أيضا

وَأَعْلَمُ عَلَمَا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ * إِذَا ذَلَّ مَوْتِي الْمَرْءُ فَهُوَ ذَلِيلٌ

أوس بن حجر يقول

فَإِنْكَ يَا ابْنَ حُبَابٍ وَجَدْتُنِي * كَنْ دَبٍّ يَسْتَخِي فِي الْكَفِّ جُلْبُلٌ

وقال أيضا

وَمَا يَنْهَضُ الْبَايَزَى بِنَسِيرِ جَنَاحِهِ * وَلَا يَجْمَلُ الْمَشَاهِيرَ إِلَّا الْحَوَامِلُ
إِذَا نَأَتْ لَمْ تَمْرُسْ عَنِ الْجَهْلِ وَانْخَلَا * أَصَبَتْ حَلِيًّا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقال أيضا

وَلَسْتُ بِمُجَاهِدٍ أَبَدًا طَعَامًا * حَنَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

بشر بن أبي خازم يقول

« وأبدي الندى في الصالحين قروض * * كفى بالموت نأياً وأغتراباً * »

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليل المال تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع القساد

وقال أيضا

لدى الحلم قبل اليوم ما تُفرِّج العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلمَا
ولو غير أخوال أرادوا قيصتي * جعلت لهم فوق العرائن ميمما
وما كنتُ إلا مثل قاطع كفه * بكفٍّ له أخرى فاصبح أجذما

وقال أيضا

ولا يُقيم على ذلِّ راقبه * إلا الأذلان غيرُ السوء والوعد
هذا على الخف مربوط برقته * وهذا يُسجُّ فلا يرى له أحد

الأفوه الأودي يقول

إنما نسمةُ دنيا مُتعة * وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعار
وصروفُ الدهر في أطباقه * حَلَقَةٌ فيها أَرْفَاعٌ وأَعْدَارُ
بينا الناس على عُلَيَّائها * إذ هَوُوا في هَوَهِهَا فَنَارُوا

وقال أيضا

والبيت لا يُبتنى إلا له عَمَدٌ : ولا عِمَادَ إِذَا لم تُرَسَّ أوتادُ
فإنَّ تَجْمَعُ أوتادُ وأعمدةٌ * وساكُنْ، بلغوا الأمر الذي كادوا
تُهْدَى الأمورُ بأهل الرأي ما صلحت * وإن تولت فبالأشرار تنقادُ
لا يصلح الناسُ قَوْضَى لا مَرَّةَ لهم * ولا سَرَاةَ إِذَا جُهاَلهم مَسَادُ

تميم بن أبي مقبل يقول

خليتي لا تستعجلا وأتظنرا غدا . عسى أن يكون الرق في الأمر أرسدا
وقال أيضا

ما أنتم الميش ! لو أن الحق حجر . تدبو الحوادث عنه وهو ملبوم
حميد بن ثور يقول

أرى بصري قد رابى بعد صحة . وحسبك دلة أن تصح وتسلما
ولن يلبث المصران يوما وليلة . — إذا طلبا — أن يدركا ما بينهما

عدي بن زيد يقول

صكني واعظا لره أيام دهره . تروح له بالواعظات وتقتدى
عن المرء لاسأل وسل عن قريبه . فكل قرين بلغاين يقتدى
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة . عل المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله . وقام جنة الشر للشر فأقصد
قال أيضا

يا راقدا الليل مسرورا بأوله . إن الحوادث قد يطرقن أبحارا

وقال

قد يدرك المبطئ من حفظه . ولندير قد يبق جهد الحريص

وقال

لو بشير الماء خلق شرق . كنت كالتنصان بالماء أعحصارى

وقال

فهل من خالده إما هلكا . وهل بالموت يا لئليس عار ؟

الأسود بن يعفر يقول

ماذا أوّل بعد آل عرق • تركوا منازلهم وبعد إباد
أرض نخيرها لطيب مقلها • كعب بن مامة وابن أم دؤاد
أهل الخورق والتدير وبارق • والقصر ذي الشرفات من سنداد
جرت الرياح على عمل ديارهم • فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأفم عوشة • في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا التسم وكل ما يلهى به • يوما يصير إلى بلى ونقاد

علقمة بن عبدة يقول

فأنت تسألني بالنساء فأنى • عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله • فليس له في دهن نصيب
يُرَدَّنْ تراه المال حيث عليه • وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضا

وكل حصن وإن طالت إقامته • على دعاظه لا بد مهذوم
ومن تعرض للفرسان يزجرها • على سلامته لا بد مشغوم

عمرو بن كلثوم يقول

وما شرّ السلافة أم عمرو • بصاحبك الذي لا تصحينا
وإذ غدا وإذ اليوم رهن • وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلزة يقول

لا تكبح الشول بأغبارها • إنك لا تدرى من الناعج
وأصعب لأضيافك ألبانها • فإن شرّ اللبن الوالج

حاتم الطائي يقول

أماوى ما يُبنى الثراء عن القى * إنا حَشَرَجْتُ يوماً وضافى الصدر
وقد عَمِ الأَقْوامُ لو أن حاتمًا * أراد ثراء المال، كان له وقْرُ
وقال أيضا

وأنت إذا أعطيت بطنك مؤلّه * وفرجك، فالامتى النعم أجمعاً

المرقش الأصغر يقول

وَمَنْ يَلْقَ خيراً يَجِدِ النَّاسُ أمره * ومن يتولا يعلم على القى لائماً

الغمر بن تولب يقول

يود القى طولَ السلامة جامدا * فكيف تُرى طولُ السلامة يعُلُ

وقال أيضا

ومنى تُصَبِّحُ خَصاصَةً فارح القى * وإلى الذى يهب الرغائب فارح
لا تنصبت على امرئ في ماله * وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وقال

فلا وأبى، الناس لا يعلمو * ن، لتخير خير وللشر شر
فيوما علينا ويوما لنا : ويوما نساء ويوما نمر

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول

أعزّر على تغليب بما قبضت * أحبّ بنى الأكرمين من جثيم
أنكحها قفلاً الأرقام في جثيم وكان الجلباء من أدم
لو بأبائى جاء يخطبها * ضُرج ما أنف خاطب بدم
لهموا باكمائنا الكرام ولا * بثنون من ذلة ولا عديم

طَقِيلُ الْغَنَوَى يَقُولُ

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا • مِنْهُنَّ مُرٌّ، وَبَعْضُ الْمُرِّ مَا كَوُلُّ
إِنَّ النِّسَاءَ مَنِيَّ يَنْهَيْنَ عَن خُلُقِي • فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَذُ مَفْعُولٌ

عُروة بن الورد يقول

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِتِينَ تَابَعْتُ • عَلَى وَلَكِنْ شَيْئَتْنِي الْوَقَائِعُ

وقال أيضا

وَمِنْ يَكْ مِثْلِي فَاجِلِيٍّ وَمُقْتَرَا • مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ بَعْضَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَسَالَ رَغْبَةً • وَمُيْلُغُ نَمِيسٍ عُذْرًا مِثْلُ مُنْجِجٍ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بني قيس بن ثعلبة يقول

تَخْلُطُ مَضْرَّةٌ يَوْمًا لِيَقْلَقَهَا • فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْحَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

وقال أيضا

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحَكَمَ عِنْدَ ذِي النِّهَى • مِنَ النَّاسِ كَالْبَقَاءِ بَادٍ مُّجْهِدًا

وقال أيضا

وَمَنْ يَنْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى • مَصَارِعَ مَقْذُومٍ مَجْرًا وَمَسَجَا
وَيَتَفَنَّ مِنَ الصَّلَاحَاتُ وَإِنْ يُسَى • يَكُنْ مَا أَثَارُ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

وقال أيضا

عَوَدَتْ كَنَنَةٌ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا • انْفِرْ بِهَا لَهَا وَرَوْ حَبْلَهَا

لقيط بن معبد يقول

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ • ثُمَّ أَفْزَعُوا، قَدْ يَنَالُ الْأَمْرَ مَنْ قَرِيعَا
هِيَامَاتٍ، مَا زَالَتْ الْأَمْوَالُ مَذْأِيدُ • لِأَهْلِهَا — إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً — تَبَا

تأبط شرًا : وهو ثابت بن جابر يقول :

لَفَرَعَنَ عَلَى السِّنِّ مِنْ نَدِيمٍ .. إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

الْمُنْتَقِبِ الْعَبْدِيِّ يَقُولُ

فَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أُنَى بِحَقِّي .. فَاعْرِفْ مِنْ عَنِّي مِنْ سَمِيئِي

وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَأَتَّخِذْنِي .. عَدُوًّا أَتَقْبِيكَ وَلَتَقْبِيَنِي

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَانِي .. عَنْدَكَ مَا وَصَلَتْ بِهَا يَمِينِي

الْمُزَقِّقِ الْعَبْدِيِّ يَقُولُ

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلَا نَكَرَ أَنْتَ كُلِّي .. وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلِمَا أَمْرُؤِي

أَفْهُونِ الثَّغْلِيَّ يَقُولُ

لِعَمْرِكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَنَى .. إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

الْأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعِ السُّعْدِيِّ يَقُولُ

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرَ أَكْلِهِ .. وَبِأَكْلِ الْمَالِ غَيْرُ مِنْ جَمْعِهِ

لَا تَعْقِرَنَّ الْقَصِيرَ عَقْلَكَ أَنْ .. تَرْكِعَ يَوْمًا وَالْبَهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَأَقْبَلَ مِنَ الْبَهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ .. مِنْ قُرْعَيْنَا بِمَوْتِهِ قَعَهُ

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ يَقُولُ

رُبَّ مَنْ أَضْجَعَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ .. قَدْ تَخَيَّرَ نِي مَوْتَ لَمْ يُطْعَمْ

وَرَأَى كَالشَّجَى فِي حَلْقِهِ .. عَيْسَرًا مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَا قِيَتَهُ .. وَإِذَا يَتَخَوَّنُهُ لِمَيِّ رَنَعُ

أَتَهَى مَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَةِ .

ومما يمثل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم ليلى بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين : وعمره مائة سنة وسبع

وخمسون سنة يقول

• وإذا رُمْتُ رجلاً فارمحل .. وأعص ما يأمر توصيمُ الكتل
وأَكذبِ النفس إذا حَدَّثَها • إن صدقَ النفسُ يرى بالأمل
وقال أيضاً

وما المسأل والأهلون إلا وديعةٌ : ولا بد يوماً أنت تردّ الودائعُ
وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه • يحور زماماً بعد إذ هو ساطعُ
وقال أيضاً

١٠ كنت قناتى لا تلين لنامر • فالانها الإمساخُ والإمساء
ودعوتُ ربى في السلامة جاهدا • ليُصَحِّنى فإذا السلامة داء
وقال أيضاً

ذهب الذين يُعاش في أكتافهم • وقبَّت في خَلْفِ بكلة الأجرى
وقال أيضاً
• إن نلّوْا ثم أسْمُ السلامِ عليكما • ومن بك حولا كاملا فقد آخترُ
كعب بن زهير يقول

ومن دعا الناسَ إلى فقه • فقهوه بالحقِّ وبالباطل
مقلّةُ السوء إلى أهلها • أسرع من منحدر سائل

التابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى التابعة: أبا ليل، وهو أستاذ من الذبياني، وطال عمره حتى أدرك أبا بني أمية،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم "لا يفضض الله فاك" فما سقطت له
سن، وروى رويبة: فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سن تبت له أخرى، وعاش
عشرين ومائة سنة، وقبل أكثر .

ومما يمثّل به من شعره قوله

ولا خير في حلم إذا لم يكن له . بواذر نحى صفوه أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له . حلم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال أيضا

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا . وأيسر جرما منك ضرج بالدم

أمية بن أبي الصلت الثقفي يقول

تلك المكارم لا قيمان من لبن * شيئا بماء فمادا بعد أوالا

حسان بن ثابت يقول

وإن أمرا يُسمى ويُصبح سالا * من الناس - إلا ما جنى - لسميد

وقال أيضا

ربّ يحل أضاعه عثم الما * لي وجهل غطى عليه النعم
ما أبلى أنب بالحزن تيس * أم لحاني بظهير فيب لئيم

الحطيفة : وأسمه جروم بن أوس بن غزوم . وقيل : جروم بن أوس بن مالك

ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة، والحطيفة لقب غلب عليه، قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض؛ وقيل : حرق في مجلس قومه فقال : إنما هي حطالة
فسمى الحطالة .

فما يمثّل به من شعره قوله

من فعل الخير لا يعدم جوازيه • لا يذهب العرف بين الله والناس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها • وأعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضا

أقولوا عليهم لا إبا لأبيكم • من اليوم أوسدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا • وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

مهم بن نورية يقول

وكان كندمان جديمة حبة • من الدهر حتى قيل لا ينصبتا
فلسا تفزقنا كاني ومالكا • لطول أجتاج لم نبت ليلة معا

أبو ذؤيب الهذلي يقول

ونجلى للشامتين أريجهم • أنى لرب البحر لا انضعض
وإذا المنية أنشبت أظفارها • أقيت كل نعيمة لا تنفع
والنفس راغبة إذا رغبتها • وإذا رُدُّ إلى قليل تنفع

الحنساء : وهي ثمار رقت عمرو بن الشريد يقول

ومن ظن من يلاق الحروب • بان لا يصاب قد ظن عجزا

وقالت أيضا

نبت الغوس وبذل الغو • من عند الكربة أتى لها

عمرو بن معد يكرب يقول

إذا لم تستطع أسرا فدعه • وجاوزه إلى ما تستطيع

وقال أيضا

لهس الجبال بمترى • فاعلم وإن رُكبتُ بردا

إنت الجبال مأثر • ومكالم أودن مجدا

معن بن أوس يقول

وفي الناس - إن رقت جبالك واصل • وفي الأرض عن دار القل متحول

إذا أنصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ • إليه وجه آخر الدهر يُقبل

وقال أيضا

أعطيه الرماية كل يوم • فلما أشد ساعده وماني

زياد بن زيد يقول

ولا أثنى الشر - والشر تارك • ولكن متى أُحمل على الشر أركب

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كاترى؟ • رزية مالي أو فراق حبيب

أيمن بن حُزيم بن قاتك الأمدى يقول

إنت الفتنة ميطا سيفتا • فرويد الميط منها تمتد

فلذا كان عطاء قاتهم • وإننا كان قتال فاعتزل

آتمى ما يُختل به من أشعار الخضرين •

ومما يمثّل به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام

القطامي : وأسمه عمير بن شميم يقول

ومعصبة الشقيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعاً

وخيراً الأمر ما استقلت منه * وليس بأن تتبعه أتباعاً

أراهم يغمزون من أسرّكوا * ويحتنبون من صدق المصاعاً

كذلك وما رأيت تناس إلا * إلى ما جرّ جانبيهم سراعاً

وقال أيضاً

قد يدرك الثاقب بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات بعض القوم أمرهم * مع الثاقب وكان الرأي لو عجلوا

والناس من يلقى خيراً فائلون له * ما يشتهي ولا ثم المخطئ المبل

الطريقاح بن حكيم بن الحكم يقول

لقد زادني حباً لنفسى أنى * بنىض إلى كل أمرى غير طائل

وأنى شقى بالظلم ولن ترى * شقى بهم إلا كريم الشائل

الكميت بن زيد الأسدي يقول

إذا لم يكن إلا الأسنّة مركب * فلا رأى للضطر إلا ركوها

وقال أيضاً

فيا موقنا نارا لنترك ضوءها * ويا حاطباني حبل غيرك محطب

المساور بن هند يقول

شقيت بنو أسيد بشمر مساور * إن الشقى بكل حبل يحنى

على بن الرقاق يقول

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني . ضنا به طوى نبي لأمره
بل ما رأيتُ جبالَ أرض قسوى . هيا غشيه ولا محوم سميه
كالبرق منه وأبل متابع . جود وحر ما يرض بميه
والمرء يورث مجده أناءه . ويموت آخر وهو في الأحياء

الفرزدق، وأسمه همام بن غالب يقول

فواعجبا حتى كليب أسقى . كأن أباهما نسل أو مجائع

وقال أيضا

ترجى ربيع النجى صغارها . بخير وقد أعيا عليك كآرها

وقال أيضا

فإن شج منها، شج من ذي عظيمه . وإلا فاني لا إغلاك ناجيا

وقال أيضا

يمضى أخوك فلا تلق له خفقا . والمال سد ذهاب المال مكتسب

وقال أيضا

ليس الشفع الذي ياتيك مؤثرا . مثل الشفع الذي ياتيك عريانا

وقال أيضا

قل لنضرب، والمرء في دولة السلطان أعمى مادته يدعى أميرا

فلما زالت الولاية عنه . وأستوى بالرجال، عاد بصيرا

وقال أيضا

ولا تلعب سلطانك بكائنا . حتى يلين نعرس الماضع أبحرا

وقال أيضا

هل أبوك إلا آبن من الناس فاصبرن - فلن يرجع الموق حين الماتم
جرير : هو آبن الخلقى توفى سنة عشر ومائة يقول
إن الكرمية ينصر الكرم أبها . وآبن اللثيمة للشام نصور

وقال أيضا

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا - أبشر بطول سلامة يا مربع

وقال أيضا

وآبن اللبون إذا ما لُز في قريب - لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال أيضا

رأيتك مثل البرق يحسب ضوءه - قريبا وأدى ضوءه منك نازح

وقال أيضا

أما الرجاى فجعلان ونسوتهم : مثل القنفذ لآحسن ولا طيب

الأخطل : وأسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني : أسمه غياث
آبن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو، ورفع نسبه إلى جشم بن بكر
ويكنى : أبا مالك، قال : وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة .

فما يتئل به من شعره قوله

والناس همهم الحياة ولا أرى - طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا أفقرت إلى النخائر لم تجد - ذخرا يكون كهالج الأعمال

قال أيضا

إن الصنعة تلقاها وإن قدمت كالمَرِّ يَكُن حينا ثم ينتشرُ
وأقسم المجد حقا لا يُخالقهم . حتى يخالف بطن الراحة الشعرُ

وقال أيضا

وإذا دعوت يا أُنثى فإنه . أحنى إليك مودة ومصالا
وإذا دعوت عهت فإنه . نسب يزدك عندهن خبالا

وقال أيضا

صفادع في ظلماء ليل تجاوبت . قدل عليها صوتها حبة البحر

وقال أيضا

يا مرسل الريح جنوبا وصبا . إن غضبت قهس فزدها غضبا

الصَلَتَانُ الْعَبْدِيَّ يَحُولُ

وإن يك بحر الحظالين واحدا . فما يستوى حيثاه والضفادعُ
وما يستوى صدر الفتاة وزُججها . وما يستوى في الراحة الأصابعُ

كثير عزة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، توفي سنة خمس ومائة

١٥ يقول

وإن وتياهي بسرة بعد ما . تخلت مما بيننا وتخلت
لكل مرتجي ظل الغاية كلف . تبوأ منها للمقبل أضمحل
قلت لها يا عن كل مصيبة . إننا وُلدت يومألمها النفس ذلت
هتكت مرثا غير داه مخامر . لمرّة من أعراضنا ما استحلّت

وقال أيضا

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة مملول معنى غريمها

وقال أيضا

ومن لا يغمض عنه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو غائب

ومن يتبع جهد كل غزوة يحذها ولا يسلم له الدهر صاحب

جميل يقول

فإن حرب بين قومي وبينها ، فإنها في كل ناحية سلم

وقال أيضا

ورثت عارضة عبنا وصلها ، بالحد تحطه بقول المازل

فأجبتها في القول بعد تسر : حبي بينة عن وصالك شاعلي

لو كان في قلبي كقنر قلامة ، وصلا وصلتك أو انتك رسائي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول

ليت هنذا أنجزت ما تعد وسنت أكادنا بما نجد

وأسبقت مرة واحدة ، إنما العاز من لا يستفيد

وقال أيضا

١٥

لا تأسني وأنت زيتها لي ، أنت مثل الشيطان للإنسان

ومما يمثل به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول

عجبت أئيلة أن رأيتي غلغا ، فكذلك أمك ، أي ذلك يروع ؟

١٦

قد يدرك الشرف التي ورداؤه ، خلق وجب قميصه مرقوع

وقال أيضا

كأركم يصبها بالمرء . ولبسة بيض أنرى جناحا
بشار بن برد يقول

إذا كنت في كل الأمور معنا . صدقك ما تلقى نصيبه
فعل واحد أو وصل أحلك إليه . مُصارف دنيء مرد ومحبة
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى . ظمئت وأى الناس صمو مشربة
وقال أيضا

ولا تحمل الشورى عليك غصاصة . من لحواي عذة القوديم
وما خير كفى أمست الفل أحبا . وما خير سيف لم يؤيد بكم
وقال أيضا

كبير قنمى لنيد النكاح . وعرق من صولة النكاح

وقال أيضا

أنت من قلبها غسل شرب . بئس شربه ونحشى صدغه

وقال أيضا

الحرب يلحى والعصا للعبد . وليس للملحيف مثل الرد
وصاحب كالتمل يمسه . حلقه في رقعته من جلدي

وقال أيضا

وإذا جفوت قطعت عنك منامى . والهرق يقطعه جفاه الحالب

وقال أيضا

ولولا الذى خبروا لم أكن . لأمدح ريمانة قبل شم

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال أيضا

تأتي المقيم - وما سعى - حاجاته - عدد الحصى، ويحجب سعي الناس

وقال أيضا

أنا والله أشتبهى بحمر عينيَّك وأخشى مصارع المئاق

وقال أيضا

نرجو غدا، وغدا كماله * في الحى لا يدرون ما غدا

وقال أيضا

تسقط الطير حيث ينثر الحب وتُفنى منازل الكرماء
ليس يعطيك الرجاء ولا الخو * في ولكن يذطم العطاء

وقال أيضا

* والصعب يمكن بعد ما جمعا * * ولن تبلغ العليا بغير الدرام *

وقال أيضا

ولابد من شكوى لذى مروءة * يواسيك أو ينسليك أو يتوجع

أبو العتاهية يقول

١٥ - أذل الخرس أعناق الرجال .. وكل غنى في الميود جليل *
- روائح الجنة في الشباب .. وأى الناس ليس له عيوب *

وقال أيضا

إن الشباب والقراع والجلدة * مفسدة للدين، أئى مفسدة!

وقال أيضا

أنت ما استغفرت عن ما * حيك الدهر أخوه
فإذا أحجبت إليه * ساعة يحبك فوه

وقال أيضا

ما يحزُّ المرء من أطرافه طرفا * إلا تحوُّنه القصان من طرف

وقال أيضا

بصاد فؤادي حين أرى ورمي * نعود إلى تحري ويسلم من أرى

وقال أيضا

ولرب شهوة ساعة * قد أورت حزا طويلا

١٠ سلم بن عمرو الخمار : وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو بصري
لقب الخمار لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بنته طنبورا ، وقيل :
بل خلف أبوه مالا فأنفق في الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخمار
الصفقة ، فلقب بذلك .

فما يتنل به من شعره قوله

من راقب الناس مات غما * وفاز بالينة الجسور
لولا مني العاشقين ماتوا * غما ، وبعض المني غمور

وقال أيضا

ولو ملكت عنان الريح تصرفه * في كل ناحية ما فاك الطلب

وقال أيضا

لاتسأل المسرة عن خلاجه * في وجهه شاهد من الخبير

٢٠

صالح بن عبد القدوس يقول

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الأمل ما في غد * تحفظه في اليوم أو أمس
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يورى في ترى رسمه
والحق داء ماله حيلة * تُرى كبد النجم من لمسه

وقال أيضا

(١٥)

وإن عناء أن تُهمَّ جاهلا * فيحسب جهلاً أنه منك أفهم
مق يبلغ البنيان يوما تمامه * انا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا

إذا ورت أمرًا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنبًا

وقال أيضا

شر المواهب ما تجود به * من غير عمدة ولا أبر

وقال أيضا

لا تمجد بالمطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو لجودك والبذل أهل

١٥

وقال أيضا

يسقى رجالٌ ويسقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق القتي من لطف حيلته * لكن جدودًا بأرزاق وأقسام
كالسبد يجرمه الرأي المجيد وقد * يرى في رزقه من ليس بالزاي

وقال أيضا

لمن يكن مابه أصهت جليلا * فذهلب العزاء منه أجل
كل آت لاشك آت وذل الجهل مني والتم والحزن فضل
ابن ميادة : هو الزقاق بن أبي أبرد كنيته شرحبيل يقول
واعجبا من خالده كيف لا * يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال أيضا

وأرانا كالزج يحصده الدهر لمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب محبو * ن سراع لمنهل مورود

أبو نواس الحسن بن هانئ يقول

* دع عنك لومي فإن اللوم أغراء * * ألا رب إحسان عليك هيل *

وقال

* وللرجاء حرمة لأجهل * * وأى جد بلغ المازح *

وقال أيضا

إنما أمتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن علو في ثياب صديق

وقال أيضا

لا أذود الطير عن شجري * قد بلوت المز من ثمره

وقال أيضا

وليس لله بمسئكر * أن يجمع العالم في واحد!

وقال أيضا

صار جذا ما مزحت به * رب جد ساقه اللب

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مَنَعَتْ * عليه ولا معروف عند بخيل

وقال أيضا

وأوبى مشتاق بنزير راحم * إلى أهله من أعظم الحَدَنان

أبو عبيدة المهلهلي يقول

* وكيف يحود القلب والعينُ فتهد * ولا خيرَ فيمن لا يدوم *
* وشتان ما بين الولاية والعزل *

وقال أيضا

وإذا تطاولت الرمو * من ففط رأسك ثم طاططه

عبد الله بن أبي عتبة المهلهلي يقول

كل المصائب قد تمر على القى * قهون غير شمنة الإعداء

وقال أيضا

ما كنت إلا كلعن ميت * دعا إلى أكله اضطراد

العباس بن الأحنف يقول

لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أمل رضاك وزرت غير مراقب
لكن ملئت فما لصديق حيلة * صد الملول خلاف صد العاتب

وقال أيضا

صرت كأتى ذبالة نصبت * تُفنى للناس وهي تحرق

وقال أيضا

أرى الطريق قريبا حين أسلكه * إلى الحبيب بعيدا حين أنصرف

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أَنْ التَّبَاعَدَ بَيْنَنَا * وَقَدْ جَعَلْنَا وَالْأَحْبَةَ دَارُ

وقال أيضا

الْقَنَا مَكْرَهِينَ يَسَا قَلْبًا * أَلْقَانَهَا خَرَجْنَا مَكْرَهَيْنَا

وقال أيضا

* وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِنَافِي * * مِنْ عَاجِلِ الشَّوْقِ لِمُسْتَعِدِّ الدَّارِ *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمانة : أسعد بن زُرارة
الخرزنجي ولَقَّبَ صريع التواني، ومِمَّا يَحْتَمِلُ به من شعره قوله

دَلَّتْ عَلَى عِيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا * مَا أَسْرَجَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي

وكان يقول أَخَذْتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا

يَمُدُّ الْفَتَى مِنَ اللَّيَالِ سَلِيمَةً * وَهَنَ بِهِ عَمَّا قَلِيلَ عَوَائِرِ

وقال أيضا

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دَوْنَهُ * وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَانْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عَزَّزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور البكري : هو منصور بن الزبير بن سَلَمَةَ . وقيل منصور بن سَلَمَةَ بن
الزبير بن سريك، مُطْعِمُ الكَيْشِ الرَّحْمِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا نَزَلُوا بِهِ وَنَحَرَ
لَهُمْ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَلِذَا هُوَ بِرَحْمِ يَحْنُ حَوْلَ أَضْبَاعِهِ، فَادَّرَ أَنْ يُدْجِجَ لَهْنُ كَيْشٍ وَيُرْمَى
لَهُنَّ فَيَفْعِلُ ذَلِكَ وَيَزِلْنَ عَلَيْهِ فَرْقَنَهُ، وَهُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ طَامِرِ الضَّمْحِيَّانِ، سُمِّيَ

بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار؛ وهو ابن سعد
ابن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار .

فما يُنْتَل به من شعره قوله

• لعل لها عنرا وأنت تلوم • ورب أمرئ قد لام وهو مليم

وقال أيضا

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته • حتى أفضى فإننا الدنيا له تبع

وقال أيضا

أقل عتاب من استربت بؤده • ليست تُسال مودة بعتاب

١٠ العتَابِيّ : هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود
ابن عمرو بن كلثوم الشاعر ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جثم بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غنم بن قنطب .

فما يُنْتَل به من شعره قوله

وإن عظيما الأمور مشوبة • بمستودعات في بطون الأساود

وقال أيضا

١٥ والله في عرض السموات جنة • ولكنها مخوفة بالكاره

وقال أيضا

قلت للفرقدين، والليل ملق • سُود أكثفه على الآفاق

إبقيا مابقيتا سوف يُرمى • بين شخصيكما بهم الفراق

أَشْجَعُ السَّلْمَى : هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرقة.

فما يتنل به من شعره قوله

نسيك من أسمى يتاجيك طرفه * وليس لمن تحت القراب نسيبُ

وقال أيضا

سبق القضاء بكل ما هو كائن * فليجهد المنقلب المحتالُ

وقال أيضا

دأء قديم في بني آدم * فتنة إنسان بإنسان

وقال أيضا

وعلى عذوك يا ابن عم محمد * رصدان، ضوء الصبح والإفلامُ

فاذا تبه رعته وإنا غفا * سلّت عليه سيوفك الأحلامُ

الجرهميُّ

وأعددتُه ذنرا لكل مُلِية * وسهم الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا

إنما مامات بعضك فابك بعضًا * فإن البعض من بعض قريبُ

وقال أيضا

أرى الحلم في بعض المراتين دلة * وفي بعضها عزًا يُسودُّ فاعله

وقال أيضا

ودون الندى في كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومهبط سهلُ

وقال أيضا

العيش لا عيش إلا ما قنست به * قد يكثر المسأل والإنسان مُفقّر

وقال أيضا

وحمل حازم إلا كآثر عاجز . إذا حل بالإنسان ما يُتوقع

محمود الوراق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بنى زهرة ، ويمكن
أبا الحسن .

فما يُمثّل به من شعره قوله

وإذا غلا شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا

ما دئت أخص عن أنى قبة * إلا ذنبت عواقب التحيص

وقال أيضا

١٠ البحر لا يبقى على حالة * لابله أنب يُقيل أريدبرا
فإن تلقاك بمكروه * فاصبر فإن الدهر لن يصبر

وقال أيضا

إذا كان وجه المذير ليس بواضح * فإذ أطراح المذير خير من السفر

محمود بن حازم الباهلي

١١ ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا

وقائل كيف تمزقتا * فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك لي شكلاً ففارقته * والناس أشكال وألأف

السَّمَوِيُّ بْنُ عَادِيَةَ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْهَبْ مِنَ الْوَيْعِ عَرَضُهُ • فَكُلُّ رِءَاءٍ يَرْمِيهِ جَمِيلٌ

وَقَالَ أَيْضًا

إِذَا كُنْتُ مَلْجَأًا مُسَيِّئًا وَمُحْسِنًا • فَيَفْشِيَانِ مَلْتَهَوِي مِنَ الْأَمْرِ أَكْبَسُ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيُّ

لَا يُفَرِّسُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا • كَمْ مَحْكَمَةٍ فِيهَا عُيُوسٌ كَالْمِنْ

وَقَالَ أَيْضًا

قَدِ تَمَيَّنَ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ • وَبُحِثَ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

أَبُو الشَّيْبِصِ : وَأَسَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَزِينَ بْنِ تَيْمٍ بْنِ تَهْلٍ ، وَأَبُو الشَّيْبِصِ لَقَبٌ غَلَبَ

عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دَعْبَلِ بْنِ عَلِيٍّ •

فَمَا يُجْتَلَى بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

إِنَّا لَمْ نَكُنْ مُطَرِّقُ الْمَسْوَى لِي ذَلِيلَةً • تَكْبِتُهَا وَأَنْحَزَتْ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلِيٌّ بْنُ جَبَلَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيُّ ، وَهُوَ الْمَلَقَبُ الْعَكَّوْكَ قَالَ

وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَاطُوتٍ مِنْ شَرْقٍ • رَدَّتْهُ فِي عِظَقِي وَفِي إِنْهَامِي

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى • حَيْثُ الرِّيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي

قَالَ أَيْضًا

خَافَتْ عَلَى الصَّلَافِ قُوَى وَإِنَّمَا • تُصَابُ غَرَارُ الْوَحْشِ وَهِيَ زُنُوعُ

تَجْلِجُ الْحَارِثِيَّةِ

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْمَوَى • إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقال أيضا

إذا ما أهانَ أمرُكُ نفسَه * فلا أكرم الله من يُكرمه

عبد الصمد بن المعدّل

ليس لي عذرٌ وعندي بُلغةٌ * إنما العذر لمن لا يستطيع

وقال أيضا

وأعلم أن بنات الرجا * تُحِلُّ العزيزَ محلَّ التليل

وأن ليس مُستغنيا بالكثير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا

أرى الناسَ أهدوهُ * فكونوا حذيتًا حسنَ

كان لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن

إذا وطنٌ راجي، * فكل بلادٍ وطن

إذا عزَّ يوماً أخو * لك في بعض أمرٍ فهُنَّ

الحمدوني

إن المُقَمَّم في حِلْيٍ يصنعه * أتى توجه فيها فهو محروم

العنبي

فالتعهدُ لك مجنونًا، قلتُ لها: * إن الشبابَ جنون برؤء الكِبَر

وقال أيضا

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حامديه له راحيتا

أبو سعيد الخزوي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد .

فما يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله

وكم رأينا للدهر من أسيد * بالث على رأسه ثعلبية

وقال أيضا

إذا ضنَّ الجسَّادُ بما لديه * فما فضلُ الجوادِ على البخيل؟

وقال أيضا

ليس ليسُ الطَّيَّالُسُ * من لبَّاسِ الفوارسِ

لا ولا حَوَمةِ الرغى * كصَدُورِ المِبالِسِ

وتُلهِوُ الجيادِ غيرَ ظُهورِ الطنائسِ

ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارس

دَعِيزُ بن عليّ الخزاعيّ : هو أبو جعفر وأسمه محمد ودعبل لقبٌ غَلَبَ عليه،
والدَعِيزُ : البعيرُ المَسْنُ، وقيل : الناقةُ التي معها أولادها .

فما يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله

لا تسجى يأسُلمٌ من رجل * تَحِيكُ المشيبُ برأسه فبكي

وقال أيضا

هي النفسُ ما حَصَفَتْهُ فُحْمَنٌ * إليها وما قُبَحَتْهُ فُتَيْحٌ

وقال أيضا

جننا به يشفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا

تلك الماسعى اذا ما ألحرت رجلا * أحب للناس عيباً كالذى عابه
كذلك من كان لهم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

• وكل مسافر يزاد شوقاً * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل

إذا سررنا أئينا كم نودكم * وتغيبون فتأتيناكم ونعسر
لا تحسبوني غيباً عن مودتكم * إني إليكم وإن أسرت مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من نرسان .

١٠

لما يحتل به من شعره قوله

ورب أخ ناديت له لئلا * فالتفت منها أجل وأعلا

وقال أيضا

وكنت أتم إليك الزمان * فاصبحت فيك أتم الزمان
وكنت أعلك للناثبات * فما أنا أطلب منك الأمان

١٥

وقال أيضا

دنت باناس عن تناء زيارة * وشط بليل عن دؤو مزارها
وإن مقيلت بمقطع اللوى * لأقرب من ليل وهاتيك دارها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول
فلا تتنذر بالشغل عما فإتما • تناط بك الآمال ما أنصل الشغل

وقال أيضا

لعمريك ما أنسب المعل • الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقتضت • وصح نيتها رعى الهشيم

سعيد بن حميد يقول

• إن جهد المقل غير قليل • وعلى المريب شواهد لا تدفع •

وقال أيضا

وإنك كاللدينا تلم صروفها • ونوسمها سباً ونحن حيلها

عليّ بن الجهم يقول

ولكن حال معقب وربما • أجل لك المكروه عما تمجد

وقال أيضا

وعاقبة الصبر الجميل جميلة • وأفضل أخلاق الرجال الفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة • ولكن عارا أن يزول التجلل

وقال أيضا

أرض السائل الخضوع ولقا • وفي نيبا مثلة الأعذار

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول

أرى الدهر يخلقني كلبا • لست من الدهر ثوبا جديدا

وقال أيضا

مُرَّ من عاش ماله فإذا حَا * سَبَّه الله سرَّ الإعدام

وقال أيضا

رَبِّ أُمِّ مَرٍّ أَعْرَهُ * بعد ما سَأَتِ أوائلَهُ

يزيد بن محمد المهلبى يقول

* لا طار إن ضامك دهرٌ أو ملكٌ *

وقال

. وإن الناسَ جمعهم كثيرٌ * ولكن من تُسرُّ به قليلٌ

وقال أيضا

ومن ذا الذى تُرضى عجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معاينه

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإن تلحظى حلى وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجِبُ

تَرَى كُلَّ يومٍ مَرٍّ من بؤس عيشي * عليك بيوم من نعيمك يُحسِبُ

أحمد بن أبى طاهر يقول

ودين الفتى بين التماسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتفريق

وقال أيضا

حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ * من نفسه، ليس حسنه حسبهُ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول

* ما الحب إلا الهيب الأول * * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وفى النقص فى الدنيا بلى التفضل مولع *

وقال

ما أبَّ من أب لم يظفر بحاجته • ولم سب طالب للنجح لم يحب

وقال أيضا

ومن لم يسلم للنواب أصبحت • خلاصته طرا عليه نوابا

وقال أيضا

لأمر عليهم أن يتم صدوره • وليس عليهم أن تم عوائبه

وقال أيضا

لا تتركى عقل الكرم من الغنى • فالسبل حرب للكان السالى

وقال أيضا

وإذا تأملت البلاد رأيتها • تخرى كما تخرى الرجل ومدم

وقال أيضا

وإذا أمرؤ أهدى اليك صنعة • من جاهد فكأنها من ماله

وقال أيضا

خلفنا رجلا للتجلىد والأمر • وتلك النوانى البكا والماتم

وقال أيضا

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل • ويكوى الفتى فى دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تجري على الجبى • هلصكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا

أألمة الصبيب كم أقرق • أطل فكان داعية أجمع

ليست فرحة الأبواب إلا • لموتوف على ترج الوداع

١٠

وقال أيضا

وإذا أراد الله نشر فضيلة * يوما، أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال أيضا

خشعوا الصلوات التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال أيضا

ذاك الذي قرحت بطون جفونه * مرها وتربة أرضه من إيمد

وقال أيضا

❦

وتركى سرمة الصبر اعتبارا * يدل على موازنة الورود

وقال أيضا

١٠

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم في الأرواح وهي مغانم

وقال أيضا

وإن امرأ ضنت يدها على امرئ * بنيل يد من غيره لخيئل

أبو عبادة البصري، وهو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن ثعلان بن جابر

ابن مسامة بن مسهر بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جدي بن زوك بن بختز
الطائي .

فما يمثل به من شعره قوله

* وأبرج كما حل ما يتوقع *

وقال أيضا

* وليس تهترن النمل والحسد *

وقال أيضا

« إن المعنى طالبٌ لا يظفرُ »

وقال أيضا

« أرى الكفرَ لنهاء ضرباً من الكفرِ »

وقال أيضا

« يزين الآلى فى النظام آزدواجها »

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملوكه • فصار رجائى أن أؤوب مسلماً

وقال أيضا

مى أحرجتَ فاكرم تحظى • اليك ييمض أخلاق اللئيم !

وقال أيضا

والشئ مُنمَّسه يكون بقسوة • أجدى من الشئ الذى تُعطاهُ

وقال أيضا

تأس ذنوب قومك إت حفظ الشذوب إذا قلتم من الذنوب

وقال أيضا

وإذا ما خفيتُ كنتُ حرياً • أن أرى غير مصبح حيث أُمى

وقال أيضا

مى أرت الدنيا ناهية خامل • فلا تنظر إلا تحول نيس

وقال أيضا

وأرى النجاة لا يكون تمامها • لتجيب قوم ليس بأبن نجيب

وقال أيضا

وإذا ما الشريف لم يتواضع * للأخلاء فهو عينُ الوضيع

وقال أيضا

ولم أر أمثالَ الرجال تفاوتت * إلى المجد حتى عدُّ ألف واحد

وقال أيضا

ليس الذي يُعطيك تالده ماله * مثل الذي يُعطيك ماله الناس
وتفاضل الأخلاق إن حصلتها * في الناس حيث تفاضل الأجناس

وقال أيضا

لا يأس المرء أن ينجيه * ما يحسبُ الناس أنه عطية
يسرك الشيء قد يسوءُ وكم * توه يوما بخامل لقبه

وقال أيضا

إذا محاسني الآتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

وقال أيضا

وعطاء غيرك إن بذلت عناية فيه عطاؤك

ديك الجح، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله
أبن رغبان بن زيد بن تميم بن محمد من أهل حمص يقول

وشافي النصيح يُبدل بالأنشافي * وليس القدر إلا بالأنافي

وقال

إذا شجر المودة لم تجده * بيث البرأسرع في الجفاف

وقال أيضا

يرقدُ الناسُ آمنينَ وريبُ السُّلُحِ يرعاهُمُ بمقلةٍ لَصٍّ

ابن الرومي يقول

وَمَ دَاخِلِ بَيْنَ الْحَمِيمِينَ مُصْلِحٌ • كَمَا أَتَقَلُّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْخَفَنِ مِرْوَدٌ

وقال أيضا

هُوَ بَارِزٌ صَائِدٌ أَرْسَلْتُهُ • فَارْجِعُوهُ سَالِمًا إِنْ لَمْ يَصِدْ

وقال أيضا

وَمَا الْحَمْدُ إِلَّا تَوَامُّ الشُّكْرِ فِي الْفَقَى • وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضِ

إِذَا الْأَرْضُ رَدَّتْ رَجَّعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ • مِنَ الْبَذْرِ فَهِيَ الْأَرْضُ فَاهِكُ مِنْ أَرْضِ

وقال أيضا

وَإِذَا أَتَاكَ مِنَ الْأُمُورِ مَقْدَرٌ • فَفَرِّتْ مِنْهُ فَتَحْوُهُ نَتِيجَةُ

وقال أيضا

كَيْفَ تَرْضَى الْفَقْرَ عِرْسًا لِمَرْئِي • وَهُوَ لَا يَرْضَى لَكَ الدُّنْيَا أَمَةً!

وقال أيضا

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ • فَلَا تَسْتَكْرِثُكَ مِنَ الصَّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ • يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

عبد الله بن المعتز يقول

• فَإِنَّ الْعَيْنَ وَجْهَ الْقُلُوبِ •

وقال أيضا

• أَمَّ الْكَلَامِ قَلِيلَةُ الْأَوْلَادِ •

وقال أيضا

* أبطأ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا

إصبر على كيد الحسو * د فإن مصيرك قاتلة

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا

ولا هم إلا سوف يُفْتَحُ قُفْلُهُ * ولا حلّ إلا للفتى بعدها حال

وقال أيضا

لا تأمنوا من بعد خير شرًّا * كم عُصْنِي أخضر عاد جمرًا

وقال أيضا

ولاني على إشفاق عيني من البكا * لتجمع في نظرة ثم أطرق

كما حُلْتُ عَنْ ماء برد طريدة * تمد اليه يدها وهي تفرق

وقال أيضا وإشارته الى الديك

صَفَّقَ إِمَّا أَرْتِيَا حَةً لَسْنَا الْفَجْرَ وَإِمَّا عَلَى الدَّجَى أَسْفَا

عبد بن عبد الله بن طاهر

ألم تر أن المرء تكوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته؟

فكيف تراه بعد يمينه صانعا * لمن ليس منه حين تكوى سائرته؟

وقال أيضا

ألا قبّح الله الضرورة إنها * تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق!

وقال أيضا

وكم قاتل قد قال مالك راجلا ؟ • قتلته من أجل أنك فارس !

وقال أيضا

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيئا يخاف له قدرا

• ابن طباطبا العلوي : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول

إن في نيل اللقي وشك الردي • وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له • فإذا غرقته فيه طفى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر • صوابا بعد ما أنصت

خرجنا لم نصد شيئا • وما كانت لنا ألفت

وقال أيضا

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا • طامأ ورد من الصبا أيلما !

منصور الفقيه المقرئ يقول

يا من يخاف أن يكون • ن ما أخلف سرمدنا

أما سمعت قولهم • إن مع اليوم غدا !

وقال أيضا

الملح يصلح كل ما • يُخشى عليه من الفساد

فإذا الفساد جرى عليه فحكه حكم الرماد

وقال أيضا

كل مذكور من الناس إذا ما • قسدوه صار في حكم الرماد

وقال أيضا

كل مذكور من الناس اذا ما فقدوه
صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا

كل من أصبح في دهره * ممن قد تراه
هو من خلفك مقرا * ض وفي الوجه مرأه

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبا الحسن يقول
* وكم أمنيّة جلبت منية *

وقال

ولولا الضرورة ما جئتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف !

وقال أيضا

قل لأبي القاسم المربى * قابلك الدهر بالصبا
مات لك أب وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب
حياة هنا كوت هنا * فليست تحملون المصائب

وقال أيضا

رب يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا

قد يحمل الشيخ الكي * جنازة الطفل الصغير

بحظة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بردك
التدبير يقول

* ولما كين أيضا بالندى ولع *

وقال أيضا

« وآفة التبرُّ ضُفُّ متقدِّه »

وقال أيضا

« متى يلتقِ اللَّيْتُ والغاسِلُ ؟ »

وقال أيضا

لا تَمُدِّقْ لِلزَّمانِ صَدِيقًا . وَأَعِدِ الزَّمانَ لِلأَصْدِقاءِ

وقال أيضا

وما كَذَبَ الَّذِي قَدْ قَالُ قِيلُ : . إِذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بِبَعْضِي

وقال أيضا

إِذا الشَّهرُ حَلَّ وَلَا رِزْقَ لِي . فَعَلَّيْ لَأَيَّامِهِ بِاطْلُ

وقال أيضا

وَإِذا جُفاني جَاهِلٌ . لَمْ أَسْتَخِرْ ما عَشْتُ قِطْعَةً

وَجَعَلْتُهُ مِثْلَ القَبْرِ . وَأَزُورُهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ

الصنوبريَّ يَقُولُ

عَنِ الْفَتَى يُخْبِرُنَ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى . كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَبْرِ

وقال أيضا

رَبِّ حَالٍ كَأَنَّهَا مُدْخَبُ الدِّيْشْبَاجِ صَارَتْ مِنْ رِقَةٍ كَاللَّادِ^(١)

وَزَمَانٍ مِثْلِ آبَةِ الْكَرَمِ حُنا * عادَ عِنْدَ الْعَيُونِ مِثْلَ الْبَلاذِي^(٢)

أَوْ ما مِنْ فِسادٍ رَأَى الْيَلالِي * أَقْ شَعْرِي هَذَا وَحَالِي هَذِي !

(١) اللادة : ثوب حرير أحمر صقيل رابيع : لاذ .

(٢) البلاذي : شراب القساق .

أبو الفتح كشاجم : هو محمود بن الحسين بن السدي بن شاك، وشاك أنه
يقول

يساد حديثه فيزيد حسنا * وقد يستقيح الشيء المعاد
وقال أيضا

• شخص الأثم إلى جمالك فاستعد * من شر أعينهم بيب واحد!

• • •
ومما يتمثل به من أشعار المولدين : منهم
أبو فراس الحمداني

غنى النفس لمن يقتل خير من غنى المال
• ١٠ وفضل الناس في الأفت من ليس الفضل في الحال
وقال أيضا

ونحن أناس لا توسط عندنا * لنا الصددون المالمين أو القبر
تهون علينا في المالى قومنا * ومن خطب الحسنة لم يفل المهر
وقال أيضا

• ١٥ وندعو كريما من يعود بماله * ومن يذل النفس النفيسة أكرم
وقال أيضا

وجميل الصدق خير جميل * وقبيح الصديق خير قبيح!
أبو الطيب المتنبي يقول

• مصائب قوم عند قوم فوائد •

وقال أيضا

• إن المعارف في أهل التهي ذم •

وقال أيضا

• وخير جليس في الزمان كتاب •

وقال أيضا

• وتأبى الطباع على الناقل •

وقال أيضا

• ومنعة القوت قبل المطب •

وقال أيضا

• ومن فرح الغص ما يقتل •

وقال أيضا

• انا عظم المطلوب قل المساعد •

وقال أيضا

• أنا الفريق لما خوف من البلل •

وقال أيضا

• فإنت الرفق بالهاني عتاب •

وقال أيضا

• بنص إلى الجاهل المتأقل •

وقال أيضا

• وكل أمرئ يولى الجميل حب • وكل مكان يُنبئ المرطّب

وقال أيضا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته • وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعل • مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقال أيضا

والأمرقه، رب مجتهد • ما خاب إلا لئمه جاهد

وقال أيضا

وليس يصح في الأفهام شيء • إذا أحتاج النهار إلى دليل

وقال أيضا

ومن نكر الدنيا على الحر أن يرى • عدوا له ما من صلاته بد

وقال

وإذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا • فافعله الآتي سرور أولوف

وقال أيضا

وإذا أئتكت منمتى من ناقص • فهي الشهادة لى باقى فاضل

وقال أيضا

وما أحسن في وجه الفتى شرفه • إذا لم يكن في فعله والخلاقي!

وقال أيضا

وما يوجب الحرمان من كف حريم • كما يوجب الحرمان من كف رازق!

وقال أيضا

أنا لفي زمن ترك للقيح به • من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته • ما فاته وفضول العيش أشغالاً

وقال أيضا

وقيدت نفسي في ذراك حبة • ومن وجد الإحسان قيداً هيناً

وقال أيضا

ما كل ما يبقى المرء يدرسه • تجري الرياح بما لا تشتهي السفن!

السري بن أحمد بن السري الموصلي يقول

إذا البُ الثقل توزعت • أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا

فإنك كلما استودعت سرًا • أتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا

إلى كم أحبر فيك المديح • ويبقى سواي لديك المحبورا؟

أبو بكر محمد بن هاشم الخلالدي يقول

إن خاتك الدهر فكن غائبا • باليد والظلمة والعيس

ولا تكن عبد المني فائتي • رموس أموال المفايس

وقال أيضا

وأخ رخصت عليه حتى ملني • والشيء ملول إذا ما يرخص

ما في زمانك ما يعز وجوده • إن رمته إلا صديقي غلص

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي [أخوه] يقول
يا هذه إن رحمتُ في * خلق لها في ذلك عارُ
هذي المدام هي الحيا * ة قميصها تحرقُ وقارُ

وقال أيضا

- صغيرُ صرفُتُ إليه الهوى * وما خاتمُ في سوى خنصر
الخبازُ البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة إلى "بلد" وهي
من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول

إذا استنقلتُ أو أبضتُ خلقا * وبسرك بعده حتى التناد
فشرده بقرض دُرهمات * فإن القرض داعيةُ الفسادِ

- أبو إسحاق الصباني يقول

نيمُ الله كالوحوش وما تَأ * لف إلا الأخير النساءِ
تقرتها أُناتم قوم وصارت * لأولى البر والتقى أمرا كا

وقال أيضا

- ومن الظلم أن يكون الرضى سشرا ويبدو الإنكار وسط النادى
وقال أيضا

- الضب والنون قد يجرى التقاءهما * وليس يرجى التقاء اللب والنهب
عبد العزيز عمر بن تباطه يقول

فلا تحمقوت صدوا رماك * وإن كان في ماعديه قصرُ
فإن السيوف تحمز الرقاب * وتعجز عما تنال الإبر

وقال أيضا

مثلُ خلعتُ على الزمان رداءه * عَوَّزُ الدراهم آفةُ الأجواد

وقال أيضا

يوى الثناء مُبرِّزٌ ومُقَصِّرٌ * سُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال أيضا

وَبَتَّ بنا أرضُ العِرا * قى لَمَّا جَمَّعَها بِمُجْنَدِ

فِرَ الرِّجِلِ، كَفَى البِلا * دَ بِرِحَلَةِ الصِّفَاءِ مُجْنَدِ

ابن لُتَيْكَةَ البَصْرِيّ : هو أبو الحسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ

وماذا أُرَجِّي من حَيَاةٍ تَكْثُرُ ؟ * ولو قد صَفَتْ كَانَتْ كَأَصْفَاتِ أَحْلَامِ

وقال أيضا

عَتْنَا في زَمَانِنَا * عن حَديثِ المَكَارِمِ

من كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ * فَهُوَ في جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا

جَارُ الزَّمَانِ طِينَنَا في تَصَرُّفِهِ * وَأَتَى دَهْرٌ على الْأَحْرَارِ لَمْ يَحْصِرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَالُوا أَلَتْ إِسْرَهُ * يُطَلِّقُ على الْفَلَكَ الدُّوَارِ لَمْ يَلْدِرِ

أبو الحسَنِ عِبْدَ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّلَامِيُّ يَقُولُ

تَبَسَّطْنَا على الْأَيَّامِ لَمَّا * رَأَيْنَا الْعُفُوفَ من عُمرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا

وَالْمَرْءُ مَا شَفَعَتْهُ فِرْصَةُ لَيْلَةٍ * نَامَى الحَوَادِثِ آمِنَ الحِدَتَيْنِ

وقال

وكان رقادى بين كأس وروضة • فصار سُهادى بين طريف وصارم

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكى • وكبسُ الدرعِ ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج البيهقي يقول

ما الذلُّ إلا قَمَلُ المِيتِ • فكُن عزيزًا إن شئتَ أو قَهِن

وقال أيضا

ومن طلب الأعداءَ بالمالِ والظُفَى • وبالسعدِ لم يبعد طيه مرام

وقال أيضا

ولم أرَ مُدَّ عرفتُ محلَّ قضى • بلوغُ منى تساوى حملَ مَنْ

وقال أيضا

أكلُ وميضِ بارقةِ كذوبٍ • أما فى الدهرِ شئٌ لا يريب؟

ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول

• وعلةُ الحلالِ تُنسى طلةُ الجسدِ •

وقال أيضا

١٥

• وقد بنيت الشوكَ بين الأفاقي •

وقال أيضا

الموت أنصف حين عتل قِسْمَة د بين الخليفة والفقيه البائس

ابن الحجاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن المجاج يقول

• وربَّ كلامٍ أُستثار به الحربُ •

وقال أيضا

« خُود تُزَف إلى ضَرْبٍ مُقْعَد »

وقال أيضا

واللوزة المزة يا ماذق * يفسد في الطعم بها السكر

وقال أيضا

مازلت أسمع كم من واقفٍ يَجْمَل * حتى آتَيْتُ فَكُنْتُ الْوَاقِفَ الْجَمَلًا

وقال أيضا

وبى مرضان مختلفان حال التعليلة منهما بينى بحالى

إذا طَلَحْتُ هذا جَفَّ كَيْدَى * وإن طَلَحْتُ ذاك رَبَّى طَحَالَى

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول ١٠

أَسْبِغْتُ أَرْحَمُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْطِيهِ * لَقَدْ تَقَارَبَ بَيْنَ الْعَزِّ وَالْهُونِ

ومَنْظَرٍ كَانَ بِالسَّاءِ يَضْحَكُنِي * يَا قَرِيبَ مَا عَادَ بِالضَّرَاءِ يُبْكِنِي

وقال أيضا

والخَرَّ من حذر الهوا * ن يزاول الامر الحسبا

وهو العظم وغير بد * ع منه إن ركب العظما ١٥

وقال أيضا

ما السُّؤْدُ الْمَطْلُوبُ إِلَّا دُونَ مَا * يُؤْمَى إِلَيْهِ السُّؤْدُ الْمَوْلُودُ

فَإِذَا هُمَا آتَقَا تَكْسَرَتِ الْقَنَا * إِنْ غَالَبَا وَتَضَعُضُ الْجُلُودُ

وقال أيضا

اشترى العزَّ بما بيع * فما العزَّ بفصال ٢٠

بالقصار اليض إن شئت أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا * مشتر عزرا بجمال
إنما يُنثر المال * لحاجات الرجال
والفقى من جمل الاقتسوال أثمان المعالي

أبو طالب المأموني يقول

لى فى ضمير النهر سر كمين * لابد أن تستله الإقمار
وقال أيضا

وما شرف الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال

إذا نثرت وقى الروض واجب حقه * وزاد فإن النيث للروض ظالم

(١١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد ، عُرف
بإبن العميد ، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرخاويج توفى أبى العميد بالرئى فى محزم
سنة ستين وثلاثمائة يقول

لن يصرف النهر من محبته * أرب أريب وحول ذى حيل

أى معين صفا على كدر الله وأى النعيم لم يزل

وقال أيضا

من يُسب من ذا بآخر مثله * أثرت جوانحه من الأدواء

داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يسكف النار بالحلفاء

الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، توفي في صفر سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمي بالصاحب لصحة ابن العميد يقول
* بقدر المموم تكون المم * * كم صارم جرب في ختير *

وقال أيضا

لقد صدقوا والرافصات الى منى * بأن موذات العدا ليس تنفع
ولو آتني داريت دهرى حبة * اذا آستمكنت يوما من السم تلعع

الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي يقول

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا

وما أعجبتني قط دعوى عريضة * ولو قام في تصديقها ألف شاهد !

وقال أيضا

يقولون لي فيك آقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف النمل أحجا
اذا قيل هذا مورد قلت فدأري * ولكن نفس الحمر تحمل الظما

وقال أيضا

وقالوا أضطرب في الأرض فالرزق واسع * قلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حن يمتنى * ولم يك لي كسب لمن أين أرزق؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي يقول

* ومن عجب الأيام ترك التحجب *

وقال أيضا

* لكل صناعة يوما مديل *

وقال أيضا

وإذا مدة الشقي تاهت ، جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للمدا ، ولا تظهرنّ منها الدتو فتُحقرا

- بدیع الزمان أبو الفضل الحمدانیؒ ، أحد بن الحسين بن يحيى بن سعيد نوق
- سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول
- يا حريصا على النسي . قاعدًا بالمراسد !
- لست في سعيك الذي . خضت فيه بقاصد
- إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
- بعض هذا وإنما : أنت ساع لقاعد
- ١٠

إسماعيل الناشئ يقول

« وللشباب زاعى حمة الكتم »

وقال أيضا

وكنّت أرى أذ التجارب عنة * نغانت هات الناس حتى التجارب

وقال أيضا

- فركضا في ميادين التصابي . أحق الخيل بالركض المعار
- ١٥

وقال أيضا

ولّا تجزعنّ على أيكه * أبت أن تظلك أغصانها

أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول

إذا مرّ بي يوما ولم ألتحذ يدا * ولم أستخدم علما عما دال من عمري !
وقال أيضا

أنا كالورد فيه راحة قوم ، ثم فيه لآخرين زكاه !
وقال أيضا

لا ترج شيئا خالصا فعمه * فالتيت لا يخلو من العيث
وقال أيضا

ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حسن الصبر جنة لايس
وقال أيضا

ولن يشرب السم الزُطَف أخوالجي * مُدلاً بدرياقٍ لديه مجسّر
وقال أيضا

ما استقامت فتاة رأيت إلا * بعد أن عوج المشيب فتاتي
وقال أيضا

وطول حمام الماء في مُستقره * بغيره لونا وريحاً ومطما
وقال أيضا

إذا حيوانٌ كان طعمة ضمه * توقاه كالنار الذي يتقى المرأ
ولا شك أن المرء طعمة دهره * فاباله يا ويحه يأمن الدهرا !
وقال أيضا

لا تحفر المرأة إن رأيت به * دمامة أو رثامة الحُكُل
فالخل لا شك في ضؤولته * يَسْتَأر منه الفتى خير السَل

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدواهي ، وهي مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها ، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخْرَمُونَ عَامًا) وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فنها :

البحيرة :

قالوا : كان أهل الوريثون لأهلهم من الهنم ، وأهل المدرثون لها من الحرب ، فكانت الناقة إذا أتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذنبا ، فذلك : البحيرة ؛ فربما أجمع منها هجمة من البحر فلا يُجز لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء ، فكانت ألبانيا للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فإن كان ذكرا دُبح ، وإن كانت أنثى تركت في الشاء ، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وصلت أخاها ، فخرّما جميعا ، وكانت منافها ، ولبن الأثنى منها للرجال دون النساء .

السابعة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما بهيمة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ، متنافها للرجال دون النساء .

الحامى :

- كان الفصل إذا أدركت أولاده فصار ولده جدًّا قالوا : حمى ظهره ، أتركه فلا يحمل عليه . ولا يركب ، ولا يمتنع ماء ، ولا مرعى ، فإذا ماتت هذه التي جعلوها لأهلهم ، أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُ مِثْقَالٌ فَهُمْ فِيهِ مُشْرِكًا) قالوا : وكان أهل المدر والحريث إذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا في وسطه خطأ ، قسموه بين اثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لأهلهم ؛ وما وراءه : لله ؛ فإن سقط مما جعلوه لأهلهم شيء ، فبما جعلوه لله ردوه ، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه لأهلهم أقره ، وإذا أرسلوا الماء في الذي لأهلهم ، فافتتح في الذي سموه لله سدوه ، وإن افتتح من ذلك في هذا قالوا : أتركوه فإنه قعير إليه ، فإنزل الله عز وجل (وَجَعَلُوا لَهُ مِمَّا ذُرًّا مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركتائنا فما كان لشركتائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركتائهم ساء ما يحكؤون .

الأزلام :

- قالوا : كانوا إذا كانت مباراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصح لهم أخذوا قنلحا لهم فيها : أفضل ولا أفضل لا يفعل ، نعم لا خير ، شرهط ، سريع ، فاما المداراة فإن قنلحا لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكأثروا ببيضان فنخرج

سهمه فالحق له، وللضر والسفر سهمان؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول
السادن : اللهم أيهما كان خيرا فأنحرجه لقلان ، فيرضى بما يخرج له ، فإذا شكوا
في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ ، وبلصقٌ ؛ فإن خرج الصريح الحقوه
بهم ، وإن خرج الملتصق نفوه ، وإن كان صريحا فهذه قداح الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم ، فيفصلونها على
عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالحُرْصَة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل للحاقط بثمر ،
ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدما ، سبعة منها لها حظ إن فازت ، وعلى أهلها
غرم إن خابت ، بقدر مالها من الحظ إن فازت ، وأربعة يُقبل بها القداح ، لاحتظ
لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها القُدُّ في صدره حُرٌّ واحد ؛ فإن خرج أخذ نصيبا ، وإن
خاب غرم صاحبه ثمن نصيب ، ثم التوأم ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب ، ثم الضريب ، وله ثلاثة أنصبيه ، ثم الحِلْسُ وله أربعة ، ثم النافس ،
وله خمسة ، ثم المُسِيل ، وله ستة ، ثم المُعَلَّى وله سبعة . قالوا : والمسِيلُ يسمى :
المُصَفِّحُ ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال

إن الصلاح أمرها عجبٌ * الصدُّ والتوأم ، والرقيبُ ،
والحِلْسُ ، ثم النافسُ المصيبُ * ، والمُصَفِّحُ المشتهر البجيبُ ،
ثم المملَّى حفظه الترفيبُ * هالك فقد جاء بها الترتيبُ ،

وأما الأربعة التي ينقل بها القِداحُ فهي : السَّفِيحُ ، و المَنِيحُ ، و المُضَعَفُ ،
و الوغْدُ .

قال ابن قتيبة : و المَنِيحُ له موضعان : أحدهما لاحتِظَ له ، و الثاني له حِظٌّ .
فكانه الذي يُمنَحُ حِظُّه . و على ذلك دَلَّ قول عمرو بن قبيصة
بأيديهمُ مقرومةٌ و منالقيُّ * يعودُ بأرزاقِ العيالِ مَنِيحها

قالوا : فيؤتى بالقِداحِ كلها و قد عرف كل ما أختار من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن نقصوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداحِ ، يأخذ الرجل القِدح و القِصدين فيأخذ فوزهما إن
فازا ، و يفرم عنهما إن خابا و يدعى ذلك : التَّمُّ قال التائبة
إني أتمم أيسارى و أمتنهم * من الأيادي و اكسوا الحفنة الأدما

فيعملوا الى القِداحِ ؛ فتشَدُّ مجموعة في قطعة جِلْدٍ ثم يعمد الى الحُرْضة فيلقف
على يده اليمنى ثوبا لثلا يحده مس قديج له في صاحبه هوى ، فيعطيه في إخراجِه ، ثم
يؤتى ثوب أبيض يدعى . المَجْجُولُ ، فيسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى : الرقيب ، و يدفع رِبابَةَ القِداحِ الى الحُرْضة وهو يحول الوجه عنها ،
و الرِبابَةُ : ما يجمع فيها القِداحُ ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداحَ بشماله ، فإذا نهد منها قِدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لاحظ له
رُدَّ الى الرِبابَةِ ، فإن خرج بعده المُسَيَّلُ ، أخذ الثلاثة الباقية ، و فرم الذين خابوا ثلاثة
أنصابا من جزور أخرى ، و على هذه الحال يفعل بن فاز و من خاب ، فرما تحروا
عدة جزور ولا يفرم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، و إنما الترم على الذين خابوا ولا يحل

لثنتين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدسه ثانية على خطر فعلوا ذلك به .

- ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال، فأُنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَمُضُوا عَنْهُنَّ) .

- ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة في الجاهلية إذا توفى عنها زوجها دخلت حَفَشًا، والحَفَشُ : الخَص، ولبست شَرَّ ثيابها ولم تَمْسَ طيبا ولا شيئا، حتى تمرُّ لها سنة ثم توثى بلباية : حمار أو شاة أو طير فتَضَضُ به أى تمسح به، فقلبا تَمَضَضُ بشيء إلا مات، ثم تخرج على رأس الحول . فتعطى بعرة قترى بها، ثم تراجع ١٠ ما شاعت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية، فلتسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّعْنَ أَنْفُسُهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

- ومنها : ذبح العتائر : قالوا : كانت الرجل منهم يأخذ الشاة . وتُسعى العتيرُ والمعتورة فيذبحها ويصب دمه على رأس الصنم، وذلك يفعلونه في رجب، والعترُ ١٥ قيل : هو مثل الذبح، وقيل : هو الصنم الذي يُعتر له . قال الطرماح
- » نَحَرَ صَرِيحًا مَثَلُ عَاتِرَةِ النَّسِكِ

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السِّلَعِ والعُشَيْرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغاً فأذبح عنها كذا ،
فإذا بلغت ضئ بها ، وعمد إلى الظباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر؛ قال الشاعر
عَتَاً باطلاً وزوراً كما يُعْتَرَعْنَ حَجَرَةُ الرِّبِضِ الظِّبَاءُ

ومنها : حبس البلياء : كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ، ويسكنون
رأسها إلى ذنبها ، وينقلون رأسها بوليّة وهي البردعة ، فلن أنفثت لم تُردّ عن ماء
ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يضعون ذلك ، ليركبها صاحبها في المّاد ، ليحشر
عليها ، فلا يحتاج أن يمشي ، قال أبو زيد
كالبلايا رموسها في الولايا مانحات السموم حراخلدود

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان إذا قُتل ، ولم يطلب بثاره ، خرج
من رأسه طائر يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! إلى أن
يطلب بثاره ؛ قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدع شئني ومنقصتي • أضربك حتى تقول الهامة : أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة ، عمد إلى البعير الذي
أُمت به ، فأغلق ظهره لئلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حي ظهره ، وإغلاق ظهره
أن يترع سناسن فقرته ويعقر سنامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ؛ قال الشاعر
وهبتها وأنت ذو امتنان • فقأ فيها أعين البُعران
فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدرَك بثأره ، وإذا أدرك بثأره بكينه ؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات فسوتًا بوجه نهار
يحمد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حرَّ الوجه بالأصهار

ومنها : رعى السن في الشمس : يقولون : إن الفلام إذا نفر ، فرى سنه في عين الشمس بسبابة وإهامه وقال : أبدلني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والقلج ، والتعل ، قال طرفة

بدلته الشمس من منته * بردا أبيض مصقول الأشر

ومنها : خضاب النحر : كانوا إذا أرسلوا الليل على الصيد فسبق واحد منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ؛ قال الشاعر

كان دماء العاديات بمخره * عصارة حنّاء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق : كانوا إذا ضلّ الرجل منهم في القلاة ، قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح : أذنبا كأنه يوءى الى إنسان ، وصفق يديه : الوحا الوحا ، النجا النجا ، هبكل ، الساعة الساعة ، الى الى ، عجل ؛ ثم يحرك الناقة فيهتدي ؛ قال الشاعر

وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدري من أىّ اليمين جوابها

بنى : يسوء ظنّه بنفسه إذا ضل .

ومنها : جز النواصي : كانوا إذا أسروا رجلا ، ومثوا عليه فاطلقوه ، جزوا ناصيته ووضعوها في الكائنة ؛ قال الحليعة

قدنا سلول فسلوا من كاتهم . مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس
يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخفساء

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا يُجزأ

ومنها : كى السليم عن الحرب : زعموا أن الإبل اذا أصابها العرُفاخذوا
الصحيح وكوه زال العر عن السقيم ؛ قال النابغة

❦

وكلفتني ذنب أمرئ وتركته * كذى العزيموى غيره وهو رافع
ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجلق تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب ؛
قال الأعشى

١٠ وفى وما كلفتانى وربكم * تَعلَمُ من أمسى أعق وأحوبا
لكالثور والجلقى يركب ظهره * وماذنبه إن عافت الماء مشربا
وماذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن عاف الماء إلا يُضربا

وقال آخر

* كذلك الثور يضرب بالمرأوى * اذا ما عافت البقر الظله

١٥ ومنها : كعب الأرنب : كانوا يلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فصل
ذلك لم تصبه عين ولا يحمر ، وذلك أن الجلق تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من
مطايا الجلق لأنها تحيض ؛ قال الشاعر

ولا يبنع التششير إن حُم واقع * ولا زعرع يبنى ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كُثُوفَ : أحقُّ ما يقولون : إن من علَّق على نفسه كعبَ أرنب لم يقربه جَنَانُ الحَيِّ وعُمَارُ الدَّارِ ؟ فقال : إى والله ! ولا شيطانَ الجَمَاطَةِ ، الجَمَاطَةُ : شجرةُ التين ، وجانُ المُشْرَةِ ، وغولُ المُقَرِّ ، وكلُّ الخَوَافِ ، إى والله يطفئُ نيرانَ السَّعَالِ .

- ومنها : حيضُ السُّمْرِ : يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلق عليه سنَّ ثعلب ، أو سنَّ هرة ، أو حيضَ سَمُرَةٍ ، أمن ، فإن الجنَّة إذا أرادت له لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحبتها في ذلك ، قالت
كانت عليه نُقْرَةٌ • ثعلبٌ وهِرَّةٌ
• والحيضُ حيضُ السُّمْرِ •

- ومنها : الطاروف والمطروف : يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه ، فهاجت لسع الطاروف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كلِّ مرة : بإحدى جاءت من المدينة ، بأفقى جاءت من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة ، إلى سبع ، سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاتل : يزعمون أن المرأة المغلات إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقى أولادها ، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم

- ١٥ تظلُّ مقاتلُ النساءِ يطأنه • يقنُّ ألا يلقَى على المرءِ مِثْرُ

ومنها : تعليق الحلي على السليم : كانوا يلقون الحلي على المسويج ويقولون إنه إذا علَّق عليه أفلق ، فيلقون عليه الأسورة والزَّعَات ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ؛ قال النابغة

يُسَهَّدُ في وقتِ المشاءِ سليمُها • لحلى النساءِ في يديه تَمَاقِعُ

ومنها : ذهاب الخلد : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحب الناس اليه ذهب عنه ؛ قال كثير

اذا خدرت رجل دعوتك أشقى * بذكراك من مثل بها فيون
وقالت امرأة من كلاب

اذا خدرت رجل ذكرت ابن مصعب * فإن قلت : عداقه ؛ أبلى فتورها
وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا محمداه .

ومنها : الحلا : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة السلام بنور ، يأخذ متحلاً على رأسه ويمز بين بيوت الحلى . وينادى : الحلا الحلا ؛ فيلقى في منخله من ها هنا ثمرة ، ومن ها هنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فاذا امتلأ ، ثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحلا .

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية ، تخاف وبانها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينق الممار . ثم دخلها لم يصبه وبانها ؛ قال عمرو ابن الورد

لعمرى لئن عشت من خشية الردى * نهاق الحسير إنى لجزوع !

ومنها : عقد الرّم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا ، عمد الى رّم ففقدته ، والرم : بنت ، فإن رجع ورآه معقودا ؛ زعم أن امرأته لم تحته ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانتته ؛ قال الشاعر

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم . كثرة ما توصى وتعقاد الرّم ؟

وقال آخر

خانتة لما رأت شيئا يفترقه . وغره حلقها والعقد للرّم

ومنها : دائرة المهقوع : وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : الهقعة ،
يرحمون أنه اذا عرق تحت صاحبه ، أغتلبت حليته وطلبت الرجال ؛ قال الشاعر
اذا عرق المهقوع بالمرء أنمطت * حليته وأزاد حراً عجانها

ومنها : شق الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحبت رجلاً أو أحبها لم
تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبها ، فاذا فعل ذلك دام حبها ؛
قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد برقع * دواليك حتى كلنا غير لابس
فكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها : نوء السماء : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر
ليت السماء ونوءه لم ينفكا * ومشى الأقيرق في البلاد سلماً
ومنها : النسيء : وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات : وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِبْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) ، وكانوا يقتلوهن خشية الإملاق أو من الإملاق ؛
وقد قيل : إنهم كانوا يقتلوهن خوف العار أو أن يُسيين ، فن قتلهم خشية الإملاق
ما روى عن صمصمة بن ناجية المباشى جد الفرزدق : أنه لما أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك
اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملاً ومضيت
في بنائهما فرُقع لى بيت جريد ، فقصدته فإذا رجل جالس غنائه ، فسألته عن الناقتين ،
فقال : ما نارهما ؟ قلت : ميسم بن دارم ، قال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر، ولذا عجوز قد خرجت من كسر البيت، فقال لها :
 ما وضعت؟ فان كان سقيا شاركا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدناها، (مضى قوله
 سقيا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى) فقالت العجوز : وضعت أنثى، فقلت : أتبيعها؟
 قال : وهل تبيع الربأ أولادها؟ قال قلت : أحكم، قال بالتأقين والجبل، قلت :
 لك ذلك ، على أن تبغى الحمل وإياها ففعل ، قامت بك يا رسول الله ، وقد
 صارت لى سنة على أن أشتري كل موعودة بتأقين عشراوين وجمل ، ففندى الى
 هذه الغاية ثمانون ومائتا موعودة قد أخذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى ، وإن تعمل في إسلامك عملا
 صالحا ثب عليه ، ففى ذلك يقول الفرزدق مقتضرا

وجدى الذى منع الوائدين • وأحصى الوئيد فلم توجد!

١٠

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المقرئ وكان من وجوه قومه ومن ذوى
 الأموال فيهم وكان يشد بناته وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما معته بنو تميم
 الإناوة التى كانت تؤقيها له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل
 ففزعاهم ، فاستأق النعم ومسي الذرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رأها أحب البقاء
 عليها ، فقال النعمان

١٥

ما كانت ضرتيما لو تعمدتها • من فضلنا ما عليه قيس غيلان

فأجاب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباه رقت اليه
 وإن اختارت صاحبها تركت عليه ، فكلهن اخترن أباهن إلا أبنة قيس بن عاصم
 اختارت صاحبها عمرو بن المشرج ، فنذر قيس لا يولد له أبنة إلا قتلها ، فأعتل
 بهذا من وأد وزعم أنه حية .

٢٠

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

- ويتصل به الزجر والقال والطيرة والفراسة والذكاء ، وكانت كهنة العرب لم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ، ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام ، فُتعت الشياطين من استراق السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وَأَنَّا نَكُونُ مَقَاعِدَ لِلْسَّمِيعِينَ يَسْمِعُ الْآنَ يَحْدُثُ لَهُ شَيْئًا بِأَرْصَادٍ) فعند ذلك أقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن ، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحى ، فمن أخبار الكهنة ، خبر سطيج الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبدالمسيح ١٠ وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرقة ، ونحدث نأر فارس ، ولم تكن تحدث قبل ذلك بألف عام ، وطارت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعبا تهود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس ، فلما أصبح كسرى تصبر تتسجما ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومرتزبته ، فليس تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فينتاهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بنود النار فأزداد غما وسأل الموبدان وكان أعلمهم فقال : حادث يكون من قبل العرب ، فكتب كسرى الى الثمان ابن المنذر : أن وجه الى رجلا عالما بما أريد أن

أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح بن حسان بن قتيبة الساساني فقال له كسرى :
أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملك فإن كان عندى منه علم ،
وإلا أخبرته بمن يعلمه ، فأخبره بما رآه فقال : علم ذلك عند خليلي يسكن مشارق
الشام يقال له : سطيح ، فأرسله كسرى اليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت
فسلم عليه وجاه فلم يجر سطيح جواباً فأنشد يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن • أم فاز فأزلم به شأو السنان ؟
يا فاضل انقطعة أعيت من ومن • وكاشف الكربة عن وجه النضن
أذاك شيخ الحى من آل ستن • وأمنه من آل ذنب بن حجن
أزرق تمهي التاب صرار الأذن • أبيض قضفاض الرداء والبدن
رسول قيل النجم يسرى بالوسن • لا يهرب الرعد ولا ريب الزمن
يحوب في الأرض على ذات حجن • ترفنى وجناً وتهوى بي وبين
حتى أتى تارى الجأجى والفطن • تلقه في الريح يوغاء الدمن
• كأننا حشيت من حشنى ثكن •

(١٦)

ففتح سطيح عياله ثم قال : عبد المسيح ، هل جميل مشيح ، أتى الى سطيح ، وقد أوفى
على الضريح ، بمثل ملك بنى ساسان ، لأرجاس الإيوان ، ونهود النيران ، ورؤيا
المؤبدان ؟ رأى إبلا صعباً ، نهود خيلاً ، عمراً ، قد قطعت دجلة وأنشرت في بلاد
فارس ، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وبست صاحب الميراث ، وقاض وادى
المهاويز ، وقاضيت بحيرة مآوه ، ونمحدث نار فارس ؟ قللس الشام لسطيح شاما ،
ولا بابل للفرس مقاماً ، يملك فيهم ملوك وملكات ، بسدد الشرفات ، وكل ما هو
أت آت ؟ ثم قضى سطيح لوقته ، فثار عبد المسيح الى رحله وهو يقول

١٠

١٥

٢٠

شمر فإِنَّكَ ماضٍ العزم شمر * لا يفزعك تفريق وتفسير
 إن كان ملك بن ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دمار
 فربما رجا أخصوا بمقتلة * تهاب صولهم الأسد المهاصر
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فمن علوا * أن قد أقل فحقور ومهجور
 وهم بنو الأمم أنا إن رأوا نسيا * فذاك بالقيص محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قص الخبر على كسرى قال: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى زمن عثمان رضي الله عنه .

ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطزقت وتكهنات
 وهي خالة عثمان بن عفان رضي الله عنه، روى عنه أنه قال: لما زوج النبي صلى الله
 عليه وسلم ابنته ربيعة من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتني الحسرة
 أو كالحسرة أن لا أكون سبقت إليها ثم لم ألبث أن أنصرفت إلى منزلي فالتفت
 خالي فلما رآني قالت

أبشروحيث ثلاثا ترى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
 ثم بأخرى كي تم عشرا * أذاك خير ووقيت شرنا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر ووقيت بكرا
 وافتها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا
 قال عثمان: فصجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين؟ فقالت
 عثمان يا ابن أختي يا عثمان * لك الجمال ولك البيان

هَذَا نَحْيَ مَعَهُ الْبَرْهَانَ • أَرْسَلَهُ بِحَقِّهِ الدِّيَانُ
وَجَاءَهُ التَّرْيِيلُ وَالْأَسْرَفَانُ • فَاتَّبَعَهُ لَا تَحْتَالُكَ الْأَوْتَانُ

فقلت : يا خلة ! إنك لئذ كرين ما قد وقع ذكره في بلدنا فأتيت به لي، فقلت :
إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله ، جاء بترييل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفايح ، ومسدت الرماح ، قال : ثم قامت
فأنصرفت ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكرك بعد ذلك إسلامه وتزويجه
رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين آتفاقا وجمالا .

ومنها أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان
قريش ، وكان له بيت الضيافة ، خارجا من البيوت ، تشاء الناس من غير إذن ، فخلا
البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل من
كان يقضي البيت فوجده ، فلما رآها وثى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضرها
برجله وقال لها : من هذا الذي نخرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ،
ولا آتيت حتى أنهيتني ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلمي الناس فيها ، فقال
لها أبوها : يا بنية ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنيتني نبالك ، فإن يكن الرجل
عليك صادقا دسب عليه من قتله ، فتقطع منك المقالة ، وإن يك كذبا حاكته
إلى بعض الكهّان ، فقلت : لا والله ! ما هو على بصادق ، فقال له : يا فاكه ! إنك
قد رميت آتيتي بأمر عظيم ، لحاكتني إلى بعض كهّان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة
من بني غزوم ، ونخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
شارفوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تكرّرت سأل هند ، فقال لها عتبة : إنني أرى

ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكني أصرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني يسمي يكون على سبة فقال: إني سوف أختبره لك، فصفقره مره حتى أدل ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغلوا قال له عتبة: قد جئتاك في أمر وقد خيأتاك خييت أخترك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمره: في كرهه. قال إني أريد أئين من هذا، قال: حبة بر، في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحدهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: أنهضى غير رجاء ولا زانية، ولتلدت ملكاً اسمه معاوية، فنهض إليها لما كره فآخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: اليك حتى نواقه لأحرصن أن يكون من غيرك؛ ففرجها أبو سفيان.

ومنها: أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إني أنا فرك على خمسين ناقة سود الحنق، فخرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشرين، فرضى أمية وجعل بينهما الخزاعي الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومه فقالوا: نخبا له خييتاً فإن أصابه تماكنا إليه، وإن لم يصبه تماكنا إلى غيره، فوجدنا أبا مهممة وكان معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أترا الكاهن فأناخوا بيا به وكان منزله بسفان: فقالوا: إنا قد خيأتاك لك خييتاً فأنبتنا عنه. قال: أسلف بالقوة والظلمة، وما بهامة من تهمه، وما بنجيد من أكمه، لقد خيأتكم إلى أطباق جمجمة، مع الفلتنج أبي مهممة، فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً وتقسماً، قال: والقمر الباهر.

والكوكب الزاهر . وللغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما أهدى بعلم مسافر ،
من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ، أولا منه وآخر ، فأخذ هاشم
لإبل ونحرها وأطعمها من حضر ونرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين ، فيقال :
إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية .

- ٥ ومها : أن بني كلاب وبني رباب من بني نضر خانموا عبد المطلب في مال قريب
من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالي فسلوني أعطكم ، قالوا : لا ، قال : فاختاروا
حكما قالوا : ربيعة بن حنظل الأسدي فراضوا به وعقلوا مائة ناقة في الوادي
وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِمَ له ، ونرجوا ونرج مع عبد المطلب حرب بن أمية
فلما نزلوا ربيعة بمش الهم يجرأثر فضرها عبد المطلب ، وأمر فصنع جزوا وأطعم
١٠ من آتاه . وعمر البكاليون والنضريون وشقوا قليل لربيعة فقال : إن عبد المطلب
أسروا من ولد نزيمة فتي يملك يصله بنو عمه وأرسل اليهم أن أخبأوا لي خيلا فقال
عبد المطلب : قد خبأت كلبا اسمه سوار في عقيق قلادة ، في خرزة مزادة ، وضمتها
بين جرادة ، فقال الآثرون : قد رضينا ما خبأت وأرسلوا الى ربيعة فقال : خبا تم خبيثا
حيا قالوا : زده . قال : ذوب رثن أغبر ، وطقن أحمر ، وظهر أحم ، قالوا : قربت ، قال : سما
١٥ قسطن . ثم هبط فقطع ، فترك الأرض بقة . قالوا : قربت فطبق قال : عين جرادة ،
في خرزة مزادة ، في عتي سوار ذي القلادة ، قالوا : زده . زده أصبحت فأحكم لأشدنا طمعا ،
وأوسعنا مكانا ، قال عبد المطلب : أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوات
وأكرمنا أمهات . فقال ربيعة : والنسق والشقق ، والخلق المتفق ، ما لبني كلاب
وبني رباب من حق ، فأنصرف يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب في
٢٠ فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أمية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تحف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل.

الزُّجَر

قال أبو عثان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
 إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فتنب غرابٌ عن يمينك
 وعن يسارك أو سَمَحَ أو سَمَحَ أو برج فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن شاء الله تعالى
 فإن نعب أمامك أو فوقك فارجع فيها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فتنب فوق رأسك فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن شاء الله تعالى .

١٠ فإن خرجتَ تطلب دابةً فتنب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع ، فامض
 لحاجتك ، فإن نعب أمامك فارجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلّ عنك أو مُرِق ، فتنب غرابٌ على شجرة يابسة
 فلا تطلبه فقد استهلك وقد يأتيك بمضه ، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة
 خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

١٥ فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فتنب من ورائك ، فارجع فليس لك في ذلك خيرة ،
 وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فتنب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنك
 تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار ثم نعب أدركت منه طلبك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

وإن خرجت من متراك فرأيت غراباً يمسح متقاره على الأرض فإلك تعيب أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب فإلك تترك حاجتك فجلاً إن شاء الله تعالى ! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً يتفرض ريشه ؛ فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً يتفرض فامض لحاجتك ؛ فإلك تترك أملاك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطان فوقع غراب على شيء فنعب ثلاث مرات فامض لحاجتك ؛ فهو خير عاجل ويسير الهواء إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض ؛ فإن نعب فارجع يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فنصب من فوقك فامض ، وإن نعب فأجابه الآخر فهو جيد صالح .

وإن خرجت تريد خصومةً فتعذب من فوقك أو شخّ فامض؛ فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعة وفيهم رجل شريف فشخّ غراباً على رأس الشريف، ثم أتوا ملكاً فلتمهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

- وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليحك يومه ذلك ولا يمتز في تلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً، ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليحض فإنه يصيب سلطاناً أو ولي قوماً، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .

- وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن خرج فرآه ينقض ثم ينعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

- وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد .

وإن خرج تلقى بقسراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليجمع والمركوبة صاحبة لا بأس بها .

وإن خرج يمدد مريضاً فتهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمرضى صالح، وإن تهق خلفه فقد اشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

وإن خرج يريد حاجة فاستقبله غلام يبكي وهو متطلع بشفرة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تضي ، وإن استقبله غلام يمدو ويتلف فإن حاجته تسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشانا يطير يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته ، وإن رآه يطير مستعليا فليرجع ، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضية بمد بطة ومطل ، وإن رأى حمامة حايطة واقفة تجمع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازة وجماعة فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مدبرة فليذهب لحاجته ، فإن ذلك صالح . وإن رأى فسوة إلى المقابر وهن مقبلات نحوه فليقعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته وإن رآهن مدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

وإن خرج من داره فرأى في أرضها غلا كثيرا وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى دبابا كثيرا مجتمعاً على حائط وهو يسمع لمن ديبها فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذرا كثيرا وقربا فذلك فرح ورزق طبل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين يقتلان بقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين أسرته كلام وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشائين يقتلان في جوف السماء راغبين وهابطين فإتيه ما يُسر به . وإن رأى كلبه والكلاب تطوف حولها وينبح بعضها بعضا فإن كان عليه دين قضاه الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئا يسره الله له وإن أراد سفرا تيسر له ورجع سالما .

وإن خرج فرأى على رجل قربة فم أُنشقت فليرجع إلى منزله ويستودق بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدًا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليعض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارة أو بغلاً عليه راوية مملوءة فشاؤه خير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليعض حاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى رجلاً عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وطيه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينى إليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه متاخراً يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفروه بصدقه وأتقاه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليعض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لهبه إلى أن يتقلب ظهراً لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلاماً يلعبون بالأكرة وينساقون فليمنض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفسةً وشرفاً وتمكناً من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فرأى يلعبون بالصوالة فهو رفسة ويلد على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أسرا عظيما من عمله فليقت الله .

وإن رأى جوارى يلعبن بالطرق كأنهن يزفّن عروسا فهو خير وسرور ودخول في أمي شريف وإنه يربح ربحا عظيما وهو خير الزحر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقطان الحب فهو صالح، وإن رأهما يتسافدان فهو خير يناله في يومه، وإن رأهما مديرين فليمنض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فعلق بثوبه شيء فليرجع، فإن أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى جدّة تسفد جدّة وهي تصبح فهو نجاح فليمنض لحاجته .

وإن خرج فمثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أبا أمية بن أبي الصلت التقيّينا هو يشرب مع إخوان له في قصر عيلان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فنصب نية فقال أمية :

بفك الكنكثك أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول ؟ قال يقول : إنك إذا شربت

الكأس التى بيدك مت ، ثم نصب نية أخرى ، فقال أمية كقائله الأولى فقال

أصحابه : ما يقول ؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذيلة في أسفل القصر فيستثير عظما

فيتلعه فيشجى به فيموت ، فوقع الغراب على المذيلة فأثار العظم وأبتلعه فشجى

فمات ، فأنكر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلا وألحوا عليه حتى شرب الكأس قال فاعشى عليه ثم أفاق فقال:
لا يرى فاعذر، ولا قوى فأتصر، ثم خرجت نفسه .

- وزعموا أن رجلا من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فصار صدر يومه
فعطش فأتاخ ليشرب فإذا غراب ينعب فانار راحسته ، ثم سار فلما أظهر أتاخ
ليشرب، فنعب الغراب وتبرخ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود
ضخم فقتله ، ثم سار فإذا غراب واقع على سدة فصاح به فوقع على سامة فصاح به
فوقع على صحرة فأتته إليها فانار كثرًا فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟
قال : سرت صدر يومي ، ثم انخت لأشرب فنعب الغراب ، قال أثرها وإلا فلست
بأبى ! قال : أثرها ، ثم انخت لأشرب فنعب الغراب وتبرخ في التراب قال : أضرب
السقاء وإلا لست بأبى ! قال : فعلت ، فإذا أسود ضخم قال : ثم مه ! قال : ثم رأيت
غرابا على سدة قال : أطره وإلا فلست بأبى ! قال : فعلت فوقع على سامة قال .
أطره وإلا فلست بأبى ! قال : فعلت فوقع على صحرة قال : أحد بأبى ! فاحده
ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين
بعث زاجرا ومصورا وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك وعنده . وقال للمصور :
لا تثنى بصورته . فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها
كسرى على وسادته ، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أرا ما أجزه حتى الآن
وأرى أمره يملو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كثيرا تشق امرأة من الخزانة يقال لها : أم الحوirth ، فشتب بها فكهرت
أب فبعضها كما فضع عزة فقالت له : أنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا ،

ثم قال فاطنيني كما يطلب الكرام قال : فاحقني لي ووثقي أنك لا تترجعين حتى أقدم عليك خلقت ووثقت له فمدح عبد الرحمن بن الأزدى ونرج إليه فلقى طلباً سواح، ولقي غراباً يمحس التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على من من لمب فقال : أياكم يزجر؟ قالوا : كلنا ! فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصلْب، فأتاه قصص عليه القصة فكره ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلاً من بني عمها فقال كثير

تيممت لمبا أبتني السلم عنكم • وقد ردت علم العاقين الى لمب ! فيممت شيخاً منهم ذامحالة • بصيراً بزجر الطير منحني الصلْب ! فقلت له : ماذا ترى في سواح • وصوت غراب يمحس الأرض بالترب ؟ فقال : جرى الطير السليح بينها • ونادى غراباً بالفراق وبالسلب • فإن لا تكن ماتت فقد حل دونها • سؤال خليل باطني من بني كعب قال : ثم مدح الرجل الأزدى فأصاب منه خيراً، ثم قدم عليها فوجدتها قد تزوجت رجلاً من بني عمها فأخذته الملاس فكشع جنباه بالنار؛ فلما أتدمل من علته ووضع يده على ظهره فاذا هو برقتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الملاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا بالكشع بالنار فكشعت بها فأتنا يقول

عفى الله عن أم الحورث ذنبها • علام تمنني وتمكي دوائيا؟

ولو آذنوني قبل أن يرقوا بها • فقلت لهم : أم الحورث دائيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له : أنظر أين تراه جالسا، ومن الى جانبه، وأنظر ما بين كتيفيه حتى انطام والشامة؛ فقدم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تشيز واضحا قديمه في الماء، وعن يمينه على طيه السلام، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال: «تحوّل فأَنْظُرْ ما أَمَرْتُ به» فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال: ليعلوقُ أمره ولعلكن ما حمت قدمي وقال: بالأنشُرُ العُلُو والماء الحياة.

- ومن الزجر: ما روى عن أبي ذؤيب المَلَيْ قال: إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفة طيه فبث بليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا يهاب ديمورها ولا يطلع نورها حتى اذا قُرب السحر غفوت فنهف لى هائف يتول

خُطِبُ أَجَلُ أَنَاخَ بالإسلام - بين التخييل ومَعْد الآطام

- ١٠ قُيُضُ النَّسَى عِدَ فَمَيُونَا « تَدْرِي الدَمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفأملت به ذبحا يقع في العرب، وعلبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميت من عتسه، فركبت ناقتي وسرت حتى أصبحت فطلبت شيئا أزجره، فمن لى شَيْمٌ قد أرم على صلت وهو يتلوى عليه والشيم يعضه حتى أكله فزجرت ذلك شيئا مهمما فقلت: تَلَوَى الصَّل: أفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أولت أكل الشيم إياه: ظَلَمَ القائم على الأمر فحشنتُ ناقتي حتى اذا كنت بالعيلة زجرت الطير فأخبرني بوفاته. ونهب غراب مالحا يمشل ذلك فعمزنت من شر ماعز لى في طريق، ثم قَدِسَتِ المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجج أهلوا جميعا بالإحرام فقلت: مه! قالوا قُيُضُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفئت المسجد فأصعبته خالياً فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصعبت بابه مُرْجِح وقد

- خلا به أهله فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الانصراف
 بفتح السقيفة فوجدت أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا حنيفة ، وسائلا ،
 وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراؤهم وأمامهم
 حسان بن ثابت ، وكعب في ملائمتهم فأويئذ إلى الانصار فكلوا فاكثروا وتكلم
 أبو بكر فله من رجل لا يطيل الكلام ويسلم مواضع الفصل ، والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامع إلا أقاد له ومال إليه ، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه ، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دنانياها وأنصرف أبو ذؤيب إلى باديته
 وثبت على إسلامه . ١٠
- ومنه : ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال :
 شردت لنا إبل فأتيت حليسا الأسدى فسأته عنها فقال لبنت له : خطي ، فخطت ونظرت
 ثم أقبضت وقامت متصرفة فنظر حلوس في خطها فضحك وقال : أمدري لم قامت ؟
 قلت : لا ، قال : رأت أنك تجد إبلك وأنت تروجها فاستجبت فقامت ، فخرجت
 فاصبت إلى ثم تروجتها بعد . ١٠

القال والطيرة

حكى أنه لما ولد سعيد بن العاص عتبة قال سعيد لابنه يحيى : أى شئ تهمله ؟
 قال: دجاجة بفراريجها ، وإنما أراد أحضاره بذلك لأن أمه كانت أمة فقال سعيد :
 إن صلق الطير ليكون أكثركم ولنا فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعرضه بالقيوم قوم من العرب
فسأل رجلاً : ما أهلك ؟ فقال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم
تفاؤلاً به وتيمناً واستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطيرة : ما حكى عن بعضهم قال : حضت الموقف مع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فصباح به رجل من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ،
ولا يلف هذا الموقف أبداً ! فالتفت إليه فاذا هو اللهي ! قُتِلَ عمر قبل الحول .
وحكى أن عمر رضي الله عنه خرج إلى حرة وأقيم ظي رجل من جبهة فقال له :
ما أهلك ؟ قال : شهاب . قال : أين من ؟ قال : أين بحسرة ! قال : ومن أنت ؟
قال : من الحرقة ! قال : ثم من ؟ قال : من بني ضرام ! قال : وأين منزلت ؟
قال : بحرة ليلي ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظي وهو موضع ! فقال عمر :
أدرك أهلك ، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا ، قال : فأدركهم ، وقد أحاطت
بهم النار .

وقال المدايني : وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً
منه فزل قرية من الصعيد يقال لها : شكر ، فقدم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك
فقال له عبد العزيز : ما أهلك ؟ قال طالب بن مُدريك ! فقال : أهو ! ما أراي براجعا
إلى القسقاط أبداً ومات في تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنفذ الأمور فأنصدمت زُجاجة الأموال ،
فوقعت الشمس منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال : صدع الزجاج

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتبه قوبان مولى مروان . فقال له : ويحك ! ما قلت ؟ قال . قلت : صدعُ الزجاج صدعُ السلطان، ستنهب الشمسُ بلك مروان، بقوم من الترك أو خراسان، ذلك عندي واضح البرهان ! قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم .

وقال إبراهيم بن المهدي : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقمرة من ليالي الصيف فقال : يا عُمى ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر إلى فاني إليك مشتاق بغثته وقد يُسبَط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساء رُؤدياري، وقلنسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غثني فقد سررتُ بعومتِي فانتفعت تقنيته

١٠ هم قتلوه كي يـكـونوا مكانه • كما فعلت يوما بكسرى مرآزيه !
بني هاشم كيف التواصل بيننا • وعند أخيه سيفه ونجائبه ؟
هكذا غثته ، وإنما هو

• وعند علي سيفه ونجائبه •

فغضب وتطير، وقال : ما قصتِك؟ ويحك ! غثني ما يسرني، ففنت
هذا مقام مطرود • هُدمت منازل ودوره !

١٥

فازداد تطيرا، ثم قال : ويحك ! انتهى وغثي غير هذا ففنت

كُتِبَ لعمري كان أكثر ناصرا • وأيسر جرما منك صُرج بالذم

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قدح يُلَوِّر وكان لجه
إياه يسميه عمدا باسمه ، فأصابه طرفٌ ذليلها فسقط على بعض الصواني فانكسر،

- فأقبل عليّ وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلا ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك ، قال : ودجلة والله هادئة ما فيها صوت يجذاف ، ولا أحد يزعزك ، فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لي : سمعتُ يا عم ؟ فقلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعته ، فاذا الصوت قد عاد فقال : أنصرف ببتك الله بخير فحال أن لا تكون الآن قد سمعتُ ما سمعتُ ، فأنصرفت وكان آخر العهد به .

- وشبه بهذا ما حكى عنب علوية المغني قال : كنتُ مع المأمون لما خرج إلى الشام ، فدخلنا دمشق فطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ، ويتبع آثارهم ، فدخلنا حجتاً من صهيونهم ، مفروشا بالرخام الأخضر ، وفيه ريحة ماء فيها سمك ، وأمامها بستان ، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب ، وأقبل على فقال : غني ونشطن ، فكأن الله تعالى أنساني النناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرقيات

لو كان حوى بنو أمية لم • سلق رجال أراهم نطقوا
من كل قرم عجز ضرائب • عن منكيه القميص ينفق

- قال : فنظر إلى مُغَضَّباً ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، ويطك ! أقلتُ لك سرني أو سؤني ؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت مُرَضَّبِي ؟ فجلبتُ عليه وطلعتُ آتِي قد أخطأت ، قلت : أتلونني على أن أذكر بني أمية ؟ هنا مولاكم زرباب عندهم ركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخليل والضياع والرقيق] : وأنا عنكم أموت

جوعاً، فقال: أولم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ قلت: هكذا حضرني حين ذكرتهم، فقال: أعرض وتبني على إرادتي وعن فائسائي الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق وما * كنت دمشق لأهلاً بلها
قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمر غواية رَشدا

فرماني بالقدح فأخطاني وأنكر القدح، وقال: قم الى لعنة الله وحر سقر!
فركب، وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى في قتيلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام
خلون من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان: أحب أن
نصطبح؛ فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي الملاء فقال له: غن فغنى
يا خاقان من الملام دعاني * إني البلية فوق ما تصفان
زعمت بئينة إني فرقنا غدا * لا مرجحاً بقيد فقد أبكاني

فقطير المتوكل منه، وقال: أحمد! كيف وقع لك أن تغنى بهذا الشعر، قال:
فشغل قلب ابن أبي الملاء لما أنكر عليه، ثم ذهب ليغنى غيره، فغناه ثانية، فقال
المتوكل: نسأل الله خير هذا اليوم، وصرف المغنين وقام لمصلاة الظهر، فلما فرغ
قال له الفتح: يا سيدي أتمم يومك، فلما بالشراب وقال: أين ابن أبي الملاء؟ فأحضر
فقال له: غن، فأغنى عليه فأعاد اليهين فاعتم المتوكل غاية التعم وقيل في البلية الآتية
من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني: حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة
ابن منصور بن دؤيب، وأبنته أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه

•

١٠

١٥

٢٠

وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصقحه فوق بيده وقال : يمزى سيف الدولة
أبا الحسن ويرى ابنه أبا المكارم محمد ، فأخذت المجلد وأطبقت فعاد تصقحه فخرج
ذلك ، ومن القصيدة التي عاها قوله

فإن بيماً فأريقين حُصيرة * تركها عليها ناظر الجود داميا

تضمتها أيدي قتي نكلت به * غداة نوى أماننا والأمانيا

ولما عدنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التمازيا

• حكي : أن أبا الشمقمق شفع مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل ،
فلما أراد الدخول إليها أئذق لوائه في أول درب منها ، فتطير من ذلك وعظم عليه ،
فقال أبو الشمقمق

١٠ ما كان مندق اللواء لريسة * نخشى ولا أمر يكون مبدلاً

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صخر الولاية فاستقل الموصل

فسرى عن خالد ، وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون ، فزاده ديار ربيعة
وكتب اليه : هذا الضعيف الموصل متن رمك ، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة
آلاف درهم .

١٥ وقيل : لما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ،
وقع على الشمسية التي ترفع على رأسه طائر من الجوارح وألح ، كما نُقِر عاد ، فتأمل
الناس له بذلك وسُرموه ، فقال إنسان بصرف بملكهم : هذا جارح ومقبض الكف
وليس فيه بُسرى بل ضلها ، وأقبل السلطان في جيشه فكانت الكسرة وقُبِض
على المسترشد وقُتل من بعد .

خرج بعض ملوك الفرس إلى العبيد، فكان أول من استقبله أعور فأمر بضربه وجسه، ثم خرج وتصيد صيدا كبيرا، فلما عاد استندى الأعور وأمر له بصلة، فقال الأعور: لا حاجة لي في صلتك، ولكن أئذن لي في الكلام، فقال: تكلم! قال: لقيتني فضررتني وحبستني، ولقيتكَ فصِدتَ. وسَلِمْتَ فأَيُّنا أَشام؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عظم الجبين يدل على البه، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره على لطيف الحركة، والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلا على تخفيف وأسترخاء، وإذا تراجعا نحو الصدين دلا على طَيْرٍ وأستزاء، والعين إذا كانت صغيرة الموق دلت على سوء دخلة، وخُبت شمائل، وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد، والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومروءة، والناتئة على اختلاط عقل، والطائرة على حدة، والتي يطول تحديقها على حقة وحق، والتي تكسر طرفها على حقة وطيش، والشعر على الأذن يدل على جودة السمع، والأذن الكبيرة المتصبة تدل على حق وهديان.

وحكى: أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأحرع في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مہرجا بعد أن فتحها ودخل دار المُرمران بعد أن جمع السي والنعام، ورأى في بعض مجالس الدار تصاور فيها مثال ظي وهو مشير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السائب: لأمر ما صوّر هذا الظي هكذا، إن له لثانا، فأمر بمفر الموضع الذي الإشارة إليه فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام، فيه سقط جوهر فأخذه السائب وخرج به إلى عمر رضي الله عنه.

- وقيل : كان المعتضد يوما جالسا في بيت بُني له وهو يشاهد الصنّاع فرأى في جمعتهم عبدا أسود منكر الخلق ، شديد المرح ، يصعد على السلالم مرقاين مرقاين ويحمل ضعيف ما يحمل غيره ، فانكر أمره ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فطُبلج فقال لوزيره : قد نَحِمْتُ في هذا نَحِيمًا ما أحسبه باطلا ، إنا أن يكون معه دنائير قد ظفريها من غير وجهها ، أو لصا يتستر بالعمل ، ثم قال : على الأسود فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدق له يضر به عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلا ما كان من حدّ ، فظن أنه قد أئمنه ، فقال : كنت أحمل في أتون الأجر ، منذ سنين ، فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بي رجل في وسطه كيس فخبئته وهو لا يعرف مكاني فخلّ الحميان وأخرج منه دينارا فتأملتُه فإذا كله دنائير فكشّته وسدّدتُ فاه وأخذت الحميان وحملتُ على كتفي وطرحته في الثّور وطينتُ عليه ، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عظامه وطرحتها في دجلة والدنائير معي تحوَّى قلبي قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير ، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان ، فنادى في المدينة ، فحضرت أمراته وقالت : هذا زوجي وقد ترك طفلا صغيرا خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب الى الآن ، فسلم الدنائير اليها وأمرها أن تعتد ، وضرب عتق الأسود وأمر أن يوضع في الأتون .

- وقيل : جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوبا مهجوما يحول في الطُرقات ، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله ، فدفعه الى أمراته ، فذكرت المرأة أن لئال سُرِق ولم يرتقبا ولا تسلفا ، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : فبكرا أو تيّبا ؟

قال ثيبا، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال :
شابة، فلما المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب ههنا،
فأخذها وأقلب إلى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من قناته : أقعدوا على أبواب
المدينة، فمن مر بكم وعليه شيء من هذا الطيب فأتوني به، وأشهدهم من ذلك الطيب،
ومضى الرجل بالطيب، فذهب إلى امرأته وقال : وهبه لي أمير المؤمنين، فلما سمته
بعثت به إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت إليه المال فتطيب به، ومر بجنازا
ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به إلى المنصور، فقال له : من أين استفتدت هذا
الطيب ؟ فأبلغ لسانه، فسأله إلى صاحب شرطته وقال : أن أحضر الدنانير وآلا
فأضربه ألف سوط، فإسأله ألا أن جرد وهدد، فأحضر الدنانير على حالها فأعلم
المنصور بذلك، فلما صاحب الدنانير وقال : أربائك إن رددت عليك متاعك بعينه
أتحكى في أمراك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلقت أمراك وخبره
الخبر .

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يخبره فقال للخدام : أنت
القاضي عود، فذهب بغلاء بالعود الذي يلقي به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك :
ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحبنا أن
يكون كسره على يد القاضي، فقال شريك : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به
الأرض فكسره ثم أقاضوا في حديث آخر حتى كسى الأمر ثم قال المهدي لشريك :
ما تقول فيمن أمر ويكفل له أن يأتي بشيء بغلاء بغيره فتلف ذلك الشيء ؟ فقال :
يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخدام : آضن ما تلف .

الباب الرابع

من القسم الثاني من القرن الثاني

في الكنايات والتعريض

- والكنايات لما مواضع؛ فأحسنها العُدول عن الكلام القبيح الى ما يدل على معناه
- في لفظ أبيه منه . ومن ذلك أن يُعظم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته ،
 أو يكنى بأسم أبنه صيانة لأسمه ، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله
 تعالى (قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا) أي كنياء . وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على بن أبي طالب رضي الله عنه : بأبي تراب ؛ وقال البعري
 يتشاغفن بالصغير المسمى • موضعاً وبالكبير المكنى

- وهذا يدل على أن المراد بالكنية التجميل ؛ وقول ابن الرومي
- بكنت شجوها الدنيا فلما تبيئت • مكانك منها استبشرت وتنت
 وكان ضليلاً شخصها فطاولت • وكانت تسمى ذلةً فكنت
- وقال أبو حنيفة المفضل

أبي القلب إلا حبه عامرية • لها كنية عمرو ، وليس لها عمرو

- ومن عادة العرب وشأنهم ؛ استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحي من
 ذكرها ، فصداً للتعف باللسان ، كما يُتعف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجل
 تاذيباً لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْقَهُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فخرن حفة البصر

بقعة الفرج؛ وفي القرآن كآياتٌ عُدَّتْ بها عن التصريح تترجماً عن اللفظ المستحسن،
 كقوله تعالى: (نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) وقال أبو عبيد: هو
 كناية، شبه النساء بالحرث، وقوله تعالى: (وَقَالُوا لِيُجْلِدَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا)،
 قيل: هو كناية عن الفروج، وفي موضع آخر: (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
 وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وقوله تعالى: (أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
 نِسَائِكُمْ)، وقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون: هذا تنبيه بأكل الطعام على
 عاقبة ما يصير إليه؛ وهو الحديث، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث. ثم قال:
 (أَنْظُرْ كَيْفَ يُبَيِّنُ لَكُمْ الْآيَاتِ) وهذا من اللفظ الكناية، ومنه قوله تعالى: (أَوْجَاءَ
 أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسَمُ النِّسَاءِ) فالغائط: المظلم من الأرض، وكانوا يأتونه
 لحاجتهم ويستترون به عن الأماكِن المرتفعة: ومن لم ير الوضوء من لمس النساء
 جعل الملامسة هاهنا كناية عن الفعل.

ومن الكآيات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو إن كان قد ورد في الأمثال
 أشبه بالكآبة — منها قوله صلى الله عليه وسلم "إياكم وخضرَاءُ الدِّمَنِ" يريد بها المرأة
 الحسنة في المنزلة السوء، وتفسير ذلك: أن الربح يجمع النسن، وهو البعر في البقعة
 من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نبتاً غصياً جهراً وتحت الدمن الخبيث، يقول:
 فلا تتكحوا هذه المرأة الحسنة بجمالها، ومنبتها خبيث كالدمن؛ فإن أصراق السوء
 تزدح أولادها؛ وقال زفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى • وتبقى حرازات الغرور كما هي!

وقوله صلى الله عليه وسلم : "حَمَى الْوُطَيْسُ" قاله لما جال المسلمون يوم حُنين ، والوطيس : جفيرة تحفر في الأرض شبيهة بالتور ، وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المذلة سبع سنين ، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه ، فاسأل الله العافية إلا تعريضا في قوله : (إِنِّي مَسِيئَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضيلة المستفدرة بالألفاظ كلها تكايات ، منها : الرجيعُ والتجورُ والبرازُ والفاظُ . والعذرةُ والحش ، فبعض هذه الألفاظ يراد بها تقصُّ الحديث ، وبعضها يراد بها المواضيع التي يأتي إليها الحديث ، وكذلك استعملوا في إثبات النساء : الجامعة ، والمرافعة ، والمباذبة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسسة ، والخلوة ، والإفشاء ، والغشيان ، والغشيان ، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن .

- ١٠ . وحكى : أن رجلا من بني النبركان أسيرا في يكرين وأهل ، وعزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولا إلى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بمحضرتنا لئلا نذرم ، وحي ، بعيد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لما قبل ! قال : ما أراك عاقلا ! لم أشار بيده إلى الليل ، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا . ثم ملاه كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لأدري وإنه لكثير ، قال : أيما أكثر ؟
- ١٥ . النجوم أم البران ؟ قال : كل كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا ، يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر ، فإن قومه لي مكرمون وقل لهم : إنه العريج قد أدبني ، وشككت النبأ ، وأصرهم أن يعبروا ناطق الجراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب بأية ما أكلت معهم حنسا ، وأسألوا عن خبري أئني الحارث ؟

- فلما أتى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جنُّ الأعورُ ، واقه ما تصرف له ناقة حمراء ، ولا جملًا أصهبَ ، ثم سرحوا العبدَ ودعوا الحارثَ فقصوا عليه القصةَ ، فقال : قد أنذركم ، أما قوله : قد أدبني المربغُ ، يريد : أن الرجال قد استلماوا وإيسوا السلاحَ ، وقوله : وشكتُ النساءَ ، أى اتخذنُ الشكَّةَ للسفرِ ، وقوله : الناقة الحمراء ،
- أى ارتحلوا عن الدهناء وأركبوا الصَّمانَ وهو الجمل الأصهبَ ، وقوله : بآية ما أكلت معكم حبًّا أى أخلاط من الناس وقد غرَّوكم ، لأن الحيس يجمع النمر والسمن والإفطعُ ، فأمتثلوا ما قاله ، وعرفوا الحنَّ كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى مجاهد ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفي ، فأرسل إلى عشرة أنا أنحدم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليعذني كل رجل منكم أحذوثة . وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحدث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن أمراً القيس إلى أيلة أن لا يترجج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وأثنين ، بفعل يخطب النساء فإذا سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فينأى هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يعمل أبنة له صغيرة ، كأنها البدر لله ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وأثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاق الناقة ، وأما اثنتان فتدبى المرأة ، فخطبها إلى أبيها ، فزوجها إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بناتها عن ثلاث خصال ، بفعل لها ذلك ، وعلى أنت يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم إنه بث عبدا له إلى المرأة ، وأهدى لها نحيماً من سمن ، ونحيماً من عسل ، وحلّة من قصب ، فزل العبد

- على بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها فتعلقت بِسَمَرَةٍ فأنشقت، وفتح النّحّين فاطعم أهل الماء منهما فقصبا، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسالها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بيذا، ويعدّ قريبا، وأن أمى ذهبت تشقّ النفس نفسين، وأن أخى ذهب يراعى الشمس، وأن سماءكم أنشقت، وأن وعاءكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال : أما قولها : أن أبى ذهب يقرب بيذا ويعدّ قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها : ذهبت أمى تشقّ للنفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبلُ امرأة نساء، وأما قولها : ذهب أخى يراعى الشمس : فإن أباها فى سرج له يرماء، فهو ينظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البرد الذى يمتث به أنشَقَ ، وأما قولها : أن وعاءكم نضبا : فإن النّحّين قصبا، فاصدقنى ؟ فقال : يامولاي !
- ١٠ إلى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسي، فأخبرتهم أنى أبى عمك، ونشرت الحلة فلبستها وتجلّت بها، فتعلقت بِسَمَرَةٍ فأنشقت، وفتح النّحّين فاطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أولى لك ؟ ثم ساق مائه من الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقى الإبل، فصجز؛ فأعانه أمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقبل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : واقه ما أدري أروى هو أم لا ؟ ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا؛ فأكل ما أطعموه، قالت : آسقوه لبنا حازرا (ومر الحامض) فسقوه؛ فشرب، فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم، ففرشوا له؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسالك عن ثلاث، قال : سلى عما بدا لك، فقالت : لم تخرج شفتاك؟

قال : من قسيلي إياك ! قالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لتورسكي إياك ! قالت : فلم يخلج كسحاك ؟ قال : لا تترامى إياك ! قالت : عليكم البعد ! فشقوا أيديكم به ، ففعلوا ؛ قال : ومز قوم فاستخرجوا أسراً القيس من البئر ، فرجع إلى حبة وأستاق مائة من الإبل وأقبل إلى أمراءه . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزويجى هو أم لا ؟ ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكيد والسنام والملحاه ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : أسقوه لبنا حازرا ، فأبى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصريف والزينة ؟ فقالت : أفرشوا له عند القريث والدم ، ففرشوا له ، فأبى أن ينام وقال : أفرشوا لي فوق التلعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت إليه : هلم شريطي عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : سلني عما شئت ، فقالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لشرب المشعشات ؛ قالت : فلم يخلج كسحاك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يخلج فخذاك ؟ قال : لركض المطهعات ؛ قالت : هذا زوجي لعمري ! فطليكم به ، وأقتلوا البعد فقتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحدٌ بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بمجاثرة .

وقيل : بعث شامة بن الأعور العنبري إلى أهله بتلايين شاة ونجني صغيرييه ممن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النحي شبيطا ، فقال لهم الرسول : ألكم ساجدةٌ أخبرُ بها ؟ فقالت أمراءه : أخبره أن الشهر عاق ، وأن جدينا الذي كان يطالما وجدناه مرثوما ، فأرجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيء غلاما ، فقدم أبوه ليفديه ، فاشتطوا عليه ، فقال أبوه :
لا والذي جعل الفرقدين يُسيان ويصيحان على جيل طيء ! ما عندي غير ما بذلته ،
ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فبه . كأنه قال : الزم الفرقدين
على جيل طيء ، ففهم الأبن تعريضه وطرده إبلاهم من ليلته ونجا .

- ومن التخليص المتوسط إليه بالكثاية ؛ ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي ،
أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تصجون لهذا ؟ أشعر بركا يؤل
مثل هذا المضر ، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فيبلغ ذلك الوليد فقال صل
المنبر : أنشد الله رجلا سمانا أشعر بركا إلا قام ، فقام عدى بن حاتم فقال : أيها
الأمير ، إن الذي يقوم فيقول : أنا سمينك أشعر بركا لجرى ، فقال له : اجلس
يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها ، جفلس وهو يقول : ما برأني الله منها .

- وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل إليه
مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى ، قال مسروق :
إنه صاحب مرض ، فارجع إليه وأسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية
وينهى عن التوج .

- خطب رجل إلى قوم بقاءوا إلى الشامي يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، قال : هو
والله ما علمت تأخذ العظمة ، ركين الجلسة ، فزوجه ؛ فإذا هو خباط فاتوه فقالوا :
غيرتنا فقال : ما قلت وإنه لكما وصفت .

وخطب باقلاقي الى قوم وذكر أنت الشبي يمزقه فسالوه فقال : إنه لمظيم
الرماد، كثير العاشية .

قيل : أخذ المسس رجلين فقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما
أنا ابن الذي لا يُزل الدهر قدره * وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا الى ضوء ناره * ففهم قيام حوله وقعود !

وقال الآخر

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما ين غزومها وهاشمها
تأتيه بالنل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها !

ففظنهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فلذا الأول ابن طبائخ والثاني
ابن جهام . ١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأخنف : أى الطعام أحب اليك ؟
قال : الزبد والكأه . فقال : ما هما بأحب الطعام إليه ، ولكنه يحب الخصب
للسامين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام، وَتَمَّ عَلَى أَوْطَأِ القُرْشِ ؛ كُنْ عَنِ الْجَارِ
الصيام، وإطالة القيام . ١١

ومن جيد التورية وغريبها مع توتى الصدق فى موطن الخلف : قول أبي بكر
الصديق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه طم
المجرة ، قيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهين السيل .

ورُفِعَ إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وصيةً لرجل بال أمر أن يُتَخَذَ به
حصون . فقال : أشترؤا به خيلاً للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي
ولقد علمت على تحنّي الردي * أن الحصون الخليل لأمدر القري
قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ، فدخل على الوليد بن عبد الملك ،
وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لي أشقر ، ركبه فجا بي ، فقال :
لوركبت الأشهبَ كما جا بك ، يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان ثابت بن الزبير : ما تاب من الأسماء ! ليس بأسم رجل
ولا امرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان أسمي إلى ، لسميت نفسي
زينب ، يُمرّضُ به ، فإنه كان يشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ؛
فقال : لا أوتخ نفسي بأبي النّبان .

قال ثُمَيْرِي لفقمسي : إني أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقمسي :
اطرح عليه تراباً وأدخل ، أراد الثُمَيْرِي قول الشاعر
ينام الفقمسي وما يُصلي * ويخرى فوق قارعة الطريق
وأراد الفقمسي قول الآخر

ولو وُطئت نساءُ بني ثُمَيْرٍ * على رَبِّ خَلِيقِ التُّرَابِ

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمي : أخرجني المَال الذي وضعتَه
تحت آسيتك ، فالتفت : ما ظننت أن أحداً يُل شيطان من أمور المسلمين يتكلم بهذا ،
فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخلق الذي أشارت إليه ؟ فلما أخذ الخُجَّاج
أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنب ما عيبَ على ابن الزبير ، فكُنِيَ عن المعنى فقال لها :
عمدت إلى مال الله فوضعتَه تحت ذيلك .

ماتت للهذلي أم ولد، فأمر المنصورُ الربيعَ بأن يعزّيه ويقول له: إن أمير المؤمنين
يوجه إليك بجمارية نفيسة لها أدبٌ وطرفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرسٍ وكسوةٍ وصلةٍ؛
فلم يزل الهذلي يتوقّعها، ونسيها المنصور، ثم حجّ وبعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة:
أحبّ أن أطوفَ الليلة في المدينة، وأطلبَ من يطوفُ بي فقال: أنا لها يا أمير
المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل إلى بيت عائكة فقال: يا أمير المؤمنين! وهذا بيت
عائكة الذي يقول فيه الأحرص

• يا بيتَ عائكة الذي أتعزّل •

فأنكر المنصور ذكر بيت عائكة من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمر القصيدة
على خاطره فاذا فيها

وأراك خملٌ ما تقول وبعضهم • منقّب الحديث يقول ما لا يفعلُ
فتذكر الموعدَ وأنجزه وأخبر إليه •

اجتمع الشعراءُ بباب أمير من أمراء العرب، فمز رجلٌ بياز فقال رجل من بني
تميم لأخيه من بني نعيم: هذا البازي! فقال النخعي: إنه يصيد القطأ؛ عرض
الأول بقول جرير

أنا البازي المطلق على نعيم • أتيح من السماء لها أنصبابا

وأراد الآخر قول الطرّاح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطأ • ولو سلكت طُرُقَ المكالم ضيّت

قال عمر بن هبيرة الفرزاري لأيوب بن طليان النخعي وهو يسأله: غُصّ من بثلثك!
فقال: إنها مكتوبة، أراد بن هبيرة قول جرير

فغصّ الطرف إنك من نعيم • فلا كعبا بثلث ولا كلابا

وأراد التيمري قول ابن دارة

لا تأمنن قزارياً خلوت به * على قلوبك وأكتننها بإسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العبيدي أحد الخلفاء بمصر يلعب بالنجم فتسابق هو وخدام له فسق طائر الخادم طائر الخليفة ؛ فبعث الى وزيره ابن كلس اليهودي

- يستعلمه عن ذلك فاستحي أن يقول : إن طائر الخليفة سُيقَ ، فكتب إليه
- أبن الذي طاعته عصمة * وجبه مفترس واجب
طائرک السابق لکته * جاء وفي خدمته حاجب

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي ، خير أهل الأرض إلا رجلاً سبقه لعمل ، أو دمل . ثم عمل ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ؛ ثم أخذها الحياء فقالت : أقلني يا أمير المؤمنين ! فقال : جزاك الله خبراً ! فقد أحسنيت الثناء ، فلما قلت قال كعب بن شؤر : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت اليك في الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباذعة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من القرن الثاني

في الألفاظ والأحاجي

- قالوا : وأشتاق الألف من ألف اليربوع ولَفَزَ : إذا حفر لنفسه مستقياً ، ثم أخذ يمتد ويسير ليوارى بذلك ويعتم على طالبه . ولَفَزَ أسماءُ فنها : المأياة ، والعويص ، والرمز ، والمحاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والرموس ، والتأويل ، والكناية ،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعنى، والمثل، ومعنى الجمع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فأنك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعابك، أى يظهر إعياءك وهو التعب، سميته : معاياة، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص أسخراجه، سميته : عويصا، وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سميته : لُغزًا، وفعلك له : إلغازا، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رَمَزَ، وقريب منه الإشارة، وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى أسخرج مقدار عقلك، سميته : محاجة، وإذا اعتبرته من حيث إنه أسخرج كثرة معانيه، سميته : آيات المعاني، وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئا ويريد غيره، سميته : لحنا وسميت فعلك : الملاحن، وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورؤس فهو : المرموس، والرأس : القبر، وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول اليك، سميته : مؤولا، وسميت فعلك : تأويلا، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرضه، سميته : تعريضا وكناية، وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجود، سميته : الموجه، وسميت فعلك : التوجيه، وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك، سميته : مُمعًى .

قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان

ما واحد مختلف الأسماء ؟ * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أنرس لا من علة وداء * يُنفي عن الصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمراء * بالرفع وانخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء .

قوله : مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله : يحكم في السماء . وميزان الكلام : النحو، وميزان الشعر : العروض، وميزان المعاني : المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه

ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء، وطلق في الهواء، له عين عمياء، وكفٌ شلاء، ليس له إن عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خلق من ثلاثة أجناس، تضعضه الأنفاس، جسمه طير من غير لباس، أنرسُ اللسان، في أذنه خرصان، مكرر الذكر في القرآن، ينطوى إذا نام كالصنبل، وفعله للمستقبل ممثّل، وله في الآخرة أكبر محل.

وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم

ومنك هوچ إذا ملكتك كَفٌ * وليس يكون في هذا مرأه
له عينٌ تظللها ضياءٌ * فإن كُلتْ فليليل المأه
يظلّ طليعةً للوصل هونا * ويخاشي بزورته آحتاه
وقد أوضحتُه وأبنتُ عنه * ففسره فقد برح الخفاء

أراد بقوله : تظللها ضياءٌ أي أنها مفتوحة وكلها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامة للزيارة أورهنا عليها وهو أمانٌ للبانى .

وقال ابن الرومي في فتيلة السراج

ما حَيَّةٌ في رأسها دُرَّةٌ * قننبح في بحر قليل المدى؟
إن عُيِّتَ كان العمى حاضرا * وإن بنت للاح طريقُ الهدى!

وقال السريّ الرقاء في شبكة الصياد

وكثيرة الأحداق إلا أنها .. عمية ما لم تنغمس في ماء

وإذاهي آتفت أدت ربها * ما لا يتال بأصير البصراء

وقال آخر في النوم

وحاسل يجلنى * وما له شطص يرى!

إنّا حصلنا فوقه * وهو لنيد المتطلى!

سريت لا أدري أفي * أرض سريت أم بها!

وقال أبو العلاء المعري في ركابي السرج

خليلان نيطا في جوانب مجلس * جداراه قدام له ووراء!

متى يضع الرجلين ما يشاء عليهما * يرلعه في وشك حفا وحفا!

قوله : خليلان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قريوسه ورادفته،

والحفا مقصور : وجع الرجل، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال ابن القاسم عبد الصمد بن نائل في القفل

مجامع يعقد عقد الكلبة * إن واه غيرك جر نكبة

ينام كالأمرد لا كالقحبة * حتى إذا شك القمد جنبه

وعالج الحذبة بعد الحذبة * وأحل بالحقنة لا بالشرية

ألقي جيتنا تجتبه العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه

بعض حروف المسجم المنكبة * ينفص وهو صادق المحبة

يعتقد السلم وينوى حربة * وهو على ذلك طويل الصلبة

شبهه بالجامع : لدخول القَراش في بطنه ، وقوله : يقدد عقد الكلبة : في عُسر المفارقة ، وإن قصه غيرك بحر نكبة عليك لسرقة ما فيه ، ينال كالأمرد : لأنكبا به ، والقمد : الذي وهو المفتاح ، والجين : القَراش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال في أسم سعيد

- يسلم عن أول أسمه يحيى * ثم بشان حروفه يسبي
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى بدا، صورة أسمها ثني
أربعة نصفها بكملتها * في العد لم تنقص ولم تربي
هذا وفيه أسم يوم آتفت * بمفائر الحُجَم فيه والعُرب
فاحمل الفكر في تأمله * وأركب به كل مَرَكب صعب

- ١٠ شبه السين بالثغر، وثانيه العين وهي قسي القلوب، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستة في الصورة، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللُبوس .

وقال ابن أبي البقل الكاتب في القلم

- ١٥ اصم عن المنادى لا يحيب * به تحبو وتشتمل الخطوب
ضليل الجسم "أعلم" ليس تحفى * عليه غيوب ما تحفى القلوب
تراه راجلا لا روح فيه * ويحيه وينطقه الركبوب
يبين لسانه ما كن سودا * معارفه ويحرسه المشيب
يقسم في الورى يؤمى ويؤمى * ويحكم والقضاء له محبب
عجبت لسطوة فيه وضئف * وكل أموره عجب عجيب
أراد بقوله : أعلم : مشقوق الشقة .

وقال أبو العلاء المزمى في الملح

وبيضاء من سر الملاح ملكتها * فلما قضت إرثي جوت بها صبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل * تحتمهم بعد الطعام على الشرب
قوله : سر أى خالصة، والملاح جمع ملح، والإرب : الحاجة .

وقال آخر في عودى النناء والبحور

وما شتات إسمهما سواء * وأصلهما معا عند أنساب
إذا حضرك بقرير عين * بلا طعم يلد ولا شراب
وما أن يوجدان النفع إلا * بضرب أو بضرب من عذاب
معنى إسمهما سواء ظاهر، وأصلهما خشب، والضرب الأول : ضرب العود ،
والثاني : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر في الحرب



ما ذات شوكة لها جناح * يختطف الناس من قريب
وهي عقيم ترى بنينا * من بين مُردّوين شبيب
ياكل بعض البتين بعضا * طلوع شمس الى غروب
تصحيفها الداء غير شك * قد يحسم الداء بالطبيب
والدواء معكوسة مكان * يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبّا * بالشعر والنحو والغريب

هذا لنز معنى في الحرب، وشوكها : السلاح، وجناحها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها، وأكلهم : قتلهم، وتصحيفها : الحرب، وعكسه :

وقال آخر في التدى •

وما أخوان مشتهان جدًّا • كما أشتهب النّراة والغرابُ
يَضْمُهما على مرّ اللّبال • وما آجتمعا ولا آقترقا إهابُ
لنّاك وذا دموع هاملات • ولكن كلّ دمعهما شرّابُ
يصونهما عن الأبصار دين • ويضرب دون نيلهما حجابُ
هما : ثديا المرأة، ويضمهما إهاب : وهو الجلد •

وقال آخر في الفخ

وما ميت كفتّه ودفته • ققام الى حقّ صحيح فاقوته

وقال آخر وهو لفز

حلف الحبيب على لا سميتّه • فكنته ولطفت خوف تناضيه
ظلي ! انا ما زارني حلّ اسمه • قلبي وذلك من عجيب عجائسه
ويكون إنس رتحتّه ونروته • وقلبتّه ما تشهى من صاحبه
ويكون إن تحفّت مبداء الذى • أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميّزت في التصحيف مقلوبا أشدّ معائيه
وحروفها فالنصف منها جذرها : وحساب ذلك غير متعب حاميه
فاطلبه سادس سادس ثانيه نا • نيه وثالثه كذاك لطلابه
وتعالمه من بعد مثل حروفه • في البيت صحّ أسم الحبيب لقاليه

هو لغز في فرجة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الأول ؛ فإذا رخم
ونرم وقلب يني : حر ، وإذا قلبت القاء قافا يني : قرحة لعين المراقب ، وإذا صحفته
مقلوبا ، وبزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فاطلبه سادس سادس : يعني البيت السادس .

وقال آخر في سألني

سل ماهراً بالتقريض والأدب * ما أسمى فتاة قعيصة النسب
قد صرح الشعر باسمها فتى * فكُتَّ فيها ظفرت بالعجب
الاسم : سلمى ، وهو ظاهر في أول البيت .

وقال آخر في الكرة

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها * وإن تركت من شدة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المنفلوط في السراج

وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعت أذنه صوته
إذا هو بيض وجه الطريق يسود في وجهه يته

وقال آخر في الصدى

وساكن يسكن في الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الحن ولا الحيات * ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة * كلا ! ولا يدرك بالصفات
بلى ! له صوت من الأصوات * يُسمع في الأحيان والأوقات

وقال ابن المقلس في النخلة

وقائمة أبدا لا تـام * وما قملت قط مذ قامت

تميش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها مات

وقال آخر

- ما يقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء ، وركض في الهواء ، وخيم في اليباء ،
نطق على نفسه فانصح ، وتكلم بين وأوضح ، أقفر وأغنى ، وأمات وأحيا ، له شوارق
من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ، يسبق الفرس السريع ، ويسبقه الطفل
الرضيع ، مختلف الألوان ، يوجد في كل زمان ، ما أكثر لغاته ! وأعم في البشر ذكر
صفاته ! وهو خفيف قليل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ، غل رخيص ،
قوى ضعيف ، سريع بطيء ، بارد حار ، نافع ضار ، أبيض أسود أزرق ، قريب
بعيد ، قديم جديد ، متحرك ساكن ، ظاهر باطن ، يتجسر ويتكسر ، ويتعوج
ويتدور ، سلطانه في الشمال وبه يذل ، وضعفه في الجنوب وبه يعز ، يحيل ينفي
جنة القليل في طيه وعطفه ، ويتخلل جفن العين الرمدة برقه ولطفه ، يمشي على
الحسق فلا يؤلمها ، ويطل القلوب فلا يكلفها ، على أنه يقطع الطريق ، ويخيف
الفرق ، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك ! يحل ألف قنطار ، ويمسح عن حمل
دينار ، وهو ليس نهارى ، عربى عجمى ، برى بحرى ، سهل جبل ، رومى نوبى ،
هندى حبشى ، صني جاهل إسلامى ، كان مع آدم في الجنة ، وصحب نوحا في السفينة ،
وتوسط التار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهره ، وما سار في بر ولا بحر ، أنجبه النبي صلى الله عليه وسلم من
جسده ، وقرنه على صحابته ، إذا نطقت به كان بعض أحد خلفاء بني العباس السبعة
- ١٥
- ٢٠

وقال آخر

ما شئٌ وجهه قر، وقلبه حجر إن علقتَه ضاع، وإن أدخلته السوق أبى أن يباع،
وإن فككتَه دعا لك، وإن ركبت نصقه هالك، وربما كثر أموالك، وإن حذفت
آخره، وشئت ثانيه، أورتك الألم عند الفجر، والضيح عند العصر : هو الملعج
الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك : أمرأتان ألتفتا برجلين قاتلتا لهما : مرجا بابنتها وزوجينا وأبني زوجينا،
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر فهما أبنائهما وزوجاهما وأبنا زوجيهما .
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه، وذلك : أن كل واحد من أبويهما
تزوج بأم الآخر، فزُرق كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عم الآخر وأبن أخيه .
رجلان كل واحد منهما خال الآخر وأبن أخته، وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بابنة الآخر، فوزق كل واحد منهما ولدا فكل من ولديهما خال الآخر
وأبن أخته .

رجل وأمرأتان هو خال أحليهما، وهي خالته وعم الأخرى، وهي عمته،
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأتمه وأخته لأبييه تزوجت باب أمه،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآيات المنظومة في ذلك

ولى خالة وأنا خالها • ولى عمّة وأنا عمها

رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج باخت الآخر، فزوّج كل منهما ولدا، فكل من وليهما ابن خال الآخر وابن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بابنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بابنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله، وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة تزوج الآخر ابنة أبها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب، هو أخوها وخال أبها .

رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته، وذلك : أن رجلا له أخ لأب وأخت لأم فزوّج أخاه لأبيه باخنة لأمته فولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمحجون، والفكاهات، والمُلح، والجر، والمعاقرة،
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلاً

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل في الإعطاء
قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور العقل، ما قيل
في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل في الفتاة والتزاهة
ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإيجاز، ما قيل في الشفاعة، ما قيل
في الاعتذار والاستطاف .

فأما حقيقة المدح، فقد عبّر عنها الحمدوني في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله:

حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون ثَمّاً حميداً .

قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
الَّذِينَ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) وقال
عز وجل : (الَّذِينَ يُؤْتُونَ الْحَامِيَّةُونَ الْآسَاجِدُونَ الرَّأْيُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وقد أؤلفوا الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا رأيتم المذبحين فأثبوا في وجوههم التراب " قال العتيبي هو المذبح الباطل والكذب .

- وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، وبما يعضدنا أن العباس بن عبدالمطلب وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ؛ مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا .
- وقيل في حثو التراب مَعْنَيَان : أحدهما التخليط في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفك التراب .

- ١٠ وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحد أعذنا الله من ذلك ؛ وقال أبو شروان : من أنى عليك بما لم قوله فغير بعيد أن يفتكك بما لم تحبه . وقال وهب بن منبه : من مدحك بما ليس فيك ، فلا تأمن أن يفتكك بما ليس فيك .

وأشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هيرم بن سنان

- ١٥ دع ذا ! وعدَّ القول في هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المتور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والصبر
ولنعم حشو الذرع أنت اذا . دُعيت تزال ولج في الدعير
فما لم عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة ؛ قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يغمض

وأبيض يُستسقى النّام بوجهه • نِمال اليتامى عصمة للأرامل
فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم •
وقال آخر

ولو كنت أرضاً كنت مِثاءً سهلة • ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة • ولو كنت يوماً كنت تعريسة الفجر
وقال محمد بن هاني

أغير الذي قد خط في اللوح أبنتى • مديحاً له إني إذا لسنود
وما يستوى وحى من الله متول • وقافية في النابرين شرود

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لثَمَم بن ثورَة صِف لي أخاك فإني أراك
تمدحه ، فقال : كان أحمى يحبس المزداد بين الصُّوحين في الليلة القُرّة متقللاً للريح
الخطيل ، عليه الشَّملة القلوب ، يفود الفرس الحرون فيصبح ضاحكاً مستبشراً :
الخطيل : الطويل المضطرب ، والقلوب : التي لا تنضم على الرجل لقصرها •

وسأل عبد الله بن عباس صَعَصعة بن صُوحان السّدي عن أخوته فقال : أما زيد
فكما قال أخو عبس

فتى لا يزال أن يكون بوجهه • إذا نال خلان الكرام شحوب

ثم قال : كان والده يا أبن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأبوّة ، جليل القدر ، بيد
الشّر ، كيش العروة ، زين النَّدوة ، سليم حوائج الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

ذاكرًا لله تعالى في طرق النهار وزلفًا من الليل، الجوع والشبع عنده سببان، لا منافس في الدنيا، ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت، ويدب الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، وبلهج الصدق، ليس في قلبه غير ربه، ولا يهيمه غير نفسه، فقال ابن عباس : ما ظنك برجل سبقه عضو منه إلى الجنة ؟ رحم الله زيداً ! فإن كان عبد الله منه ؟ فقال : كان عبد الله سيداً شجاعاً، شيطاناً مطاعاً، خيره وساع، وشره دقاع . لئن التفتية، أحوذى الفرزة ، لأئبته منهنه عما أراد، ولا يركب إلا ما اعتاد، سمام المدى، فياض الندى، صعب المقادة، جزل الرقادة. أخو إخوان، وفقى قيان، ثم أشد شعر حسان بن ثابت

أنا قال لم يترك مقالاً لقائل * بمختلفات لا يرى بينها فصلاً

١٠. قضى فثنى ما في القوس فلم يدع * لذي لربة في القوم جدًا ولا هزلاً

ودخل ضراب بن شمرة اليكافي على معاوية بن أبي سفيان فقال له : صف لي علياً فقال له : أو تصفني ؟ فقال : لأخفيك ؟ قال : أما إذ لا بد، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتطلق الحكمة نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبارة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ١٥ ومن الطعام ما خشن، كان والله كأحدنا يديننا إذا أتينا، ويحينا إذا سالناه، وكان مع تحربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيئة له، فإن تبسم فمن مثل لؤلؤ منظوم، يُعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله .

وذكر عمرو بن معديكرب بن سليم فقال : بارك الله على حتى بن سليم ما أصدق
في الهجاء لقامها ! وأثبت في النوازل بلاعها ! وأجزل في الثابتات عطاعها ! والله لقد
قابلتهم فما أجبتهم ، وما جئتهم فما أخطتهم ، وسألتهم فما أجلبتهم .

وقال بعض العرب : فلان حنف الأقران غداة التزال . وريبع الضيفان عشية
التزول .

وقال آخر : فلان ليت إذا غدا ، وبدرانا بدا ، ونجم إذا هدى . وسُم إذا أردى .
ودخل على النعمان بن المنذر بن أمريئ القيس ابن عمرو بن عدى القمي فحياه
بجية الملوكة ثم قال : أيفانرك ذو فائش وأنت سائس العرب ، وضروة الحسب
والأدب ، لأنك أين من يومه ! ولعلبك أكرم من قومه ، وللفاك أحسن من
وجهه ، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنك أصدق من يقينه ولومك أطلع من
رفده ، ولظالمك أشرف من جدته ، ولنفسك أمنع من جندته ، وليومك أزهر من
دعره ، ولفترتك أبسط من شعره ، ثم قال

أخلاق مجذك جلت ما لها خطر ه في البأس والجود بين الحليم والخفي

متوج بالمعالي فوق مقرفة ه وفي الوغى ضيف في صورة القمر

إذا دجا انقلب جلاه بصارمه ه كما يحل زمان الحبل بالمطير

قتل وجه النعمان سرورداً ، ثم أمر أن يُحشى فوه دزاً وكُتبي أبواب الرضى وكانت
حجاب أطواقها الذهب بقصب الزمرد . ثم قال النعمان : هكنا فليمدح الملوكة .
وذو فائش : هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يثصب بن مالك وكان النابغة

مُتَّصِلًا بِهِ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِالْعَيْنِ ، وَلَهُ فِيهِ مَذَائِحُ كَثِيرَةٌ فَاقْتَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّعْيَانِ
 أَنْ يَنْذِرَ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا حُكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى الْجَفْنِيِّ فَقَالَ : أَنَسِمُ
 صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ! السَّمَاءُ غَطَاؤُكَ ، وَالْأَرْضُ مِطَافُوكَ ، وَوَالِدِي وَوَالِدَتِي فِدَاؤُكَ ،
 أَتُنِي بِنَافْسِكَ ابْنَ الْمُنْذِرِ؟ فَوَاقَهُ لَقْنَالُكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ،
 وَلَفْظُكَ خَيْرٌ مِنْ شَخْصِهِ ، وَلَصِمَتُكَ أَجْلَعُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَلِشِمَاكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ ٥
 فَذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ . وَأَنْتَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ
 وَيُسْرَى يَدِيكَ إِذَا عَسِرَتْ ، كَيْفِي يَدِيهِ فَلَا تَمْسُرِي
 أَخَذَ الْمَعْنَى الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ

بَابِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ غَرِيرٍ ٥ بَدَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنُ قَفَاكَ
 وَنَظَرَ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ يَمْلِحُ زُبَيْدَةُ ابْنَةُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ١٥
 الْمَنْصُورِ أُمُّ الْأَمِينِ

أُزَيْبَةُ أَسَنَةُ جَعْفَرٍ ، طَوَّبَى لِرَاثَتِكَ الْمَشَاطِيبِ
 تَعْلِينَ مِنْ رَجْلِيكَ مَا ، تَعْلَى الْأَكْفُفِ مِنَ الرِّغَابِ
 فَلَمَّا أَتَشَدَّ ذَلِكَ تَبَادُرَ الْعِيْدُ لِيُوقِعُوا بِهِ فَقَالَتْ زُبَيْدَةُ : كَفَّوْا عَنْهُ فَلَمْ يَرِدْ إِلَّا خَيْرًا ،
 وَمَنْ أَرَادَ خَيْرًا فَأَخْطَأَ خَيْرَ مَنْ أَرَادَ شَرًّا فَأَصَابَ ، إِنَّهُ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : قَفَاكَ ١٥
 أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِ غَيْرِكَ ، وَشِمَاكَ أُنْدَى مِنْ يَمِينِ سَوَاكَ ، فَقَتَرُ أَنْ هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ ،
 أَعْطَوْهُ مَا أَمَلُ ، وَعَرَّفُوهُ مَا جَهِلُ ، وَمِثْلُهُ : مَدَحُ شَاعِرٍ أَمِيرًا فَقَالَ
 أَنْتَ الْهَلَامُ . ابْنُ الْهَلَا ٥ مِ الْوَاسِعِ ابْنُ الْوَاسِعَةِ
 فَقَالَ لَهُ : مَنْ ابْنُ عَرَقَتَاهَا؟ قَالَ : قَدْ جَرَّتْهَا فَقَالَ : أَسُوا مِنْ شَمْرِكَ ، مَا أَتَيْتَ
 بِهِ مِنْ عُنْرِكَ ! ٢٠

قال دخل خالد بن عبد الله السبكي على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة
فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانت فانت قد زينتها ، ومن يكن شرقة
فقد شرقتها ، وانت كما قال الشاعر

وإذا التذر زان حسنَ وجوه • كان للقر حسنُ وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز : أعطى صاحبكم مقولا ، ولم يقطع معقولا . وقد دخل
عبد الله المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ! بارك
الله لنا في مقدمك ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رعيك ، تقدمت من قبلك ،
وأصبحت من بعدك ، وأياست أن نأمين مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن
بقى فلا نرحوه ، ف نحن جميعا ندعوك ، ونثني عليك . خصب لنا جنابك ، وعذب
شرايك ، وحسنت نصرتك ، وكرمت مقدرتك . جبرت الفقير ، وفككت الأسير ،
فانت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

مازلت في البذل للنوال وإطشلاق لعاف يجرمه علي

حتى تمنى البراء أنهم • عندك أمساوا في القيد والحاق

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرك ، وإن قليلك أكثر
من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ قال :
يا أمير المؤمنين ! المديح كله دون قدرك ، والشعر فبك فوق قدرى . ولكنى أستحسن
قول العتابي

ماذا عسى ماحد يثني عليك وقد • ناداك في الوحي قديس وتطهر

فت الماحد إلا أنت ألسنا • مستطقات بما تمنى الضاهير

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريح المنطق ، جزل الألفاظ ، عريض اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الثمائل ، كثير الطلاوة ، صموتا قولا ، يهنا الحرب ، ويداوى الدبر ، ويفك الحز ، ويطبق المفصل ، لم يكن بالزمر في مروهته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

- وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شبيب يستعمل الكلام يستعده به ، فلو أمرت به أن يصعد المنبر فجاءه لأقتضح ، قال : فامر من أخذ بيده فصحا . المنبر فحمد الله وأثنى عليه رسل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأهل المؤمنين أشباها أربعة ؛ منها : الأسد الخادر ، والبحر الزائر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فأما الأسد الخادر ، فأشبهه منه صوته ومضائه . وأما البحر الزائر ، فأشبهه منه جوده وعطاؤه . وأما القمر الباهر ، فأشبهه منه نوره وضياؤه . وأما الربيع الناضر ، فأشبهه منه حسنه وبهاؤه ، ثم نزل .

- وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ، فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تهمل على مثل هذا المقام في كل حين . قال : وافقه يا أمير المؤمنين ! ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغنم مالك ، وإن عطاءك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ يندل إليك وجهه نقص ولا شين ، فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة : ما رأيت وجها أسمع ، ولا حلما أرحم ، ولا سمية أسمع ، ولا شرأ أبدي ، ولا كفا أندى ، ولا غرة أجمل ، ولا فضيلة أكل ،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدًا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا تبتًا أوفر، ولا أصلاً أطيب،
ولا رأياً أصوب، ولا لفظاً أعذب، ولا عرضاً أنقى، ولا بناءً أنقى، تما خص الله به
ثالث القمرين، وسراج الخالقين، وعماد الثقلين المعتمين بالله .

وقال بعض الكتّاب : إنا من النعمة على المُنَى عليك أن لا يخاف الإفراط ،
ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن يحقه قبيصة الكذب ، ولا يتمي به المدح إلى
غاية ، إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جَدُّكَ أن الداعي لك
لا يجد كثرة المشايخين له ، والمؤمنين معه .

وقال آخر : إني فيما أنشأني من مدحك كالخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر الذي لا يخفى على كل ناظر ، وأيقنت أني حيث أتيت في القول إلى العجز
مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى
علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر في أولها : حبيب الله
عن الحاجب المظفر أعين الثنايات ، وقبض دونه أيدي الحادثات ؛ فإنه مذ كان
أنور من الشمس ضياءً ، وأكل من البدر بهاءً ، وأندى من النيث كفاً ، وأحمى من
الليث أنفاً ، وأحنى من البحر بناهاً ، وأمضى من النصل لساناً ، وأنجبه المنصور بقرى
على سَنِّه ، وأذنب فأخذ بسُنِّه ، وكانت الرياسة عليه موقوفة ، والسياسة إليه مصروفة ،
قصرت الأوهام عن كنه فضله ، وعجزت الأعلام عن وصف مثله ، غير أن الفضائل
لا بد من نشرها ، والمكارم لا غنى عن ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد في المثنوي فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك .

قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
امدح بيت قائله العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر

ألم تر أن الله أعطاك سورة ؟ * ترى كل ملك دونها يتدبَّب
بانك شمس والملوك كواكب * أنا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة مدح عمرو بن هند
تكاد تيمد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ
هو الشمس وانت يوم سعدٍ فافضلتُ * على كل ضوء والملوك كواكبُ
وقال نصيب

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدر المضيء كواكبُ

وقالوا : أبدع بيت قيل في المدح قول النابغة
فإنك كالليل الذي هو مدرِكِي * وإن خِلْتُ أن المتأني عنك واسعُ
وقوله : ” أخلاقُ جِدك “ — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس قول النابغة
* فإنك كالليل الذي هو مُدرِكِي *

فقال الفرزدق

فسلو حمتني الريحُ ثم طلبتني * لكنك كشيءٍ أدركته مقادِرُهُ
وقول النابغة الخنجر ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يتمتع منها بأشياء ، والليل
لا يتمتع منه بشيء . وأخذ سلم الخناس قول الفرزدق فقال
فانت كاللهر ميثوثا حباله * والدرهم لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكك عنانُ الريح أصرفه * في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

وقالوا : أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والحمد لله
قول أبي الصنابية يمدح الرشيد بن المهدي وولده

بنو المصطفى ! هارون حول سريره * نغير قيام حوله وقصوده
تُحَلِّبُ الحائِظَ المهابة بينهم * عيونُ ظباء في قلوب أسود

وقالوا : أمدح بيت قاله العرب قول أبي الطمّحان الفقي

أضاعت لم أصحابهم ووجوهم * دجى الليل حتى ظم الخزع ثاقبه
نجوم سماء كلفا أفض كوكب * بدا كوكب يابى إليه كواكب
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ككثبة

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بختيار بن أوس بن حارثة ، ابن لأم الطائي ،

وكان أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرّ ناصيته ، وأول القصيدة

إذا قيل : أئى الناس خير قبيلة * وأصبر يوما لاتوارى كواكب

فلان بنى لأم بن عمرو أرومة . * علت فوق صعب لانتال مرانبة !

أضاعت لم أصحابهم الأبيات .

ومثله قول ابن أبي السّمط

قى لا يسالى المدبلون بنوره * الى بابهِ أن لا نفضى الكواكب

له حاجب من كل أمر يسينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

ومثله قول الحليّة

نمشى على ضوء أصحاب أضان لنا * كما أضاعت نجوم الليل للشارى

ومثله قول الآخر

وجوه ، لو أنّ المدبلين آغشوا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليل يغفل

وقال عيسى بن أوس يمدح الجنيدي بن عبد الرحمن

- الى مستنير الوجه طال بسؤدد * تقاصر عنه الشاهق المتطاوُل
مدحك بالحق الذي أنت أهله * ومن مَدَحِ الأقوام حقَّ وباطلُ
يعيش الندى مادمت حياً فإن تمت * فليس لي بعد موتك طائلُ
وما لأمرئى عندي تخيلةُ نعمة : سواك وقد جادت على تخالُل

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول الأعشى

فَيُلوِيْنا دى الشمسَ ألفت قاعها : أو القصرَ السارى لألقى ألقالدا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فى الغلو قول طَرْبِج بن إسماعيل

- لو قلت للسيل : دع طريقك والشموج طيه كالمَضْبِ يتلجُ
لا رتد أو ساخ أو لكان له * فى جانب الأرض عنك منعرجُ

ومن الغلو قول أبى تمام فى المعتصم بالله

- يُمَيِّنْ أبى إسحاق طالت يدُ المل * وقامت فتاة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أى النواحي أتيته * فليجئه المعروف والجود ساحله
تمود بسك الكف حتى لو أنه * أراد أنقباضاً لم تُطعنه أناسله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتي الله سائله

وقال العسكري

وكيف يبيت الجارُ منك على صدئى ؟ * وصككك بحرُ بؤة الجود ساحله

وقال أبو هلال السكري يرضه الى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول : إنكم معاشر أهل الحضرة ، لتخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ؟ ثم قال : والله لأنشدتك شعرا يكون لك إماما . ثم أنشدني

• اذا سألت الورى عن كلِّ مكْرمَةٍ • لم تُلفِ نِسْبَتها إلا الى المَسْوولِ
قى حواِدا أعار النَّيْلَ نائِلَه • فَالنَّيْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ
والموتِ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مِتَّه • فى شَتَّةٍ عندَ لَفِّ اللَّيْلِ بِالنَّيْلِ
لو عارضَ الشمسَ ألقى الشمسَ مظْلَمَةً • أو زاحمَ الصُّمَّ أبلِجها الى المَيْلِ
أو بارزَ اللَّيْلَ غَطَّته قِوادمُه • دونَ الخِوافِ كَمَثَلِ اللَّيْلِ فى اللَّيْلِ
أَمْضى مِنَ النِّجَمِ إِنْ نَابَتْه نَائِبَةٌ • وعندَ أعدائِه أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ
ومثله قول الآخر

عَلَّمَ النَّيْتَ النَّدى حَتَّى إِذَا • مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدَ
فَلَهُ النَّيْتُ مَقَرُّ النَّدى • وَلَهُ اللَّيْتُ مَقَرُّ الْجَلْدَةِ

وقال امية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جندعان

• أَذْكَرُ حَاجِئٍ أَمْ قَدْ كَفَانِي • حِياؤُكَ ؟ إِنْ شِئْتِكَ الْحِياُ
كَرِيمٍ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ • عَنِ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
فَارْضُكَ أَرْضُ مَكْرَمَةٍ بَقِيَّتْهَا • بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا مَسَاءُ
ونحوه قوله

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ • وَأَنْتَ الرَّأْسُ تُحْدِمُ كُلَّ هَادٍ

وقال ابن الرومي

قوم يملّون من مجد ومن شرف * ومن غناه عمل البيض واللب
حلوا محلّهما من ككل جمجمة * ففما ودفعا وإطلالا على الرتب
قوم هم الرأس إذ حادهم ذنب * ومن يمثّل بين الرأس والذنب

وقال أبو هلال العسكري

فابشر فأنك رأس والعمل جسد * والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم تك الأيام متقبّة * تسمو إليها ولا للدمر مفتخر

وقال علي بن جبلة

لولا أبو ذؤيب لم تحي عارفة * ولم ينقو نوء مأمول بآمال
يا ابن الأكارم من مدنان، قدموا * وثالث المجد بين العم والخال
وناقل الناس من عديم إلى جدية * وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تُتَرَلّ الأيام مرقما * وتُمسك الأرض عن خفيف وزال
وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بآمال وآجال
تزوّر مخطا تسمى البيض راضية * وتستهل فتبكي أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير

تراه إذا ما جمعه منه للاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائلة

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل المدح يفرح بفرض يناله، وليس هذا

صفة كبير المهمة، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد التقي

ولئن فرحت بما يُنيلك إنه * لهما ينيلك من نداء أفرح

ما زال يعطى ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عقيل يمزح

ومثله قول أبي تمام

أَسْأَلُ نَصِيرَ لَا نَسْلُهُ فَإِنَّهُ • أَحْسَنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الْإِرْفَادِ

وقالوا : أمدح بيت فالتة العرب قول الخطيئة

مَنْ تَأْتِيَهُ تَعَثُّوْا إِلَى ضَوْءٍ • تَجِدُ خَيْرًا ثَارَ عِنْدَهَا خَيْرٌ مَوْقِدِ

وقال القاسم بن حنبل

مَنْ الْبَيْضُ الْوَجْوهُ بَنِي سِنَانٍ • لَوْ أَنَّكَ تَسْتَفْهِى بِهِمْ أَضَاعُوا
لَمْ يُمْسِمْسِ النَّهَارُ إِذَا اسْتَقَلَّتْ • وَنُورٌ لَا يَنْتَبِهُ الْعَمَاءُ
هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَمْلُوءِ • وَمِنْ حُبِّ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
فَلَوَأَتْ السَّمَاءُ دَنْتَ لِمَجْدٍ • وَمَكْرَمَةٍ دَنْتَ لِمُحْمَدٍ

وقالوا أيضا : أمدح بيت قيل قول الأول أيضا

قَوْمٌ، سِنَانٌ أَبُوهُمْ حِينَ تَنْسِبُهُمْ • طَائِرُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَاسُوا
لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمٍ • قَوْمٌ بَعِزُّهُمْ أَوْ مَجْدُهُمْ قَعْدُوا
مُحْسِنُونَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْ نَعِيمٍ • لَا يَتَرَعَّ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حَسَبُوا

وقالوا : أمدح بيت قلته ههنا ، قول مروان بن أبي حفصة في معن

١٥ ابن زائدة

بِهِ مَطِيرٌ يَوْمَ الْإِقْدَاءِ كَأَنَّهُمْ • أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانِ أَشْبَلُ
هُمْ الْمَسْمُونُ الْجَارَ حَتَّى كَانَمَا • لِحَاوِيهِمْ بَيْنَ السَّمَائَيْنِ سَتَرُ
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ • كَأَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمِ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا • أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرَلُوا

وقال العسكري: وأشدّ بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر: لو استعمل

الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمد جادت لنا يده • لم يُحمّد الأجودان: البحر والمطر

وإن أضأت لنا أنوار غُرته • تضاعل النيران: الشمس والقمر

وإن مضى رأيه أو جدّ عزيمته • تأخّر الماضيان: السيف والقدر

من لم يكن حذراً من حدّ صولته • لم يدرك المزعجان: الخوف والحذر

حلو، إذا أنت لم تبعث مرارته • فإن أمرّ فخلو عنده الصبر

سهل الخلاق إلا أنه خشن • ليئب المهرة إلا أنه حجير

لا حية ذكر في مثل صولته • إنصال يوماً ولا الصمصامة الذكر

إذا الرجال طفت آراؤهم وعموا • بالأمر ردّ إليه الرأي والنظر

الجود منه عيان لا آرتياب به • إذ جود كل جواد عنده خبر

وقال: ومن المدح القليل النظير، قول علي بن محمد الأفوه

أوقوا من المحيد والعلية في قُلّ • ثم قواعدهم البأس والجود

مُبط اللقاء إذا شئت محائلهم • بسل اللقاء إذا صيد الصناديد

مُحسدون، ومن يعلق بجلبهم • من البرية يضح وهو محسود

وقالوا: أمدح بيت قاله محتث قول علي بن جبلة في أبي دلف

إنما الدنيا أبو دلف • بين يديه ومحتضره

فأذا ولي أبو دلف • ولت الدنيا على أثره

وهي من القصائد المشهورة، وأولها

ناد ورد النى عن صدره • وأزعوى، والله من وطّره

جاء منها في مدحه

يا دواء الأرض بن فسلدت - ونجيم البسر من عُمرة
كل من في الأرض من عَرَبٍ بين يديه الى حُضرة
مستعير منه مكرمة . يكتسبها يوم مفتخرة
إنما الدنيا أبو دلف

قال العسكري : ومن المدح البارع قول بشار

ألا أيها الطالبُ المبتغي . نجوم السماء يسعى أتم
سمعت بمكرمة ابن العلاء . فانشأت نطلبها لست ثم
إذا عرض ألم في صدره . لما بالعطاء، وضرب البهم
قليل الخليفة إن يظنه . نصيحا ولا خير في المنهم
أنا أيقظتك جسام الأمور . فنبه لها عمرا ثم تم
فقي . لا بيت على ديمته . ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسيفك الدهاء . فيضدو على نعيم أو نقم

قال ومن المدح القليل التظير : قول أمانة بنت الملاح الكلية

إذا شئت أن تلقى قتي لو وزنته . بكل معصية وكل يمان
وق بهم جودا وحلما وسؤددا . وبأسا، فهذا الأسود بن قنان
فقي، كالفتاة البكر، يسفر وجهه . كأن تلال وجهه القمران
أغرأ أبرأخي نزار وعريب . وأوتهم قننا بقول لسان
. فاهمهم مهادنا وأطولهم يدا . وأعلامهم فضلا بكل مكان .

وأضربهم بالسيف من دون جأريه * وأطعمهم من دونه بسنات

كأن العطايا والمنايا بكفه * بجابان مقرونان مؤلفان

ومن المديح البارع قول أبي تمام

رأيت لعايش خلائق لم تكن . لتكحل إلا في اللباب المهذب

له كرم لو كان في الماء لم يغض * وفي البرق ما شام أمرؤ برق خلب

أخو عزيمات بذله بذل محسن * البنا ولكن عذره عذر مذهب

يوئك أن تلقاه في صدر خفيل * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب

وما ضيق أقطار البلاد أضافي * اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وهذي بنات المدح فأجر ذروها * عليك وهذا مركب الحمد فأركب

وقد أحسن المتنوني في قوله

وفية من حمير حمر الظبي * بيض العطايا حين يسود الأمل

شموس مجيد في سموات علي * وأشد موت بين غابات أسل

وقالت الخنساء في أخيها محضر

٥٦

طويل الجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمرها

إذا القوم متوا بأيديهم * إلى المجد يد إليه يدا

فقال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضطربا

فكف القوم ما علم * وإن كان أصغرهم مؤلفا

ترى الحمد يهوى إلى يته * يرى أفضل الكسب أن يجندا

قال آخر

وَمُضْمِدْهُضِيَاتِ الْمَجْدِ طَلَعَهَا ۝ كَأَنَّهُ لَسُكُونُ الْجَاشِ مُنْحَدِرُ
مَازَالِ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ ۝ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ مُخْتَصِرُ

وقال إبراهيم بن التباس

تَلَجَّ السَّنُونُ بِيُوتِهِمْ وَتَرَى لَهَا ۝ عَنْ بَيْتِ جَارِهِمْ أَزْوَارَ مَنَاكِيبِ
وَتَرَاهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَشِفَارِهِمْ ۝ مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبِ
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ ۝ نَهَبَ الْعَفَاءَ وَزَهَّةَ لِلرَّاهِبِ
وقال أيضا

إِذَا السَّنَةُ الشُّبُهَاءُ مَدَّتْ سَمَاءَهَا ۝ مَدَدَتْ سَمَاءَهُ دُونَهَا فَخَلَّتْ
وَعَادَتْ بِكَ الرَّاحُ الْعَقِيمُ لَدَى الْقَرَى ۝ لِقَاحًا فَدَرَزَتْ عَنْ نَدَاكِ وَطَلَّتْ

وقال ابن الرومي

كَأَنَّ مَوَاهِبَهُ فِي الْحَصَى ۝ لَ آثَارُهُ عِنْدَ ضَيْقِ الْحَيْلِ
فَلَوْ كَانَ غَيْثًا لَعَمَّ الْبِلَادَ ۝ وَلَوْ كَانَ سَيْفًا لَكَانَ الْأَجَلُ
وَلَوْ كَانَ يُسْطَى عَلَى قَدَرِهِ ۝ لِأَغْنَى النَّفُوسِ وَأَنْهَى الْأَمَلُ

وقال أبو الحسن بن أبي البصل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لابن أبي طاهر

إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَلَدَتْ لَنَا يَدُهُ ۝ لَمْ يُجِدْهُ الْأَجُودَانُ : الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
وَإِنِ أَضَاعَتْ لَنَا أَنْوَارَ غَرَّتِهِ ۝ تَضَاعِلُ النَّيْرَانُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَإِنِ بَدَأَ رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ ۝ تَانَحِرُ الْمَضَايِيزُ : السِّيفُ وَالْقَطَرُ

ينال بالظن ما كان اليقين به . والشاهدان عليه العين والأثر
 مكانه وزمام الدهر في يده . يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرمة

يطيب تراب الأرض إن نزلوا بها . ويحتمل أن تعلو عليها المنابر
 وما زلت تسمو للعالي وتجنّي . جنى المجد مذ شئت عليك المآزر
 الى أن بلغت الأربعين فألقيت . اليك جماعير الأمور الأكار
 فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز . ولا أنت فيها عن هدى الحق جائز

وقال الشريف الرضي

يا حرس الدهر عن مقالته . كل زمانك عليك مهم
 شخصك في وجه كل داجية . ضحى وى ككل مجمل علم

وقال أبو الحسن السلامي

إذا زرتّه لم تلق من دون بابي . حجاباً ولم تدخل عليه بشافعي
 كجاء الغرات الجع أعرض ورتّه . لكل أناس فهو سهل الشرائع
 تراه إذا ما جئتّه مهللاً . تهلل أبكار الفيوث الموامع

وقال محمد بن الحسين الآمدي

من القوم لما أستغرب المجد غيرهم . من الناس أمسوا منه فوق الغرائب
 إذا سلموا كانوا صليح مراتب . وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
 جواد متى ما وامت الريح شأوه . كبت دون مرمى خنظوه المتقارب
 وبحر ندّى لو زاره البحر حثّت . عجائبه عن فعله بالعجائب

وقال الأصمعي : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبتكي وتقول

فمن للسؤال ومن للنوال * ومن للقال ومن للخطب ؟

ومن للجهة ومن للكفة * اذا ما الكفاة جنوا للركب ؟

اذا قيل : مات أبو مالك * قبي المكرمات قريح العرب

[فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]

قال : قلتُ ليلها، وسألتها عنه، فقالت : فديتك ! هذا أبو مالك الجحام، حتى
أبي منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال اليماد الأصفهاني

حيون ينفون إحسانهم * ويمتدرون كان قد اساموا

اذا أظلم البحر أعلوا عليه * وإن أظلم الخطبُ يوماً ضاموا

بمنلكم قد أقتر الرجال * فتلکم لم تلده النساءُ

وللناس من حسن أيامكم * بلوئكم كل يوم هناءُ

وقال ايضاً

فَلَا تُطَوِّنْ عَلَى أَغْرِ مُعَجِّل * عَرَضَ الْفَلَاحِ إِلَى أَغْرِ مُحَجِّبٍ

لَيْتَ الْوُغَى غَوَتْ الْوَرَى غَيْثَ النَّدَى * بَدْرُ النَّدَى، نَمَ ! وَصَدْرُ الْمَوَكِبِ

وَإِذَا آسَتَى فِي دَمَتِهِ مَالَتْ لَهُ * أَعْنَاقُ كُلِّ مَتَوَجٍّ وَمُعَصِّبٍ

وَتَمَيَّتَ رَأْفَتُهُ حُقُودَ عِدَائِهِ * لَمْ يَحْمِلْ هَيْبَتُهُ عَقُودَ الْمُتَحَنِّبِ

إِنَّ الْمَالِكَ مَا تَرَالُ بِرَأْيِهِ * فِي صَائِبٍ وَيَجُودُهُ فِي صَلِيبٍ

(١) الزيادة عن أمال القائل ج ١ ص ٦٣

يحبوك متذكرا اليك فيأله * من محسن تمرره نجيحة مذهب
يرهب بأصيل في العلاء محيم * شرقا وفرج بالكلام مطيب
وقال أحمد بن محمد النامي

له سورة في البشر تقرأ في العلاء * وثبت في صحيف البطاء وتكتب
إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت العلاء أنوارها تكتب
وأزهر بيض الندى منه في الرضا * وتجر أطراف القنا حين ينضب
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للزنايب مرغب
وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

سيد شادت علاه له * في العلاء آباؤه النجب
وله بيت يمد له * فوق مجرى الأنجم الطنب
سببه بالمصطفى شرقا * وعلى حين يتسب
رنة في العز شاعة * قصرت من مثلها الرتب

وقال ابن نباتة السعدي

يرى الشمس أماً والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى ريب
غثت عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الورى كلهم حسي
فلم أطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب
وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي

لونيلى بالمجد في العلاء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات
يرى الخطوب برأى يستضاء به * إذا دجا الرأى من أهل البصيرات
فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني

قد وجدنا خطأ الكلام فصاحا * بفلنا النسب فيك أمتاحا
وأقضنا ما في الصدور قفاض الممدح قبل النسب فيك أخفاحا
وعمدنا الى علاك فصفتنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بيض مساعيك بالندى أوضاحا
كم كسير جبرته وقصير * مستريح رددته مستباحا
وأمان نحرين بسطت لها في القول حتى أعدتهن فصاحا
وبلاذ جوائح رضىتها بالزعم حتى أنسيتها الجماحا
شهرت منك آل سامان عضا * بجح السعى غربه إنجاحا
لا ينوق الإغناء إلا رجاء * أن يرى طيف مستريح رواحا

وقال أحمد بن محمد التامى

أمير الملا إن العوالي كواسب * علاك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول، سيفك في الطل، * وطرفك ما بين الشكيمة واللبيد
ويمضى عليك الدهر، فملك للملا * وقولك للتقوى، وكفك للرقيد

وقال أيضا

قى، قسم الأيام بين سيوفه * وبين طرفات المكارم والتلايد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * ويبيض يوما بالمضائل والحمد

وقال الصاحب بن عباد

أبها الآملون حطوا سرىما * برفيع الهاد وارى الزناد

فهو إن جاد دُم حاتم طيء * وهو إن قال قل قس إيراد
ولذا ما ربا فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب المأمون من قصيدة

فنى مُلكت بردناه عُلّا * ونُبلا وفضلاً ومجداً وخيراً
إذا ضمته الدست ألفتَه * صحاباً مطيراً وبدراً مُنيراً
وإن أبرؤته ونمى خلقه * حُساماً بتورا وليثاً هَصوراً
وطوراً مُعيداً وطوراً مُييداً * وطوراً مجيراً وطوراً أميراً
ترى في ذراه لسانَ المنى * طويلاً وباعَ اللبالي قصيراً
تضم الأسرة منه ذُككاً * وتحمل منه المذاكي نبيراً

وقال أبو الطيب المتنبي

بمشى الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تائق وتبتدع
من كان فوق محلّ الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة

قد حلّ في مدرج العلياء مرتبة * مطامحُ الشهب عن غاياتها تحفُ
أغرى بوصف معاليه الورى شغفاً * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبته العدا فالدمر معتذر * أو أنكروا فضله فالجهد معترف

وقال السلامي شاعر البيتمة

يزور نائلك العاني وصارمك الشعاصي فتحويها أيدٍ وأعناقُ
في كل يوم لبيت المجد منك غنى * وثروة وليت المال إسلاقُ
كم خضت من بلية للضع زانرة * ماء المنون بها - حاشاك - دفاقُ

وقال المتنبي

أنت الجوادُ بلا من ولا كدير • ولا مطالٍ ولا وعيدٍ ولا مَلِيلٍ

وقال أبو الفرج البهاء

لاغيثُ نعامٍ في الوري خَلَبَ الشُّبْرُق ولا وِرْدُ جوده وشُلُّ
جاد الى أن لم يُبَيِّ نائلُهُ • ما لآ ولم يَسَقِ للورى أَمَلُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة

وَمَنْ عَوَّدَتْهُ الْمَكْرِمَاتُ شِمَاكِلًا • فَلَيْسَ لَهُ عِذَا - وَلَوْ شَاءَ - نَاقِلُ
وإن راسل الأعداء فابجود رُسُلُهُ • اليهم وأطراف السوائِلِ الرِاسِلُ
عَظُمْتَ، فهِذَا النُّهْرُ دَوْلَتُهُمْ، • وَجُدْتَ فهِذَا الْقَطْرُ عِنْدَكَ بِاخِلُ

وقال مؤيد الدين الطغرائي

لَوَدَّبَ رَأْيُكَ فِي كَهْوٍ قَتَا • مَا مَتَّهَا طَنْبٌ وَلَا خَلُّ
أَوْ كَانَ ضَوْؤُكَ لِلْعِزَالَةِ لَمْ • يَحْجِبْ ضِيَاءَ جِيْنِهَا الطَّقَلُ
أَوْ كَانَ لَطْفُكَ فِي الْحَيَاةِ لَمْ • طَافَتْ بِهَا الْأَسْقَامُ وَالْعَلَلُ
أَنْتَ الَّذِي لَوْلَا عِلَاةَ عَفَتْ • طُرُقُ الْهَدْيِ وَأَسْتَبْهَمَ السُّبُلُ
فِي كُلِّ شَعْبٍ مِنْ رَوَيْتِهِ • شُبُّ وَمِنْ آرَائِهِ شُلُّ
يَرْتَدُّ عَنْهُ جَفْنٌ حَاسِدٍ • فَكَأَنَّهُ بِالنَّارِ يَكْتَحِلُ
وَجْهٌ كَيَوْمِ الصَّحْرِ مِنْهُمْ • وَيدُ كَلِيلِ النَّجْمِ تَهْمِلُ
مَسَحَتْ عَلَى الْأَنْوَاءِ رَاحَتَهُ • فَانْسَاقَ مِنْهَا الْعَارِضُ الْمِطْلُ
إِنْ ضَنَّ غَيْثٌ أَوْ خَابَ قَمَرٌ • بَغْيِيْنِهِ وَيَمِيْنِهِ الْبَدَلُ

وقال ابن الرومي

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات - اذا دجون - نجوم
فيها معالم للهدى ومصالح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي

قومٌ بلوغُ الفلام عندهم * طمنُ نحورِ الكجاةِ لا الحلمُ
كأنما يؤلّد الندى مهم * لا يصغرُ عاذرٌ ولا هرمُ
اذا تولّوا عداوةً كشفوا * وإن تولّوا صنيعةً كنتموا
تظن من كثرة اعتذارهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالتخوفُ حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكمُ
أو شهدوا الحربَ لاحقاً أخذوا * من مهج الدارعين ما أحكموا
أوركبوا الخيلَ غيرَ مُسرجة * فإن أنفذهم لها خرمُ
مُشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيمُ
أعيذكُم من صروف دهركم * فإنه في الكرام منهم

وقال أيضا

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيامُ
وكل أناس يتفنون إمامهم * وأنت لأهل المكرام إمامُ

وقال أيضا

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنّها ممدودة في البهائم

وقال المشوق الشامي شاعر اليتمة

يروح الى كسب التنايه ويتدى • انا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجبي الندى • وحقّ العطاء كان أول نائم
يزيد أبنهاجا كلما زار قاصد • كأن به شوقاً إلى كل قادم

وقال السلمي شاعرها

كُتِبَ المُنَاح في لباس والندی • بمن لو رآه كان أصغر خادم
في جيشه نهمون ألفا كثر • وأمضى وفي ثرائه ألف حاتم

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة

يُصَمُّ بالهندي حين يسأله • أسود الوغي بالضرب فوق العائم
فلا ملك إلا ما أقت عروشه • ولا غيث إلا ما أفضت لسانم
ولا نأج إلا ما توليت عَفْده • على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرايك نجم في دجى الليل ثاقب • وعزمك غضب في طلي كل ناجم

وقال المشوق الشامي

ما زال يني كبة للعسل • ويحمل الجود لها رنكا
حتى أتى الناس فطافوا بها • وقبلوا راحته اليثني

وقال المأموني من قصيدة

همام يئس المشرقة ما خطا • ويضحك أباكراً الأمانى راضيا
ولو أن يجرأ يستطيع رقيقاً • إليه لأم البحر جدواه راجيا

ذكر ما قيل في الاختصار

قالوا : أنفريت قالته العرب قول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل ؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر

إذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت .

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيد بنو سعد على عتد الحصى * وأثقل من وزن الجبال سلوؤها

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بنات بني عوف طهاري قية * وأوجههم عند المشاهد غرآن

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيك ما ظلمت قريع * بأن يدنوا المكلم حيث شاعوا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة النبا

قال : أجلس ، لا جلست ، واقه لقد خفت أن تفخر علي !

وقالوا : أنفريت قالته العرب قول الفرزدق

تري الناس ما يبرنا يسبرون خلفنا * وإن نحن أوماننا إلى الناس وقفوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلي في الاختصار

ونحن الحاكون إذا أطعنا * ونحن الماضون إذا عصينا !

ونحن التاركون لما سخطنا * ونحن الآخذون لما رصينا !

وقال إبراهيم بن الباس

إما ترخي أمام القوم مَتَبًا ، * فقد أرى من وراء الخليل أتبَّعُ
يوماً أبَّيعُ فلا أرى على نَسَب * وأستبيع فلا أبقي ولا أدعُ
لأنسالي القومَ عن حَيٍّ صَبَّحُهُمْ * ماذا صنعت؟ وماذا أهله صنعوا؟

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قولُ أعشى ربيعة

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي * بمهتَضِمٍ حتَّى ولا قارِعٍ سَيِّئِ
ولا مُسَلِّمٍ مولاى عند جناية * ولا خائفٍ مولاى من شرٍّ ما أجنى
وإن فِرَّادى من جنبي عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذنى
وفضلتُني في الشمر واللُّبُّ أنى * أقول على علمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وأبنته * على الناس قد فضلتُ خيرَ أبي وأبن

وقال أبو هفان

لعمري لئن بيعت في دارٍ غريبةٍ * بناتى إذ ضاقت على الماكِلِ
لما أنا إلا السيف يا كلَّ جفنة ، * له حلية من نفسه وهو عاطِلُ
قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف في الاختصار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

فقل لغير إن شمتَ سرائنا * فلستُ بشتامين للتشمِّ
ولكننا نأبى الظلامَ وقضى * بكلِّ رقيق الشفرتين مصمِّ
ويجهل أدينا ويحلمُ رأينا * ونشمُّ بالأفعال لا بالتكلمِ

ومن الاختصار قول السموءل بن عاديا من كلمته التي أولها

إذ المرء لم يَدَسَّ من اللومِ عِرضُهُ * فكُلَّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هولمَ يَحمِلُ على النفسِ ضَمِيمُها * فليس إلى حُسنِ التناء سبيلُ

- وقائلة ما بال أسرة عادية * تُنادى وفيها قلة ومحول
 نُصيرنا ألقيل عييدنا * فقلت لها إن الكلام قليل
 وما قل من كُنت بقايا مثلنا * شبابُ نَسأى للملا وكحول
 وما خَرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الأكرين ذليل
 وأنا أناس لا نرى القتل سبة * إذا ماراته طامر وسلول
 يُقربُ حُب الموتِ آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات منا سيدُ حَفْ أنفه * ولا طُلُ منا حيث كان قتيْل
 نَسيلُ على حدِّ الطُبة قوسنا * وليست على غير الطُبة تسيل
 صفونا فلم نكدر وأخلص برنا * إناثُ أطابت حَلنا وغول
 علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نُزول
 فصن كاه المزن ما في نصابتنا * صكهاهم ولا فينا يمهذ بجيل
 وننكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين قول
 إذا سيد منا خلا قام سيد * قولُ لما قال الكرامُ فقول
 وما أنعمت نارنا دون طارق * ولا نَمنا في التازلين نزل
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر معلومة ومجول
 وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول
 مسودة أن لا نسل نصلها * فتغمد حتى يُستباح فيل
 سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم * وليس سواء طلم وجهول
 فإن بنى الديان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتيجول

وقال أبو حلال السكري من قصيدة

وما ضاع مثلي حيث حلت ركابُهُ - بل حيث ضاع المجد مثلي ضائعٌ
ومثلي مخضوعٌ له غير أنه - إذا كان مجهول الفضائل حاضِعٌ
ومثلي متبوعٌ على كل حالة - فإنَّ يتقلب وجه الزمان فتابعٌ

وقال عبد الله بن المعتز

سألتكما بالله هل تملناني؟ - ولا تكتمان شيأ فعندكما خبري
أرفع نيران القسرى لعفاتها * وأصبر يوم الزوع في فترة الثغرى
وأسأل نبلاً لا يُجاد بمثله - فيفتحه يشري ويختمه عُدري؟

ومن الاقتدار قول بعض الشعراء، ويروي الحسن بن ثابت من قصيدة أولها

أنسيمُ ربيك أم خيارُ العنبر - يا هذه، أم ربحُ مسكٍ أُرْفَرُ؟
قول لطيفك أن يصد عن الحنى - سطوات نيرانِ الأسي، ثم أجهري
وانهى دُمائك أن يُصينَ مقاتلي * فينال قومك سطوةً من معشري
إنا من الثغرى الذين يجادلهم - طنعت على كسرى ربحَ صرصر
وسلبن تاجي ملك قيصر بالقفا - وأجترن باب القرب لآب الأصفري
كم قد ولدنا من كرمٍ ماجد - دامي الأظافر أوديع مُطْطِر
خَلِقتُ أنا مله لقايم مرهف - وليذل مكرمة وذروة مسير
يلق الرماح بوجهه وبصدره * ويهيم هامته مقام المنقر
ويقول للظرف أصطر لئبا الفأ - فهدت ركنَ المجد إن لم نصير
والذا تأمل شخص ضيف مُقيل - مُسرَّيل يربال ثوب أغسير
أوما إلى الكؤماء هذا طارق - نحرني الأعداء إذ لم تُحصر

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال ، قال الله عز وجل : (لَنْ تَأْلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وقال تعالى : (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيتوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا عن ذنب السيحى فإن الله عز وجل أخذ بيده كما عثر وفاق له كلما أقصر » وقال صلى الله عليه وسلم : « الجود من جود الله تعالى فجودوا بحود الله عليكم » . « ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة » . « ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة » . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأتقياء . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم ؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متوزعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأهل وإسائك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإسائك الأهل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إسائك بئىء ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه استحقوا شاء الله عز وجل عليهم في قوله : (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تسجيله ، وتصغيره ، وسره . الجود زكاة السعادة ، والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم ، وقال : لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء
- أعط القليل ولا يملك قتله ، فكل ما سد قفرا فهو محمود

وقال علي بن الحسين : الكريم يتج بفضله . والثلثم ينتخر بحاله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما : آتيا الناس من جاد ساد ، ومن تجل رذل ، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرف ، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن في الكرم ، إلا أنه صفة من صفات الله تعالى ، نُسئ بها فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أناكم كريم قوم فأكرموه " . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أصرفت في بذل المال ، قال : إن الله عز وجل قد عودني بمادة أن يتفضل علي ، وعودته أن أنفضل على عباده ، وأخاف أن أقطع المادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد الملهي : إنك متلاف ، قال : منع الجود ، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى : (وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلُقُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . وقال أكنم بن صيفي حكيم العرب : ذلّوا أخلاقكم للطلاب ، وقودوها الى المحامد ، وعلّوها للكوارم ، ولا تقيموها على خلق تدمونه من غيركم ، وصلّوا من رغب إليكم ونحلّوا بالجود يكسبكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل ، تتعجلوا الفقر ، أخذها شاعر فقال

أُمرنُ خوف فقر تصبّته * وأتريت إغناق ما مجبّع

فصرت التقير وأنت الغني * وما كنت تملو الذي تصنع

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأصفياء يأمره بالإغناق على نفسه ويخوفه الفقر ، فأجابه : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالتجشأ وآله يعدكم مفيرة منه وفضلاً) وإني أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فليشكر منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمصلحة ، فلا يقل عليه شيء ، وإما لمفسد ، فلا يبقى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

- أَسْعِدْ بِمَا لَكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا ۖ بَقِيَ خَلَاقُكَ مَصْلِحٌ أَوْ مَفْسِدٌ
فَإِذَا جُمِعَ لِمَفْسَدٍ لَمْ يُغْنِهِ ۖ وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَرَدَّدُ
وقال أبو ذر رضي الله عنه : لك في مالك شريكان ، الحَدَثَانِ ، والوَارِثُ ، فإن
أَسْطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَبْغَضَ الشَّرَكَاءِ حَقًّا فَاصْغُلْ ۖ وَقَالَ بَرْزُجْمُورُ الْفَارَسِيُّ :
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا ، فَاهْتَفِئْ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا لَا تَخْشَى ، وَإِذَا أُدْبِرَتْ عَلَيْكَ ، فَانْتَفِئْ
مِنْهَا ، فَإِنَّمَا لَا تَبْقَى ۖ أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ
١٠ لَا تَجْتَئِزْ بِدُنْيَا وَهِيَ مَقْبِلَةٌ * فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّيْذِيرُ وَالرَّفْءُ
وَأِنْ تَوَلَّيْتُ فَأَحْرَى أَنْ يَجُودَ بِهَا ۖ فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أُدْبِرَتْ خَلْفُ
وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ،
ولو أن أهل البخل ، لم يدخل عليهم من حَرِّ مُجْلِهِمْ ، ومَذَقَةَ النَّاسِ لَهُمْ ، وإِطْبَاقِ
الْقُلُوبِ عَلَى بَغْضِهِمْ ، إِلَّا سَوَاءُ ظَنَّتْهُمْ بَرَبِهِمْ فِي الْخَلْفِ ، لَكَانَ عَظِيمًا ۖ أَخَذَهُ مَحْمُودُ
١٥ الْوَزَائِقُ فَقَالَ

- مَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا جَادَ مَبْتَدَأُ ۖ وَالْبَخْلُ مِنْ سَوَاءِ ظَنِّ الْمَرَّةِ بَاقٍ
وقيل لأبي عَقِيلٍ الْبَلْغِيِّ الْعِرَاقِيِّ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عِنْدَ طَلَبِ الْحَاجَةِ
إِلَيْهِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَغْبَتَهُ فِي الْإِثْمَانِ ، فَوْقَ رَغْبَتِهِ فِي الشُّكْرِ ، وَحَاجَتَهُ إِلَى قَضَاءِ
الْحَاجَةِ ، أَشَدَّ مِنْ حَاجَةِ صَاحِبِهَا .
٢٠

- وقال زياد : كفى بالبخيل عارا، أن اسمه لم يقع في حد قط .
- وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها ، لأنه لا يخلو أن يكون كريما ، فاصون له عِرْضَه . أو ثنيا ، فاصون عِرْضِي منه .
- وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يَجِفُّ بيده قلم ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرني عن الحلة التي خَفَقَتْ عنك النِّصَبَ . وهزئت عليك النِّصَبَ . في التَّيَامِ بِحَوَائِجِ النَّاسِ ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ [تغريد الطَّيْرِ بِالْأَشْجَارِ ، في فروع الأشجار ، وسمعتُ خَفَقَ أوتار العِبدَانِ] وترجع أصوات القيان ، فما طرِبْتُ من صوت قط ، طَرَبِي من شاء حسن ، بلسان حسن ، على رجل قد أحسن ، ومن شُكِرَ لِمَنِمَ حَرْ ، ومن شفاعة عَنَسَب ، لطالب شاكِر .
- قال إبراهيم : قلت ، لله أبوك ! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبيد الله بن عوف الزهري من أجود قريش في زمانه ، فقالت له امرأته : ما رأيت قوما أَلَمَ من إخوتك ، فقال لها : له ؟ وأنتي قلت ذلك ؟ فقالت : أراهم إذا أبسرت أتوك ، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هذا والله كرمهم ، يأتوننا في حال القوة عليهم ، ويركوتنا في حال السجز عنهم .
- وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم ، وكتبه في حاجة وما شاء ، فوضع الشيخ رَجْعَ عصاه التي يتوكأ عليها ، على رجل سعيد حتى أدماها ، مما ناؤه لذلك ، وما ناه . فلما فارقه ، قيل له : كيف صيرت على هذا منه ؟ فقال : خفتُ أن يعلَمَ جنايته .
- فيقطع عن ذكر حاجته .

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

①

والذي انتهى اليهم الجود في الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المزي، وكعب بن مامة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذي جاد بنفسه، وأثر رقيقه بالماء في المفاضة، ولم يشهر له خبر غير هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها: أنه كان إذا أشد البرد، أمر بخلامه يسارا، فأوقد نارا في بقاع من الأرض، لينظر إليها من ضل عن الطريق، وفي ذلك يقول

أَوْقَدَ فَإِنِ اللَّيْلُ لَيْلٌ قَرٌّ * وَالرَّيْحُ يَا وَاقِدَ رِيحٍ صِرٌّ
عَصَى بِرَى تَارَكَ مَنْ يَمُرُّ * إِن جَلِبْتُ خَيْفًا فَانْتَ حُرٌّ

١٠

قالوا: ولم يك حاتم بمسك غير سلاحه وفروسه، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة.

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة أقشعرت لها الأرض، وأغبر أفق السماء، وضئت المراض عن أولادها، لا تبص بقطرة، وأيقنا بالهلاك، فوفاه، إني لفي ليلة صبيحة، بميدة ما بين الطرفين، إذ تصاغى صبيئنا جوطا، عبد الله، وصدي، وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقت إلى الصبيحة، فوفاه ماسكوا إلا بعد هذه من الليل، وأقبل يسألني، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهورت النجوم، إذا بشيء قد رفع كسر البيت، فقلت: من هذا؟ فوفاه، ثم عاد آخر الليل، فقال من هذا؟ فقالت: جارتك خلافة، أيتك من عند صبيحة يتناولون عوى الذئباب، فما وجدت معمولا إلا عليك أبا عدى، فقال: أعجلهم، فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين،

١٥

ويعنى بجانبها أربع كأنها قامة حولها رثالها ، فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بجذبة ،
نفره ، ثم كسّط عن جلده ، ودفع المديّة الى المرأة ، وقال : شاكك ، فأجتمعا على
الحلم تشوى ، وتأكل ، ثم جلّ يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا عليكم بالنار ، وألّطع
بنوبه ناحية ينظر اليها ، لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج اليه متا ، فأصبحتا
وما في الأرض إلا عظم أو جافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما ترعرع ، جعل يُخرج طعامه فإن
وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه ، أنه هلك طعامه ،
قال له : أَلْخَيْ بِالْإِبِلِ ، فخرج إليها ، فوهب له جارية ، وفرسا وفلّوها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج ،
فلما أتى حاتم الإبل ، طَيقَ يَتْنِي النَّاسَ ، فلا يجدهم ، ويأتى الطريق ، فلا يجد عليه
أحدًا ، فبيتا هو كذلك ، إذ بَصُرَ بِرُكْبٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فأتاهم ، فقالوا : ياتى ، هل من
قَرَى ؟ فقال : تسألونى عن القَرَى ؟ وقد تَرَوْنِ الْإِبِلَ ! وكان الذى بَصُرَ بهم ، عَيْدُ
أَبْنِ الْأَبْرَصِ ، وبِشْرَيْنِ أَبِي خَازِمٍ ، والنابغة الذبياني ، وكانوا يريدون النعمان ، فصرح
لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عَيْدُ : إنا أردنا اللبن ، وكانت تكفيها بكرة ، إن كنت
لا بدّ متكلّفا لنا شيئا ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكن رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا
متفرقة ، فظننت أن البليدان غير واحد ، فأردت أن يذكركلّ واحد منكم ما رأى ،
إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا أبتهجوه بها ، وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت
أن أُحْسِنَ إِلَيْكُمْ ، فصار لكم الفضل علىّ ، وإنى أعاهد الله أن أضرب عراقيب
إلى عن آخرها ، أو تهوموا إليها فتقسموها ففعلوا ! فأصاب كل واحد تسعا وثلاثين
بعيرا ، ومضوا على سفرهم الى النعمان ، وأن أبّا حاتم أو جدّه ، سمع بما فعل ، فقال :

- أين الإبل؟ قال : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجدا وكوما ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعرائي به علينا عوضا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أيايلى فعلت ذلك؟ قال : نعم ، قال : والله لا أسألك أبدا ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتمًا ، ومعه جاريته وفرسه وفلوه . قال : فيينا حاتم يوما نائم ، إذ أنتبه ، وحوله نحو مائتي بعير يحمل وتحيطُ بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك ، فقد رزقت مالا ، ولا تعودت الى ما كنت فيه من الإسرار ، قال : فلما نهب بينكم ، فانتبهت ، ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون الثمان ، فلقوا حاتمًا ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُنتُون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليك برسالة ، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعرا ، لعبيد ، وأنشده الليثيون شعرا للناقة ، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : ١٠ صاحب لنا راجل ، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فاختذوها ، وربطت الجارية فلوها بشو بها ، فأظلت فاتبعت الجارية لرتده ، فقال حاتم : مالحقكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

- وأما هرم بن سنان ، فن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير ١٥ إلا أعطاه قتل مال هرم ، وكان زهير يتر بالنادى وفيه هرم فيقول : أنعموا صبا حاما خلا هرما ، وخير القوم تركت ، قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان ، حين كبر ، أخذت بنتيم على يده ، ومنعوه أن يعطي شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال له : آذن مني ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : آذهب فاطلب لطمتك أو ترضى ، فرفضه بنتيم من ماله ، وفيه يقول الشاعر
- والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبع اللطم نائل وعطاء ٢٠

- ومن أخبار الكرام : ما حُكي أن خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، كان
يكثرا جلوس ثم يدعو باليد ويقول: إنما هذه الأموال ودائع العرب لابد من تفرقتها،
فقال ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان، فقام، فقال :
أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرك، فقال : ويحك ! إنها ودائع المكلم ؛ وأبدنا
وكلاؤها، فإذا أنا المُلحق فأعنيته، والظمان فارويناه، فقد أدبنا فيها الأمانة، ومرو
يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من محين عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة،
فقدّمت له عترة فقبلها، ثم قال لأبنته معاوية : ماملك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار،
قال : أذهبها إليها ! فقال له أبنته : إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال،
وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال : إن كانت ترضى باليسير، فانا لا أَرْضى
إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فانا أعرف نفسي، أذهبها إليها، فذهبها إليها .
قال الأحنف : كثرت عليّ الذنابات بالبصرة، لما قُتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة
تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت : مَنْ المقصود هناك؟ فأرسلت إلى قبة، فإذا
شيخ جالس يفيناها، مؤترد بشملة، مُحْتَبٍ بحبل، فسألت عليه، وأنتسبت له،
فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت : تَوَفَّى، قال : فما فعل
عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت : مات، قال : فأى خبر
في حاضرتمك بعدها؟ قال : فذكرت الديارات التي لزمتمنا للأرد وربيعة، قال :
أتم، فإذا راجع قد أراح عليه بالف بيرة، فقال : خذها، ثم أراح عليه آخر مئطتها، فقال :
خذها، قلت : لا أحتاج إليها، فأقصرفت باللائف، وواجه ما أدرى من هوالى الساعة.
وروى عن معن بن زائدة، قال : لما هربت من المنصور، خرجت من
باب حرب، بعد أن ألفت في الشمس أياما، وخففتُ ليحيى وعارضى، ولبست

- جُبَّة صوف غليظة، وركبت جملاً، وخرجت عليه لأمضى إلى الأبدية، قال : فتبعني أسودٌ مثقل سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض على، قتل : ما شئت؟ فقال : أنت بنية أمير المؤمنين قتلته : ومن أنا حتى يطعنني أمير المؤمنين ؟ فقال معن بن زائدة قتلته : يا هذا ! أتق الله وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك، قتلته له : فإن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حقه معي، بأضفاف ما بذله المنصور، لمن جاءه بي فخذ ولا تسفك دمي، فقال : هاته، فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة، وقال : صدقت في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، قتلته : قل، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالاً كله ! قلت : لا، قال : فتصفه ! قلت : لا، قال : فظننته ! قلت : لا حتى بلغ الشر فاستحييت ١٠ وقلت : إني أظن قد قتلته هنا، فقال : ما ذاك بمعظم، أنا والله راجل، ورزق على أبي جعفر، عشرين درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك الماثور بين الناس، وتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، ولا تمسبك نفسك، ولتحر بعد هذا كل شيء ففعله ولا تتوقف عن مكرمة، ثم رمى بالقدال، وخطى خطام الجمل وأنصرف، قتلته : يا هذا ! قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنى، فصيحك، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا، فوالله لا أخذه، ولا أخذ المعروف ثمة أبداً، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خيراً، وكأن الأرض ابتلته، وكان سبب غضب المنصور على معن ١٥ ابن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هبيرة وأبلى في حربه بلاء حسناً.

ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فهداه فقهش وبنش له ونشئ له الوسادة وأضافه ورفده وحمله ، فلما أراد الزجل الرحلة ، لم يمنعه أحد من غلمان وهب ، فانكر الرجل ذلك منع جميل فعله ، فعاتب بعضهم ، فقال له الغلام : إنا أئمانين التازل على الإقامة ولا نعين الراحل على التراق .

وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة البروك ، وبها أصيب فاشتبه الجراح ، فاستسقى ماء ، فألقى به ، فلما تناوله ، نظر إلى عكرمة بن أبي جهل صريحا في مثل حاله ، فرد الإماء على الساق ، وقال : أمض إلى عكرمة بن أبي جهل ، فمض إلى عكرمة بن أبي جهل ، فوجدته قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدايح ، سنذكر ما استجدناه منها .
فمن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشلب ، قال : كان ببغداد قتي يمين ستة أشهر ، فاستقبله يفيض السكك ذات يوم ، فقال : شلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشدني فأنشده

وإذا مررت بقبره فاعقر به = كرم الحجان وكل طرف سايع
وأنضج جوانب قبره بدمائها = فكنا يكون أنا دم وذبايع
فصيحك ، ثم سكبت ساعة ، وقال : ألا قال ؟

أنهبا بي إن لم يكن لكما عقر على ثرب قنبره فاعقراني
وأنضج من دمي عليه فقد كا = ت دمي من نكاه لو تعلمان
ثم رأى يوما بعد ذلك فأتاني ، وقال : شلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشده ٢٠

أعار الجودَ نائلَه .. إذا ما مالهُ نَقَصًا
وإن ليَّ شكا جُبنا * أعار قواده الأسدا

فضحك، وقال : ألا قال؟

عَلِمَ الجودَ النَّدى حتى إذا * ما حكاه عِلْمُ الباسِ الأسد
فله الجودُ مِقْرٌ بالندى * وله الليثُ مِقْرٌ بالجسد

وقال مسلم بن الوليد وهو عما يجوز إيراده في الشجاعة والكرم
يجود بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وأول من أتى بهذا المعنى طهمة بن عتبة حيث قال

تجود بنفس لا يجاد بمنلها * فانت بها يوم اللقاء خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء ، وبالله
عند العطاء، فقد جاد بنفسه كليهما . قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية
يملح العباس بن محمد

لو قيل للعباس يا ابنَ محمد * قل "لا" وأنت غلَّد ما قالنا
إن السباحة لم تزل معقولة * حتى حلت براحتك عقالنا
وإذا الملوك تساريت في بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالنا

فلم يثب العباس ، فقال

هزئتكَ هزّة السيف المحلّل * فلما أن ضربت بك أنثيتُ
فهبها مِدْحَةٌ ذهب ضياعا * كدَّبتُ عليك فيها وأقربتُ

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حظه ، قال : فتو

أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئا من شعرك فأشده

ألا أيها الطالب المستغيث • بن لا يُفِيد ولا يَرْفُد
ألا تسأل الله من فضله • فإن عطاياه لا تَنفَدُ
إذا جئت أفضلمهم السؤا • ل رد وأحشاؤه تَرَعُدُ
كأنك من خشية السؤا • ل في عينه الحية الأُمُودُ
فَإِنِّي أَرَى النَّاسَ قَدْ أُرْعَدُوا • فَإِنِّي أَرَى النَّاسَ قَدْ أُرْعَدُوا
وإِنِّي أَرَى النَّاسَ قَدْ أُرْعَدُوا • بِلُومِ النَّعَالِ وَقَدْ أُرْعَدُوا

ثم مضى ، فقبل لإسحاق : إن هذا الشرعة في أبيك ، فقال إسحاق : أولى له ،
لم عرض نفسه وأحوج أبا الصغانية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ؟

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الآيات ، فقال : أمتدح ربيعة الرقي
العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسنا ، وهي
طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس : يا ابن محمد • قل "لا" وأنت تحخذ ما قلما
ما إن أعد من المكلام خصلة • إلا وجدتك عمها أو خالما
وإذا الملوك تساريت في بلدة • كانوا كواكبها وكنت هلالما
إن المكلام لم تزل معقولة • حتى حلت براحتك حقالما

قال : فبحث إليه بنيتارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ، كاد
أن يُخِن غضبا ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقعة ، من
حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر من كتب
في ظهرها

مدحك مدحة السيف المحلّل * لتبجري في الكرام كما جريت
فهيها مدحة ذهبت ضياعا * كذبت عليك فيها وأقريت
فأنت المسرور ليس له وقاء * كافي إذ مدحك قد زوت

- ثم دفعها إلى الرسول وقال : وضعها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل ، فلما كان من الغد ، أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات ، غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أميرا عنده يجمه ويقمه ، وكان قد هم أن يضرب اليه أخته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ماشاك ؟ قال : هياني ربيعة الرقي ، فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمة أنهجو عني ، وآثر خلق الله عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحت بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالفت في الثناء ، وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلما سمع الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها فلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألت بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟ فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة ميمنا ، فاستحسنها وأستجدها وأعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق ربيعة فتر ، ثم قال للعباس : كم أمتت عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وعص برقه ، فقال ربيعة : أتأبى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة عليه ، فقال : بماقي يارقي كم أتاك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتأبى إلا دينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سومة لك ! أية حال صلت بك عن إتابته ؟ أقله مال ؟ فوالله لقد نولت جفندي ، أم

انقطاع المال عنك ؟ فوالله ما أقطعت بك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ لا ذنب لي ، بل نفسك واقعة فطت بك ذلك ، حتى فضحت أجدادك وفضحتني ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربعة ثلاثين ألف درهم ، وخلعة ، وأمله على بغلة ، ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شرك تعريضا ولا تعريحا ، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه وأظهر له بعد ذلك جفاه وأطراحا .

وقال محمد بن هاني

الواهب الألف إلا أنها بدر * والطاعن الألف إلا أنها نسق
تأتي عطاياه شقي غير واحدة * كما تدافع موج البحر يصطفيق

وقال الرضي الموصوي

ريأت والأيام ظمآنه * من الندى تشوان باليشير
لا يمسك العذل يديه ولا * تأخذ منه نسوة النحمر

وقال أيضا

ذخائره العرف في أهله * وتزات أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبي الصلت التقيّ يمدح عبد الله بن جعدان

أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إن شيتك الجباه؟
وعلمك بالأمور وأنت قرم * لك الحسب المهذب والثناء
صكرهم لا يغييه صبايح * عن الخلق السقي ولا مساء
إذا أفض طبعك المرء يوما * كفاه من تعرضه التناء

وقال الشيخ بن ضرار

تَزُورُ أَمْرًا يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ * وَمَنْ يُعْطِ أَتَمَّتِ الْحَمْدُ يُحْمَدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ، مَنْ تُعْطِهُ الْيَوْمَ نَائِلًا * بِكَفِّكَ، لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْفَدِ
تَرَى الْجُودَ لَا يُدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَقِّهِ * كَمَا الْبُخْلُ وَالْإِمْسَاكُ لَيْسَ يُجْلِدُ
مُفِيدٌ وَمِتْلَافٌ، إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * تَهْلُلُ، وَأَهْتَزَّاهُ تَازِ الْمَهْنِدِ
مَنْ تَأْتِيهِ تَشْوَى إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ
قَالَ : وَلَمَّا سَمِعَ حَمْرُضِي اللَّهَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ ، قَالَ : كَذَبَ ، تِلْكَ نَارُ مَوْسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال السري الرفاء

كَالْغَيْثِ وَاللَّيْلِ وَالْمَلَالِ إِذَا * أَقْسَرُ بِأَسَا وَهَيْجَةً وَنَدَى
نَاسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ * وَذَاكَ كَرُّهُ مِنْهُ كَلِمَا وَعَدَا
وقال أبو الفرج الوائلي
مَنْ قَلَسَ جَدُّوْكَ بِالْفَهْمِ لَمْ * أَنْصَفْ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَكْثَرَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَلَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا عَجَدَ بِأَكْبَرِ الْعَيْنِ
وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة
لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَقْوَمُهُ * تَرَكْنِي أَحْصَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

قال سعيد بن الجاسي : قبح الله المعروف ، إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،
فما المعروف عوضاً من مسألة الرجل ، إذا بذل وجهه ، فقبله خائف ، وفراغته
ترعد ، وجهه يرمخ ، لا يدري أيرجع بشبح الطلب أم بسوء المقلب ، قد بات ليلته

يتمل على فراشه، يعاقب بين شقيقه، مرةً هكذا، ومرةً هكذا، مَنْ حاجته؟ ففطرتُ
بِالله أنا أو غيري، ففُتِل أرجاعهم في نفسه، وأقربهم من حاجته، ثم عزم على، وترك
غيري، قد اتَّشع لونه، ودعب دُم وجهه، فلو خرجتُ له بما أمك لم أكافئه، وهو
على آمن مني عليه، اللهم فإن كانت الدنيا لها عدى حفظاً فلا تجعل لي حظاً في الآخرة.
وقال أكرم بن صيفي: كلُّ سؤال وإن قل، أكثر من كلِّ نوال وإن جل.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمصاحبة: من كانت له إلى منك حاجة،
فليزعمها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.

وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأتني رجل قط، إلا سألتُه عن حاجته، ثم كنت
من ورثائها.

وقال حبيب

عطاؤك لا ينفى ويستغرق المني * وتبقى وجوه الراغبين بماثا

وقال أيضاً

ما ماء كفك إن جادت وإن بجلت * من ماء وجهي إذا أفنته هوض
وقالوا: مَنْ بذل إليك وجهه، فقد وفك حق نعمته.

وقال معاوية الصمصمة بن صوحان: ما الجود؟ قال: التبرع بالمال، والمطاء
قبل السؤال.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه

كريم على العلاتِ جزل عطاؤه * يُكِل وإن لم يُتمد لنوال
وما الجود من يُعطى إذا ما سألته * ولكن من يُعطى غير سؤال

وقال حبيب الطائي

- لئن جحدتك ما أوليت من كرم • إني لفي اللوم أمضى منك في الكرم
أنسى أنسامك والألوان كاسفت • تبسم الصبح، في داج من الظلم
رددت روق وجهي في صفيحة • رد الصقال صفاء الصنارم انخيل
وما أبالي - وخير القول أصدقه - • حقت لي ماء وجهي أم حقت ذبي •

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

- روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو مل قتل حية » .
وقالوا : حدّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المثقة .
وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : حيلة نفس آتية، قيل له : فما النجدة؟ قال :
ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تمجد بفعلها دون خوف .
وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس الذي يشد إذا شتوا، والشجاع :
الداعي إلى البراز والمجيب داعية، والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولّوا .
قال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات، تقول : رجل شجاع، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : بطل، فإذا كان فوق ذلك،
قالوا : بهمة، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : أيس .
وقال بعض الحكماء : جسم الحرب : الشجاعة، وقلبها : التدبير، ولسانها :
المكية، وجناحها : الطاعة، وقائدها : الرفق، وماتنها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وجه كعب بن سعدان إلى
النجاش ، فسأله عن بني المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفي يزيد
فارسا شجاعا ، وجوادهم وشيخهم : قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفتر من
مُدرك ، وعبد الملك : سم نافع ، وحبيب : موت زعاف ، وعبد : ليث غاب ،
وكفالك بالمفضل نجدة ، قال : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلقتهم بخير ،
قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :
كانوا حماة السرج نهارا ، فإذا أليلوا ففرسان الليال ، قال : فأيم كان أنجده ؟ قال :
كانوا كالحقصة المقرضة ، لا يدرى أين طرفها ، قال : فكيف كنتم أتم وعدوكم ؟
قال : كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا اجتهدوا اجتهدنا فيهم ، فقال النجاش : (إن السابغة
للمتقين) .

وقالوا : أجمع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السلمي
أشدُّ على الكتيبة لا أمل * أحضى كان فيها أم سواها ؟
وقد مدح الشعراء الشجاعة وأهلها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي
شجاعٌ كان الحربَ ماشقةً له * إذا زارها فدنه بالخيال والرجل
وقال أيضا

وكم رجال بلا أرضٍ لكثرتهم * تركت جمعهم أرضًا بلا رجل
ما زال طريقك يجرى في دمايتهم * حتى مشى بك مشى الشارب العليل
وقال العباد الإصفهاني

قوم إذا ليسوا الحديد إلى الوغى * ليس الحديد عدوهم في المهرب
للمبذرون النعم عن ورد الوغى * سُقروا تجلَّ بالعباج الأشهب

وقال أبو الفرج البهاء

- واليوم من غَسَقِ الصَّاحَةِ لَيْلَةٌ • وَالكَرُّ يَمْرُقُ بِحَقِّهَا الْمَسْدُودَا
وعلى الصَّفَاحِ مِنَ الْكِفَاحِ وَصِدْقِهِ • رَدْعُ أَحَالٍ بِيَاضِهَا تَوْرِيدَا
والطَّمَنُ يَتَصَبُّ الْجِيَادَ شِيَاتَهَا • وَالضَرْبُ يَهْلِكُ فِي اللَّيْلِ وَقُودَا
وعلى النفوس من الحِمَامِ طَلَاتُحٌ • وَلِخُوفٍ يَنْشُدُ صَبْرَهَا الْمَقْقُودَا •
وأجل ما عند الفوارس حُبُّهَا • فِي طَاعَةِ الْمَرْبِ الْجِيَادَ الْقُودَا
حتى إذا ما فارق الرأى الهوى • وَغدا يَقِينُ عَلَى الظَّنُونِ شَهِيدَا
لم يُخْرِفْ غَيْرُ أَبِي شُجَاعٍ وَالْعَلَا • عَنْهُ سَأَجِي النَّصْرَ وَالْتَابِيدَا



وقال أيضا وروى للبحرئ

- مِنْ كُلِّ مَنَسِّعِ الْأَخْلَاقِ مَبْتِم • لِلْمَخْطَبِ إِنْ ضَاغَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحِيلُ
يسمى به البرق ، إلا أنه فَرَسٌ • فِي صُورَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ
يلقى الرماحَ بِصَدِيرٍ مِنْهُ لَيْسَ لَهُ • ظَهَرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَفَلُ

وقال البحرئ

- مَمَشَرُ أَمْسَكْتَ حُلُومَهُمُ الْأَر • ضَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
فإذا الجندُ جاء كانوا غِيُوتَا • وَإِذَا الْقَتْعُ ثَارَ ثَارُوا أَسْوَدَا
وَكَلَّتِ الْإِلَهِ قَالَتْ لَهُمْ فِي الشَّحْرِ بكونوا حِمَارَةً أَوْ حديدَا

وقال مُسْلِمٌ

لو أنْت قوماً يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً • مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
قوم إذا حَمَى الْوُطَيْسُ لِسِيْمٌ • جَلُّوا الْجَمَاحَ لِلْسَيْوِفِ مَقِيلَا

وقال آخر

عِفَانُ رَوْعٍ وَالسُّرُجُ وَكُورُهَا * وَلِبُوثُ حَرْبٍ وَالْقَنَا أَجْلُهُ
وَبَدُورٌ تَمَّ وَالشَّوَاظِكُ فِي الْوَعَى * هَالَاثُهَا وَالسَّابِرِيُّ غَمَامُ
جَادُوا بِمَمْنُوعِ التَّلَادِ وَجُودُوا * ضَرَا تَحْتَدُّ بِهِ الطَّلَا وَالْمَسَامُ
وَيَجَاوَرَتْ أَسْيَافُهُمْ وَجِيَادُهُمْ * فَالْأَرْضُ تُمَطَّرُ وَالسَّمَاءُ تُسَامُ

وقال آخر

قَوْمٌ، شَرَابُ سَيُوفِهِمْ وَرِيَاحُهُمْ * فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ دَمُ الْأَشْرَافِ
رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ خِيَلُهُمْ بِمَاضِيرِ * كُلِّ لِكَلٍّ جَسِمِ أَمِيرٍ كَافٍ
يَحْتَنُونَ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ * كَتَمَتْ الْأَلْفُ لِلْأَلْفِ
وَيَاشِرُونَ ظُلُمَا السُّيُوفِ بِأَتَمِّهِمْ * أَمَضَى وَأَقَطَعَ مِنْ ظُلُمَا الْأَسْيَافِ

وقال ابن حيوس

إِنْ تَرَدُّ خَيْرٌ حَلُمٍ عَنْ قَسْرِيبٍ * فَاتِّهِمِ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ زَالٍ
تَأْتِي بَيَاضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَنَارِ الشَّقَعِ، خُضْرَ الْأَخْلَافِ حُمَرَ النَّمَالِ

ومما قيل في الصبر والإقدام

قَالَ اللَّهُ مِنْ وَجَلٍ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا
لَكُمْ مُخْلَصُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَكْهُبُوا رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقْتُلُوا نَفْسَ الْعَدُوِّ
وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْبَتُوا وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِنْ جَلَبُوا وَخَبَرُوا فَعَلَيْكُمْ
بِالصَّبْرِ » .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ربِّ حياة ، سبها العَرَضُ الموت ،
وربِّ مَنَّة ، سبها طَلَبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مهلية النصر .

وقال آخر : الصبر مَطِيَّةٌ لا تكبو ، وإن عَنَّفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شَرِيعة ، تمرأوية^(١) .

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إنك لثقي نفسك في المهالك ، فقال : إن لم آت
الموت مستريلا ، آتاني مستجيلا ، إني لست آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتيه من
بغضه ، وتمثل بقول الحصين بن الجهم

تأخرتُ استنقي الحياة فلم أجد * لنضي حياةً مثل أن أتقما
وهي قصيدة مشهورة منها

فلست على الأعقاب تدمي كلومنا * ولكن على أقدامنا تخطر النما

فلاقى هَلْماً من كرام أعرزة * علينا ، وهم كانوا أحق وأظلم

ولا رأينا الصبر قد حيل دونه * وإن كان يوماً فأكواب مظلما

صبرنا ، وكان الصبر منا حجة * بأسافنا يقطعن صكفاً ومعضما

ولما رأيت الود ليس بناقص * عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحزنا

فلست بمحتاج الحياة بسوية * ولا مريحي من خشية الموت سُلماً

وقالت العرب : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة . وكذلك : إن من يقتل مدبراً ،
أكثر من يقتل مقبلاً .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد : أحرص على الموت ،
توهب لك الحياة .

(١). الشرية : المختلة . (٢) الأرية : السل .

وقالت الحكمة : استقبل الموت ، خير من استبداره .

وقال المولى :

محزنة أكفأل خيل على الفتا • ودامية لآنتها ونحوها
حرام على أرماحتنا طعن مدير • وستد منها في الصدور صدورها

وقال أبو تمام

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم • جيش من الصبر لا يحصى له مدد
أنا وأروا لنا يا عارضا ليسوا • من اليقين دروعا مالها زرد
ناوا عن المصرح الأدنى فليس لهم • إلا السيوف على أعدائهم مدد

وما زالت العرب يتماجدون بالموت قهصا ، ويتسايون بالموت على الفرائش ،
ويقولون فيه : مات فلان حنفاً ، وأول من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومدح أعرابي قوما فقال

يتحمون الحرب كأنما • يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب : إن قُتل فقد قُتل أخوه
وأجوه وعمه ، إنا والله لا نموت حنفاً ولكن قهصاً بإطراف الرماح ، وموتاً تحت ظلال

السيف ، وقال السموط بن عادية

وما مات منا سيد في فراشه • ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد القلابة نفوسنا • وليست على غير القلابة تسيل

وقال أيضا آخر

وإنا لتستحل المنايا هومنا • وترك أخرى مرة ما ندوقها

٧٧

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أتقاتل أهل الشام بالنداء ، وتظهر بالمشي في إزار ورداء ؟ فقال : أبا الموت تحفونني ؟ فوالله ما أباي ، أسقطت حل الموت ، أم سقط الموت علي ؟ وقال لأخته الحسن : لا تدعون أحدا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فاجب ، فاق الداعي إليها ما يغ . وللباغى مصرع . وقال رضي الله عنه

• بقية السيف أنمي عددا •

يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونبي .

- وقال ابن عباس رضي الله عنه : عقلت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لهدى به يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على شرفة شرفة من الناس ، يحضهم على القتال ، حتى انتهى إلى ، وأنا في كنف من الناس ، وفي أعيانهم من بني عبد المطلب ، فقال : يا معشر المسلمين ، تعجلوا السكينة ، وكلوا الأمانة ، وألقوا السيوف في الأعماد ، وكلفوا بالظباء ، وصلوا السيوف بالخطأ ، فإنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاودوا الكر ، واستجوا من الفرز ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار في الحساب ، وطبوا على الحياة أنفسا ، وسبوا إلى الموت سيرا مجبعا ، ودونكم هذا الرواق الأعظم ، فإن الشيطان راكب صعدته ، قدّموا للوثبة رجلا ، وأثروا للتكوص أنرى ، فصمنا صمنا ، حتى يبلغ الحق أجله ، والله معكم ، ولن تترككم أعمالكم ، ثم صدرنا ، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ ^{وَقَاتِلُوهُمْ}) فأتواهم ويصرخ عليهم ويصرخ عليهم .

وكان معاوية بن أبي سفيان يمثل يوم صفين بهذه الآيات

- أبت لي شقيق وأبي بلأى • وأخذني الحد بالثمن الربيع

(١) السجح بضم السين : القين السهل .

واقْدَمَى عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي • وَضَرْنِي هَامَةُ الْبَطْلِ الْبَشِيعِ
وَقَوْلِي كَلَّمَا جِشَاتِ لِنَفْسِي • مَكَائِكَ تُجْعِدُنِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَا دَفْعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ • وَاحْيِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِي صَحِيحِ
وَقَالَ قَطْرِ بْنُ الْقُضَاعَةِ أَمِيرَ الْخَوَارِجِ

وَقَوْلِي كَلَّمَا جِشَاتِ لِنَفْسِي • مَنِ الْأَبْطَالُ وَيَمُكُّ لَا تَرَايِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ • عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَايِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا • لَسَا تَبِيلُ الْخُلُودِ بِمَسْتَطَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ • وَدَلَامِي لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَايِي
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَصْبَارِيِّ

يَا نَفْسُ إِنَّكَ لَمْ تَقْتُلِي تَمُوتِي • إِنَّكَ تَسْلَمِي الْيَوْمَ فَلَا تَهْمُوتِي
أَوْ تُبْقِي فِطْلًا عَوِفِي • هَذَا حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ مَلِيَتِ
وَمَا تَمْتَنِي قَدْ قَلِيَتِ • إِنَّكَ تَفْعَلِي فَعَلَهَا هُدِيَتِ
• وَإِنْ تَوَلَّيْتَ قَدْ شَقِيَتِ •

يريد بقوله

• فَإِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهَا هُدِيَتِ •

فَلَّ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَا قَتْلًا فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ بِمَوْتِهِ - وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ يَصِفُّنَ حَتَّى
يَخْفُ بَيْنَ الصَّنِينِ وَيُشَدُّ

مِنْ أَى يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْزُ • يَوْمٌ لَا يُخْشَرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِّرَ
فَيَوْمٌ لَا يُخْشَرُ لَا أَرْهَبُهُ • ثُمَّ مِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْخَيْرُ

٢٠

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

• هاجَ الفراق لقلبك المهتاج •

منها

قل للجبان إذا تأخر صرحه • ما أنت من شرك المنية ناجي

وقالت امرأة من عبد القيس

أبوا أن يفروا والفتن في محورهم • ولم يخفوا من خشية الموت سلماً
ولو أنهم فروا لكانوا أعزّة • ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً

وقال حبيب بن أوس الطائي

فَأَثَبْتُ فِي مَسْتَقْعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ • وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَنْتَحِمَكِ الْحُسْرُ
وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ • عَلَيْهِ الْخِفَافُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
غَدَاً غَدَوَةً وَالْحَمْدُ نَسْجُ رَدَائِهِ • فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ
تَرَدَّى ثِيَابُ الْمَوْتِ حُمراً فَمَا أَتَى • لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سَدَسِ خَضَرُ

وقال

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَفِيدَ حَسِبْتَهُمْ • لَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْمَنِيَّةَ تُحَلِّقُ
أَنْظُرْ بِحَيْثُ تَرَى السُّيُوفَ لَوَامِعاً • أَبْداً وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ تَنَائِقُ

وقال البيهقي

يَسْمَى إِلَى الْمَوْتِ وَالْفَتَا قَصْدً • وَخِيَلَهُ بِالرُّمُوسِ تَتَصَلُّ
كَأَنَّهُ وَاقٍ بِأَنْتَ لَهُ • عُجْراً مُقْبِياً وَمَا لَهُ أَجَلُ

وقال كعب بن مالك

• قَصَلُ السُّيُوفِ إِذَا قُصِّرْنَ بِمُحَلِّوَتِنَا • قَدَمًا وَتَحْقُوقَهَا إِذَا لَمْ تُحْمَلْ

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة

لو كان في الألف من واحد فدعوا • من فارس؟ خالم إياه يمنونا
إذا الحكمة تقوا أن يصيهم • حد الطلبة وصلناها بإيدنا

ومثله قول الآخر

إذا قصرت أسافنا كان وصلها • خطانا إلى أعدائنا فتقارب

ومثله قول وذاك بن جميل المازني

مقاديم وصلون في الرّوع خطوهم • بكلّ رقيق الشّفيعين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم • لأية حرب أم باى مكلف

وقال أبو تمام في سعة الخطو

خطو، ترى الصارم الهندى متصرا • به، من المازن الخطى متصفا

وقال آخر

كأن سيوفه صيفت عقودا • تجول على القرائب والتحوير
وشمر رماحه جملت همودا • فلا يخطر إلا في ضمير

وأجود ما قاله نعت في الصبر قول ابن الرومي

أرى الصبر محمودا وعنه مناهب • فكيف إذا ما لم يكن عنه منهب؟
هناك يفتح الصبر، والصبر واجب • وما كان منه كالضرورة أوجب
فشدّ امرؤ بالصبر كفا فإنه • له عصمة، أسبابها لا تحسب
هو المهرب الميحي لمن أحلفت به • مكاره دهر ليس منهق مهرب
لبوس جمال جنة من شماتة • شفاء أسى يقي به ويُسوّب



- فيا عجا للشيء هذى خلاله * وتارك ما فيه من الحظ أعجب
وقد يتقن الناس أنت أسام * وصبرهم فهم طباع مركب
فلنهما لوسا كشيء مصرف * بصرفه ذونكة حين ينكب
فإن شاء أن يأسى أطلع له الأسي * وإن شاء صبرا جاء الصبر يطلب
وليس كما ظنوها بل كلاهما * لكل لبب استطاع مسب
بصرفه المختار منا فتارة * يراد فباتي، أو يراد فيذهب
إذا احتج بحج على النفس لم تكه * كل قدر يسقى لها تستعب
وسامعها الصبر الجليل فاقبلت * إليها له طوعا جئات مجتب
وإن هو منها الأباطيل لم تزل * تقابل بالتب القضاء وتقلب
فيضيحي جزوا إن أصابت مصيبة * ويمسى حلوا إن تمدر مطلب
فلا يمدن التارك الصبر نفسه * بأن قيل : إن الصبر لا يتكسب

ذكر ما قيل في وفور العقل

- قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : صبر عن العقل بالقلب، لأنه عمله وسكنه، وقال تعالى : (وَلْيَذْكُرْ
أُولُو الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ
فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما خلق الله العقل، قل
له : أقبل، فاقبل، ثم قل له : أدبر، فادبر، ثم قل : وهزني وجلالي، ما خلقت
خلقا أكرم من منك، بك آخذ، وبك أعتل، وبك أتيب، وبك أطاقب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام، فمن كنَّ فيه كلُّ عقله، ومن لم يكن فيه جزء منها، فلا عقل له »، قيل : يا رسول الله، ما أجزاء العقل ؟ قال : حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى، ويرقه عن ردى، وما تمَّ إيمان عبيد ولا استقام دينه، حتى يكملَّ عقله » .

ومن عمر رضى الله عنه أنه قال لقيم الدارنى : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل، قال : صدقت، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك، فقال كما قلت، ثم قال : سألت جبريل ما السؤدد ؟ فقال : العقل .

١٠ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله، بأى شيء يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل، قلت : أليس إنما يعززون بأعمالهم ! فقال : « يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل، فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، ويقدر ما عملوا يعززون » .

١٥ وعن سعيد بن المسيب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يا رسول الله، من أعلم الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : أليس العاقل من طهرت مروءته، وظهرت فصاحته، وجلدت كفه، وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا نَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) إن العاقل هو الذى وإن كان في الدنيا خسيما دينيا .

وورد في الأثر : « أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة ، فاختار العقل ، فقبل للدين والحياة : أرغما ، قال : لا ، قال : أفعصيتا أمر ربكما ؟ قال : ما عصيتا أمر ربنا ، ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان » .

وقال لقمان لأبيه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة ، حسنُ العقل ، لأن العبد إذا حسن عقله ، غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئيه ، ورضى عنه خالقه ، وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون علما بأهل زمانه . مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شيء يميز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأعلى ، ولو بيع ، لما اشتراه إلا العاقل لمعرفة بفضله ، وأول شرف العقل أنه لا يشتري بالمال .

قال أبو عطاء السندی

فإن العقل ليس له إذا ما * تذكرت الفضائل من كفاء

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفوس بينهما حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق ملكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً ، فإذا اجتمعا أجابت طوط أو غيرها .

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء، في حدّ العقل، قيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفلاً، وقيل : النظر في المواقب، وقال المتكلمون : هو أسم لعلوم اذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهوته، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم، وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين .
وشرّ الشرين .

قال أبو حلال : ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال، بأقوام جعلوهم أعلاماً فيها، فضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة، فقالوا : أحلم من الأحف، ومن قيس بن عاصم، وأجود من حاتم، ومن كمب بن مامة، وأشجع من إسظام، وأبين من سمعان، وأرى من ابن يقين، وأعلم من دغقل . ولم يقولوا : أعقل من فلان، فعملهم لم يستكملوا عقل أحيد، على حسب ما قال الأصمعي، وقد قيل له : حد لنا العقل، فقال : كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

وقيل للحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعاً في أحد فاصفه، وما لا يوجد كاملاً فلا حد له .

وقالوا : لكل شيء غاية وحد، والعقل لا غاية له ولا حد، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

واختلفوا في ماهية العقل، كما اختلفوا في حدّه، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعاً وضررة في القلب، كالنور في العين وهو البصر، فالعقل نور في القلب، والبصر نور في العين، وهو ينقص ويزيد، وينهب ويوود، وكما يدرك بالبصر شواهد

الأمور، كذلك يدركُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، ونعمي القلب كعمى البصر، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الأعمى من عمى بصره ، ولكن من عميت بصيرته » .

- وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عتبة المعروف بالعتبي : العقل عقلان ، عقلٌ تفرد الله تعالى بصنعه ، وهو الأصل ، وعقلٌ يستفيد المرء بأدبه وهو الفرع ، فإذا اجتمعا ، قوى كل واحد منهما صاحبه ، تقوية النار في الظلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال ، ويروى لمل بن أبي طالب رضي الله عنه

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : * فَطَبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

- ١٠ ولا ينفع مَسْمُوعٌ - إذا لم يك مطبوعٌ

كَمَا لَا تَنفَعُ الشَّمْسُ * وَضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وأكثرُ الناس على أَنَّ العقلَ في القلب ، ودليله قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا ؟ يُدْعَوْنَ يَمْشُونَ فِيهَا أَوْ آذَانُ يَسْمَعُونَ فِيهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

- ١٥ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل » .

وقال بعضهم : هو في الدماغ ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به قليل : العقل وزير رشيد ، وظهير سعيد ، من عصاه أ: داه ، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أجل من فضيل عقيل يتردى به الرجل إن
أنكسر جبره ، وإن تصدع أنثىه ، وإن ذل أعزّه . وإن أعوج أقامه ، وإن عثر
أقاله ، وإن أقفر أغناه ، وإن عرى كساه ، وإن غوى أرشده ، وإن خاف أخشه ،
وإن حزن أفرحه ، وإن تكلم صدقه ، وإن أقام بين أظهر قوم اعتبطوا به . وإن
غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا : جواد . وإن قبضها قالوا : مقتصد .
وإن أشار قالوا : عالم ، وإن صام قالوا : مجتهد ، وإن أفطر قالوا : معذور .

قال بعض الشعراء

يُعدّ رفيعُ القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن في قومه بحبيب
وإن حلّ أرضا عاش فيها بقله * وما عاقلٌ في بلدةٍ بفريب

وقال بعض الحكماء : إذا غلب العقل الهوى ، صرف المساوى إلى المحاسن ، فجعل
البلدة حلما ، والحلّة ذكاء ، والمكر فطنة ، والمقدر بلاغة ، والبي صمتا ، والعقوبة
أدبا ، والجبن حذرا ، والإسراف جودا .
وقيل : لو صور العقل لأضاء معه الليل ، ولو صور الجهل ، لأنظّم معه النهار .

قال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيعم * أدنى إلى شرف من الإنسان
وقد تُدبّ إلى صحبة العقلاء .

قال الزهيرى : إذا أنكرت عقلك ، فاقصد به عاقل . قال ابن زُرارة : جالس
العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء ، فإن العقل يقع على العقل .

قال بعض الشعراء

عدوك ذو العقل أبقى عليك * وأبقى من الوامق الأحسنى

وقال آخر

فقد دُرَّ العقل من راشِدٍ * وصاحب في البير والسير
وحاكم يقضي على غائب * قضية الشاهد للآثم
وإن شئتاً بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قوَى ، قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

وقال آخر

إذا لم يكن السر عقل فإنه * - وإن كانا قدر على الناس - هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله ، * وأفضل عقل من يتبين

وقال آخر

العقل حلة خفي من سرها * كانت له تشبهاً بيني عن النسيب
وأفضل العقل ما في الناس كهم * بالعقل يخبر القى من حومة المطيب

وقال ابن دويد

وأفضل قسم الله السر عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين القى في الناس محنة عقله * وإن كان محظورا عليه مكابيه
ويزرى به في الناس قلة عقله * وإن كرمتم أعرافه ومناسبه
إذا أكل الرحمن للسر عقله * فقد كُتبت أخلاقه ومآربه

وقال آخر

ما وعب الله لكرمى هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال القى ، فإن صمما * فإن فقد الحياة أضع به

وقال أنس

ولم أرَ مثلَ التفسيرِ أَوْضَعَ للفقى * ولم أرَ مثلَ المالِ أَوْفَعَ لِلنَّسْلِ
ولم أرَ مَنْ عُدِمَ أَضَرَّ عَلَى الْفَقَى * انا عاشَ مِنْ النَّاسِ مَنْ عَدِمَ الْعَقْلَ

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عز وجل مبشرا للصادقين : (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِنْفُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعْرُوا الصَّدَقَ » فإن الصدق يجدي الى البر، والبر يجدي الى الجنة ، وإن المرء ليتحرى الصدق ، حتى يكتبَ صديقا » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عملُ أهل الجنة ؟ قال : الصدق ، إذا صدق العبد برًّا ، وإذا برًّا أمينًا ، وإذا أمينًا دخل الجنة . قال : يا رسول الله ما عمل أهل النار ؟ قال : الكذب ، إذا كذب العبدُ بغيره ، وإذا بغيره كفر ، وإذا كفر دخل النار .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يُعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه . ومن كلام علي رضى الله عنه : الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك ، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء . الصدق أزين حلية ، والمعروف أربح تجارة ، والشكر أدم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام ، فقلت : أى الكلام أجسن ؟

فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ماذا ؟ قال : ما استحسنته سامعه ، قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونيقُ الحمارِ بمنزلة .

وقال الأحنف لأبيه : يا بني ، يكتفى من شرف تصدق . أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ، ومن دناءة الكذب . أنت الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه ، لكل شيء حيلةٌ ، وحيلةُ المطلق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب المدائني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوّده لسانه . فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم . في كفّ الشجاع ، بأمر من الصدق .

- وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعجوز تبيع اللين ، فقال لها : يا عجوز ، لا تنفسي المسامين ، ولا تشوي لبك بالماء ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوي لبك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فكلمتُ بنتُ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمّنا ، أغشاً وحثاً جمعتِ على نفسك ؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أمّ عاصم . تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز .

وروي أن يلالاً لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذبه فسايهه ، فقال له : يا يلال ما سنُّ فوسك ؟ قال عظم ، قال : فما جريه ؟ قال :

يحيض ما استطاع ، قال : فابن تزل ؟ قال : حيث أضع قدمي ، قل : أن من أنت ؟
 قل ابن أبي وأمي ، قل : فكيف أتى عليك ؟ قال : ليالي وأيام ، الله أعلم بعد ذلك .
 قل : هيات . أعيت فيك حيتي . ما اتعب بعد اليوم أبدا .

ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . وقال تعالى :
 (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) . وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
 إِلَىٰ أَهْلِهَا) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .
 وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :
 عليك بصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وحفظ الأمانة ، فإنها وصية الأنبياء .

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، حتن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على أخته زينب ، تاجرا تضاربه قريش بأموالهم ، فخرج إلى الشام سنة
 الهجرة ، فلما قدم ، عرض له المسلمون ، وأسرروه ، وأخذوا ما معه ، وقسموا به
 المدينة ليلا ، فلما وصلوا الفجر ، قامت زينب على باب المسجد ، فقالت :
 يا رسول الله ، قد أجزت أبا العاص وما معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 قد أجزنا من أجزيت ودفع إليه ما أخذوه منه ، وعرض عليه الإسلام ، فأبى ، وخرج
 إلى مكة ، ودعا قريشا ، فاطعمهم ، ثم دفع إليهم أموالهم ، ثم قال : هل وقيت ؟
 قالوا : نعم . قد أدت الأمانة ووقيت ، قال : تشهدوا جميعا ، إنى أشهد أن لا إله
 إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وما مني أن أسلم إلا أن يقولوا : أخذ أموالنا ، ثم
 هاجر ، فآخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح ، وتوفي في سنة اثنتي عشرة .

(١) ائلقن : الصبر أو كل من كان بين يدي المرأة كالأب والأخ ورجله : أخذته .

وقيل لَمَّا قَوِيَ أَمْرُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَظَهَرَ، قَالَ مَرْوَانُ بْنُ عَمْدٍ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يُمَيْي
كَاتِبِهِ : إِنَّا نَجِدُ فِي الْكِتَابِ ، أَنَّ هَذَا الْأَمَرَ زَائِلٌ عَنَّا لَا عِمَالَةَ ، وَسَيُظْهِرُ إِلَيْكَ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ، بَنِي وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، فَصِرَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُتَكَنَّ مِنْهُمْ ، فَتَضَعُنِي
فِي مَخْلَقٍ ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِي ، فَقَالَ : وَكَيْفَ لِي بِعِلْمِ النَّاسِ جَمِيعًا أَنَّ هَذَا مِنْ
رَأْيِكَ ، وَكَلَّهِمْ يَقُولُ : إِنِّي غَدَرْتُ بِكَ ، وَصَرْتُ إِلَى عَدُوِّكَ ؟ وَأَنشَدَ
أَمْرٌ وَفَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرَ غَسَدَةً * فَمَنْ لِي بِضَرْبِ يَوْسَعَ النَّاسِ ظَاهِرَةً

ثُمَّ قَالَ

وَلَوْ كُنْتُ ظَاهِرًا لَا شَكَّ فِيهِ * لِلْأَثَمَةِ وَصَرِيٍّ بِالْمُعِيبِ

فَلَمَّا سَمِعَ مَرْوَانَ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ : إِنَّ الَّذِي أَمَرْتَنِي
بِهِ ، لَا تُفْعَلُ إِلَّا مِنَ الْأَمْرِينِ لَكَ ، وَأَقْبَحُهُمَا بِي ، وَلَكَ عَلَى الصَّبْرِ مَعَكَ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكَ ، أَوْ أَتَقْتَلَ مَعَكَ .

وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثَلَ فِي الْوَفَاءِ بِالسُّمُوعِلِ بْنِ عَدِيَّاهِ الْأَزْدِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ
الْكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ ، أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ شُجْرٍ ، أَوْدَعَهُ
أَدْوَاةَ مِائَةٍ ، فَأَنَاهُ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ، وَيُقَالُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرَةَ التَّمَّانِيُّ ، لِأَخْذِهَا
مِنْهُ ، فَتَحَقَّنَ مِنْهُ السُّمُوعِلُ ، فَأَخَذَ أَبْنَاءَهُ غُلَامًا وَنِجْلًا : إِمَّا أَنْ أَسْلَمَتْ
إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَإِمَّا أَنْ قُتِلَ أَبْنَاكَ ، فَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَهَا ، فَقَتَلَ أَبْنَاهُ بِالسِّيفِ ، فَفِي
ذَلِكَ يَقُولُ

وَقَيْتُ بِأَنْدَرُجِ الْكِتْنِيِّ ، إِنِّي * أَنَا مَا الْقَوْمُ قَدْ غَضُّوا وَقَيْتُ

وَأَوْصَى عَدِيَّاهُ يَوْمًا بِأَنْ لَا * تُهْتَمَّ بِالسُّمُوعِلِ مَا بَنَيْتُ

وفيه يقول الأغشى

كن كالسمومل إذ طاف الملمم به * في بحقل كسواد الليل جزار
الآباق الفرد من نيماء منزله * حصن حصين وجار غير غفار
قد سامه خُطتي خسف فقال له : * قل ما بنا لك إني سامع حار
فقال : نكل وغدر أنت بينهما * فأختر وما فيهما حظاً لمختار
فغار غير طسويل ثم قال له : * أقتل أسيرك إني مانع جارى

ومن وفاة العرب ، ما فعله هاني بن مسعود الثنياني ، حتى برّ ذلك يوم ذي قار ،
وكان من خبره : أن الثنيان بن المنذر لما خاف كسرى ، وعلم أنه لا منجى منه
ولا ملجأ ، رأى أن يضع يده في يده ، فأودع ماله وأهله عند هاني ، ثم أتى كسرى
فقتله ، وأرسل إلى هاني يطالبه بوديعة الثنيان ، وقال له : إن الثنيان كان عاملي ،
فأبست إلى بوديعة ، وإلا بشت إليك يمينود تحتل المقاتلة ونسب النّزيرة ، فبعت إليه
هاني : أن الذي بلغك باطل ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين ، إما رجل
استودع أمانة ، فهو حقيق أن يردّها على من استودعه إياها ، وإن يسلم الخمر أمانته ،
أو رجل مكذوب عليه ، وليس ينبغي لذلك أن يأخذه بقول عدوّ ، فبعت كسرى إليه
الجنود ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبعث معه الكتيبة الشّهباء
والأساورة^(١) ، فلما ألتقوا ، قام هاني بن مسعود ، وحرض قومه على القتال ، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها ، وسند ذكرها إن شاء الله في وقائع العرب ،
فأقتصر هاني وأنهزمت الفُرس ، وكانت وقعة مشهورة ، قيل : وكان مرناس في عيّن
عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السّجّان : أنا أحبّ أن أوليك حسنة ، قال :
فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك أفتدخّل على ؟ قال : نعم ، فكان يفعل ذلك به ،

(١) الأساورة جمع أسوار الفهم والكسر وعرفاء الفرس .

فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله : أتى الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السجّان، فرجع وقال للسجّان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه، فقال له السجّان : خذ أي طريق شئت، فأجج بنفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب^(١) الى بعض جبايين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبيكي، فجاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت

فإن تسألني عن هواي فإنه * بحمّاء هذا القبر يا فتيا
وإني لأستحيه والتربُّيتنا * كما كنت أستحيه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن ثائلة بنت القرافصة زوج عثان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردّته، وقالت : ما يجب الرجال مني؟ قالوا : شياك، فكسرت ثيابها، وبشت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وامرأة هذبة لما قُتل زوجها، قطعت أنفها وشفّتها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرض فيها .

وحيث ذكر الوفاء والحفاظة، فلنذكر بيعة خليفة وعيين، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهي : تباع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار واعتقاد وإخبار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من نيتك،

(١) البجّين جمع بجة .

وأنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طامعا غير مُكْرَه، ومقادا غير مُجْبَر، مُقَرًّا
بفضلها، مُدْعَاً بحقها، ومعتزفاً بركتها، ومُمتنّاً بحسن عائلتها، وطليبا بما فيها،
وفي توكيدها من صلاح الكفاية، واجتناع كلمة الخلاصة والعانة، ولم الشَّعْب، وأمن
العواقب، وسكون الدُّهُمَاء، وعِزَّ الأُولِيَاء، وقَمَّ الأَعْدَاء، على أن فلانا عبد الله
وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام
بحقه، والوفاء بعهده، لَا تُشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا تَبِيلُ،
وَلَكَلَّكَ وَلَى أُولِيَاءَهُ، وَصَدَّقْ أَعْدَاءَهُ، مِنْ خَاصِّ وَعَلَمٍ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ
وْغَائِبٍ، مَتَمَسِّكٍ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ، سِرِّكَ مِثْلَ عَلَانِيَتِكَ،
وَضَمِيرِكَ فِيهِ وَفْقَ ظَاهِرِكَ، عَلَى أَنْ إِعْطَاكَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَوَكَّدَكَ إِيَّاهَا
فِي عَقْلِكَ، لِفَلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَاسْتِغْنَاءَةٍ مِنْ عِزِّكَ،
وَاسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ، عَلَى أَنْ لَا تُتَاوَلَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَلَا تُسَمَّى فِي تَقْضِ شَيْءٍ
مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نَصْرَةِ لَهُ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَلَا تَدْعُ النَّصْحَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاحَةٍ
وَحَادَثَةٍ، حَتَّى تُلْقِيَ اللَّهَ مُوْفِيَا بِهَا، مُؤَدِّيَا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا، إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ وَلَاءَهُ
الْأَمْرَ وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ (إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَرَأَيْنَا
يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ) عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الَّتِي طَوَّقَتْهَا عَقْلُكَ، وَبَسَطَتْ لَهَا يَدُكَ،
وَاعْطَيْتَ مَا شَرَطَ عَلَيْكَ فِيهَا، مِنْ وَفَاءٍ، وَنُصْحٍ، وَمُؤَالَاةٍ، وَمَشَايِعَةٍ، وَطَاعَةٍ،
وَمَوَاقِفَةٍ، وَاجْتِهَادٍ، وَمِبَالَغَةٍ، عَهْدَ اللَّهِ إِنْ عَهْدَهُ كَانَ مَسْئُولًا، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى
أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ وَكَدَاتِ مَوَائِقِهِ،
وَمُحْكَمَاتِ عُهُودِهِ، وَعَلَى أَنْ تَحْسِكَ بِهَا، فَلَا تُبَدِّلُ، وَتَقْسِمُ، فَلَا تَبِيلُ، وَإِنْ نَكَثَتْ
هَذِهِ الْبَيْعَةُ، وَبَقِلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا، أَوْ عَفِيَتْ رِسْمًا مِنْ رِسْمِهَا، أَوْ غِيَرَتْ

- حكما من أحكامها، مملنا أو مسرّاء، محتالا أو متاولا، أو زُغْتَ عرب السبيل التي يسلكها من لا يحقر الأمانة، ولا يستحل القدر والخيانة، ولا يستجيز حلّ العقود والعهود، فكلّ ما تملكه من عين أو ورق، أو آنية أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعقّدة، والأموال الملتخنة، صدقة على المساكين، يحزم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالك، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخارج الإيمان، فكلّ ما ضيحه عمرك من مال يقلّ خطره أو يحلّ فلك سبيله الى أن تتوفّك [مينك، أو ياتيك^(١) أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه الى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونسألك يوم يلزمك الحنث وما تروّج بعدن مدة بقائك طوالق ثلاثا، طلاق الحرج والسنة لامتنوية فيها ولا رجعة، وملك المشي الى بيت الله الحرام، ثلاثين حجة حافيا واجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا، وهذاك يوم تحتاج اليه، وبرّك من حوله وقوته، وأجلك الى حولك وقوتك والله عز وجلّ بذلك شهيد (وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا) والله على ما تقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

- ١٥ قال الله تبارك وتعالى : (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) . وقال الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ) قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعا .

(١) الكلام الذي يحدّ هذا المربع يقبى في صحيفة ٢٥٠ بمرجع منه وهو ساقط بالأصل ويضع في صحيفتي (٧٢ و ٧٤) وقد قلنا من النسخة الرابعة .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُتِنَ على حمار، خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا عني » .
 ٥ . وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رقة تواضعوا برؤسكم الله ، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا غناء فصمتوا بزدكم الله . وقال عروة ابن الزبير : التواضع أحد معابد الشرف ، وفي لفظ " سلم الشرف " . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع ، فليل له : وما التواضع ؟ قال : أن ترضى من المجلس بدون شركك وأن تُسلم على من لقيت ، وأن تترك المرء وإن كنت عِفاً .

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المرء فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمة الفتاعة الراحة ، وثمة التواضع المحبة ، وقيل : التواضع نعمة لا يقطن لها الحاسد ، وقيل : التواضع كالوعدة يجتمع فيها قَطَرها وقَطَر غيرها .
 ١٠ . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .
 ١٥ .

ومن التواضع المأثور ما روي : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المِعْلَى بن الجارود فقبضته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، فقالت له : كنا نفرقك مرةً عميراً ثم صرت بعد عمير عمر ثم صرت بعد عمر أمير المؤمنين فاتق الله يا ابن الخطاب ، فانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه

البعيد ، ومن خاف الموت ، خشى الفوت ، فقال لها الملقى ، إنها ، إليك يا أمة الله
لقد أبكيت أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتمرى من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت
حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فصر أحرى أن يسمع قولها ويقتدى به . وقال
عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ، قال : ذلك أبعد من الكبر
وأسرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أئصح للحاجة
وأبعد من الكبر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَأَقْبِصْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ) .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فمن ذلك قول أبى تمام حبيب
مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر

مُتَوَاضِعٌ وَالنَّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ * وَأَخُو النَّبَاهَةِ بِالنَّبَاهَةِ يَبْئُلُ

وقال البعري

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعُلَوْتُ مَجْدًا * فَشَانَاكَ أَنْحِدَارٌ وَأَرْتِفَاعُ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعِدُ أَنْ تُسَاسَى * وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ

وقال أبو محمد النيسابوري

تَوَاضِعًا لِمَا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً * وَكُلُّ رَفِيعٍ قَدْرُهُ مُتَوَاضِعٌ

وقال آخر

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعُلَوْتُ قَدْرًا * فَفِيكَ تَوَاضِعٌ وَعُلوٌّ شَانٍ

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

جاء في تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القناعة مال لا ينفد " . وقال عليه السلام :
 " مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ " . ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن
 الخلق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس ، وعز القدرة طرح مؤونة
 الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا ، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلا ، إما متقللا
 يريد أبر الآخرة ، أو كريما يتفرغ عن آفام الدنيا .

وقال الرازي : القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحيا ، والشره لا يعيش إلا نيبا
 نصبا في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عز الزهادة أحب الى من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة
 أحب الى من احتمال المنّة . وقال أبو ذؤيب الهذلي
 والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا تُرِدْ الى قليل تقنع

وقال سالم بن وامضة

غنى الغنى ما يكفيك في سدّ فاقة * فإن زاد شيئا زاد ذلك النقى فقرأ

وقال أبو هلال العسكري

ألا إن القناعة خير مال * لدى كرم بريح بغير مال

وإن يصبر فإن الصبر أولى * بمن عثرت به توب الليالي
تجمل إن يلبت بسوء حال * فإن من التجميل حسن حال

ذكر ما قيل في الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب الزيادة .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يُهَنِّدُكَ في المعروف من لا يشكر عليه ، فقد يشرك عليه من لا يستمتع بفضله منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ، أكثر مما أضاع الكافر ، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

وبما تمزيه الفرس إلى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تفتي .
وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفك إلا المكافأة أو الشكر ، وقال : قلّة الشكر تُرهّد في أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر
أفادتكم التسماء متى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجّب

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب
حلفت ربّ العيس تهوى برّكها * إلى حرم ما عنه للناس معيل
لما يبلغ الإتيان في النفع غاية * على المرء إلا مبلغ الشكر أفضل
ولا بلغت أيدي الميسلين بسطة * من الطول إلا بسطة الشكر أطول

ولا تَهَلَّتْ في الوزنِ أعباءُ مِنَّةٍ * على المرءِ إلا مِنَّةُ الشكرِ أهملُ
فمن شكر المعروفِ يوما فقد أتى * أبا العرف من حُسنِ المكافاة من علُ
وقال رجل من فطغان

الشكر أفضل ما حاولتَ ملتمسًا * به الزيادة عند الله والناس
وقال أبو بَيْهَلَةَ

شكركُ إنك الشكرَ حَبْلٌ من الثني * وما كلُّ من أوليته نعمة يفضي
وبهت لي ذكرى وما كان خابلاً * ولكن بعض الذُّكر أبه من بعض

وقال آخر

سا شكرُ عمرًا ما تراختَ مِنِّي * أيا دى لم تُمنن وإن هي جَلَّتْ
ففي غير محبوبٍ النفي عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زَلَّتْ
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قدَى عيني حتى تَجَلَّتْ

وقال أبو تمام

كَمْ نِعْمَةٍ منك قَسَرْتُهَا * كأنها طُورٌ بُدِ قَشِيب
من اللواتي إن وثى شاكر * قامت لُسديها مقام الخطيب

وقال أبو عِيْنَةَ بن محمد بن أبي عُبَيْة المَهَلْبِي

يَا ذَا الْيَمِينِ قد أوليتني مِنَّا * تَتَرى هي الغاية القُصوى من المَن
ولستُ أسطيع من شكرٍ أبهى به * إلا أستطاعة نبي جسم وذى بدن
لو كنتُ أعرف فوق الشكر منزلة * أوفى من الشكر عند الله في الثمن
أخلصتها لك من قلبي مُهَلَّبَةً * حَلَوًا على مثل ما أوليت من حسن

قالوا وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طرّيج بن إسماعيل

سميتُ ابتغاء الشكر فيها صنعتَ لي * فقصرتُ مغلوباً وإني لشاكِرٌ
لأنك تُؤليسي الجليلَ بذهابتي * وأنتَ لما استكثرتُ من ذاك حاقِرٌ
فأرجع مغبوطاً وترجعُ بالي * لها أولٌ في المكرماتِ وآخرُ
وقال دحبل

هزرتك لا عن جفوة وملافة * ولا لقلّ أبطأت عنك أبا بكرٍ
ولكنني لما رأيتك رافياً * فافطمت في ربي تجزّت عن الشكرِ
فَلَنْتُ لَا آتِيكَ إِلَّا تَعْدُراً * أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهرِ
وقال البحرى

هاتيك أخلاقُ إسماعيل في تعبٍ * من العلاء والعلاء منهم في تعبٍ
أبت شكرى فأسمى منك في نصيبٍ * أقصر فالي في جدواك من أربٍ
لا أقبل النهرَ تبلاً لا يقوم له * شكرى ولو كان يُسديه إلى أبي
لما سألتك وافاني تذاك على * أضاف شكرى فلم أظفر ولم أخبِ

وقال أيضاً

إني هزرتك إذ هزرتك وحشة * لا العودُ يذهبها ولا الإبداءُ
أعجبتني بئدي يديك فسودت * ما بيننا تلك البعدُ البيضاءُ
وقطعتني بالحدود حتى إني * متخوفاً أن لا يكون ليَاءُ
صلةً غدت للناس وهي قطيعة * عجباً وبرُّ راح وهو جفاءُ
ليواصلتك ركبٌ شعير سائر * يرويه فيك لحسنه الإعداءُ

حتى يَمَّ لك الشَّاءُ عُثْلًا * أبدا كما نَمَّتْ لك النِّعماءُ
قَظَلْ مَحْشَدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدِي * وقَظَلْ عُشْدُكَ بِكَ الشُّعْرَاءُ

وقال الحسن بن هاني

قد قَلْتُ للعباسِ مَعْتِرًا * من عَظُم شُكْرِهِ وَمَعْتِرًا
أنتَ أَمْرُو جَلَلْتَنِي نِعْمًا * أو هُتَ قُوَى شُكْرِي قَدَّ ضَعْفًا
لَا تُسَيِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةٌ * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِهَا سَلَفًا

وقال الحسين بن الضحَّاك للوائق من أبيات

إِذَا كُنْتُ مِنْ جَدِّوَالِكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ * فَلَا كُنْتُ إِنْ لَمْ أَفِي مُجْمَرِي بِشُكْرِكَا

وقال البحتري

إِذَا أَنَا لَمْ أَشْكُرْ لِنِعْمِكَ جَاهِدًا * فَلَا نَلْتُ نَعْمِي بِهَا تَوْجِبَ الشُّكْرِا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إِنِّي لَشَاكِرُ أَمْسِي وَوَلِيَّهُ * فِي يَوْمِهِ وَمُؤَمِّلٌ عَنْهُ غَدًا

وقال آخر

وَكَيْفَ أَنْسَاكَ ؟ لَا تُهْمَاكَ وَاحِدَةٌ * عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قَدَمٍ

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لي : قد هممتُ أن نصيبك ،

فتناصعتُ الأمور ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمة ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهلي

لَا شُكْرَكَ مَصْرُوفًا هَمَّتْ بِهِ * إِنْ أَهْتَمَّاكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ

وَلَا أَلَمُكَ إِنْ لَمْ يُمِضْ قَدَرٌ * فَالْشَيْءُ بِالْقَدَرِ الْمُخْتَوِمِ مَصْرُوفٌ

وقال ابن الرومي

كم من يد بيضاء قد أسديتها * بقي إليك عنان كل وداد
شكر الإله صائداً أوليتها * سلكت مع الأرواح في الأجساد

وقال آخر

- وأحسن ما قال أمرؤ فيك منحة * تلاقى عليها منة وقبول
وشكر كان الشمس تعني بنشره * ففى كل أرض تحب رسول

- ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أفدته إياها ، وإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحشاشة أقيمتها ، ورمق أمسكته ، وقت بين التلذذ وبينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حد ينتهى إليه ، ومدى توقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فاقته الوصف ،
وطالت الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كل غاية ، وردت عنا كيد العدو ، وأرغمت ألق الحسود ، فلبا منها الى ظل ظليل ، وكنت كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود .

وقال الشريف الرضى

- ١٥ ألبستني نسما على نسيم * ورفعت لى طلبا على علم
وعلوت بى حتى مشيت على * بسط من الأعناق والقمم
فلا شكرن يدك ما شكرت * خضر الرأى مبانع الديم
فالحمد ينبى ذكر كل قى * ويين قدر مواقع الكرم
والشكر مهر للصنعة إن * طليت مهسور عقال النعم

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي

سأشكر نعماك التي أنبسطت بها * يدي ولساني فهو بالمجيد ينطق
وأفني بما أوليتني من صنيعة * ومن مينة تفتدو على وتطرق
وكل أمرئ يرجو نذاك موفق * وكل أمرئ يئى عليك مصدق

وقال ابن رشيق القيرواني

خذ ثناءً عليك غب الأيدي * كثناء الربي على الأمطار
سقط الشكر وهو موجب ثما * لك سقوط الأنواء بالأنمار

ومن المؤمنين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، ألغ منه بالنطق باللسان،
وطابق على ذلك بالحرمان .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري يسنده إلى المتني قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة
كان طريقه إليها على باب الأحمقي، فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار
وقال: إني سأزِل في رجعتي إلى الأحمقي، ثم سيحدثني ويضحكني، فإذا ضحكك،
فضع الكيس بين يديه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حياً مكسوراً الرأس، وجرّة
مكسورة المتني، وقصبة مشعبة، وجفنة أعشارا، وراه على مصبل بال، وعليه برنكان^(١)
أجرّد، فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأحمقي شيئاً مما
يضحك الشكان والتضبان إلا أوردته عليه فلم يتبسّم، ثم خرج، فقال لرجل يسايره:
من أسترعى الذنب ظلم، ومن زرع السبحة حصد الفقر، إني والله لما علمت أن
هذا يكتم المعروف بالقفل، ما حِفَلْتُ بنشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان

(١) الحب: الجرّة الضخمة . (٢) البرنكان على وزن زعفران: ضرب من الأكسية .

من آثار البيان؟ إن اللسان قد يكذب، والحال لا تكذب، وفيه در نصيب حيث يقول

فما جوا فاقنوا بالذي أنت أهله . ولو سكتوا أنثت عليك الحقايب

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زهير لآل سنان ؟

وقالت الحكماء : لسان الحال، أصدق من لسان الشكوي . —

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال

على تبوح بما أوليت من حسن . فكل ما تدميه غير مردود

كلّ همد، وقتل لا يحلّ لكم . فما يداويكم منى سوى الجود

وقالوا : شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال .

١٠ ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وعد المؤمن كأخذ باليد » .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواءه .

ومن كلامه : المستول حُرْحِيَّ يَد، وسترق بالوعد حتى يُجَزَّ .

وقال الزهرى : حقيق على من أزمه بالوعد، أن يُنجز بالفعل .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سهل حاجة، فقال : أشرفك

اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول : المواعيد

شبكة من شبك الكرام، يصيدون بها عمائد الأحرار، ولو كان المعطى لا يعد،

لأزتمت مفاتيح إنجاز الوعد، وتقص فضل صدق المقال .

وقال الأبرش الكلبي لشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلى معروف

حتى يقدني، فإنه لم يأتني منك سيب على غير وعد، إلا هان على قدره، وقُل منى

شكره، فقال له هشام : لئن قلتَ ذلك ، لقد قال سيّد أهلِكَ أبو مسلم الخولاني :
أنجَحُ المعروف في القلوب ، وأبرُدُه على الأجداد ، معروف متظَرٍّ من وعد لا يُكَدَّر
المطل .

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجةً إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تَعطِي ولا تَعِد ، فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفِيس
به البصرُ ، وينشر فيه الأملُ ، وتطيب بذكركه النفسُ ، ويرتخي به العيشُ ، وتريح به
المدحُ بالوفاء .

قيل : كلّم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عِندَ عَنِّي قضاءها ،
قال : وما يدعوك أعزّك الله إلى العِدّة مع وجود القُدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول
من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إن لم تتقدّمها بوعده ينتظر به
تُجّحها ، لم تجاذب الأنفسُ بسرورها ، ولم تتلذّذ بتأملها ، وإن الوعد تطعم ، والإنجاز
طعام ، وليس من فاجأ طعام ، كن وجد رائحته ، وتمطّق له وتطعمه ، ثم طعمه ،
فدح الحاجة تحمّ بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع إليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماحان : إني أُحِبُّ أن أُهَبَ بلا وعد ، وأُحِبُّ أن أُعِدَ ، لأُخرج
من جملة المخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثّر عَنِّي كرم المُتجزّين ، فإن من
سبق فعله وعده ، ويُصِف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال ذكر العباس المأمون فقال : إنه أَلَقَّ معروفه عندى بالوعد ، وتعبه بالتّجّع ،
وأرضعه بالزيادة ، وشيّبه بالتّمهّد ، وهرّمه باستتمامه من جهاته ، وهنّاه بترك
الامتنان به .

وشكا رجلٌ جعفر بن يحيى لآبيه: أنه وعده وعدا ومطّله به، فوقع: يا يحيى، أتم
معاقل الأحرار ومظانّ المطالب ومعايد الشكوى، فكونوا سواءً في الأثوال
والأصوال، فإن الحرّ، يذّير وعد الحر ويستفقه وينفقه قبل ملكته، فإن أخفق أمله،
كان سببا لذمه وأثماته وسوء ظنه، حتى يوارى قُبْحُ ذلك حُسنَ يقينه، فأعجز الوعد،
وإلا فأقصِر القول، فإنه أعذر والسلام .

قال: كَلَّمَ المأمون في الحسين بن الفضل الخليفة أن يرّد عليه رزقه، فقال: أليس
هو القائل في الأمين

فلا فرح المأمون بالملك بسدّه * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا
فبالوا يلطفون معه في القول، إلى أن أذِنَ له أن يثبته، فأنشده
أَبْنَى لِي فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ * متى تُجِيزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْعَهْدِ؟
أُعِثُّكَ مِنْ صَدِّ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى * تَقَطُّعَ أَنْفَامِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
فَالِي شَفِيعٌ عِنْدَ حَسَنِكَ غَيْرِهِ * وَلَا سَبَبٌ إِلَّا التَّسَكُّ بِالْوَدِّ
أَيُّحُلُ قَرْدُ الْحُسَيْنِ فَرْدَ صِفَاتِهِ * عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ رَهْوَعِي وَحْدِي
رَأَى اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلَمَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

فقال له المأمون: هذه بتلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبع عفوك
إحسانك، فأمر برّد أرزاقه عليه، وكانت في كلّ شهر تحمياته دينار، فقال المأمون:
لولا أني نويتُ عفوا عنه، وجعلت ذلك وعدا له من قبل، ما فعلته، وإنما ذكر
الوعد في تشبيهه بذكرنيه .

وقال بعض ملوك العجم: البخل بعد الوعد، يضعف قبحه على البخل قبله،
فما قولك في أمير، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه ، وأنتَ أمرٌ لا تُخلفُ النهرَ موعداً
تُؤوِّدنى أن لا تزالَ تُظَلِّي ۝ يدُ منك قد قلّمتَ من قبلها يداً
فلو أن عدا أو ندى أو فضيلة ۝ تُخلِّدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلِّداً

وقال بشار

وعد الصكرين يحثُّ نائله ، كالنبيث يسبقُ رعدُه مطرُه

وقال ابن الرومي

يَتَخَطَّى العِداةَ عِداً الى البَدْءِ ۝ لِي كَسَحَ الحَيَا بلا إِيْمَا ضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره ، فيقول له : جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمت به ظلماً ، أو أعنت به مكروبا ؟ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقة أن تعين يماهلك من لا جاه له » وقال : « الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه ، أنهم لهم ليا له » .
وقال : « الشفيعُ جَنَاحُ الطَلَبِ » .

وقيل : قصد ابن السكّال الواظظ رجلاً في حاجةٍ لرجل سألَه الشفاعةَ فيها ، فقال ابن السكّال : إني أتيتك في حاجةٍ ، وأن الطالب والمطلوب إليه عز وكران إن قضيت الحاجةُ ، وذليلان إن لم تُخَضَّ ، فأختر لنفسك عزَّ البذل ، على ذلِّ المنع ، وأختر لي عزَّ التَّجِيعِ ، على ذلِّ الرَّدِّ ، فعضى حاجته .

قال أبو تمام

وإذا أمرؤ أسدى إليك ضيعة * من جلعه فكانها من ماله
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون إليك بغيرك ، يسألون معروفك ،
ويشكرون غيرك ، وأنا أتوسل إليك بك ، ليكون شركي لك لا لغيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنت لم تطفك إلا شفاعتي * فلا خير في ود يكون بشتاف

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ، كالحمدي
في تذكرته ، وغيره ، فذلك أضفته إليه ، وجعته من فصوله . قال الله عز وجل :
(وَلْيَقْضُوا الْوَعْدَ الَّذِي لَكُمْ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اعتذر إليه أخوه
المسلم ، فلم يقبل ، لم يرد على الخوض » .

وقال علي رضي الله عنه : أولى الناس بالمعفو ، أقدرهم على العقوبة . وقال :
المعفو زكاة الفقر . وقال : أنا قدرت على عدوك ، فأجعل عفوك عنه شكر
المقدرة عليه .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لا تعاجل الذنب بالعقوبة ، وأجل بينهما
للاعتذار طريقا . وقال : أوسع ما يكون الكرم بالمنفرة ، إذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شفيح الذنب إقراره ، وتوبة المجرم الاعتذار .
وقالوا ما أذنب من اعتذر ، ولا أسى من سئف .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بني لا يعتذر إليك أحد من الناس ، كأننا من كان ، في أي جرم كان ، صادقا كان أو كاذبا ، إلا قبلت عذره ، فكفالك بالاعتذار براً من صديقك ، وذلاً من عدوك .

قال بعض الشعراء

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة ، فلا تهنأ عند التجاوز في الأجر

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الاعتذار ذلة ، ولا بد منه ، لأن الإصرار على الذنب ، فيما ينك وبين خالفك ملكك ، وفيما ينك وبين صديقك فاقة ، وعند سائر الناس مثبة وهجنة ، فطيك به ، إذا واقعت الذنب ، وقارفت الجرم ، ولا تستنكف من خضوعك وتذلل فيك فيه ، فربما استتير العز من تحت الذلة ، وأجتنى الشرف من شجرة الذلة ، ورب محبوب في مكروه ، والمجد شهد يُحتنى من حنظل .

قال : وما يخص به الاعتذار أن الحق لا يثبت لباطله ، والحقيقة لا تهوم مع تخيله وتعويمه ، وأن رده لا يسع مع الكذب اللائح في صفحته . وقالوا : لا عذر في رد الاعتذار ، والمعتذر من الذنب ، كن لا ذنب له ، وهذه خصلة لا يشرك فيها غيره .

قال بعضهم : كنت بمحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن توبة ، نسخها : قد فصحت للظلم بآبك ، ورفعت عنه حجابك ، فانا أحاكم الأيام الى عدلك ، وأشكو صروفها الى فضلك ، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك ، وحسن ملكك ، فإنها تؤخرني انا قدمت ، وتخيرني انا قست ، فإن

- أعطت أعطت يسيرا، وإن أرتجعت أرتجعت كثيرا، ولم أشكها الى أحد قبلك، ولا أعددت الانتصاف منها إلا الى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحقّ الغلام اليك، ذمام تأمليك، وقدمُ صديق في طاعتك، والذي يملأ من النصقة يدي، ويفرغ الحقّ على، حتى تكون لي محسنا، وأكون بك الى الأيام مقربا، أن تخطني بنواص خدمك الذين قتلهم من حدّ الفراغ الى الشغل، ومن الخمول الى النباهة والله كذا،
- ٥ فإن رأيت أن تعدّني فقد استعديت اليك، وتصرّفت قد عدت بك، وتوسع لي كفك قد أويت اليه، وتسمني بإحسانك قد عوّلت عليه، وتستعمل يدي ولساني فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درستُ كتبَ أسلافك وهم القدوة الى البيان، واستضأتُ بآرائهم، وأقتضتُ آثارهم آقتفاء جعلني بين وحشي الكلام وأيبسه، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع اليها العلى، ويلحق بها المقصر التالى، فعل إن
- ١٠ شاء الله . قال : فعل إن شاء الله ! قال : بفعل عيد الله يرددها ويستحسنها ؛ ثم قال : هذا أحقّ بديوان الرسائل .

- ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام أقترقا بسببه متفاضين، فلما وصل محمد الى منزله، كتب الى الحسين رقعة فيها :
- ١٥ بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرقا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا على، لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأتى امرأة من بنى حنيفة، وأتاك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان حلء الأرض نساء مثل أمى ما وفين بأفك، فلما قرأت رقتى هذه فأكسر ردا على وتعليك وتعال لترضاني، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به مني والسلام . فلبس الحسين رداءه وتعليه وجاء الى محمد ورضاه .
- ٢٠

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتبرا : قد تقدمت طاعتك ونصحتك ، فإن ثبت منك حقوة ظن تغلب سيئة حسنتين .

وقال شاعر

إرض السائل الخضوع ولقا * رف ذنباً منلة الإعتذار

قال أبو هلال العسكري : لم يرو عن أحد قبل النابتة الذبياني في الاعتذار شعر ، فبن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخل اليشكرى إلى النبتان ، وزعم أنه غشى المجردة حظية النبتان ، وذلك حين وصفها النابتة في شعره فقال

واذا لمست ، لمست أخم جامعا * متعيرا بمكانه ملء اليد
واذا طعنت ، طعنت في مستهدف * رابى الجبة بالبير مرمدا
واذا نزع ، نزع من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنبتان : هذا وصف من ذاقها ، فوقر ذلك في قفس النبتان ، ثم وقد طيه رهط من بني سعد بن زيد مائة من بني قريع ، فأبلغوه أن النابتة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النبتان على الإيقاع بالنابتة ، فعرّفته بذلك عصام حاجب النبتان ، وهو الذي قيل فيه

* قفس عصام سودت عصاما *

١٥

فانطلق النابتة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النبتان ، فزادهم لحاق النابتة بهم حشمة ، ثم اتصلت بالنبتان كثرة منافع النابتة لهم ، فخدمهم عليه وأمنه ورأسه في المصير إليه ، فأناه وجعل يمتدحها فنف به ومن مدحه لآل غسان قتال حلفت فلم أترك لنفسك ريسة * وليس وراء الله لبره منهب

لئن كنت قد بلغت عني جناية • لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستيق أخا لا تلمه • على شعث! أى الرجال المهذب؟
فإنك مظلوما، فبذ ظلمته • وإنك ذاعني، فثلك يمتب
يقول: مثلك يعمو ويحسِن وإن كان عاتبا، وفي كرمك ما يفعل ذلك، ولك
العتي والرجوع الى ما تحب • ومنه قوله أيضا للثمان

أناي آيت اللعن! أنك لمني • وتلك التي تستك منها المسامح
مقالة أن قد قلت سوف أناه • وذلك من تلقاء مثلك رافع
فبت كافي مساورتي ضييلة • من الرقيش في أنيابها السم نافع
لكلغني ذنب امرئ وترصته • كذى المرء يكوى غيره وهو رافع

الى أن قال

فإن كنت لا ذوالضن عنى مكذب • ولا حلقى على البرامة نافع
ولا أنا مامون بشئ أقوله • وأنت بأمر لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركى • وإن بخلت أن المتأى عنك واسع

وقال أيضا

أنبت أن أبا قابوس أوعدني • ولا قرار على زار من الأسد
مهلا، فداء لك الأقوام كلهم • وما أئمر من مال ومن ولد
لا تصدقني بركن لا كفأ به • وإن تأفك الأعداء بالرقد
ما قلت من سي مما أثبت به • إذا فلا رقت سوطي الى يدى
قال: نفل عليه الثمان خلع الرضى، وكز حبرات خضرا مطرقة بالجوهر.

(١) أى لم يرح تفرك •

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها إحسان البعري ، فن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها

« لوت بالسلام بنا خضيا »

قال منها

❧

فدينك من أي خطب عري • وثنية أوشكت أن تبوا
وإن كان رأيك قد خال في • وأوليتي بعد شر قطوبا
يرئى الشيء تاني به • وأكبر قدرك أن أستريا
وأكره أن يجادى على سبيل أغترار فالقي نسوبا
أكذب نفسي بأن قد سقطت • وما كنت أهد ظني كدوبا
ولولم تكن ساخطا لم أكن • أنتم الزمان وأشكو الخطوبا
أصبح ودّي في ساحيتك طرقا ومرمى محلا جديا
وما كان يخطبك إلا الفراق • أفاض الدموع وأشهى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبا لما كا • ن خالجي الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألقى رضا • لك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح • وأنظر حلقك حتى يشوبا

وقوله

عذيري من الأيام رتغن مشربي • ولقيتي لحسا من الطير أشاما
وأكسبني مخط أمرئ بئ مؤهنا • أرى مخطه ليلا مع الصبح نظاما
تبج عن بعض الرضى ، وأظوى على • بقية حبيب شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما : قد قهوا وزحمتها • تلبث في أعقابها وتلقوا
وأضيد إن نازعته الطرف رده • قليلا ، وإن راجعت القول جميعا

(١) الطرق : الماء الذي غرضه الإبل ويؤلف فيه .

- ثناء العدا عني، فأصبح مُعْرِضًا * ووجهه الواشون حتى تومأ
وقد كان سهلاً وانحما فتوَعَّرت * ربه، وطلقا ضاحكا فتجھما
أَتَخَذُ عِنْدِي الْإِسَاءَةَ حَسَنُ * ومتنم مني أمرؤ كل مني
ومكتسب في الملامة ماجد * يرى الحمد غنماً والملامة مغرماً
يَخْوَفِي من سوء رأيك معشر * ولا خوف إلا أن تجور وتظلم
أعبدك أن أخشاك من غير حادث * تَبَيَّنَ، أو جُرم إليك قدما
السُّبُ الْمَوَالِي فِيكَ نَظْمُ قَصَائِدِ * هي الأتيم أفتادت مع الليل أنجما؟
أَعِدْ نَظْرَانِيَا تَسَخَّطْتَ، هل تَرَى * مقالا دنيئاً أو فعلا مذمماً؟
وكان رجائي أن أؤوب مملكا * فصار رجائي أن أؤوب مسلماً
حياء فلم يذهب بيَ النَّفْيُ مَذْهَبًا * بعيداً، ولم أركب من الأمر مُعْظَمًا
ولم أعرف الذنب الذي سُوِّتَنِي لَهُ * فأقتل نفسي حسرةً وتندما
أَذْجُرُكَ الْمَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سَوْدَدًا * تأسبه، والودَّ الصحيح المسامحة
وما حمل الركن شرقاً ومغرباً * وأنجد في أعلى البلاد وأتهما
أَفْرَ بِمَا لَمْ أَجْنِهْ مُتَنَصِّلاً * اليك، على أني إخالك ألوما
لِالذَّنْبِ مَعْرُوفًا، فَإِنْ كُنْتُ جَاهِلًا * به، فلك العتي على وأعما
ومثلك، إِنْ أَبْدَى الْفَعَالُ أَعْلَاهُ * وإن صنع المعروف زاد وتمما
وقال سعيد بن حميد

- لم آت ذنباً، فَإِنْ زَعَمْتَ بَأَن * أتيت ذنباً، فغير معتمد
قد تطرّف الكف عَيْنَ صَاحِبِهَا * فلا يرى قطعها من الرشد
٢٠

وقال آخر

وكنْتُ إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنتَ مرةً * إلى بها في سالف الدهر تنظر؟

وقال آخر

اعتذر لي لحُزْزِ فضل لا * عفو عني ولا يفوتك أجرى
لا تكُن لي إلى التوسل بالمد * راعى أن لا أقوم بعسرى

وقال بعض فضلاء الأندلس

إني جنيتُ ولم يزل أهلُ النهى * يهينونُ للجنانين ما يحنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فتونها * فاجمع من الصفح الجميل فتونه
من كان يربو عفو من هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذي هو دونه

١٠

الباب الثاني

من القسم الثالث من القرن الثاني

في الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلاً

ما قيل في الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل في الحسد .

١٥

ما قيل في السعاية والبنى .

ما قيل في الغيبة والنيمة .

ما قيل في البخل واللاؤم وأخبار البغلاء وأحباطهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمواكلة.

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في الغدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في البى والخصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

١٥

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث
ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلظة فقد برح الخفاء
محوت هجاء فاجبت عنه ، * نوعند الله في ذاك الجزاء
أنهجه واست له بكفيه * فشر كما لخبرك الفداء

(١)

(١) يقال : مغلظة : أي محوطة من به إلى به .

لنا في كل يوم من مصد : سباب أو قتال أو هجاء .
لساني صارم لا عيب فيه : وبحسرى لا تذكره الدلاء
فإن أبي واللدق وعرضى : لعرض عجز منكم وقاء

ويستحق الهجاء من أتصف بسوء الخصال ، وأتسم باخلاق الأزدال والأفئال ،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره ، والبخل وطاءه ودثاره ، وساذكر جماع ما أتصفوا به من
سوء الفعل ، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .
قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إنشاء السر ، وأعتقاد القدر ،
وغيبة الأحرار ، وإساءة الحوار .

وسال عبد الملك بن مروان الخجاج بن يوسف عن خلقه ، فتكلم عليه وأبى أن
يخبره فأقسم عليه فقال : حسود ، كئود ، حقود . فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ، فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد أتبع الشر بمخاديفه ،
وصرق من جميع خلل الخير ، وتأثق في ذم نفسه ، وتبذ في الدلالة على لؤم طبعه ،
وأفرط في إقامة الحجية على كفره ، ونخرج من الخلال الموجبة رضى ربه .

قال أبو تمام

تأنتس بنمى الفعل طلعت * تأنتس المقلة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة ، من كن فيه فهو منافق ،
من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا أوثق خان »

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد ، خؤون العهد ، قليل الرشد . وقالوا : اللئيم إذا استغنى
بطر ، وإذا افتقر قنع ، وإذا قال أخش ، وإذا سئل بخل ، وإن سأل ألح ، وإن

أُسيدي إليه صنيعٌ أخفاه، وإن استجكمتَ سرّاً أفشاه، فصيديقه منه على حذر، وعدوه منه على غرر^(١).

وإن للشعراء والبلغاء في الذم والهجاء نظماً وتراً سنورد منه طرّاً، ونشرح ما يجعل ضوء النهار على القول فيه صدقاً^(٢).

- ٥ فن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب في بني سعيد بن مسلم بن قتيبة: محاسنهم مساوي السفل، ومساوئهم فضائح الأئمة، وألستهم بمعقودة بالحق، وأيديهم معقولة بالباطل، وأعراضهم أعراض الذم؛ فهم كما قيل لا يكثرُونَ وإن طالت حياتهم^(٣) . ولا تيسد مخازيهم وإن بادوا وذم أعرابي قوماً فقال

- ١٠ هم أقل الناس ذنوباً إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرعاً على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويُفطرون على الفحشاء.

وذم أعرابي قوماً فقال: قوم سلّخت أبقاؤهم بالهجاء، وذُبنت جلودهم باللؤم، فلباسهم في الدنيا الملامة، وفي الآخرة التنامية.

- وكان عيسى بن فرخان شاه يقبض على أبي العيناء حال وزارته، فلما صرف عن الوزارة لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاماً خفيفاً، فقال أبو العيناء لقائده: من هذا؟ قال: أبو موسى، فلما منه حتى أخذ بستان بغلته وقال: لقد كنت أتقن بإيمانك دون بئانك، وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت إليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك الثَّمة؛ ولئن كانت الدنيا أبدت صفحتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، وقه المنة

(١) التَّردُّ: التَّعرض للهلكة. (٢) السَّدُّ: الغلظة.

إذ أغناها عن الكذب عليك، وترعنا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأت حمل
النعمة، وما شكرت حق المنعم، ثم أطلق يده من عنائه، ورجع الى مكانه فقيل له:
يا أبا عبد الله! لقد بالفت في السبب، فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة
أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذلك الوادى فلما ثياب أحرار على أجسام عبيد،

إقبال حظهم، إديار حظ الكرام، ألم بهذا المعنى شاعر فقال

أرى حُللاً تُصانُ على رجال * وأعراساً تُكَلُّ ولا تُصانُ

يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما قَسَدَ الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر،

ثيم البحر، عظيم الكبر، كثير الصخر. ^(١)

وذم أعرابي رجلاً فقال: هو عبد البدن، حر الثياب، عظيم الزواق، صغير

الأخلاق، الدهرُ رُفَعَه، وقسه قَصَمَهُ.

وقال آخر: فلان غث في دينه، قَدِر في دنياه، رَث في مِرْوَمته، مَبِج في هيئته،

منقطع الى نفسه، راضٍ عن عقله، يخيّل بما أنعم الله عليه، كئوم لما آتاه الله من

فضله، حَلَّاف بالجوّج، إن سأل الحف، وإن وعد أخلف، لا يُنصِف الأصاغر،

ولا يعرف حقّ الأكابر.

وترجم الفصح بن عبد الله القيسى صاحبُ فلاسفة العقائد في كتابه عن أبي بكر بن

ماجة المعروف بأبن الصائغ فقال: هو رَمْدُ جَفْنِ الدِّين، وَكَدُّ قَوْسِ المهتدين، أشهر

سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسئوناً، فما يشرع، ولا يأخذ في غير الأخلايل ولا

- يشرع ، ناهيك به من رجل ما تظهر من جنبه ، ولا أظهر غيلة إنابه ، ولا أستنجي من حدث ، ولا أحمي فؤاده مؤازى في جلت ، ولا أقر بباركه ومصوره ، ولا فرعن تباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدي من الإحسان ، والبهيمة أهلى عنده من الإنسان ، نظري تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورقص كتاب الله الحكيم العليم ، وتبذره وراء ظهره ، ثاني عطفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأقصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عند الله تبارك وتعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجتمعت على الله اللطيف الخبير ، وأجترأ عند سماع النهي والإبعاد ، وأستمرأ بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) فهو يستحق أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور ، حمامة تهايمه ، واختلافه فطامه ، قد نحي الإيمان من قلبه فإله فيه رسم ، ونبي الرحمن لسانه فما يتر له عليه آسم ، وأتمت نفسه للضلال وأتقصت ، وقت يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، فقصر عمره على طرب وهو ، وأستشعر كل كبر وزهو ، وهو يصفى على سماع التلاحين ، ويحلف عليها كل حين ، يعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله في أسلس مقاد ، مع منشا وخيم ، وإلزم أصل وخيم ، وصورة شوها الله وقبحها ، وطلعة لورأها كالبهجها ، وقنارة يؤذي البلاد نفسها ، ووضارة يحكي الحداد دنسها وقد لا يعمر إلا كنفه ، ولدي لا يقوم إلا الصفاد جنفه .
- وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد فإني لا أعرف للمروف طريقا أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دق ، ولبيان بدي ، وجهل قد ملك عليك طباعك ، فالعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غاييتك في المروف أن تحوره ، وفي وليه أن تكفره .

(١) التيم : البسبة . (٢) الجلف : المير .

وَمَعَا قِيلَ فِي الْمَجَاءِ مِنَ النِّظَمِ

فَنَ ذَلِكَ قَوْلَ جَرِيرٍ وَهُوَ أَهْجَى بَيْتَ قَاتِلِ الْعَرَبِ

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُخَيَّرٍ * فَلَا كَبَّاءَ جَلَّتْ وَلَا كَلَابَا

وَلَوْ وَضَعْتَ قَفَّاحُ بَنِي مُخَيَّرٍ * عَلَى حَبِثِ الْحَبِيدِ إِذَا لَقَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قبيل فيهم شعرٌ ودوا أنهم آفتدوا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسترهم به حُرُّ التَّيَمِّ فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ! قال : وما قيل فيكم : قال : قول الحازن بن ظالم وما قوى بعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشَّعْبِ الرَّبَّابَا

فوالله يا أمير المؤمنين ! إني لألْبَسُ الْعِمَامَةَ الصَّفِيْقَةَ فَيُخِيلُ إِلَى أَنْ شِعْرَ قَفَايَ قَدْ يَدَا مِنْهَا، وقول قيس بن الخطيم

هَمَمْنَا بِالْإِقْلَابَةِ يَوْمَ يَمُرْنَا * مَسِيرَ حَذِيفَةَ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

فما يَسْرَتْنَا أَنْ لَنَا بِهَا أَوْيَهُ حُرِّ التَّيَمِّ، فقال هاني بن قبيصة التَّمِيمِيُّ : أولئك نحن

يا أمير المؤمنين ! قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير

* فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُخَيَّرٍ *

والله لودِدْنَا أَنَّا أَتَيْنَاهُ بِأَمْلَا بَنَاءٍ، وقول زياد الأعجم

لَمَسْرُكٍ مَا رِمَاحُ بَنِي مُخَيَّرٍ * بِطَائِفَةِ الصُّنُودِ وَلَا قَمَارِ

فوالله ما يَسْرَتْنَا بِهِ حُرُّ التَّيَمِّ

قال السكري وذكر أن جريرا لما قال

وَالْتَقَلُّ إِذَا تَحَجَّحَ الْقِسْرَى * حَكَ أَسْتَهُ وَمَثَلَ الْأَمْتَلَا

قال : قلت فيهم يدا لو طمن أحدكم في أسرته لم يحكها ! وقالوا : مرت امرأة
بني عمير فتأمروا إليها فقالت : يا بني عمير ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر ،
يقول الله تعالى : (قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ آبَائِهِمْ) ويقول الشاعر
« فَفَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ مُبِيرٍ »

فاجلوا ، وكان النعمري إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من مُبِيرٍ ، فصار يقول :
من بني طامر بن صعصعة .

قال المسكوي : ولو قيل إن أهبي بيت قاله العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو
ولو رَمَى يَوْمَ بَنِي كَلْبٍ « نجوم الليل ما وسمحت لِسَارِي
ولو رَمَى يَوْمَهُمْ نَهَار « لدنس لومهم وسمت النهار
وما يفتدو عزيزي كَلْبٍ « ليطلب حاجة إلا يحار

ومثله قول الآخر

ولو أنت جِدَّ القيس ترمي بلومها « على الليل لم تبدِ النجوم لمن يسرى

وقالوا : أهبي بيت قاله العرب قول الأعشى

يَبْتَغُونَ فِي الْمَشَا مِلَاءَ بَطُونِكُمْ « وجاراتكم غَرَّتْ بَيْنَ نَحَائِصَا

وهذا البيت من أبيات ولما سبب ذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعقمة بن علاثة تنازعا الزمامة
فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهي لعنني ولم يت ، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
ابن كلاب وكان قد أعتز وسقط ، وقال عقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف ، وأنت

- عامر، وأنا وفي وأنت غادر، وأنا ولؤد وأنت عاقر، وأنا أدنى إلى ربيعة، فنداعيا إلى
 هَرم بن قُطنة؛ ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من الإبل، مائة
 يُطعمها من تبعه، ومائة يُعطىها للهاكم، ومائة تُعقر إذا حكم؛ فأبى هَرم بن قُطنة
 أن يحكم بينهما عفافَ الشرِّ وأبى أن يرتحلا؛ فخلا هَرم بعقمة وقال له: أترجو أن
 يتفرك رجل من العرب على عامرٍ فارسٍ مُضرٍ؛ أئدى الناس كُفأ، وأُشجعهم لِقَاء،
 لِسنانٍ ربح عامر أذكُر في العرب من الأخوص، وعمه ملاعب الأسته، وأُمه كبشة
 بنتُ عُروة الرِّحال، وجَدُّته أم البنين بنتُ عمرو بن عامر فارس الضُّحباء، وأُمك من
 النُّخَع، وكانت أُمهُ مَهْجُرة، وأُم عَلانة أخبذة من النُّخَع، ثم خلا بعامر فقال له:
 أعلى عقمة تفخر؟ أنت تناوته؛ أعلى بن عوف بن الأخوص؛ أعف بن عامر وأُمنهم
 نقيبة، وأحلبهم وأسودهم وأنت أعور عاقره شئوم! أما كان لك رأى يزك عن هذا!
 ١٠ أَكُنْتُ تظن أن أحدا من العرب يُفرك عليه؟ فلما آجتما وحضر الناس للقضاء
 قال: أتما كركيتي الجمل فتراجعا راضيين.
- قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال: أتما
 كركيتي الجمل لقال كل واحد منهما: أنا الجئي، فكان الشر حاضرا؛ قال وسأله عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه بذلك بمين: لمن كنت حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفني
 ١٥ يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لمادت جَذعة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليحكم.
- قال فارتحلوا عن هَرم لما أعيام نحو عكاظ فلقبهم الأعشى منعلا من الين،
 وكان لما أرادها قال للعقمة: أعقد لي حبة فقال: أعقد لك من بنى عامر! قال:
 لا يغني عني قال: فمن قيس! قال: لا. من: فما أنا براكك، فأبى عامر بن الطفيل
 ٢٠ فأجاره من أهل السماء والأرض فليل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات

وَدَيْتُهُ ، فقال الأعشى لعمري : أظهر أنك حَكِيمَانِي فعمل ؛ فقام الأعشى فرفع
عَفِيرَتَهُ (أي مِوَتَهُ) في الناس فقال

حَكِّمُوهُ قَقَصَى بَيْنَكُمْ • أُلْبِجْ مِثْلَ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ • وَلَا يَسْأَلُ خُسْرَ الْخَلْسِيرِ
عَلِمَ لَأَسْتَ إِلَى عَامِرِ السَّكْفِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
وَالْإِلَاسِ الْخَلِيلِ بَجِيلِ إِيَّا • نَارَ عَجَاجِ الْكَبَبَةِ النَّاتِرِ
إِنْ تَسَدَّ الْحَوْصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ • وَعَامِرٌ سَادَ نَبِيَّ عَامِرِ
سَادَ وَأَلْفَى رَهْطُهُ سَادَةً • وَكَارِبًا سَادُوكَ عَنْ كَارِبِ

قال وشد القوم في أعراض الإبل المائة فقرروها وقالوا: نُفَرِّجُكُمْ ، وذهبت بها

- ١٠ النوغاء ، وجهد علقمة أن يرقها فلم يقدر على ذلك ، فخلل يتهقد الأعشى فقال
أَتَانِي وَعِيدَ الْحَوْصَ مِنْ آلِ عَامِرِ • فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَبَيْتَ الْأَحْوِصَا
فَمَا ذُنُوبُنَا إِنْ جَاشَ بِحِرَآئِنِ عَمَّكَ • وَبَحْرُكَ سَاحِلُ لَا يَوَارِي الدَّعَائِمَا
كَلَّا أَبَوَيْكُمْ كَانَتْ قَرَعَا دَعَلِمَةٍ • وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِعَهَا
تَبَيَّنَ فِي الْمَشَا بِلَاءٌ بَطُونَكُمْ • وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْ بِيَتَرَبَ نَعَائِمَا
١٥ يَرِاقِبْنَ مِنْ جَوْعٍ خِلَالِ مَخَافَةٍ • نَجُومَ اللَّيْلِ الْعَائِمَاتِ الْقَوَائِمَا
رَمَى بِكَ فِي أَتْرَافِهِمْ تَرَكَّكَ النَّدَى • وَفَقِصْلُ أَقْوَامَا عَلَيْكَ مَرَاهِمَا
فَضَّ حَذِيذَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا • بِفِكَ وَأَعْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاهِمَا

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكائه زيادة عليه في العار ، والعرب

تسمي بالبكاء ، قال مهلهل

- يَكُنِّي عَلَيْنَا وَلَا تَكُنِّي عَلَى أَحَدٍ • وَنَحْنُ أَعْلَطُ أَكْبَادَا مِنَ الْإِبِلِ

وقال جرير

بكي دَوْبِلٌ لَا يُرْقَى اللَّهُ دَمَعَهُ • أَلَا إِنَّمَا يَبْكِي مِنَ الدُّلِّ دَوْبِلٌ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إِذَا حُفَّ الْمَصْفُورُ طَارَ فَوَادُهُ • وَلَيْتُ حديدُ النَّابِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

فقال : أصابه حد من حدود الله فألقته عليه قال : فهلاً درأته عنه بالشُّبَّاتِ ؟

قال : كان أهون عليّ من أن أُعْطِلَ حَتًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فقال : يا بني أمية ! أحسابكم

أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا للقصصاء فإن للشعر مواسم لا يزيد بها الليل والنهار

إلا جُفَّةً ، والله ما يسرنى أني هيمتُ بيت الأعشى حيث يقول : تَبْتَغُونَ فِي الْمَشَايِخِ

وَلِي الدُّنْيَا بِحُذَائِهَا وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا كَانَ قَدْ أَخَذَ عِوَضًا لِقَوْلِ

أَبْنِ حُرَّانَ

عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَمْتَرِيهِمْ • وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبُذْلُ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا أهي بيت قالته العرب قول الخطبة بن الزُّبَيْرِ قَانِ بْنِ بَدْرٍ

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ بُقِيَّتِهَا • وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

ولمنا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الخطبة في البخلاء . وقيل : أتفق جماعة

^{١٥} من الشعراء على أن أهي بيت قالته العرب ، قول الفرزدق في جرير

أَتَمَّ قِرَادَةَ كُلِّ مَعْدَنٍ سَوَّةً • وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيلُ قَرَارُ

أخذه أبو تمام فقال

وَكَاثَتْ زَفْرَةٌ ثُمَّ أَطْمَأَنْتَ • كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

٨٧

وقالوا أهى بيت قالته العرب قول الأخطل لحرير

ما زال فينا رباط الخليل مُعلّمة * وفي كليب رباط اللّوم والعار

قوم إذا أَسْتَنِج الأضياف كلّهم * قالوا لأنهم : بولى على السار

قالت بنو تميم : ما هيئا بشيء ، هو أشدّ علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن

- وجوها شتى من اللّوم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أتهم خادمهم ، يأمرونها
بكشف قُرَحِها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قَتَها
تطفى ببولة ، وأغرى بينهم وبين الجوس : لتعظيم الجوس للنار ، وإهانتهم لها إلى
غير ذلك .

وقالوا أهى بيت قالته العرب قول الطرماح

- ١٠ تميمٌ بطُرق اللّوم أهدى من القطّاء ، ولو سلكت طرق المكارم ضَلَّتْ

وقيل أهى بيت قالته العرب قول الأعرابي

الأسؤم أكرم من وِبرٍ والديه * واللّوم أكرم من وِبرٍ وما ولّنا

قوم إذا ما جئنا جانيهم أَمِنُوا * من لّوم أصحابهم أن يقتلوا قوداً

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِل الخزاعي

- ١٥ أما المِجَاء فليق عِرْضُكَ دُونَهُ * والمُنْذ عَنكَ كما عِلتَ نَجِيلُ

فانْهَبْ فانت طليق عِرْضُكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عِرْزَتِ به وأنت ذليل

وكان سبب ذلك أنه كان يخرسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دعبِل ما هو فيه

من الحَطْوَة عنده ، فصار إلى مَرَوْ ، وكتب إلى الفضل بن سهل

لا تَبْأَنْ أبْنَ الوليد فإنه * يريك بعد ثلاثة بَملَـ

- ٢٠ إلى المَلُول إذا تَقدمَ عَهْدُهُ * كانت مودَّتُهُ كَفَى ضلـ

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دجيل وهو غلام أمرد يُسَقِّق به ؟ فقال : لا، قال : كان يُقَبَّب بِمَيَّاس، وكتب إليه مَيَّاسُ قُلُوبِي : أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى ؟ .. لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهباء انزع، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال
فكن كيف شئت وقُلْ مَا تَشَاءُ * وَأَبْرِقْ مِينَا وَأَرْعِدْ شِمَالَنَا
نَجَا بِكَ لَوْكُ مِنْجَا الذُّبَابِ * حَمَتُهُ مَقْلُذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا
وَأَنشُدِ الْجَاهِظَ
وَوَقِفْتُ أَنَّكَ لَا تُسَبِّحُ .. سَمَاكَ لَوْكُ أَنْ تُنَالَا

وقال الآخر
يَنْزِلُهُ وَالذِّبْكَ كُيِّتَ عِزًّا * وَبِالْزُّومِ أَجْعَلَتْ عَلَى الْجَوَابِ

وقال آخر
دَنَاءَةُ عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعٌ * يَتِيكَ إِذَا سَاءَ مِنْكَ الصَّنِيعُ
قَتْلُ لَمْدُوكَ مَا تَسْتَهِي * فَانْتَ الْمَنِيعُ الرَّفِيعُ الْوَضِيعُ

وقال أبو نُوَّاسٍ
مَا كَلَّفَ لَوْ لَمْ أَهْجُهُ غَالِبٌ * قَامَ لَهُ هَجْوِي مَقَامَ الشَّرَفِ

يقول : قد أسرف في هجواي .. وإنما ساد بذلك السرف
غالبٌ، لا تسعَ لثني العلاء، * بلغت مجدا بهجائي، قَفَّ
قد كنت مجهولا ولكنني .. توهمت بالمجهول حتى عُرِفَ

وقال أبو هلال المسكوي-

أهنتُ هجائي يابنَ عُرْوَةَ، فانتحى * على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا : أنهجو مثله في سقوطه؟ * قفلت لهم : جربتُ سيني في كلب

وقال ابنُ لنكك

- وعصية لما توسطهم * صارت على الأرض كأنها تم
كانهم من سوء أفهامهم * لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سرورا بهم * لأنهم طار على آدم
وقالوا أهى بيت قاله عدت قول الأعر

قبحت مناظرهم، لحين خبرتهم، * حسنت مناظرهم لقيح الخبير

- ١٠ وقال المسكوي : ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأقر
إن يفجروا أو يغدروا * أو يضلوا لم يحفلوا
وغدوا عليك سرجلين كأنهم لم يفعلوا!

ومن البليغ قول حسان

- أبناء حار، فرب تلقى لهم شبا * إلا التيمس على أكفها الشمر
إن نافروا ففروا، أو كاثروا كثروا، * أو قاموا والريح عن أحسابهم ففروا
١٥ كأن ريحهم في الناس إن خرجوا * ريح الكلاب إذا ما مسها المطر
وقال أيضا

أبوك أبوسوء وخالك مثله * ولست بخير من أبيك وخالك
وإن أحق الناس أن لا تلومه * على اللؤم من أتى أباه كذلكا

وقال الآخر

سَلِ اللَّهَ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ • وَلَا تَسْأَلَنَّ أَبَا وَائِلِهِ
فَإِذَا سَأَلَ اللَّهَ عَبْدُهُ • تَغَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَاهِلِهِ

وقال آخر

وَلَوْ قِيلَ لِلْكَلبِ : يَا بَاهِلُ • لَأَعُولَ مِنْ قُبْحِ هَذَا النِّسْبِ !

وقال زياد : مَا تُجِيتُ بَيْتَ قَطٍّ أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ

فَكَرَّ، فَهِيَ ذَلِكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ • هَلْ تَلْتَ مَكْرُمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتِ سُمَيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمَتْ • أَنْ أَبْنَاهَا مِنْ قَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِ

وقال إبراهيم بن العباس

وَلِمَا رَأَيْتُكَ لَا فَاغْشَا • تُهْلِبُ وَلَا أَنْتَ بِالزَّاهِدِ
وَلَيْسَ عَدُوُّكَ بِالْمُتَّقِي • وَلَيْسَ صَدِيقُكَ بِالْحَامِدِ
أَتَيْتُ بِكَ السُّوقَ سَوَىَّ الْهَوَانِ • فَتَادَيْتَ : هَلْ فِيكَ مِنْ زَائِدٍ؟
عَلَى رَجُلٍ غَادِرٍ بِالصَّدِيقِ • كَفُورٍ لِنِجَانِهِ جَاحِدِ
فَمَا جَاءَنِي رَجُلٌ وَاحِدٌ • يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ وَاحِدِ
سَوَى رَجُلٍ حَانَ مِنْهُ الشَّقَاءُ • وَحَلَّتْ بِهِ دَعْوَةُ الْوَالِدِ
فَبَعَثْتُكَ مِنْهُ بِلَا شَاهِدٍ • خَافَةَ رَدُّكَ بِالشَّاهِدِ
وَأَبَتْ إِلَى مَقَرِّي سَالِمًا • وَحَلَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاقِدِ

وقال السكري

إِنْ كَانَتْ شَكْلُكَ غَيْرَ مُتَّفِقِي • فَكُنَّا خِلَافَكَ غَيْرَ مُؤْتَلَفِي
صُوِّرَتْ مِنْ نُظْفٍ قَدْ اخْتَلَفَتْ • فَأَنْتَ خِلَافُكَ وَهِيَ مُخْتَلَفِي

(٨٤)

من عصية شئ إذا اجتمعوا * شبت داركم بهم عرفة
فورت من ذا قبح منظره * وورثت ذاك خناه أو صلفه

وقال الحسن بن مطران شاعر النخبة

كم خجست في ملحك فكرا على : درغيس غير مشبوب
ولم ينض رأيك يوما على * برى، ولا رأى لمكذوب
إن كان موعودك في الجودى * أكذب من موعود عرقوب
فلت أخبارك في ملحقى * أكذب من ذئب ابن يعقوب

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة

ليت يقوم ما لم في الملايد * ولا قدم تسمى لبذل الصنائع
إذا نظرت عيني اليهم تجست * برؤيتهم طهرتها بالمدامع
وقال المتنقى

إن أوحشتك العالى * فإنها دار غربة
أو آنتك المخازى * فإنها بك أشبه

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الججاج

ولقد عهدتكم تسهى * قربى، وتستدعى حضورى
وأرى الجفا بعد الوفا * مثل الفسا بعد البخور
يا خربة العدم الصعج النىء * والخبز الطعير
في جوف متعل الطيشعة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سره * شبرين من وجع الزحير
يا قسوة بعد العسا * بالبيض والابن الكثير

وفطائر عَجْنَتْ بِلا السِّلَاحِ الجَرِيشِ ولا النَجِيرِ
 يَا تَنَ رَائِحَةَ الطِّيْبِخِ إِذَا تَنَبَّهَ فِي الْقُدُورِ
 يَا عَشَّ بِيضَ الْقَدْلِ فَتَرَّخَ فِي السَّوَالِفِ وَالشُّعُورِ
 يَا بَوْلَ صَبَانَ الْفِطَا * يَا حَرَامَ فِي الْمَجُورِ
 يَا بَضْ تَخِينِ الْحَشَا * فِي الصُّومِ مِنْ تَحْمِ السُّجُورِ
 يَا حَرَّ قَوْلَنَجِ الْبَطُورِ * * * وَبَرْدَ أَصْعَابِ الظُّهُورِ
 يَا ذِلَّةَ الْمَظْلُومِ أَصْنَجِ وَهُوَ مَعْدُومُ النَّصِيرِ
 يَا سَوْءَ عَاقِبَةِ التَّفَقُّدِ عِنْدَ تَشْبِيهِ الْأُمُورِ
 يَا كَلَّ شَيْءٍ مُتَعَبٍ * مُتَعَبٍ صَبَّ عَصِيرِ
 يَا حَيْرَةَ الشَّيْخِ الْأَصْنَمِ * وَحُسْرَةَ الْحَلَّتِ الضَّرِيرِ
 يَا قَصْدَةَ فِي دِجَلَةَ * وَالرَّيْحُ تَلْبُ بِالْجُورِ
 يَا قَرَحَةَ السَّلِّ الَّتِي * هَذَتْ شِرَاسِيفَ الصُّدُورِ
 يَا أَرْبَعَاءَ لَا تَدُو * رَبِّهِ تَحَاثَّتْ الشُّهُورِ
 يَا هَيْدَةَ الْحِطْلَانِ تُسْتَقْصُ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمُرُورِ
 يَا قَرَحَةَ فِي نَاطِرِ * غَلْظُوا عَلَيَا بِالْأُتُورِ
 قَتَلْتُمْ مَعَ مَا يَلِيهَا فِي الْجَفُونِ مِنَ الْبُتُورِ
 يَا خِيَةَ الْأَمَلِ الَّذِي * أُمَيَّ يُعْلَلُ بِالْفُرُورِ
 يَا قَلْبَةَ الْمُتَخَذِرَا * تِ وَاهِ أَبْوَابِ الْقُصُورِ
 يَا وَحْشَةَ الْمَوْتِ إِذَا * صَارُوا إِلَى ظَلَمِ الْقُبُورِ
 يَا ضَجْرَةَ الْمُحْمُومِ بِالْمُظْهَوَاتِ مِنْ مَاءِ الشَّعِيرِ

١٠

١٥

٢٠

يا شؤم إقبال الشتاء * وأضرَّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحسن التي * خُفِّتْ بِأَيَّامِ السَّوِيرِ
يا خِجَّةَ الضَّجْرِ المصدِّعِ بالتنازعِ والشُّرُورِ
يا عِزَّةَ القلمِ المرشِّشِ بين أنشاء السُّلُورِ
يا لَيْلَةَ العُرْيَانِ غِبَّ عَشِيَّةَ اليَوْمِ المَطِيرِ
يا نومةً في شمس آء * بَّ عَلَى التَّرَابِ بِلا حَصِيرِ
يا بَقَاةَ المَكْرُوهِ في السُّيُومِ العَبُوسِ القَمَطِيرِ
يا نَهْمَةَ الحَكْلِيبِ الرَضِيحِ ونَكْهَةَ البَيْتِ المَصُورِ
يا عَيْشَ عِلَنٍ مَوْتِي * في القَيْدِ مَنُورِ أسِيرِ
يا حِلَّةَ الرِّبْدِ الذي * لا يَسْتَفِيقُ مِنَ القَطُورِ
يا حَيْثَةَ الكَلَّاسِ مِنْ * شَمِّ التَّرَائِرِ والمَبِيرِ
يا حَيَّةَ العُطْشَانِ وَقَسَّتِ الظُّهْرُ في وَسَطِ المَبِيرِ
مَنْ لِي بِأَنْ تَلْقَاكَ خَيْلُ بَنِي كَلَابِ بِلا خَفِيرِ
وَأَرَى بِمَنْ لِحْمِكَ المَطْبُوخِ في حَرِّ المَجِيرِ
في الأَرْضِ ما يَبِينُ السَّبا * ع وَفِي السَّما يَبِينُ النُّسُورِ

وقال المتنبي

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ * تَحْتَ المَلُوحِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجِمُ
وَجَفُونُهُ مَا تَسْتَقَرُّ حَكَايَا * مَطْرُوقَةً أَوْفَتْ فِيهَا حَصِيرُ
وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا * وَيَكُونُ أَكْثَبًا يَكُونُ وَيُقَسَّمُ

واذا أشار مكلّمًا فكأنه * قَرَدٌ يَهْفُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلِيطُ
يَعْلَى مُفَارَقَةً الْأَكْثَفَ قَدَالُهُ * حتى يكاد على يدِ بَتَمَمٍ



ومما يلزم به الرجل أن يكون ثقيلا، فأبلغ ما قبل في ذلك قول بعضهم

وتقبل أشدَّ من غَصِصِ المَوْ * ت ومن زُفْرَةِ العذابِ الألمِ
لو عَصَتْ رَجُلًا الْجَحْمُ لَمَّا كَا * ن مِوَالَهُ عَقُوبَةُ الْجَحْمِ

وأبلغ ما قبل في هذا المعنى قول بشر

ولقد قلتُ حينَ وَتَدَ في الأَر * ضَ تَقْبِلُ أَرْبَى عَلَى تَهْلَانِ
كيفَ لم تُجِثِ الأَمَانَةَ أَرْضُ * حَلَّتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانِ



ومما هجى به أهلُ الوقتِ على الإطلاقِ - فمن ذلك قول أبي هلال

العسكريّ

كم حاجةُ أنزلها * يَكْرِمُ قَوْمَ أَوْلَاسِهِ
فإذا الكَرِيمُ من اللّٰئِمِ أَو اللّٰئِمُ من الكَرِيمِ
سبْحانَ رَبِّ قَادِرٍ قَدَّ البَرِيَّةَ من أَدِيمِ
فشرِّفَهُم ووضِعَهُم سَيَّانَ في سَقَةٍ وَلُومِ
قد قَلَّ خَيْرُ غَنِيَّتِهِمْ فَغَنِيَّتُهُمْ مِثْلُ السَّديمِ
وإذا أَخْبَرْتَ حَيْثُهم أَلْقَيْتَهُ مِثْلُ اللّٰئِمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ، فمن ذلك قول
أبي عُبَيْدَةَ لِيَهْجَوْ خَالَدَ بْنَ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيَّ وَمِدْحُ أَبِيهِ

أَبُوكَ لَنَا غَيْثٌ نَعِيشُ بِفَضْلِهِ • وَأَنْتَ بَرَادٌ لَيْسَ يُسْقَى وَلَا يَلْتَرُ
لَهُ أَثَرٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ يَسْرُنَا • وَأَنْتَ تُعْنَى دَائِبًا ذَلِكَ الْإِثَرُ
لَقَدْ قُنَعْتُ حَقْلَانِ نَحْرِيَا بِخَالِدٍ • فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُحْزِكُ اللَّهُ يَأْمُرُ ؟

وَلَهُ فِي قَيْصَةَ بْنِ رُوحٍ : يُفَضَّلُ عَلَيْهِ أَبْنُ عَمِّهِ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ
أَقْبَيْسُ لَسْتُ وَإِنْ جِهَدْتَ بِيَالِغٍ • سَعَى أَبْنُ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدُ
شَتَانُ بَيْنَكَ بِأَقْبَيْسٍ وَبَيْنَهُ • إِنَّ الْمُدَّمَّ لَيْسَ كَالْمَحْمُودِ
دَاوُدُ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُدَّمٌ • عَجَبًا لَنَاكَ وَأَنْتَ مِنْ عُودِ
وَلَرُبُّ عُودٍ قَدْ يُسْقَى لِمَسْجِدٍ • نَصَفًا وَسَائِرُهُ لِحَشٍّ يَهُودِي

وَقَالَ حَسَّانُ فِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ

أَبُوكَ أَبُّ حُرٍّ وَأَمْسُكَ حُرَّةٌ • وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ مُجِيبٍ
فَلَا تَصْجِبَنَّ النَّاسَ مِنْكَ وَمِنْهُمَا • فَمَا خَبْتُ مِنْ فَضِيَّةٍ بِمُجِيبٍ

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذمُّ به الرجل ، أن يكون حَسُودًا • وقد أمر الله تعالى نبيه عليه
الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شرِّ الحاسد إذا جَسَدَ

قَالَ ابْنُ السَّيِّدِ

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُرُونَةً خَلَقَتْهُ مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ، فلما أَتَتْهُ إِلَى الْحَسَدِ، جعله خاتِماً إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ فِي الشَّرِّ نَهَايَةٌ. والحسد أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى بِهِ فِي الْأَرْضِ، أَمَا فِي السَّمَاءِ، فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ، وَأَمَا فِي الْأَرْضِ، فَحَسَدُ قَايِلَ لَهَايِلَ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ التَّضَمُّنِ فِي قَوْلِهِ عَنْ وَجَلٍ إِيخْبَاراً عَنْ أَهْلِ النَّارِ (رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّاهُمْ مِنَ الْبَلَى وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَلَى إِبْلِيسَ، وَبِالْإِنْسِ قَايِلَ، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْكُفْرَ، وَقَايِلَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كَلِمَةُ الْحَسَدِ .

وقال عبد الله بن مسعود : لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَمِنْ يُعَادَى نِعَمَ اللَّهِ ؟
 قال : الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ، مَسِيخٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمِي .

وقالت الحكماء : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ، أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى عَبْدٍ عَدُوًّا لَا يَرْحَمُهُ ، سَلَّطَ عَلَيْهِ حَاسِدًا .

وكان يقال في اللِّسَاءِ عَلَى الرَّجُلِ : طَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصِرُ دُونَ الْفَقْرِ ، وَحَسَدَكَ مِنْ لَا يَتَامُ دُونَ الشَّقَاءِ .

وقالوا : مَا ظَلَمْتُكَ بِمَدَاوَةِ الْحَاسِدِ ، وَهُوَ يَرَى زَوَالَ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ ؟

قال أبو الطيب المتنبي

سوى وجه الحساد داء فإنه = إذا حلَّ في قلبٍ فليس يحولُ
 ولا تطمئنَّ من حاسدٍ في مودتي = وإن كنت تُبْذِلُهَا لَهُ وَتُبْسِلُ

وقال البيهقي

ومن البلية أن تدأوى حقد من • نيمُ الآله عليك من أحقادِهِ

وقال علي رضي الله عنه

لا راحةَ لحسود، ولا أخَ لملول، ولا حُبَّ لشيءٍ انحلَّتْ .

وقال الحسن

ما رأيت ظالماً أشبهَ بظالمٍ من حاسد؛ نفسٌ دائم، وحرزٌ لازم - وغيره لا تُفقد،
ثم قال : به در الحسد ما أعلله ! يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

وقال الجاحظ : من العدل المحض - والإنصاف الصحيح ، أن تحطَّ عن الحاسد
نصفَ عقابه . لأنَّ ألمَّ جسمه ، قد كفاه مشوَّةُ شطر غيظك عليه .

وقيل : الحسد أن تمنى زوالَ نعمةٍ غيرك . والقبطة أن تمنى مثلَ حالِ صاحِبِكَ .
وفي الحديث : « المؤمنُ يَنْيَطُ ، والمُنافقُ يَحْسُدُ » .

وقال أرسطاطاليس : الحسد حمدان : محمود - ومذموم - فالحمود أن ترى
علماً قشتمى أن تكون مثله ، وزاهداً قشتمى مثل فعله ، والمذموم أن ترى علماً
وفاضلاً قشتمى أن يموتاً . وقيل : الحسود غضبان على القدر - والقدر لا يعْتَبَرُ .

قال منصور الفقيه

ألا قُلْ لمن كان لي حاسدا • أتمدري على من أسأت الأدب ؟

أسأت على الله في فضله • إذا أنت لم ترَضَ ما قَدَّ وهَبُ

وقال المتني

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا • لمن بات في قماره يتقلب

ومن أخبار الحسدة : ما حكى ، أنه أجمع ثلاثة قهر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما أشتيت أن أفعل بأحد خيرا قط ، فقال الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما أشتيت أن أفعل بأحد خيرا قط ، فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منك . أنا ما أشتيت أن أفعل بى أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه . وهجاء الحاسد وذمه .
قال مضى شعره

إن يحسدونى فى غير لائهم . قيل من الناس أهل الفضل قد حسدوا .
فـ . لى وغـ . دى وما بهم . ومات أكثرا غما بما يحسد

وقال آخر

إن التراب وكان يمشى مشية . فبما مضى من سالف الاحوال
حـ . نقة ورأى يمشى مشيا . فأصابه ضرب من التقال

وقال آخر

حسدوا الفقى إذ لم ينالوا بعبه . فالقوم أعداء له وخُصوم
كضرائر النساء قلن لوجيها . حسدا وبقا إنه لقيم

وقال البحتري

لا تحسده فضل ربيته التى . أعيت عليكم وأضلوا كفماله

وقال السرى الرقاء

ثالث يذاه أفاضى المجيد الذى . بسط الحسود إليه باعا ضيقا

أَعَدُّهُ هَلْ لِّلْمَلِكِ بَرِيرَةٌ • فَإِنَّ دَنَوْتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا؟
 أَمْ هَلْ لِّمَنْ مَلَأَ الْبَيْتَ مِنَ الْعَلَا • ذَنْبٌ إِنْ مَا كُنْتَ مِنْهَا مُحَلِّقًا؟
 وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِفُ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَشَرُّفَ فَضِيلَةٍ • يَوْمًا أُنَاجَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
 لَوْلَا أَشْنَعَالُ النَّارِ فَيَا جَاوَرَتْ • مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ
 وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ

وَلَنْ يَسْتَبِينَ النَّحْرَ مَوْضِعُ نِعْمَةٍ • إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِدٍ

يَا أَيُّهَا الْعَاجِزُ وَمَا بِي مِنْ • عَيْبٍ إِلَّا تَرْعَوِي وَتَرْدِجِي
 ١٠ هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتَرْفُطَلِي • أَمْ أَنْتِ مِمَّا أَتَيْتِ مُعْتَبِرِي
 إِنْ بِكَ قِسْمُ الْإِلَهِ فَضِلِّي • وَأَنْتِ صَلَدُ مَا فِيكَ مُعْتَصِرِي
 فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّثَاءُ لَهُ • وَلِلْحَسُودِ الْقَرَابُ وَالْجَحَرُ
 مَاذَا الَّذِي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ • يَدُوْهُ لَكَ مِنْكَ حِينَ يَحْتَسِرُ
 ١٥ اقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تَذَكُّرْنَا • فَإِنْ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّوْرُ
 أَوْ صِفْنَا الْحُكْمَ فَنَوَاضِنَا • مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكْرُ
 أَوْ أَرَوْقَهَا تُرْوِي الْقُلُوبَ بِهِ • جَاءَ بِهِ عَنْ نَبِيِّنَا الْأَثَرُ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا • فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمَفْصَلُ
 أَوْ أَرَوْ عَنْ فَارِسٍ لَنَا مَثَلًا • فَإِنَّ أَمْتَلَنَا لَنَا عَيْدُ
 أَوْ عَنْ صَوَاتِئِجِي الثُّغُوسَ بِهِ • وَذَنْبٌ مَا قَدْ أَتَيْتِ مُنْتَفِرُ
 ٢٠ فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهَلْتَ ذَلِكَ وَذَا • فَبَيْتُكَ لِلنَّظَرِ مِنْ مُعْتَبِرُ

ذكر ما قيل في السعاية والبقي والغيبة والنميمة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَيِّنْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاجٍ لِّغَيْرٍ مُّتَعِدٍّ أُنْصِفَ)
بعد ذلك زعيم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يرفعن إلينا عورة أخيه المؤمن » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يراخ
الفتات راحمة الجنة » . وفي لفظ « لا يدخل الجنة فتات » ؛ والفتات : الثمام .

قال بعض الشعراء

فلا تسعى على أحد بيني . فان البسنى مضره وخيم

وقال المتأني

بئيت فلم تقع إلا صريحا . كذاك البنى مصرع كل باغي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوّة . فقال لأصحابه : إذا شئتم ، فقاموا ،
فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني ،
فإنه لا رأى لي كذوب ، أو تسى إلى واحد ، وإن شئت أقتلك ، قال : أفتى .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق ، ولم يكن في بني أمية
ألب منه في حداثة سنّه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمر ،
وسهيم منا ، فقام إليه رجل . قال : أصلى الله الأمير ، عند نصيحتك ، فقال له :
يا ليت شعري . ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني إليك ؟
فقال : جأرتي عاص ، متخلف عن قهره ، فقال له : ما أحببت الله ، ولا أكرمت
أميرك ، ولا حفظت جوارك ، إن شئت ، نظرنا فيما تقول ، فإن كنت صادقا ؛

لم يسمعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا ، عاقبتك ، وإن شئت ، أقتلك ، قال :
أقلى . قال : أذهب حيث شئت ، لا يحبك الله . ثم قال : يا أهل دمشق ، ما أعظمتم
ما جاء به الفاسق ، إن السعاية أحسب منه بحية ، ولولا أنه لا يبنى للوالى أن
يعاقب ، قبل أن يمات . كان لى فيه رأى ، فلا يأتى أحد منكم بسعاية على أحد .
فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بها . وسى رجل رجل إلى عمر بن عبد العزيز .
رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا ، فانت من هذه
الآية : (إن جاء قاسى بنى) وإن كنت صادقا . فانت من هذه الآية : (همار
مساى يمى) وإن شئت عفونا عنك ، قال : عفوا يا أمير المؤمنين ، قال : على أن
لا تعود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات : إن قوما صاروا إلى متصحين . فذكروا
أن رؤسوما للسلطان قد عفت ودرست ، وأنه توقف عن كشفها إلى أن يعرف
موقع رأيها فيها ، فوقع على رفته : قرأت هذه الرقة المذمومة ، وسوق السعاة
مكيد عندنا ، وألستهم تكل فى أيامنا ، فاحل الناس على قانونك ، وخذم بما
فى ديوانك ، فلم ترد لناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لتحيي الأعلام الدائرة ،
وجنتى وتجنب قول جرير

١٥

و كنت إذا حلت بدار قوم • رحلت بخزية وتركت عارا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السعاة ، فإذا أتاه ساع ، قال له : إن صدقتنا ،
أبضتنا . وإن كذبتنا ، عاقبتنا . وإن استفتنا ، أقتلك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العتي ، حدثني أبى عن سعيد التصرى ،

قال : نظر إلى عمرو ابن عبدة ورجل يشتم بين يدي رجلا ، فقال لى : وتلك ،

٢٠

وما قال لي وياك قبلها : تَرَهْ سَمْعَكَ عَنْ أَسْتِمَاعِ الْخَفَاءِ ، كَمَا تَنْتَهَ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ .
فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شرٍّ ما في وعائه ، فأفرغه في وعاءك ، ولو
رُدَّتْ كلمةٌ جاهل في فيه ، لَسَعَدَ رَأْسُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا ، وقد جمعه الله تعالى شريك
القائل ، فقال : (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ) .



ومما قيل في الغيبة والغيبة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « إذا قلت في الرجل ما فيه قد أغتبه وإذا قلت ما ليس فيه قد بهته » .
اغتاب رجل رجلا عند قُتَيْبَةَ بن مسلم ، فقال له : أَمْسِكْ عَلَيْهِ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، والله
لقد تلمظت بمُضْمَةٍ طَالَمَا لَهْظْتُهَا الْكِرَامَ .

وذكر في مجلسه رجل ، فقال منه بعض جلسائه ، فقال له : يا هذا أوحشتنا من
نفسك ، وأياستنا من مودتك ، ودللتنا على عورتك .

وأغتاب رجل عند بعض الأشراف ، فقال له : قد استندلتُ على كثرة عيوبك ،
بما تُدْكِرُ من عيب الناس ، لأن الطالب للميوب ، إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ،
أما سمعت قول الشاعر

لَا تَتَكَبَّرْ مِنْ سَاوِي النَّاسِ مَا سَوَّرُوا : فَيُحِبُّكَ اللَّهُ سِرًّا مِنْ سَاوِيكَ
وَأَذْكُرُ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِّرُوا : وَلَا تَمِيبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما
أَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ
يَدَّعِيَنَّكَ .

وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ أَبْشَرُ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ .
 أَشْتَقُّمُ كَشْفًا لِمَعَايِبِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَعَايِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا .
 وَإِنَّمَا نَحْكُمُ فِيهَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللهُ يَحْكُمُ فِيهَا غَائِبَ عَنْكَ . وَأَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُهُ
 لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، يَسْتُرُ اللهُ عَلَيْكَ ، مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ ، وَلَا تَعِجَلْ إِلَى تَصْدِيقِ
 سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ ، وَإِنْ قَالَ قَوْلٌ نَصِيحٌ .

وَوُثِّقَ وَاشْرِي بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَندَرِ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ قَبَلَ مِنْكَ مَا قَلَتْ فِيهِ ،
 عَلَى أَنْ تَهْبِلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَفَّ عَنِ الشَّرِّ ، نَكَفَّ عَنْكَ .
 وَقَالَ ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ : قَبُولُ النِّيمَةِ ، شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ،
 وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ ، كُنْ قِيلَهُ وَأَجَازَهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ

١٠

لَا تَقْبَلْ نِيْمَةً بُلْغَتْهَا ، وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَأَكُمَا
 إِنْ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نِيْمَةً ، سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكُمَا

وقال رجل لعمر بن عُبيد : إِنْ الْأَسَاوِرِيّ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُكَ ، وَيَقُولُ : الضَّالَّ ،
 فَقَالَ عَمْرُو : يَا هَذَا ! وَاللهَ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ جِمَالَتِهِ ، حَتَّى قُلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ ، وَلَا
 رَاعَيْتَ حَقِّي ، حِينَ أَبْلَغْتَنِي عَنْ أُنْحَى مَا أَكْرَهُهُ ، أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَمْتَنَانِ ، وَالْبَعَثَ
 يَجْتَمِعَانِ ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعَانِ ، وَاللهَ يَحْكُمُ بَيْنَنَا .

١٥

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فَأَنكَرَهُ الْأَحْنَفُ : بَلَّغْتَنِي عَنْكَ الْفَقَّةَ ،
 فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ الْفَقَّةَ لَا يُبَلِّغُ .

قال بعض الشعراء

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوُّه ۝ ولكننا سبَّ الأميرَ المُبِينُ

وقال ابن المعتز : الساعى كاذب لمن سعى إليه ، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : التَّامُّ ، شرٌّ من السَّاحِرِ ، فإن التَّامَّ ، يفسد في الساعة الواحدة ، ما لا يفسد .

الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : النِّمِعة ، من اللُّلال الذميمة ، تُدَلُّ على نفس سقيمة ، وطبيعة ليثة ،

مشغوفة بهتك الأستار ، وإغشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتبعون مساوئ الناس ، ويتركون محاسنهم . كما

يتبع الذباب المواضع الألَّة من الجسد ، وترك الصحيحة .

وقالوا : لم يَمِشْ ماش ، شرٌّ من واش . والساعى بالنِّمِعة ، كشاهد الزُّور . يهلك

نفسه ، ومن سعى به ، ومن سعى إليه .

وقالوا : حَسْبُكَ مَنْ شَرَّ سَمَاعِهِ . وقد لهج الشعراء بضم التَّام ، وجعلوه من

أهاجيم .

قال بعض الشعراء

من يَمَّ في الناس لم يُؤْمَنْ عَارِبُهُ ۝ على الصديق ولم يُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ

كالسَّيْلِ بالليل لا يدري به أحدٌ ۝ من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السَّيْرِيُّ الرَّقَاءُ

أَتَمَّ بِمَا أَسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ زُجَاجَةٍ ۝ تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ

١٠٠

١٠١

وقال محمد بن شرف

وناصب نحو أفواه الوري أذنا • كالعقب يقطع فيها كل ما سقطا
بطل يقطع الأخبار مجتهدا • حتى إذا ما وعاها زق ما لقطا

وقال ابن وكيع

يتم بسر مستعيبه لؤما • كما تم الظلام بسر نار
أتم من النصول على ميثب • ومن صافي الزجاج على عفار

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسقي مجاهير، وإمام جائر، وصاحب
بذعة .

وكتب الكسائي إلى الرقاني

ترك المسجد الجامع والترك له رية
وأخبارك تأتينا ، على الأعلام منصوبة
فلن زد من النيسة زدناك من النيسة

ذكر ما قيل في البخل واللوم

والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ آلَتَهُمُ
وَالْفُتُوحَةَ وَلَا يَنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُؤُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ) ، وقال تعالى : (وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
شَيْئًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلَعُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَّتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبَخْلُ
وَسُوءُ الْخُلُقِ » .

وقال بعض السلف : منع الجود، سوء ظن بالمعبود، وثلا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ
فَهُوَ يَنْفِقُهُ لَهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

٥ وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البغلاء، بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم، أنه قال : « لِمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَنَّةَ عَدْنٍ، قَالَ لَهَا : تَزِينِي فَتَرِيفَتِ،
ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَظْهِرِي أَنَا رُكَّ . فَاظْهَرَتْ عَيْنَ السَّلْسِيلِ . وَعَيْنَ الْكَافُورِ . وَعَيْنَ
التَّسْلِيمِ ، وَنَهْرَ الْخَمْرِ ، وَنَهْرَ الْعَسَلِ . وَنَهْرَ اللَّبَنِ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَظْهِرِي حُورَكَ،
وَسُحْرَكَ، وَسِرْكَ وَجَمَالَكَ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي . فَقَالَتْ : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَنِي، فَقَالَ
اللهُ حُرٌّ وَجَلَّ : أَنْتِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ » .

وقال سُقْرَاطُ : الْأَغْنِيَاءُ الْبُخْلَاءُ . بِمَثَلَةِ الْبَيْتِ وَالْجَمْرِ ، يَحْمِلُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ،
وَتَعْتَلِفُ النَّبْنَ وَالشَّعِيرَ .

وقالوا : الْبَخْلُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ ، وَنَحْوِ الْمِثْمَةِ ، وَضَعْفِ الرَّوْيَةِ ، وَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ،
وَالزُّهْدِ فِي الْخَيْرَاتِ .

(١١)

١٥ وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الْبَخْلُ جَامِعٌ لِسَاوِيٍّ وَالْعِيوبِ ، وَقَاطِعٌ
لِلْوَدَّاتِ مِنَ الْقُلُوبِ .

وقالوا : حَدُّ الْبَخْلِ ، مَنَعَ الْمُسْتَرْفِدَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى رِفْقِهِ .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل، ويقول محبًا لذلك : إِنْ الْبَخِيلَ يَحْمِلُهُ
بَخْلُهُ ، عَلَى أَنْ يَأْخُذَ فَوْقَ حَقِّهِ ، غَافَةً أَنْ يُفْنِيَ . وَمِنْ كَانَ هَكَذَا لَا يَكُونُ مَأْمُونًا .

وقال بشر بن الحارث الخافي : لا غيبة لبخيل ، ولشروطي محبي أحب إلى من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق اسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

- وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يتم بجمعه ، وفي الآخرة يحاسب على منعه . غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من إثمه ، عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأَهمم يموده في مرضه ، فراه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في بيته ، ثم ألقت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أيسل بها ربحاً ؟ فقال له : تكثر أمك ! ولم كنت تجمها ؟ قال روعة الزمان ، وجفوة السلطان ، وتكثر العشرة ، ثم مات ، فشاهده الحسن ، فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا . أتاه شيطانه بخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما استودعه الله إياه ، وعمره فيه . انظروا إليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم ألقت إلى واره ، فقال : أيتها الوارث لا تخشع كما خدع صويحك بالأمس ، أذاك هذا المال حلالاً ، فلا يكون عليك وبلاً ، أذاك عفوا صفوا ، بمن كان له جموعاً متوعاً ، من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، قطع فيه بلج البحار ، ومفاوز القفار . ولم تكلج لك فيه صير ولم يترق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة يوم فوحشات ، وإن من أعظم الحسرات غدا ، أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيالها حسرة لا تُقال ، وتوبة لا تُقال .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة ، الحطيئة ، وحيد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان ، وقُتِلَ عنهم أمور دلت على بخلهم .

أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرَّ به ابن الحمامة ، وهو جالس فيناه بيته ، فقال له : السلام عليكم ، فقال : قلت مالا ينكر ، فقال : إني خرجت من أهلي بنير زاد ، قال : ما ضمنت لأهلك قرألي ، قال : أفتأذن لي أن آتي بظل بيتك فأنهيا به ؟ قال : دونك الجبل بقي عليك ، قال أنا ابن الحمامة ، قال : أنصرف وكن ابن أي طائر شئت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غناء ، فقال له : ياراعي للثمن ، وكان بيد الحطيئة عصا فرمها ، وقال : بخراء من سلم ، فقال الرجل : إنما أنا ضيف ، فقال : للضياف أعدتها . وكان الحطيئة أحد الحمقى ، أوصى عند موته ، أن يُحْمَلَ على حمار ، وقال : لمي إن حملت عليه ، لا أموت ، فإني ما رأيت كريما مات عليه قط . قال : لكل جديد لذة ، إلا جديد الموت ، فإني رأيته غير لذيذ . وقيل له : أوص ، فقال : أوصي أن مالي للذكور دون الإناث ، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك . قال : لكني أقوله . وقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فقال : أشهد أن الشياخ أشمر غطفان .

ومن أخباره : أن الزبير بن بدر ، تقيته في سفر ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا حسب موضوع ، أنا أبو مليكة ، فقال له الزبيران : إني أريد وجهاً ، فيصير لي منزلاً ، وكان هناك ، حتى أريج ، فصار الحطيئة إلى امرأة الزبيران ، فأنزلته وأكرمته ، فبهذه بنوعه ، وهم بنو لاي ، فقالوا للحطيئة : إن تحولت إلينا ، أعطيناك مائة ناقة ، ونسألك إلى كل طُلب من أطايب بيتك حلة تحويه ، وقالوا

لأمرأة الزَّيرقان : إن الزَّيرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته ، فقدح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم الشَّجعة ، تخلف الحطيئة ، فتناظرت عنه امرأة الزَّيرقان ، فاحتمله القُرييئون ووقوا له بما قالوا ، فذحهم ، وهجا الزَّيرقان ، فقال

أزمتُ يأساً مبيتاً من والكم * ولا يرى طارداً للحُرَّ كالبياس

دع المكارم لا ترحل بُغيته * وأقمذ فإنك أنت الطائم الكاسي
مَنْ يفعل الخير لا يَندم جواريه * لا يذهب العُرف بين الله والناس

فاستعدى الزيرقان عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحكَّم عمرُ ، حسان ابن ثابت ، فقال حسان : ما هجاه ولكن سلَّح عليه ، فحبس عمر الحطيئة . فقال يستمطفه

١٠ ما ذا تقول لأفراخ يذى مريخ * ثمير الحواصل لا ماء ولا تجبر
أقيت كاسهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثرك بها إذ قدموك لها * لكن لأقسم كانت بك الأثر

فأخرجه عمر ، وجلس على كرسى ، وأخذ بيده شفرة ، وأوهم أنه يريد قطع لسانه ، فضج ، وقال : إني والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوت أبى وأُمى وأمرأى وقصى ، فحبس عمر ، ثم قال : ما الذى قلت ؟ قال : قلت لأبى وأُمى

١٥ ولقد رأيتك فى النساء فسوتنى . وأبأ بينك فساءنى فى المجلس

وقلت لأبى خاصة

فيسر الشيخ أنت لدى نيم * وبئس الشيخ أنت لدى المال

وقلت لأخي خاصة

تَحَيَّ وَأَجْلِسْ مَنِّي بِمِيسَا • أَرَأَيْتَ لَكَ الْعَالِيْنَ؟
أَغْرَبًا لَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ بَرًّا • وَكَافَرًا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ؟

وقلت لأمرأتى

أَطُوفِ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آتِ • إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ نَكَّاحٍ

وقلت لنفسى

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا نَكَّاحًا • بِسَوْءِ مَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ • فَتَقَبَّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَفُجَّحَ حَامِلُهُ

نَفَلَى عَمْرٍ مِثْلَهُ • وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَجُوزَ أَحَدًا، وَجِئْتُ لَهُ ثَلَاثَةَ أَلْوَابٍ أَشْتَرَى

بِهَا مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ يَذْكُرْنِيَّ إِيَّاهُ عَنِ الْمَجَاءِ وَيَتَأَسَفُ

وَأَخَذْتُ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدْعُ • شَتْمًا يَفْضُرُ وَلَا مِدِينًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتِي عَرُضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخْفُفْ • شَتْمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَخْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقُطِ : فَكَانَ هَجَاءً لِلضَّيْفِ، حُثًّا عَلَيْهِ، فَقَرَّلَ بِهِ ضَيْفَ ذَاتِ

لَيْلَةٍ • فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : نَزَلَ بَنُ الْبَلَاءِ، قَوْمِي فَأَعْدَى لَنَا شَيْئًا • فَعَلْتُ • بِفَعْلٍ

الضَّيْفِ يَا كُلَّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْحِجَابُ بِالنَّاسِ؟ فَلَمَّا قَرَعُ، قَالَ حَمِيدُ

يُحِثُّ عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جُنْدٍ يَبْتَغَانِ • « حَيْثُ لِلْمُزَوَّرِ النَّجِيَّةُ بِإِذْنِ

يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَامِي لِلْقُرَى • أَبْنَى لِي مَا الْحِجَابُ بِالنَّاسِ فَاعِلٌ؟

قُلْتُ : لَعَمْرِي مَا لَهَذَا أَتَيْنَا • فَكُلُّ وَدِيعِ الْأَخْبَارِ مَا أَتَى كُلُّ

تَدْبِرُ كِفَاهُ وَيَحْدُرُ حَقُّهُ * إِلَى الصَّدْرِ مَا حَازَتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
أَنَا وَلَمْ يَمِيلْهُ سَحَابٌ وَائِلٌ * بَيَانًا وَصَلًا بِالَّذِي هُوَ قَاتِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنْ الْبَيْتِ لَمَّا أَنَّ تَكَلَّمَ بِأَقِلُ

ونزل به أضياف، فاطعمهم تمرًا وهجاءهم، وأدعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال
باتوا وجعلتنا الصَّهْبَاءَ حَوْلَهُمْ * كَأَن أَطْفَارَهُمْ فِيهَا السَّكَاكِينُ
فأصبَحوا والتَّوَى مُلْقَى مَعْرَسِهِمْ * وَلَيْسَ كُلُّ التَّوَى أَلْفَى الْمَسَاكِينُ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طالعاً سرت
في البلاد، أما والله لأُطِلَنَّ حبسَكَ، ولأُدِيعَنَّ لُبَّتَكَ . وقيل له : مالك لا تنفق،
فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرضُ منه، قيل : كأنك تقول أن تعيش
الدهر كله، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكاناً عالياً يجلس عليه . فكان ربما أكل
عليه فلا يناله المحتاز، فتر به أعرابي على جبل، فعرض عليه أن يأكل معه، وظهر
أنه لا يناله، فأنافخ الأعرابي بعيره، حتى وازى الدكان، وأكل معه، فما جلس
بعد ذلك على الدكان، وكان يقول : لو أطمعنا المساكين في أموالنا، كنا أسوأ حالا
منهم . وقال لبنيه : لا تُطِيعُوا الْمَسَاكِينَ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَعُونَ مِنْكُمْ، حَتَّى
يَرَوْكُمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ . ووقف عليه أعرابي وهو يتنقذ، فسلم عليه، فردَّ عليه، ثم
أقبل على الأكل، ولم يعرض عليه . فقال الأعرابي : أما إني قد مررتُ بأهلك،
قال : كان ذلك طريقك، قال : وهم صالحون، قال : كذلك فارقتهم، قال :

وأمر أهلك حُمْلَى، قال : كذلك كان عهدى بها، قال : ولأنت، قال : ما كان بذلها
أن تلد، قال : ولدت غلامين، قال : كذلك كانت أمها، قال : مات أحدهما،
قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين، قال : ثم مات الآخر، قال : ما كان
ليني بعد أخيه، قال : وماتت الأم، قال : جزاً على ولديها، قال : ما أطيب
طعامك ! قال : ذلك جزائي على أهله، قال : أف لك ما ألك ! قال : من شاء
سب صاحبه .

ونظير هذه الحكاية : ما حكى أن أعرابياً مرّ بآخر، فقال : من أين أقبلت
يا بن عم ؟ قال : من الثنية، قال : فهل أتيتنا منها بجبر ؟ قال : سل عما بدا لك،
قال : كيف علمك بيحيى ؟ قال : أحسن العلم، قال : هل لك علم بكلّى قنّاع ؟
قال : حارس الحى، قال : فبأتم عثمان ؟ قال : بفتح، ومن مثل أم عثمان ! لا تدخل
من الباب إلا منحرفة بالثياب المعصفرات، قال : فبمئنان ؟ قال : وأبيك فإنه
جرّ الأسد ولعب مع الصبيان، ويده الكمرّة، قال : فبجملنا السقاء ؟ قال :
إن ستامه ليخرج من النسيط، قال فبالدار ؟ قال : وأبيك، إنها لخصيبة الجناح،
طامرة الفتاة، ثم قام عنه، وقعد ناحية يأكل فلا يدعوه، فتركب، فصباح به،
وقال : يا بن عم، أين هذا الكلب من قنّاع ؟ قال : يا أسفا على قنّاع ! مات، قال :
وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجمل السقاء، فاختصّ بعظم منه فمات، قال :
إنّا لله، أو قد مات الجمل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أم عثمان، فانكسرت رجله .
قال : ويملك ! أماتت أم عثمان ؟ قال : إى والله، أماتها الأسف على عثمان . قال :
ويملك ! أمات عثمان ؟ قال : إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه، فرمى الأعرابي

بطعامه وشربه وأقبل يخف لحيته ويقول : إلى أين أذهب ؟ فيقول الآخر إلى النار ، وأقبل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك ، ويقول : لا أرغم الله إلا أنف اللئام .

وكان أحيحة بن الجلاح من البتلاء ، وكان إذا هبت الصبا ، طلع أطمعة ، ينظر إلى ناحية هبوبها ثم يقول : هُي هبوبك ، فقد أعددت لك ثلثائة وستين صاعا من عَجْوَةٍ ، أدفع إلى الوليد منها ، خمس غرات ، فيرد على منها ثلاثا ، أى لصلايتها بعد جهد ما يولك منها .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بمآدير ، تقول : هو الأثم من مآدير ، ويرمعون أنه بنى حوضا وسقى إليه ، فلما أصدرها سَلَحَ في الحوض ، ثلاثين غيره فيه .

وكان عمر بن يزيد الأسدي مبعلا جدا ، فاصابه القولنج فحسه الطبيب بطن كثير ، فاحمل ما في بطنه ، فلما أبرزه ، قال للغلام : ما تصنع به ؟ قال أصبه ، قال : لا ولكن ميز اللبن منه وأستصبح به .

وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبي متحيا عن المدينة ، وكان إلى جنبه مزرعة فيها قَتَاء ، وكنت صبيًا لخدمتي صبيان أفران لي ، فكلمت أبي ليهب لي درهما أشتري لهم به قَتَاء ، فقال لي : أتعرف حال الدرهم ؟ كان في حجر في جبل ، فضرب بالمعاول ، حتى أستخرج ، ثم طحين ، ثم أدخل القدر وصَبَ عليه الماء . وجمع بالزئبق ، ثم صُفِّي من رَق ، ثم أدخل النار فُسِّبِك ، ثم أخرج فضرب ، وكتب في أحد شقيه : لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله ، ثم حمل إلى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكَّلَ به عروج القلائس صُهب السبال . ثم وهبه بخارية حسنة حميلة . وأنت والله أقبح من قرد ، أو رَزَقَه رجلا شجاعا وأنت والله أجبن من صُرَد ، فهل ينبغي

لك أن تَسَّسَ الدرهم إلا شوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل :
هنيئاً ما لا مَرَزَمَةَ عليك فيه ، قال : وما ذلك ؟ قال : درهماً واحداً ، قال : يابن أُنحى
لقد هَوَّتَ الدرهم ، وهو طابع الله في أرضه ، والدرهم ويحك عُشر المشرة ، والمشرة
عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم . ألا ترى يابن أُنحى
كيف آتته الدرهم الذى هَوَّتَ ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مُراحم ، وقد وقع بيده درهم ، فجعل يقلِّبه ، ويقول : فى شِقِّ ،
لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى شِقِّ ، قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، ما يبنى لهذا إلا أن يكون
تَوْحِيداً أو رُقِيَّةً ، ويرمى به فى الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : أبى وأُمِّ أنت ، كم من
أرضٍ قطعت ، وكيسٍ خرقت ، وكم من حاملٍ رُفِعت . ومن رُفِعٍ أُنحِلت ، لك
عندى أن لا تَمُرَّ ولا تَفْضَحَ ، ثم يلقيه فى كيسه ، فيقول : أَسْكُنْ على اسم الله ،
فى مكان لا تزول عنه ، ولا تَرَجَّع منه .

ومن البخلاء "مُرَيْدٌ" وله حكايةٌ مذكروها ، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة
مُغْنِيَّةٌ ، يقال لها : "بَصْبُصُ" وكانت الأشراف يجتمع عند مولاهما ، فاجتمع يوماً
عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصعب الزُّبَيْرى فى جماعةٍ من الأشراف ،
فتناكروا أمر مزبد وبجمله ، فقالت الجارية : أنا أخذ لكم منه درهماً ، فقال لها
مولاهما : أنت حرة إن فعلت إن لم أَسْرَ لك تحفةً بمائة دينار وثوب ونبي
بمائة دينار . وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنةً ، فقالت : جِدْ به ، وأرفع
المِبره ، حتى أُمْلَأَ ، فقال : أنت حرة إن منعتك منه . ولأعوانته عليك إن حصلت

منه الدرهم ، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصليتُ
 القنطرة في المسجد ، فإذا أنا به قد أبل ، قلتُ : يا أبا إسحاق ، إنَّ نَحْبَ أن نرى
 بصيص ؟ قال : بل والله ، وأمراته طالق إن لم تكن له سنة يشهى أن
 يلقاها ، قلت له : إذا صليت العصر ، فاتقِ ما هنا ، فقال : أمراته طالق إن
 برح من ما هنا إلى العصر ، قال فانصرفت في حوائجي ، فلما كان العصر جئتُ
 فوجدته ، فاخذتُ بيده ، وأتيهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليتُ المَعمَّةُ ،
 ثم تساكروا وتناوموا ، فاقبلتُ بَصْبُص على مُرَبَّد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كَأَنِّي
 والله في نفسك تشهى أن أُغنيك الساعةَ

لقد حَنُوا الجِمالَ لِهَشْرُوا مِنَّا فلم يَطْلُوا

١٠ فقال لما : أمراته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ، ففتته لِمَاءُ ،
 ثم قالت له : كَأَنِّي بك تشهى أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك
 في جِلْبَابِي ، فقال : أمراته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تَكْسِبُ
 الأَنفُسُ غَدًا قالت : قم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم
 أنك تشهى أن أُغنيك

١٥ أنا أبصرتُ بالليل * غُلَامًا حَسَنَ اللَّيْلِ
 كَفَصْنِ البان قد أَصْبَحَ مَسْقِيًّا مِنَ الطَّلِّ

فقال لما : أمراته طالق أن لم تكوني نَيَّةَ مُرسلة ، ففتته وقبَّلها ، ثم قالت : يا أبا
 إسحاق ، هل رأيت قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعوني ويدعوني ، ويخرجونني إليك
 ولا يشترُون قُلًا ولا رَحِمًا ، كَأَنِّي بك وفي جيبيك درهم وأنت تقول : الساعة أُنزجه ،

وأعطيا إياه، وتشتري به ما تريد، فقام من جنبها وقال : أخطأت آسك الحفرة، وأقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحية ، فأنته القوم وعططوا عليها وعاموا أن حيلتها لم تنجح، وخرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بث عند رجل من أهل الكوفة من الموسرين ، وله صبيان نيام ، فرأته في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحت سألته عن ذلك . فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار ، فيمريم الطعام ، ويصيحون جياعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينهض ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بخل وجفاء ، فاهدى إليه كاتب له سلالا فيها أطعمة ، وقد تتوق فيها فوائده وقد نفدى ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : غداء بعته فلان الكاتب ، فنضب ، وقال : يبعث أحدهم الشيء في غير وقته ، يا خيثم بن مالك ! يريد صاحب شرطته ، أدع لى أهل الصفة يأكلون هذا ، فبعث خيثم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذى جاء بالسلال : أصلح الله الأمير ، لو أمرت بهذه السلال تفتح وينظر ما فيها ، قال : آكشفوها فانما طعام حسن من دجاج وفراخ وجداء وسمك وأخيصه وحلواء فقال : أرفسوا هذه السلال ، وجاء أهل الصفة ، فأخبر بهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خيثم ! أضربهم عشرة أسواط ، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الخلفاء من ينسب الى البخل . فثمن عبد الملك بن مروان كان يلعب برنخ النخج ولبن الطير لخله .

(١) تفسط : تناب الأصوات واعتلطها أو حكى بصوت الخبان إذا قالوا : عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوما .

ومِنْهُمْ هِشَامُ ابْنُهُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي بَيْعِ الْهَدَايَا الَّتِي تُهْدَى إِلَيْهِ . حُكِيَ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَكَلَ عِنْدَهُ فَرَفَعَ الْقُتْمَةَ إِلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : فِي لَقَمَتِكَ شَعْرَةٌ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : وَإِنْ تَلَاخُظَنِي مَلَاخِظَةُ مَبْنِي يَرَى الشَّعْرَةَ ، وَاقْدُ لَا أَكَلْتُ عِنْدَكَ أَبَدًا ، ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ .

- وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ كَانَ يَقْبَضُ بِأَبِي الدَّوَانِيقِ ، لُقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ مَدِينَةَ بَغْدَادَ كَانَ يَبَاشِرُهَا بِنَفْسِهِ وَيَحَاسِبُ الصُّنَاعَ ، فَيَقُولُ لَهَا : أَنْتِ نَمَتِ الْقَاتِلَةَ ، وَلِهَذَا : لَمْ تُبَكِّرِي ، وَلِهَذَا : انْصَرَفْتِ قَبْلَ أَنْ تُكْمَلِي الْيَوْمَ ، فَيُسْقَطُ لِهَذَا دَانِقًا ، وَلِهَذَا دَانِيقِينَ ، فَلَا يَكَادُ يَعْطَى لِأَحَدٍ أَجْرَةً كَامِلَةً ، وَكَانَ يَقُولُ : يَرْغُمُونَ أَنْيَّ بِخَيْلٍ ، وَمَا أَنَا بِخَيْلٍ ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ النَّاسَ عَيَّدَ الْمَهَالَ ، فَتَعْتَمُهُمْ عَنْهُ ، لِيَكُونُوا عِيدًا لِي . وَيُحْكِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَطِبَاحُهُ : لَكُمْ عَلَامَةٌ وَعَلَيْكُمْ أَتْفَانُ ، لَكُمْ الرُّمُوسُ وَالْأَكَارِعُ وَالْجُلُودُ ،
- ١٠ وَعَلَيْكُمْ الْحُبُوبُ وَالْتَوَابِلُ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى بَحْثِهِ : أَنَّ صَاحِبَهُ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ قَالَ لَهُ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الشُّعْرَاءَ بَيَّابُكَ وَهُمْ كَثِيرٌ ، وَقَدْ طَالَتْ أَوَامِهِمْ وَفُضِدَتْ خَفَقَاتُهُمْ ، فَقَالَ : أَخْرِجِ إِلَيْهِمْ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، وَقُلْ لَهُمْ مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ فَلَا يَصِفُ الْأَسَدَ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ ، وَلَا الْحَيَّةَ ، فَإِنَّمَا هِيَ دُوبِيَّةٌ مَشْنُونَةٌ تَأْكُلُ الْقِرَابَ ، وَلَا الْجَبَلَ فَإِنَّهُ جَبَرُ أَصَمٍّ ، وَلَا الْبَحْرَ ، فَإِنَّهُ عَطِينٌ بَضٌّ يَلْبُ ، فَمَنْ لَيْسَ فِي شَعْرِهِ
- ١٥ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَلْيَنْخَلْ ، وَمَنْ كَانَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنْهُ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَأَبْلَغَهُمْ فَانْصَرَفُوا كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَرَمَةَ فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَارَبِيعُ فَأَدْخُلْنِي عَلَيْهِ : فَأَدْخَلَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : يَارَبِيعُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَحْبِيكَ غَيْرُهُ فَأَنْشِدْ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مِنْهَا

- لَهُ لَحْظَاتٌ فِي حَقِّكَ سِرِّهِ * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَثَائِلُ
فَلَمْ تَلَمْزْ لِي أَمْنَتَ أَيْنَةِ الرَّدَى * وَأَمَّ الَّذِي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ تَائِلُ
- ٢٠

فرفع له السَّتر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بشرة
آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم ، لا تسلفها طمعا في نيل مثلها منّا ، فساكَل وقت
تصل إلينا، قال إبراهيم : أهلك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجَهَنَّمُ^(١) .
ودخل المؤمن بن أميل على المهديّ وكان بالرّي، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه
المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهديّ إلا أنت فيه * تشابه صورة القمر الصغير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما * أنا را يُسكَلان على البصير
فهذا في الضياء سراج عدل * وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بلنار والسرير
وبض الشر يخفى ذا، وهذا * منير عند قصان الشهور

وجاء منها

إن سبق الكبير فأهل سبقي * له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير * قد خلق الصغير من الكبير

❦

فأعطاه عشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو
ببغداد، فكتب إلى المهديّ يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا
أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وأمره أن يوجهه إليه، فطلب فلم يوجد،
وتوجه إلى بغداد، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمر بإرساله فُسك، وقيل له أنت
بنية أمير المؤمنين وطلبتك، قال المؤمل : فكاد قلبي يتخلع خوفا وقرقا، ثم أخذ يدي
وأطلق إلى الريع ، فأدخلني على المنصور، وقال : يا أمير المؤمنين، هذا المؤمن

(١) الجهنمة : كتاب رسم استخراج المال وقبضه .

أَبْنِ أَمِيلٍ قَدْ ظَفَر بِهِ، فَسَلِمْتَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ، فَسَكَنَ جَائِشِي وَأَطْمَأَنَّ قَلْبِي
وَزَالَ رَوْعِي، ثُمَّ قَالَ لِي: أَيُّتَ غُلَامًا غِرًّا تَخْلَعْتَهُ فَاتَّخَذَع، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
إِنَّمَا أَيُّتَ مَلِكًا جَوَادًا كَرِيمًا، فَدَحَنَتْهُ فَعَلَّمْتُهُ أَرْبَعِيَّةً عَلَى أَنْ وَصَلَنِي وَبَرَّنِي، فَأَعْجِبَهُ
ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَدِنِي مَا قُلْتَ فِيهِ، فَأَنْشَدْتُهُ، فَقَالَ: وَاللهَ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، لَكِنْ
مَا بِسَاوِي عَشْرِينَ أَلْفًا، يَارَبِيعُ، خُذِ الْمَالَ مِنْهُ، وَأَعْطِهِ مِنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ،
فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِي الْخِلَافَةَ، قَدِمَ عَلَيْهِ الْمُؤْتَمِلُ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، فَضَحِكَ
وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ.

وَحَكَى أَبُو هَدُونٍ فِي كِتَابِهِ الْمُتَرْجِمِ بِالتَّذَكُّرَةِ: أَنَّ الْمَنْصُورَ سَجَّ فِي بَعْضِ السَّيِّئِينَ
فَخَدَا بِهِ سَالِمُ الْحَادِي يَوْمًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ

أَلْبَجُ بَيْنَ حَاجِيهِ نُورُهُ * إِذَا تَقَدَّيْ وَفَعْتَ سَتُورُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ * وَيُسْكِنُهُ يَسُوبُهُ كَافُورُهُ

فَطَرِبَ الْمَنْصُورَ حَتَّى ضَرَبَ بِرَجْلِهِ الْمُحْمِلَ، ثُمَّ قَالَ: يَارَبِيعُ، أَعْطِهِ نِصْفَ دَرَاهِمَ،
فَقَالَ سَالِمٌ: لَا غَيْرَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهَ لَقَدْ حَدَوْتُ بِهِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَرَنِي
بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَعْطِيكَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ
مَا ذَكَرْتَ، يَارَبِيعُ، وَكُلُّهُ مِنْهُ يَسْتَخْرِجُ مِنْ هَذَا الْمَالِ، قَالَ الرَّبِيعُ: فَمَا زِلْتُ
أُفِيرُ بَيْنَهُمَا حَتَّى شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدُوهُ فِي خُرُوجِهِ وَرَبِّعَهُ بِغَيْرِ مَثْوًى، وَكَانَ سَالِمٌ
هَذَا يَوْمَ إِبْرَءِيلَ ثَمَانٍ وَلِتَسْعٍ وَلَعَشْرٍ، فَيَصْدُو مَا قُلِّيْهَا حُدُودَهُ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ.
وَمِنْ طَرِيفٍ مَا حَكَيْ عَنْهُ: أَنَّ عِيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ، كَتَبَ إِلَيْهِ رَقْعَةً بِلُغَةٍ
يَسْتَمِجِحُ فِيهَا. فَوَقَّعَ عَلَيْهَا: إِنَّ النَّبِيَّ وَالْبَلَاغَةَ إِذَا أَجْتَمَعَا لِرَجُلٍ أَبْطَرَاهُ. وَإِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْفِقٌ عَلَيْكَ، فَاصْنَعْ بِالْبَلَاغَةِ.

وقد ذمَّ الشَّعراءُ البخلَ وهجوا من أنصف به، فمن ذلك، وهو أبلغ ما قاله مُحدث،

قول ابن الرومي

الحلابسُ الروثُ في أعفاجِ بَقْلَيْهِ ، خوفاً على الحَبِثِمْ لَقَطِ المصافيرِ

وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل ، قول ابن الرومي

يُقْتَرَعُ عَيْسى على تَهْمَةٍ ، وليس بيباقٍ ولا خالٍ

فلو استطع لتتغيره : تَفَسَّسَ من متخِرٍ واحدٍ

رضيت لتشتيت أمواله • يَدَى وارثٍ ليس بالحاليد

وقال أبو تمام

صَدَقَ إِلَيْتِهِ ابنُ قال مجتهداً ، لا والرَّغِيفِ فذاك البرُّ من قَسَمِهِ

وإن هممتَ به فأنك تجزئته • فإن موقعها من لحمه ودمه

قد كان يُعْجِنِي لو كان غَيْرُهُ ، على جَرَادِيهِ كانت على حَرَمِهِ

وقال دِعْبِل

اسْتَقَى وَدَّ أَبِي المَقَا : بَلْ حينَ تَأْكُلُ من طَعَامِهِ

سَيَأْتِ كَمُرٌ رَغِيفِهِ : أو كَمُرٌ عَظِيمٌ من عِطَائِهِ

وتراه من خوف التريشَلِ به يُرَوِّعُ في مَناسِهِ

وقال أبو هلال العسكري

خُبْرُ الأَمِيرِ عَشِيقُهُ • يَنْقُو عليه يُلَاجِبُهُ

وإذا بَدَأَ الجَلِيسِ • أُنْفِى إليه يُسَائِلُهُ

وتحوطه حَرَّاسُهُ • وتُكَبُّ عنه كَلْبَتُهُ

فأزودُ يَصْفَعُ عنده • والضيفُ يَنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر

فتى لرغيفه قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وإكليلان من دُرٍّ وَشَدِيرٍ
 إذا كُفِرَ الرَغِيفُ بكي عليه * بُكَاءُ الحَنَاءِ إِذْ قُضِيَ بِصَخِيرٍ
 ودون رغيفه قَلْعُ الثَّنايا * وحربٌ مثل وقعة يوم بدرٍ

وقال آخر

إن هذا الفتى يصبون رغيفا * ما إليه لأكلٍ من سَبِيلٍ
 هو في سُفْرَتَيْنِ من آدمِ العا * ثقب في سَلْتَيْنِ من زَيْبِيلٍ
 حُجِمَتْ كُلُّ سَلَةٍ بِرِصَاصٍ * ومُسيورُ قُنْدَنٍ من جلدِ فِيلٍ
 في جِرَانِي جوفِ تابوتِ موسى * والمفاتيح عند ميكائِيلٍ

وقال السكري

قَلْ خَيْرُ آيِنٍ قَامِمٍ * فَنِئَاءَ كُعْمَدِهِ
 كلعن خشية القرى * يجني في حرَامِهِ
 جاز في اللؤمِ حَتَمَهُ * كَأَيِّهِ وِعمه
 كاد يُهديك لؤْمُهُ * لو تَسَمَّيتَ بِاسْمِهِ

وقال أيضا

لك بِرَمْسَةٍ زَهَّتْهَا * من أن تُدَسَّ بِاللَّسَمِ
 بيضاء يُنْزِقُ نُورَهَا * كالْبَدْرِ فِي عَمَقِي الظُّلَمِ
 لو كان عِرْضُكَ مِثْلَهَا * كُنْتَ الْمُلْتَحِ فِي الْأَمِّ
 أو كان ضَلَاكُ مِثْلَ قَوْ * لك كُنْتَ تَارِجَ الْكَرَمِ

وقال أيضا

ضفتُ عمرا بجأني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم ولَّى يقول وهو كئيب: * لَمَفْ تَمِيقْ على رَغِيفٍ أَضِيماً
كان خُدَاعَةُ الضيوف ولكن * ربما أصبح التلذُّوعُ خُدَيْماً
كَنتُ أنزلُكُ علّاً رفيعاً * فدا ذلك الرفيع وَضِيماً
عَجَباً مِنْهُ إِذْ أَيْسَحَ جِءَهُ * كيف لم يمتنع وكان مَنِيماً

وقال آخر



أرى ضيقك في النار * وَكُزِّبَ الموتُ يَنْشَأُ
على خُبْرِكَ مَكُوبٌ: * « قَسِيكَفِيكُمُ اللَّهُ »

وقال بشار

وضيفُ عمرو وعمرو يَهْرَانُ معاً * عمرو لِيَطْلِيَهُ والضيفُ الجوع

وقال آخر

نوالك دونه خَرَطَ التَّغَادِ * وخَبْرُكَ كَالْقُرْبَى في البَعَادِ
ولو أبصرتُ ضيفاً في منام * لحزمتُ المنامَ إلى التَّأْدِي
أرى عُمرَ الرَغِيفِ يطولُ جِدّاً * لديك كأنه من قوم عادِ
وما أهجوك أنك كُفَّهْ شِعْرِي * ولكنِّي هَجَوْتُكَ لِلْعَسَادِ

وقال المكي

قد كان للال رِبّاً * فصار بالبخل عَجَبَةً
وصَحَّفَ الصَّيْفَ ضَيْفًا * فراح يَلْطُمُ خَدَةً

وقال أبو نُوَاسٍ في إسماعيل بن نُوحْت - بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نُوَاسٍ، فلبثت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خَبَرُ إسماعيل كالوشى إذا ما سُقَّ يُرْفَا
عجا من أثر الصنعة فيه كيف تَحْقَى ؟
إِنَّ رَقَاءَكَ هَذَا ۖ لطف الأمة كَفَا
فإذا أَلَصَقَ بالنصنف من الجُرْتَقِ ضَعَا
الطف الصنعة حتى ۖ ما ترى مَطْمَنَ إَشْفَى^(١)
مثل ما جاء من التَّنْشُورِ ما غلدر حَرَفَا
وله في الماء أيضا ۖ عملٌ أبدع ظُفْرَفَا
مَزَجَه المُنْبَب بِماء السَّيْئَرِ كى يَزْدَادَ ضَعَفَا
فهو لا يَسْقِيكَ منه ۖ مثل ما يَتْرَبُ صِرَفَا

وقال فيه

على خَبَرِ إسماعيل واقيةً البَنِيلِ ۖ قد حُلَّ في دار الأمان من الأكلِ
وما خَبَرُه إلا كعتقاء مُفْرِبِ ۖ يُصَوِّرُ بِسُطِّ الملوك وفي المَثَلِ
يَحْتِثُ عنها الناسُ من غيرِ رِيْةٍ ۖ سوى صورة ۖ إن مُجْرَ ولا تُحْلِي
وما خَبَرُه إلا كَأَوَى يَرى أبْنَى ۖ ولم يَرَأَوَى في الحُزُونِ وفي السَّهْلِ
وما خَبَرُه إلا كليبُ بَنٍ وائِلِ ۖ ليالى يَتَجى عِزُّهُ مَنِيَّتِ البَقْلِ^(٢)

(١) الإشْفَى : الإسكاف ۖ

(٢) هكذا في الأصل ۖ وفي ديوان أبي نُوَاسٍ : ومن كان الخ ولله الصواب ۖ

وإذ هو لا يَسْتَبْ حَصَانٌ عنده - ولا الصوتُ من فَوْعٍ يَجِدُّ ولا هَزَلٍ
فإن خَبِرَ إسماعيلَ حَلَّ به الذي - أصاب كلياً لم يكن ذاك عن دَلٍّ
ولكن قضاءً ليس يُطَاعَ رثه - بمجلة ذى مكرٍ ولا تعي ذى عقلٍ

وقال ابن الرومي:

بغيلُ بَصَوِّمِ أَضْيَافَهُ - وَيَعْتَزُّ عَنْهُمْ بِأَجْرِ الصَّيَامِ
نَدَسَ النَّسَاءُ فَيُولِيهِمْ - هَوَانًا فَيَنْشَتَهُ مَوْلَى النَّسَامِ
مَنْهُمْ مُفْطِرُونَ وَهُمْ صَائِمُونَ - وَمَا يُطْعَمُونَ وَهُمْ فِي أَثَامِ
فَيَحْتَالُ بِنَجَالٍ لَأَنَّ يُفْطِرُونَ - عَلَى رَقَّتِ التَّوَلُّدِ دُونَ الطَّعَامِ

وقال أحمد بن كُتَّانٍ:

صَدِيقٌ لَنَا مِنْ أَرْبَعِ النَّاسِ فِي الْبَغْلِ وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِ وَلَيْسَ بِنَدَى فَضْلٍ
دَعَانِي كَمَا دَعَا الصَّدِيقُ صَدَقَهُ - بَغْتًا كَمَا يَأْتِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
فَلَمَّا جَلَسَا لِلطَّعَامِ رَأَيْتُهُ - يَرَى أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْلِي
وَيَنْتَظِرُ أَحْيَانًا وَيَنْتَظِرُ عِبْدَهُ - وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّيطَ وَالشَّمَّ مِنْ أَجْلِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَلَّ النَّدَاءَ مَخَافَةً - وَالْحَظَّ عَيْنِيهِ رَقِيبٌ عَلَى فَعْلِي
أَمَدَ يَدِي سِرًّا لِأَسْرِقُ لُحْمَةً - فَيَحْظُنِي شَرًّا فَأَقْبْتُ بِالْبَقْلِ
إِلَى أَنْ جَنْتُ كَفِّي لِحْظِي جَنَائَةً - وَذَلِكَ أَنَّ الْجُوعَ أَعْدِيَنِي عَقْلِي
بَحَرَّتْ يَدِي لِحْظَيْنِ رَجُلٍ دَجَائَةٍ - بَحَرَّتْ كَمَا بَحَرَّتْ يَدِي رَجُلَهَا رَجْلِي
وَقَدَّمَ مِنْ بَعْدِ الطَّعَامِ حَلَاوَةً - فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِيهَا أَمْرًا وَلَا أَهْلِي
وَقَمْتُ لَوْ أَنَّ كُنْتُ بَيْتًا نَيْسَةً - رَجَحْتُ ثَوَابَ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ

وقال آخر

ترام خشية الأضياف نرساً * يقيمون الصلاة بلا أذانٍ



احتجاج البغلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

قالت الحكمة : لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته، كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : لا تجاودوا الله، فإنه أكرم وأجود . ولو شاء أن يفتي الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلاً من كندة أسأله ، فقال : يا أبا بني تغلب ،
أني لن أصلك حتى أحريم من هو أقرب إلى منك ، وإنه لم يبق من مالي وعرضي
وأهلي إلا ما منعه من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم ، قال لابنه : يا بني ، أوصيك باثنتين لن يزال بخير
ما تمسكت بهما : درهمك لمأشك ، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمسأك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ، وأنشد
يلومني في البخل جهلاً وضلة * وللبخل خير من سؤال بخل

ونظيره قول المتطهس

وحبس المال أسر من بناء * وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ : قلت لخرامى : يا بخیل ! قال : لا أعدنى الله هذا الإسم ، لأنه لا يقال لى : بخیل إلا وأنا ذو مال فسلم لى المال ، وسميتى بأى اسم شئت ، قلت : ولا يقال لك : بخیى ، إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لهذا الإسم المال والحمد ، وجمع لذلك المال والذم ، فقال : بينهما فرق عجيب ، ويؤن بعيد ، إن فى قولهم : بخیل ، سببا لمحك المال فى ملكى ، وفى قولهم : بخیى ، سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم البخل فيه حزم وذم وأسم السخاء فيه تضييع وحمد ، وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وصرى ظهره وضاع عياله وشمته به عدوه .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ، أن لا يقيم عليك ، ومن أحتاج إليك أن لا يزول من عندك ، ومن حُبك لصديقك وصنك بمودته أن لا تبذل له ما يفتنيه عنك ، وأن تلتطف له فيما يمججه إليك .

وقد قيل فى مثل هذا : «أَجْعْ كُلَّكَ بِبَعْلِكَ ، وَتَمْنَهُ بِأَكُلِكَ» ، فمن أغنى صديقه فقد أعتاه على النذر ، وقطع أسباب الشكر ، والمؤمن على النذر شريك للنادر ، كما أن المزين للصجور شريك للقاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فتمن لا يصبون ماله لىصون به عرضه ، ويصل به رحمه ويستغنى به عن طام الناس . قال عبد الله بن المعتز

أَعَاذَ لِمَنِ الْبُخْلُ مَنِ بَخِيَّةٌ • وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلٍ
لَمُوتِ الْفَقْرِ خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ الْفَقْرِ • وَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤْلِ الْبَخِيلِ

وكان داود بن علي يقول : لأن يترك الرجل ماله لأعدائه ، خيرٌ من الحاجة فى حياته لأوليائه ، قال الشاعر

مَا لُيْجَفُّهُ الْفَقْرُ * لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِصَا

خبر له من قصده . إخوانه مسرِّفا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أُخْلَفَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحْسَبُ عَلَيْهَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ ؛ وقال : كَانَ الْمَالُ فِيَا مَضَى يَكْرَهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ ؛ وَجَاهَهُ رَجُلٌ قَالُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَمَسَّكَ هَذِهِ الدَّنَائِرُ ! فَقَالَ : أَسَكْتُ ، فَطَوْلَاهَا تَمَتَّنَلْتُنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ ، وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَصْلَحْهُ ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِنْ أَتَحْتَاجُ فِيهِ كَانَ أَقُولُ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التيمي : إِنَّكَ لَسِيدٌ لَوْلَا جُودُكَ فَيْكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأَجِدُ فِي الْحَقِّ ، وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ .

- وكان محمد بن الجهم يقول : مَنْ وَهَبَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ ، فَهُوَ بَجْنُونٍ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ مَلُوكِهِ أَوْ مِيرَاثِهِ ، فَهُوَ مَخْذُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ كَسْبِهِ وَمَا اسْتَفَادَهُ بِحِيلَةٍ ، فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمَأْخُوذُ بِبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ .
- وسأل رجلُ زيادَ بنَ أبيه ، فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْمِرَاقِبِ أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي دِرْهَمًا ؟ قَالَ لَهُ زِيَادُ : مَنْ بِيَدِهِ نِزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّمَا رَزَقَ أَخْصَ عِبَادَهُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُمْ لَدِيهِ التَّمْرَةُ وَاللَّقْمَةُ ، وَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصِلَ رَجُلًا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَا يَصْغُرُ أَنْ أُعْطِيَ سَائِلًا رَغِيْفًا ، إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَضْلَ ذَلِكَ .
- قال الشاعر

يَأْرُبُ جُودُ بَرٍّ قَسَرَ أَمْرِي * قَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الْفَاقِلِ

فأشدد عُمرى مَالِكَ وَأَسْتَقْبِهِ . فَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ

وقال الشريف بن المبارك

لأَصَوْنَنَ دَرَمِي * فَهَوَ لَا شَكَّ صَائِي
لَمْ يُعْنَى ابْنُ وَالِدِي * وَصَحِيحِي أَتَانِي

وقال أيضا

قَه دَر دَرَاهِمِي * فَهَيَّالِي أَعْلَت مَكَايِي
لَوْلَا الْفَنَى عَنْ صَاحِي * لِأَحَقِّي دَارِ الْمَوَايِي

وقال آخر

صَكَنَ بِمَا أُوتِيَتْهُ مُغْتَبِلًا * نَسْتَمِ عِشَّ الْقُنُوعِ الْمَكْنِي
إِنْ فِي تَيْلِ الْمُنَى وَشَكَّ الرَّدَى * وَاجْتَنَابِ الْقَصْدِ عَنِ السَّرَفِ
كَسِرَاجٍ نَعْنَهُ قُوْتُ لَهُ * فَإِذَا غَرَّقَهُ فِيهِ طُنْفِي

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها وأحسج فقال: أصلى الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحف بن قيس: يا بني تميم، لا تسرعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياة من الفرار، وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فأمّل عيّا فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبح أن تنهى مرشدا أو تنهى مشفقا، وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وغويمكم وصلاحي فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فأخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشئربنا به في الأفاق دونكم، ثم تقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: (وَمَا أُرِيدُ

- أَنْ أَتَأَلَّفَكُمْ إِلَى مَا أُنْتَهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فإنا كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، على ما رعيته من واجب حقكم، فلا للعذر الميسوط بلفظهم، ولا بواجب الحرمه قتم، ولو كان ذكر العيوب براً ونفراً، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً، عبتوني بقولي لخادمي : أجيدي السجين فيكون أطيب لطمعه، وأزيد في ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا السجين فإنه أحد الرعين، وعبتموني حين ختمت على سَلِّ عظيم، وفيه شيء من فاكهة قهسة، ومن رطبة غريبة، على عيد نعيم، وصبي جشع، وأمة لكهاء، وزوجة مضية، وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوى —
- ١٠ في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب — التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم في المجلس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، ومن شاء أعلم كلبه السجاجة السمينة، وعلف حماره السمين المقتسر، وعبتموني بانظمت، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ سَوِيْقِي، وختم على كيس فارغ، وقال طينة خير من ظنة، فامسكتم عن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتموني أيضاً، أن قلت للفلان : إذا زدت في المرق، فزد في الإصباح، ١٥ ليجمع مع التأم بالحم طيب المرق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا طبخ أحدكم لحماً فليزد من الماء، فإن لم يصب لحماً أصاب مرقاً، » وعبتموني بخصف التل، وبخصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوصة من النمل أبقى وأهوى وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماع مع الحفاظ،

وقد كانت النبي صلى الله عليه وسلم يَحْصِفُ نَفْلَهُ ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ ، وَيَقْلَعُ أَصَابِعَهُ ،
 ويقول : «لَوْ أَهْدَيْتُ إِلَى كُرَاعٍ لَهَبْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى ذَوَاعٍ لَأَجَبْتُ» وقال صلى الله
 عليه وسلم «مَنْ لَمْ يَسْتَحْيَ مِنَ الْخِلَالِ ، خَفَتْ مَوْتُهُ» وَقُلَّ كِبَرُهُ . وقالت الحكيمة :
 لا جديد لمن لم يَلْبَسِ الْخَلْقَ ، وبِئْسَ زِيَادٌ رَجُلًا يَتَادُ لَهُ عُمْدَتَا ، وَأَشْرَطُ طَلِيبِهِ
 أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا ، فَأَتَاهُ بِهِ مَوَاقِفًا ، فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتُ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ،
 وَلَعَكْتُ رَأْيَتِهِ فِي يَوْمٍ قَائِلًا ، يَلْبَسُ خَلْقًا ، وَيَلْبَسُ النَّاسَ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ
 فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ ، مِثْلَ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ ،
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَسَمِيَ لَهُ مَوْضِعًا ، كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ مَحَالًا .
 وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالنِّسْبِ ، وَأَمَاتَ بِالْفِتْنَةِ ، وَأَغْصَنَ بِالنِّسْبِ ، وَقَتَلَ
 بِالْمَوَدِّ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قَلَّةَ الْبِيلَالِ أَحَدُ
 الْيَسَارِينَ ، وَقَدْ جَبَرَ الْأَحْزَفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ حَتْرٍ وَأَمْرَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِفِرْكَ الْبَحْرِ ،
 وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَكَلَ بَيْضَةً فَقَدْ أَكْثَلَ دَجَاجَةً ،
 وَيَلْبَسُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جِلْدَ أَنْصَحِيَّةٍ ، وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْحَكَمَاءِ : أُرِيدُ أَنْ أَهْدِيَ لَكَ
 دَجَاجَةً ، قَالَ : إِنْ كَانَ لَا بَدَّ ، فَاجْعَلْهَا يَبُوضًا ، وَجَبْتُمُونِي حِينَ قُلْتُ : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ
 مَوَاضِعَ السَّرْفِ فِي الْمَوْجُودِ الرَّخِيسِ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاضِعَ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمُنْتَعِ النَّسَالِ ،
 وَقَدْ أَتَيْتُ بِمَاءٍ لِلْوَضُوءِ عَلَى مِيزَانِ الْكَفَايَةِ ، وَأَشْفَ مِنْ الْكَفَايَةِ ، فَلَمَّا صُرْتُ إِلَى
 تَهْرِيقِ أَجْرَائِهِ عَلَى الْأَعْضَاءِ ، وَإِلَى التَّوْفِيرِ عَلَيْهَا مِنْ وَظِيفَةِ الْمَاءِ ، وَجَدْتُ فِي الْأَعْضَاءِ
 فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ ، فَطَلَمْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ مَكْنُتُ الْاِقْتِصَادِ فِي أَوَائِلِهِ لَنُجِرَ أَزْوَاجُهُ عَلَى
 كَفَايَةِ آخِرِهِ ، وَلَكِنْ نَصِيبُ الْأَوَّلِ كَنَصِيبِ الْآخِرِ ، فَجَبْتُمُونِي بِذَلِكَ ، وَشَبَّعْتُمُوهُ
 عَلَى ، وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ وَذَكَرَ السَّرْفُ : أَمَا إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي الْمَاءِ وَالْكَلا ، فَلَمْ يَرْضَ

- بذكر الماء حتى أرففه بالكلا، وعبثوني أني قلت : لا جترن أحد بطول عمره .
وتقويس ظهره . ورفه عظمه . ووهن قوته ، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه
ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، أو تحكيم السرف فيه ،
وتسليط الشهوات عليه ، فلهذه أن يكون معمرًا وهو لا يدري وممدودا له في السن وهو
لا يشعر . ولله أن يُرزق الولد على اليأس ، ويُحدث عليه آفات الكبر . ٥
إلا يخطر على
باله ، ولا يدركه عقله . فيسترده ثم لا يردّه ، ويظهر الشكوى إلى من لا رحمه ،
أضعف ما كان عن الطلب ، وأقبح ما كان له أن يطلب ، فعبتوني بذلك ، وقال
عمرو بن العاص : أعمل لذيتك عمل من يعيش أبدا ، وأعمل لآخرتك عمل من
يموت غدا ، وعبثوني بأن قلت : إن التلف والتبذير إلى مال المواريث ، وأموال
الملوك ، وإن الحفظ إلى المال المكتسب . والنفي المجتبى ، وإلى ما يعرض فيه
١٠
بذهاب الدين ، وأهتضام العرض ، ونصب البدن ، وأهتام القلب أسرع ، ومن لم
يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال ، ومن
لم يعرف للنفي قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل ، وعبثوني بأن زعمت
أن كسب الحلال ، مضمن بالإففاق في الحلال ، وأن الخبيث يتزعج إلى الخبيث ،
وأن الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الإففاق في الهوى ، حجاب دون الحقوق ،
١٥
وأن الإففاق في الحقوق حجاب دون الهوى . فبيتم على هذا القول ، وقد قال
معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قط . إلا وإلى جنبه حق مضيع . وقال
الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله . فانظروا في أي شيء
ينفقه . فإن الخبيث إنما يتفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن
النظر مني إليكم . أتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات . فإن أحاطت بمال
٢٠

أحدكم آفة، لم يرجع إلى همة، فاحذروا النعم، باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجري في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبعير: فزقوا بين المنايا، وأجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين [لبعض البحرين]: كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نقرؤها في السفن، فإن عطب بعض، سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر، ما حملنا أموالنا في البحر، قال ابن سيرين: تحسبها خرقاء وهي صناع، وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم: إن للفني سكرًا، والمسال نزوة، فن لم يحفظ الفنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المسال بخوف الفقر فقد أهمله، فعبتموني بذلك، وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحد أقصر عقلًا، من غنى آمن الفقر، وسكر الفنى أشد من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يمي

ابن خالد

وهوبٌ يَلادُ المسالَ فيما يتوبهُ • متوعٌ إذا ما منه كان أحرماً

وعبتموني حين زعمتم، أني أقدم المسال على العلم، لأن المسال به يُقاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن يُعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالفضل من الفرع، فقلتم: كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحق المسال، وبجهل الأغنياء بحق العلم، قلت: حاملها هي القاضية بينهما، وكيف يستوى شيء حاجة العلماء إليه، وشيء يفتنى فيه بعضهم عن بعض، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بأنخاذ النعم، والفقراء بأنخاذ الدجاج، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: إني

(١) الزيادة لازمة من كتاب البخل.

- لأبيض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك في الرزق قابضاً ، وإذا قبض قابض ، وعبثوني حين قلت : إن فضل النبي عن القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت ، إن أحسب إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عنة ، وقد قال الحصين بن المنذر :
 ووجدت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء ، قيل له : فما كنت تصنع به ؟
 قال : لكثرة من كان يحسني عليه ، لأن المال مخدوم ، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب النبي ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ، وذلك في قلب مدرك ، لكان الحظ فيه جسيماً ، والتفع عظيم ، ولست أدرع سيرة الأنبياء ، وتأدب الخلفاء ، وتعليم الحكماء ، لأصحاب المهوى ، فلمت على تردون ، ولا رأي فتفتنون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا ما عليكم من قبل أن تدركوا ما لكم ، والسلام .



- ومن فوادير البهلاء ، قال رجل لبعض البهلاء : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟
 قال : لأنك جيد المصنع سريع البقع ، إذا أكلت لقمة هيات أخرى ، قال : يا أباي أتريد إذا أكلت عنك أن أصلي ركعتين بين كل قمتين ؟
 وقال آخر لبخيل : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك ضائع ، وتشتق ، وتشتق ، وتحسق ، أي تعمل واحدة في يدك ، وأخرى في شفتك ، وتنتظر إلى الأخرى بينك .
 وقال بعض البهلاء : أنا لا أكل إلا نصف الليل ، قيل له : ولم ؟ قال يبرد الماء ، ويتقيع الثياب ، وآمن بقاء الداخل ، وصرخة السائل .

وطبخ بعض البخلاء قندراً ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيب هذا الطعام ! لولا كثرة الزحام ، فقالت : وأى زحام وما ثم إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت أحب أن أكون أنا والهنر .

وقال بعض البخلاء لنلامه : هات الطعام ، وأغلق الباب ، قال : يا مولاي ، ليس هذا بحزم ، وإنما أغلق الباب ، وأقدم الطعام ، فقال له : أنت حر لوجه الله .

وعزم بعض إخوان أشعب عليه لياكل عنده ، فقال : إني أخاف من قتل يأكل مما فينقص لثنتنا ، فقال : ليس عندي إلا ما يحب فضى معه فيينا هما يا كلان ، إذا بالباب قد طُرق ، فقال أشعب : ما أرانا إلا صرنا لما نكوه ، قال صاحب المنزل : إنه صديق لي ، وفيه عشر خصال ، إن كرهت منها واحدة لم آذن له ، فقال أشعب : هات ، قال : أولها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، قال : ألتسح لك ودعه يدخل ، فقد أمأ منه ما تخافه .

ذكر ما قيل في التطفيل

ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللؤم ، وهو التمرس إلى الطعام ، من غير أن يدعى إليه ، وسنذكر تلوهنا الفصل آداب الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد في المطاعم ، والعبء عنها ، وما يجري هذا المجرى ، وإن كان خارجاً عنه ، وإنما الشيء يذكر بالشيء ، والعرب تحول للتفيل : الوارث ، والراثن ، قيل : هو مشتق من العطف ، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يدع إليه مستترا بالظلمة ، لتلا يعرف . وقيل : سمي بذلك ، لإظلام أمره على الناس ، لا يدري من داء . وقيل : بل

من الطُّفْل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار"، وأول من سمى بهذا الاسم: طُفَيْل الرَّأْس، وإليه ينسب الطُّفَيْلُونَ، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عُرساً، فلا يلتفت تَلَفَتْ المريب، ويختفّر المجلس، وإن كان العُرس كثير الرحام، فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظنَّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنَّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البواب غليظاً فاحشاً، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يستف عليه، ولكن ينصيحة والإدلال.

- وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَانُ الطُّفَيْل، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرْوَزِي وَأقام ببغداد، وكان هَشْ خاتمه، «مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ». حكى أن رجلاً سأله أن يدعو له، فقال: ١٠
اللهم أرزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، وقهاء المِعدة، وأمتعه بِضُرْس مَكْرَن، ومِعدة هَضُوم، مع السعة والدعة، والأمن والعافية؛ وقال يوصي بعض أصحابه: إذا قمت على مائدة وكان موضعك ضيقاً فقل للذي يليك: لعل ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طُفَيْل: أوصني، فقال: لا تصادق من الطعام شيئاً، فترفع يلك عنه وتقول: ٢٠
لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهن، قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزاً فيه قَلَّة، فكل الجروغ، فإن كان كثيراً فكل الأوساط، قال: زدني، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تاكل، فإنه يصنك من الأكل، ويمنعك من أن تستوفي، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وترؤد منه زاد من لا يراه أبداً، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فأجعله زادك إلى الله تعالى، ٢٠

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقصد بمحة البيت فإنك ترى ما تحب ، وتسودهم في كل شيء ، وتسبقهم إلى كل خير ، وأنت أول من يصل يده والمندبل جاف ، والماء واسع ، والخوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أول القنينة ورأسها قنبره ، والنقل مستخب ، يوضع بين يديك ، وتكون أول من يتبخر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتاج أن تتخطاهم ، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف . قال البديع الهمداني في طفليتين يشبههم بنات

خلفتم بناتكم من أدب * من القبط عَضَّ عليكم بنات

إذا ما النهار بدا ضوؤه * غدوتم نحاصا ورُحمت بطانا

ومهم : عثمان بن ذراع ، قيل له : كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطليرون فيدخلونني . وحكى أبو الفرج الأصفهاني : أن عثمان هذا ، كان يلزم سعيد بن عبدالكريم الخطابي أحد ولده زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إني أبجل بأدبك وعلمك ، وأضربك عما أنت فيه من الصغيل والى وظيفة راتبة في كل يوم ، فالزمني وكن مدحوا ، أصلح لك مما فعل ، فقال : يرحم الله فأين لذة الحديد ، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان ؟ وأين هوئناك ووظيفتك من أختال العرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذا ثبت ذلك : فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتني قال : أما هذا فتم ، قال : وقال له رجل : ما هذه الصفرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القصمتين ، ومن خوفي في كل يوم من فساد الطعام قبل أن أشبع ، وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان ؟ قال : إى والله ، وإنه لجنه الحاضرة في الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره ، وتحيل

تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتخضمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعثمان هذا الذي يقول

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي * وَأَقْيَمِي لَا تَرِي
أَنْتِ تَسْفِينِ عَالِي * وَتُسَلِّينِ هُمُوِي

- ولم أخبر وحكايات، منها: ما قل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال:
- كان لي جار طفيل، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فأتفق لجنف بن القاسم الهاشمي حق دط له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، قتلت في نفسي: إن تبغني هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول، فركبت، وإذا به قد تبغني حتى دخل بدخولي، وأرتفع حيث أجلس، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدثنا درُستُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل إلى دار قوم بغير إفتهم، دخل سارقا، ونرج مُفيرا، ومن دُعي ولم يُجب فقد عصى الله ورسوله»، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعينك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف لا يَحْتَمِلُونَ التَّعْرِضَ بِاللَّوْمِ، وقد حَظَرَ النَّبِيُّ التَّعْرِضَ، وعزَّرَ عليه عمر بن عبد الله عنه، وولَّية الأمير دماء لأهل بصره فإنه سَلِيلُ أَهْلِ السَّقَايَةِ، والرفادة، والمطمعين الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيدَ، وأبرزوا الحَفَّانَ لِمَنْ غَدَا إِلَيْهَا، ثم لا تَوَزَعُ وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحتك عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان آبن طارق وهو متروك الحديث بحكم رُفْعَةِ اللَّهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، والمسلمون

على خلافه، لأن حكم السارق القلع، والمغير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لِقَمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُجَنَّبُ حدثا حتى يخرج عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طعامُ الواحد يكفي الاثنين، وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة»، حدثنا بذلك أبو طاهر النزيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن؟ قال نصر: فأصابتني تَجَلَّةٌ شديدة، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبل، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب، فلما رأيته تبغى، ولم يكلمني ولم أكله، إلا أنني سمعته يتمثل

وَمَنْ ظَنَّ يَمِّنَ بِلَايِ الْحُرُوبِ • بَأَن لَّا يُصَابُ قَدْرُ تَلَّ تَجْرَا

وقيل: مر طرفيل بسكة النخع بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فأقصم عليهم، وأخذ مجلسه مع من دُعي، فأنكره صاحب المنزل، فقال له: لو تأملت أوقفت حتى يُؤذَنَ لك، أو يُعَثَّ إليك، فقال: إنما أَتَيْتُ البيوتَ لِيُدْخَلَ إليها، وَوَضِعَتِ الموائدُ لِيُؤْكَلَ ما عليها، وما وجهت بهدية فأوقع الدعوة، والحشمة قطيعة، وأطراحتها صلبة، وقد جاء في الأمر: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعِطْ مَنْ حَرَمَكَ»، ثم أنشد

كُلَّ يَوْمٍ أَتَدُورُ فِي حَرَمَةِ الدَّارِ • رَأَيْتُ الْقَتَارَ شَمَّ الدَّيَّابِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ أَثَارَ عُرْسٍ • أَوْدَحَاتَا أَوْ دَعَاةَ الْأَصْحَابِ
لَمْ أُعْرِجْ دُونَ التَّعَمُّمِ لَا أَرَى • هَبْ شَمًا وَلَكِنَّةَ الْبَوَابِ
مُسْتَيْبًا بَيْنَ دَحَلَتِ عَلَيْهِ • فَيَرُوسُ سَائِدًا وَلَا هِيَابِ
فَرَأَى أَلْفَ بِالرَّغْمِ مِنْهُ • كُلَّ مَا قَتَمُوهُ لَفَّ الْقَتَابِ

ووصف طفيلي نفسه فقال

نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا دُعِينَا أَجَبْنَا * وَمَتَى نُنْسَ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
قولنا : عَلَيْنَا دُعِينَا فَنَبِينَا * أَوْ إِنَّا قَوْمٌ يَحْدَثُ الرَّسُولُ

وقال آخر

نَحْنُ قَوْمٌ يُحِبُّ هَذِي رَسُولَ اللَّهِ هَدِيَا بِهِ الصَّوَابَ أَصَبْنَا
فَادْعُنَا كُلَّ بَسْطَةٍ فَإِنَّا * لَوْ دُعِينَا إِلَى كُرَاجٍ أَجَبْنَا

وقال آخر

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ جَفَا النَّاسُ وَصَلْنَا مِنْ جَفَا
لَا نُبَالِي صَاحِبَ الدَّاءِ * رَأَيْسِنَا أُمَ دَمَانَا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه فقال له صاحب الصنيع :
مَنْ دَعَاكَ ؟ فَأَنشَدَ

دَعَوْتُ نَفْسِي حِينَ لَمْ تَدْعُنِي * فَالْحَمْدُ لِي لَا لَكَ فِي الدَّعْوَةِ
وَكَانَ ذَا أَحْسَنَ مِنْ مَوْعِدٍ * إِخْلَافُهُ يَدْعُو إِلَى جَنْفِوَةِ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبد الله المَرْوِيُّ طفيلياً ولم يسبق إليه، فقال

إِنَّ الطَّفِيلِيَّ لَهُ حُرْمَةٌ * زَادَتْ عَلَى حُرْمَةِ تَدْمَانِي
لِأَنَّهُ جَاءَ وَلَمْ أَدْعُهُ * مَبْتَدِئاً مِنْهُ بِإِحْسَانٍ

ودخل طفيلي إلى قوم فقالوا له : مَا دَعَوْنَاكَ ! فَا الَّذِي جَاءَ بِكَ ؟ فقال :
إِذَا لَمْ تَدْعُونِي وَلَمْ آتْ، وَقَعْتُ وَحْشَةً، فَضَحِكُوا مِنْهُ وَتَقَرَّبُوا .

وقيل : سرّ طفيلٍ على قوم يتّقدّون، فقال : سلام عليكم معشر اللّثام، فقالوا : لا والله ، ! بل كرام ، فتى ركبته و نزل ، وقال : اللهمّ أجعلهم من المصدقين ، وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخوذى الرّمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفّة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ، فإن استطعت أن لا تكون كلب الرّقاق فأفعل .

ونظر طفيلٌ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يُدّعون إلى صنيع ، فتلطّف حتّى دخل في لقيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر بضرب أعناقهم ، فقدموا واحدا بعد واحد حتّى أتوها إلى الطفيل- فلما قدّم للقتل ألتفت إلى صاحب الشرطة ، فقال له : إنّى واقع ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ، وإنّما أنا طفيلٌ ظننتهم يُنهبُ بهم إلى صنيع ، فتلطّفت حتّى دخلت في جملتهم ، فقال ليس هذا بما يخيئك ، أضربوا عنقه ، فقال : أصلحك الله ، إن كنت عزمت على قتلى ، فأمر السيف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى أوقعنى في هذه الورطة ، فضحك ، وكشف عنه ، فأخبر أنه طفيلٌ معروف ، نفلى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُجمل إليه عشرة من الزنادقة ممّنوا له من أهل البصرة ، فجُمِعوا ، فأبصرهم طفيلٌ ، فقال : ما اجتمعوا إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكّلون ، حتّى أتوها إلى زورق قد أعدّ لهم ، قال الطفيلٌ : هى زُرعة ، فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قِيلُوا ، وقيدَ معهم الطفيلٌ ، ثم سير بهم إلى بغداد ، فأدّخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم باسمائهم رجلا رجلا ، وبأمر بضرب أعناقهم ، حتّى وصل إلى الطفيل- وقد استوفى المدة ، فقال للوكيل : ما هذا ؟ قالوا : واقع ما ندرى ، غير أنّنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ، فقال له المأمون :

- ما قَصَّكَ؟ وبِكَ! فقال يا أمير المؤمنين: أمرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئا ولا عما يدينون به وإنما أنا رجل طفيل، رأيتهم مجتمعين، فظننت صنيعا يدعوون إليه، فضحك المأمون وقال: يُؤَدَّبُ، وكانت إبراهيم بن المهدي قائما على رأس المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عنديك يوما، فطُفْتُ في سِكَكِ بِنِدادٍ مطرُفاً، حتى أتيتُ إلى موضع كذا، فشمنت من قُحَّارٍ أبازير قُدُورٍ قد فاح، فتأقت نفسي إليها، وإلى طيب ريحها، فوقفت إلى خياط، فقلت له: لِمَنَ هذه الدار؟ فقال: لرجل من التجار، قلت: ما اسمه؟ قال: فلان بن فلان، فرميت بطرق إلى الدار، فإذا شُبَّاكٌ فيها مطلٌّ، وإذا كُفٌّ قد نرج من الشُبَّاكِ ومِعْصَمٌ، فشغلني حسنُ الكُفِّ والمعصم عن رائحة القُدُورِ، فَبَيْتُ ساعة، ثم أدركني ذهني، فقلت للخياط: أهو من يشربُ النبيذ؟ قال: نعم، وأحسب أن عنده اليوم دعوة، وهو لا ينادم إلا تجارا مثله مستورين، فإني لكذلك، إذ أقبل رجلان نيلان راكبان من رأس الدرب، فقال لي الخياط: هؤلاء منادماه، فقلت: ما اسماهما وما نكاهما؟ فقال: فلان وفلان، فحَوَّكْتُ دابتي وداخلتهما، وقلت: جُعِلْتُ فِدَاكِ، قد استَبَطَاكِ أبو فلان، وسارِتهما حتى بلغنا الباب فاجلاني وقدماني، فدخلت ودخلا، فلما رآني صاحب المنزل معهما، لم يشك أني منهما، فَرَحَّبَ بي وأجلسني في أفضل المواضع، وفيه يا أمير المؤمنين بأكثة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوآن، فكانت طعمها أطيبَ من ريحها، فقلت في نفسي: هذه الألوآن قد أكلتها، بَغَيْتُ الكُفَّ، كيف إلى صاحبها؟ ثم رُفِعَ الطعام، ورجى بالوضوء، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا أشكل منزل، وجعل

صاحب المنزل يطفئ بي ، ويميل على بالحديث ، حتى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية ، كأنها بدر ، تتقي يا أمير المؤمنين كانليزان ، فأقبلت ، وسألت غير جملة وثبت لها وسادة ، جلست عليها ، وأتى بالعود فوضع في حجرها ، فبسته فاستبنت حديقها في حبسها ، ثم أندفعت فتقى

٥
توهمها طرفي فأصبح خدعا * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
تصالحها كفى قولي كفا * فمن مس كفى في أناملها عقر
فهيجت يا أمير المؤمنين بلالي ، وطربت لحسن شعرها ، ثم أندفعت فتقى
أشرت إليها هل عرفت مودتي ؟ * فردت بطرف العين إلى على العهد
فحدثت عن الإظهار عمدا لسرها * وحادثت عن الإظهار أيضا على عمد

١٠
فصحت يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطرب مالم أملك نفسي معه ، ثم أندفعت
ففتت الصوت الثالث

أليس عجيباً أنت يتأبضني * وإياك لا نخلو ولا تنكح !
سوى أعين تشكوا لموى يحفونها * وقطيع أكباد على النار تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف أسم

١٥
فحسبتها والله يا أمير المؤمنين على حديقها وممرقتها بالنساء ، وإصابتها لمعنى الشعر ،
فقلت : بئى عليك يا جارية ، فضربت بالعود على الأرض ، وقالت : متى كنتم تحضرون
بجائكم البغضاء ؟ فلتمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد تغيروا لي ، فقلت :
أما عندكم عود غير هذا ؟ قالوا : بل ، فأثبتت بهود ، فأصلحت من شأنه ثم غنيت

ما للنازل لَا يُجِيزُ حَرِينَا + أَصْمَنَ أَمْ قَدُمَ إِلَيَّ قَبِيلِنَا؟
 راحوا العَشِيَّةَ رَوْحَةً مذكورة * إِنْ مُتْنَا أَوْ حَيَيْنَا حِينَنَا
 فَمَا اسْتَقَمَّتْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَّةُ، فَأَكَبَتْ عَلَى رَجُلٍ تَقَبَّلَهَا،
 وَقَالَتْ : مَعِيزَةُ يَاسِيدَى، فَوَافَقَهُ مَا سَمِعَتْ أَحَدًا يُنْقِي هَذَا الصَّوْتِ غِنَاكَ، وَقَامَ
 مَوْلَاهَا وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ، فَعْمَلُوا كَفَعْلَاهَا، وَطَرِبَ الْقَوْمُ وَأَسْتَحْشَوْا الشَّرْبَ فَشَرَبُوا، ثُمَّ
 أَنْدَفَصْتُ أَغْنَى

أَنِي الْحَقُّ أَنْ تَمِشِي وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدَّمَا
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْلَهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عِصْلٌ مِنِّي وَتَبْدِلُ عَقْلَهَا
 قَوْلِي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَلْبِي * وَلَا تَتْرَكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُفْرَمَا
 فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ، فَأَمْسَكَتْ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَجَعُوا، ثُمَّ
 غَنَيْتُ الثَّلَاثَ

هَذَا مُجِيكَ نَطْرًا عَلَى كَيْدِهِ * عَرَى مَلَامُهُ تَجَرِي عَلَى جِسَدِهِ
 لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَيْدِهِ
 فَعَمِلَتِ الْجَارِيَّةُ تَصْبِيحَ: هَذَا الْفَنَاءِ وَاللَّهُ يَاسِيدَى، لَا مَا كُنَّا فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَسَكَّرَ
 الْقَوْمَ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ حَسَنَ الشَّرْبِ، صَحِيحَ الْعَقْلِ، فَأَمَرَ غُلَامَانَهُ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ
 وَيَحْفَظُوهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَخَلَوْتُ مَعَهُ، فَلَبَا شَرِيبًا أَقْدَاحًا، قَالَ : يَاسِيدَى، ذَهَبَ
 مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِي ضَيَاعًا، إِذْ كُنْتُ لَا أَصْرُفُكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟ وَلَمْ يَزَلْ يُلِحُّ عَلَيَّ، حَتَّى
 أَخْبَرْتُهُ أَنْخَبَرَ، فَهَامَ وَقَبْلَ رَأْسِي، وَقَالَ: وَأَنَا أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِلْمَلِكِ!
 وَإِنِّي بِلَالِاسٍ مَعَ الْخِلَافَةِ وَلَا أَشْعُرُ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتُهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى
 صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْصَمِ، فَقَالَ لِلْجَارِيَّةِ : قَوْمِي قَعُولِي لِفَلَانَةِ تَزَلْ، فَلَمْ تَزَلْ تَزَلْ

جواريه واحدةً واحدةً، فانظر إلى كَفَّها وَمَعَصِمِها، وأقول: ليس هي هذه! حتَّى قال: والله ما بَقي غير أختي وأُمِّي، والله لأُزِيلَنَّ إِيْلَكَ، فصَجِبْتُ من كرمه وسعة صدره، قلت: جُعِلْتُ فداكَ، أبداً بالأخت قبل الأُم فمضى أن تكون هي، فبرزت، فلما رَأَيْتُ كَفَّها وَمَعَصِمِها، قلت: هي هذه فأمر! غلبانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر بِتَرْكِينَ فيهما عشرون ألف درهم، ثم قال للمُشايخ: هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زَوَّجْتُها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأمرتها عنه عشرين ألف درهم، فَرَضِيت وَقِيلَت النكاح، فدفع إليها بَدْرَةً، وفزق الأخرى على المُشايخ وصرَّهم، ثم قال: يا سيدي، أمهد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك، فأحسنتى ما رأيت من كرمه، فقالت: أحضر عَمَّارِيَّةَ^(١) وأحملها إلى منزلي، ففعل، فوافقه يا أمير المؤمنين، لقد أَتْبَعُها من الجَهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولتها هذا القام على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فصجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيلَ وأجازَه.

ومن إثناء الملوك الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد الخماني وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بِقُدْحِها المَحَلِّي في عُقُودِها شبايه، رسالة وضعها في هذا الفن، وصار له بها على أهله غلبة المَنِّ، مع نزاهة نفسه الأيَّية، وأرتضاعه عن المطامع الدنية، وإنما وضعها تجربةً لمُحاطَرِه، وضحاها إلى فوائد دفاقره، وهي:

هذا عهد عهده زارِد بن لاقِم، لبالح بن هاجم، استغفمه بأن قال: الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها، ونظم أسباب الخيرات ومُكثِّرها، وجاعل أسواق الأفراس قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد واجتاس الإرفاق. أحده

- على أن أحلنا في منازل السادات، أرفع الدرجات، وأحل لنا من الأطعمة الفاتقة الطيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالحل الجسم المنيع، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتي الطمان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهل الساحة والكرام والإكرام، صلاة تحل قائلها في غُرَفَاتِ الْجَنَانِ في دار السلام، وبعد، فإن صناعة التطفيل صناعة مهوبة، وحرفة هي عند الظرفاء محبوبة، لا يلبس شعارها إلا كل مقدم، ولا يرفع خافق علمها إلا من عد في حرفته من الأعلام، ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من أرتفع أطويق الصفاقة، ولا يمتدح لمنازلها إلا من نزع عن منكبها رداء الرقعة والحساقة، وكنت والتود غدا في الإهاب، والفضن ريان من ماء الشباب، ولقد يمس في حلة النشاط، والقسم تدرع الأرض ذرع الاختباط، لا يُقام سوق وليلة إلا وأنا الساعي إليها، ولا ترفع أعلام نار مذبذبة إلا وكنت للواقف لديها، ألتخذ الدروب شياكا للأصطياد، وجبائل أبلغ بها لنيز الأزدرد، قد جعلت الماطس حليف الهواء، والقلب نزيل الأهواء، فحيث جفت روائح الأباذير من أعالي تلك القصور، وتمسكت تلك الشوارع بزعفران البزم والقصور، ألتقت عصا المسير على الباب، وتلبت بحسن أدبي قلب البواب، وأوسعت في وصولي ألف حيلة، وجعلتها على ما عندي من حسن فنونها تحيلة، فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة، ولا وليلة ختان، إلا وقد طلعت على أرجائها مثل الحنان، ولا سحاط تأنيب، إلا وكنت إليه الساعي المنيب، ولا تجمع ضيافة، إلا وكنت عليه أشد آفة، ولا ملاك عرس مشهود، إلا وأنتظمت في سلك الشهود، يحسن في قول القائل

لو طُبِخَتْ قَدْرَ بِمَطْمُورَةٍ * مَوْقَعُهَا الشَّامُ وَأَعْلَى الثَّنُورِ
وَأَنْتَ فِي الصَّبِيحِ لَوَافِتُهَا * يَا عَالَمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

- واليوم قد مال القويم إلى الأعوجاج، وعزّ بازى الشيب غُرَابَ الشعر المَاج،
وقيّد الزمن أقداماً، ومعتت الشيخوخة إقداماً، وصرت لهما على وَضَمٍّ بعد أن كنت
نارا على عِلْمٍ، وقد أفادتني التجربة من هذه الصناعة فنونا، وتلت على من محاسنها متونا،
وقد أبقيت لكل مجمع باباً، وقد لُكْتُ لكل مشهد حساباً، وقد أقتضى حسن الرأى
أن أفوض إليك أمرها، وأودع تأموراً قليل وحسبك سرّها، على بانك الكيس
القيطن، بل الأَلْمَى الدَّربَ المَرِين، لو عقدت أكلةُ اللولائم بِنَافٍ ولح، وأحسن بتأنيهِ
الجميل مدخله ومخرجه، وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة، ما يقل عند ذهابي:
ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عهدتُ إليك، وأسخرتُ الله في الصّويل عليك،
فتلك من يُحْطَبُ للتأصب، ويسمُّ ذُرَّةَ المراتب، ودونك ما أطلق به من الوصايا،
وأحفظ ما يسرّه لسان القلم من جميل المزاي، وإك وموائد اللتام، وأنزِلَ بِساحات
الكلام، واتخذ الشروع في الشوارع حرفة، وأظهر على مشيك صلافةً وِعةً، وميّز
بينك حسن المساطب ونقش السُور، وجمال الخدم وقعود الصدور، وأقصِد
الأبواب العالسة، والأكلة المنقوشة الجالسة، فإن دُلّت على مأدبة نسبها بعض
الأعيان، وجمع إليها أصحابه الإخوان، فالبس من ثيابك الجميلة قتيها، وضوِّع
بالمندل الرطب طيها، وأغن خُبر صاحب الدار وأخباره، وقف في صدر الشارع
من الحاره، فإذا رأيت الجمع وقد تهادوا بالموادى والإهداء، وتهادوا فيها بينهم لذيذ
الكلام، تقدّم إليهم بقلب قَلْبِ الأمور، وعلم بحسن تطلُّعه وتضلُّعه داء الجمهور، وقل
لهم: رب الدار قد استبطأكم، فإ الذي أبطأكم؟ حتى إذا قاربوا صُعود التبة،

- ولم يبقَ هنا لك مَعْبَةٌ ، تَهْتَمُ رافضا لم السُتُور ، ومعزفا بمقدار أولئك الصُدُور ،
 فالأضياف ، يستقدون أنكَ غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ ، يعتقد أنكَ رفيق السادة
 الحِلَّةِ ، وإن وَبِلَتْ مجتمع خُتان ، وقد نُصِبَتْ فيه موائدُ الألوان ، وَدُرِفَتِ الأبواب ،
 وَأَكْفَهَرَتْ وجوهُ المِجَنَّبِ ، فاجعل تحت ضِيْنِكَ المِجْمَع ، وأخدع قلوبهم فتلك من
 يَخْدَعُ ، قل : رفيق الأستاذ ومعيْنُهُ ، ورجله التي يسعى بها بل يَمِينُهُ ، حينئذ تُرْفَعُ
 السُّتُور ، وتَقْدَمُ لك أطيبُ القُدُور ، وإن رماك القُدْرُ على باب غفل عنه
 صاحِبُهُ ، وسها في غفلة حاجِبُهُ ، وقد مدوا في أوانيهِ سِمَاطًا ، وجعلوا لأوائل من
 يقدمه فِرَاطًا ، وقد تهاوت الزبَادى ، وأمتدت الأيادى ، ورأيت السِمَاطَ رَوْضَةً
 تخالفت ألوانها ، وأمتلت أفنانها ، والموائد فيما بينها أَفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
 بروج ثابتة تُشْعِرُ بسكونها ، فَلَجَّ على غفلة من الرقيب ، وأبسط بَنَانُ الأكل وكُفِّ
 لسان المِجِيبِ ، فإن قيل لك : أما غُلِقَ دونك باب ؟ قل : ما على الكرماء من مِجَنَّبِ ،
 وإياك والإحلالَةَ على الموائد ، فإنها مصابِدُ الشوارد ، وإياك والقُدَارَةَ عليها ، فإنها إمارة
 الحِرْمان لَدِيْها ، وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الأزدحام ، كَرَّ القِمة ولا تطل
 عَلَيْهَا ، ومُرَّ الفُكِّ في سرعة أن يَهْكُمَهَا ، فإنك ما تدرى ما تُحَدِّثُ الليالى والأيام ، خِيفَةُ
 أن يَمُرَّ عليك بعض الأقوام ، فتكتسى حُلَّةُ المِجْمَلِ ، وتظهر على وجهك صُفْرَةٌ
 الوَجَلِ ، وأجمل من أَدَابِكَ ، تظلمك الى أنوابك ، ولا ترفع لمسجَلَ وجهها وجها ،
 وقل لمن يحاذيك : إياه ولا تقل : إياها ، وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينَةٌ على الكُفْرِ ، وأجعل
 لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، وبل على أهل الولائم والمآدب مِيلَةً وأَيَّ مِيلَةٍ ،
 وأسأل عن ورث من آباءه مالا ، وقد جمعه بوعثاء السفر وعثاءه حراما وحلالا ،
 أهل يَتَّقِدُ مقاما ؟ أم يَبْلُغُ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان الغلانى رَبَّ

هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المجابة ، فكن ثالثة الأتافي ليأيه ، وأنظم في سلك
 عشرائه وأترائه ، وتفقد الأسواق خصوصاً اللقامين ، ومواطن الطبخ ومساحب
 المطربين ، وجمع القراء ومعهده محال الوعظ ، وكل بقعة هي مظنة فرح يعود عليك
 ضعه وكن أول داخل وآخر خارج ، ومل إلى الزوايا ، فهي أجل مالهذه الحرفة من
 المزايا ، وقيل يكابك في كل يوم ، نصارة في سوق اللحم ونارة في سوق الثوم ، وغير
 الحلية ، وقصر الحجة ، وأبرز كل يوم في لباس ، فهو أكثر للكتباس ، وجدد البهت
 حتى تفضده عصاك ، وتجمله ذريعة لمن عصاك ، وأتقن الفنون المحتاج إليها من غنى
 ونجامة ، وطب وشهامة ، وتاريخ وأدب ، وكرم أصل وحسب ، وحلقى التوقيت
 والتزبل ، فاجعلهما ذابك ، فلذا عرفوك ، وحضر الجمع وكشفوك ، فطرز كل محفل
 بمحاسن أقوالك ، وكلل جيد كل مادبة بيواهر أفعالك ، وأعلم أنها صنعة دثرت
 معالمها ، وقيل عالمها ، ولولم أر على وجهك غنايل بشرها ، وعلى أعطاف أردافك روائح
 بشرها ، لما أقيت إليك كتاب عهدا ، ولا حملت لبايك راية مجدها ، فتلق راية
 هذا العهد بساعده مساعد ، وعضد في الولوج على الأسمطة مضاد ، فوضت إليك أمر
 من تحلى بيواهرها المنظومة ، وليس حللها القشبية المرقومة ، وبسطت لسان
 قلبك في رقم عهدوها ، وأذنت لك أن تخرجهم على سنن معهودها ، وإراك أن تعهد
 إلا لمن ملك خصلها ، وجاس خلاها ، وأسجل هلالها ، وأتقن أحوالها ، ولأية
 عامة ، وكلية مبرمة ثامة ، حرس الله بك معقل الأدب والألطافة ، ونحاً بك معالم
 النضالة والكثانة .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ تُعْبِدُونَهُ) وَرَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،
اجْتَمِعُوا لِأَعْلَمِكُمُ التَّقْوَى ، فَاجْتَمِعُوا قِفَامَ فِي مِحْرَابِهِ ، فَبَكَى ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَدْخُلُوا هَاهُنَا إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَأَشَارَ
إِلَى فِيهِ . قِيلَ : أَوَّلُ آدَابِ الْأَكْلِ ، مَعْرِفَةُ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ ، وَالخَبِيْثِ مِنَ
الطَّيِّبِ .

وَأَمَّا الْآدَابُ فِي هَيْئَةِ الْمُؤَاكَلَةِ وَأَصْعَالِهَا ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَاعَابَ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ أَشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « لَا تَسْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَسْمُهُ الْبَهَائِمُ » ، مِنْ أَشْتَهَى شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ ، وَمَنْ كَرِهَ
فَلْيَسَدِّعْ . » وَقَالَ أَنَسٌ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ ،
وَدَخَلَ دَارَنَا ، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً ، فَشَرِبَ ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنِ يَسَارِهِ ، وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْطَى أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَانُ
فَالْإِيمَانُ » وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ

صَدَدَتِ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ : وَكَانَ الْكَأْسُ تَجَرَّاهَا الْيَمِينُ ١٥

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ،
ثُمَّ سَمَّى . ثُمَّ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ، ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ قَطَعَ الثَّالِثَةَ ، ثُمَّ جَرَعَ مَصًّا ، حَتَّى
فَرَّغَ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ . وَقَدْ تَدَبَّرْتُ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ ، وَيُنَقِّي اللَّعْمَ ،
وَمِنْ الشُّعْبَةِ : الْبَدَأَةُ بِسْمِ اللَّهِ . وَحَدِّثٌ عَنِ الْإِتْمَاءِ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ : مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَأْكُلُ ، فَقَالَ « أَجْلِسْ يَا بَنِيَّ وَسَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِمِيتِكَ مِمَّا يَلِيكَ » .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا ، فَقَدْ كَلَّ كُلُّ شَيْءٍ ، إِذَا كَانَ حَلَالًا ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْإِيْدَى ، وَحَمِدَ اللَّهُ حِينَ يُفَرِّغُ مِنْهُ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ عِنْدَ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّيَاءِ لَمْ يَضُرْهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ » وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ نَبِيَّيَ فِي أَوَّلِهِ ، فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَاكُلْ بِمِيتِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرِبُ بِشِمَالِهِ » .

وَرَوَى : أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا دَعَا أَصْحَابَهُ قَامَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَكُنَا فَاصْتَعُوا بِالْفَقْرَاءِ .

وَوَصَفَ شَاعِرٌ قَوْمًا فَقَالَ

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ • وَإِنْ ضَيَّفَ أَلَمَ بِهِمْ وَقُوفٌ

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُصَيْنٍ : شَهِدْتُ الْحَسَنَ فِي وَرِيعة ، فَطَعِمَ ثُمَّ قَامَ ، فَقَالَ : مَدَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْعَافِيَةِ ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ فِي الرِّزْقِ ، وَأَسْتَعْمَلَكُمْ بِالشُّكْرِ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « تَحَلَّلُوا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْحَنَّةِ » .

وَفِي حَدِيثٍ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَيْكُمْ بِالْحَشْبَتَيْنِ : بِعِنِي السَّوَالِكِ وَالْحَلَالِ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يا بُنَيَّ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْاِثْرَةَ، ومجاهدة الشهوة، ولا تَهْمَسْ تَهْمَ السَّبَاعِ، ولا تَخْضَمْ خَضَمَ الْبَرَّادِينَ، فإن الله جعلك إنساناً، فلا تجعل نفسك بيممةً .

- وحكى عن بعض الكتاب قال : تفديت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد، والاكجاب على الطعام، وكثرة أكل البقل، ومعنى ذمه هذه الحلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمها في الطعام، والاكجاب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والتهم . قال الشاعر
- لقد سترت منك الإخوان عمامةً * دجوجية ظلماتها ليس تطلع
وأما البقل، فإن الحاجة إلى البلغة منه، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم، لأنه مرعاه .
- وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالابتساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أي الأوقات أحسن للأكل ؟ فقال : أما من قدر فلذا أشهى، وأما من لم يقدر فلذا وجد .

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

- قال الله عز وجل : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من زاره أخوه المسلم فقرب إليه ما تيسر غفر له وجعل في طعمه البركة، ومن قرب إليه ما تيسر فاستحق ذلك كان في مقت من الله حتى يخرج » . وقالت عائشة رضي الله عنها : أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نساءه مئتين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : أعمالوا ولا تعملوا بطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولها ربحٌ ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلم : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

(١٦١)

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لما دخل شهر رمضان كان يخطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على ثنتين أو ثلاث ، فقيل له ، فقال : إنما هي أيام فلائيل يأتي أمر الله وأنا نجيب ، قتل من ليلته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قَلَّ طَعْمُهُ مَحَّ بَدَنِهِ وضفا قلبه ، ومن كثر طعمه سقيم جسمه وقسا قلبه " . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : " ما زين الله رجلا بزيئة أفضل من عفاف بطنه " . قال حاتم

أَيُّتُ نَجِيسِ الْبَطْنِ مُضْطَرِ الْحِشَا • من الجوع أخشى اللّهُمَّ أَنْ أَتَضَلَّما
فَإِنَّكَ إِنِّبَ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ • وَفَرَجَكَ نَالَا مَتْنَى الْقَمِّ أَجْعَمَا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا يفسد ، وهو على باب دار فيها صنع والناس يدخلون ، وكنت من دُعي ، قلت : ألا تدخل فتأكل ؟ فإن الطعام كثير ، قال : وإن كنت فاني ممنوع منه ، قلت : كيف والباب مفتوح ، ولأمان من الدخول ؟ فقال : أأكل طعاما لم أدع إليه ؟ لقد أضطرتني إلى ذلك غير الجوع ، قلت : ما هو ؟ قال : هذابة النفس وسوء الفريضة ، قال شاعر

وَأَنَّى لَفْتُ عَنْ مَطَائِمِ حَجَّةٍ • إِذَا زَيْنَ السَّحَاءِ لِنَفْسِ جُورُهَا

وقال آخر

وأعرض عن مطاعٍ قد أراها * فتركها وفي البطن أنطواه
فلا وأبيك ما في العيش خير * وفي الدنيا إذا ذهب الحياء!

- قال الجنيد : مرّ بي الحارث بن أسد المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت :
يا عمّ ، تدخل الدار وتتناول شيئاً ؟ قال : نعم ، فدخل ، وقدمت إليه طعاماً مجل
إلى من عرس ، فأخذ لقمة فلاكها ونهض فالتها في البهلز ومضى ، فالتفت به
بعد أيام ، فقلت له في ذلك ، فقال : كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكل ،
ولكن بني وبين الله تعالى علامة ، أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة ، فن أبن كان
ذلك الطعام ؟ فأخبرته ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم ، فقدمت إليه كسراً
كانت لنا فأكل وقال : إذا قدمت لفقير شيئاً ، فقدم مثل هذا .

- روى أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحنين : أكثرُوا لحم الطعام ، فوافقه
ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزمة رجل بات بطينا ، فلما وجد
معاوية ما قال صحبها ، قال : البطنة تكذب البطنة .

- وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب ، فإن القلوب تموت كالزروع إذا كثرت عليه الماء » .

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه حاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا ؟ قال : قرمتا
إليه . قال : ويحك ! قرمت إلى شيء فأكلته ، كفى بالمرء شرهاً أن يأكل كل ما يشتهي .

قال ابن جرير : العرب تُعبر بكثرة الأكل ، وأنشد

لست بأكل كل كل العبد * ولا ينوأم كنوأم الفهد

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصلق بالآخر .

وقال أبو سليمان البزارى : خير ما أكون إذا لصق بطنى بظهري ، أجوع الجوع فأنخرج ترخمي المرأة فما أنفت إليها ، وأنشع الشبة فأنخرج فأرى عني تطمان

ذكر أخبار الأكلة

١. قد نُسب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى الميم ، فمن ذلك ما حكاه المحدثون في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بسجل مشوي ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع قرآن^(١) ، وجدياً حاراً ، وجدياً بارداً ، سوى الاوان ، ووضع بين يديه مائه رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه ، وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكلات آنهرن أشتهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوالله ما شيعت ، ولكني ملئت .
١٠. ومنهم حميد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكلات آنهرها جنبه بزل ، ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عتاق أو جدى فيأتى عليه وحده .
- ومنهم الججاج بن يوسف ، قال سالم بن قتيبة : كنت في دار الججاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا جاء الأمير ، فدخل الججاج وأمر بشور ، فنصب ، وأمر رجلاً يخبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاماً من السمك ثمانين رغيفاً من خبز الماء .
١٥. ومنهم سليمان بن عبد الملك ، روى أنه شوى له أربعة وثلاثون خروفاً ، فذهب به إلى كل واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه ، مع أربعة وثمانين رغيفاً ، ثم أذن للناس ، وقدم الطعام ، فأكل معهم أكل من لم يلق شيئاً .

(١) القرائ : خبز يتوى ويروى سماً وليناً وسكراً .

(٢) الساق : الأثني من أولاد المز .

- وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص : قَدِمَ سليمان بن عبد الملك الطائف ،
 فدخل هو وعمر بن عبد العزيز ، فجاء حتى ألقي صدره إلى غصن ، ثم قال : يا شمردل ،
 ما عندك شيء ، تُطْعِمُنِي ؟ قلت عندى جَدْعٌ تقذو عليه حافل وتروح أخرى ، قال :
 عَجَلْ به ، فأتيته به كأنه عُكَّةٌ سمينة ، فجعل يأكل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه نخد ،
 قال : يا أبا حفص ، هَلَمْ ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : يا شمردل وبلك !
 ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن رِثْلان النعام ، فأتيته بين فأتى عليهن ،
 ثم قال : وبلك يا شمردل ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيْقٌ كأنه قُرَاضة الذهب . فأتيته
 بِسُوسٍ^(١) يشيب فيه الرأس ، فشربه ، فلما فرغ تحسأ كأنه صارخ في حُبٍّ . ثم قال :
 يا غلام ! أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانون قِدرًا ،
 قال : فأت بقدر قدر ، وبقناع عليه رُقَاق ، فأكل من كل قِدر ثلاث لقم ، ثم مسح
 يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الحِوان ، وقعد يأكل مع الناس .

- ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المازني ، قال المعتمر بن سليمان :
 سألته عن أكله فقال : جعتُ مرةً وسعى ببيزٍ ففصرته وأكلته إلا ما حملتُ منه
 على ظهري ، فلما كان الليل راودتُ أمةً لى فلم أصل إليها ، فقالت كيف تصل إلى
 وبينى وبينك جمل ؟ قلت له : كم بلغت هذه الأكلة ؟ فقال : أربعين أيام .
 وحكى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه المترجم بشر الثور : أن هلالا
 هذا أكل بغيراً ، وأكلت أمرأته فصيلا وجامعها ، فلم يتمكن منها ، فقالت له : كيف
 تصل إلى وبينى وبينك بغيران ؟ وله حكايات ذكرها الجديوني في التذكرة ، والأبي
 في ثر الدبر تركها اختصارا .

(١) السُّوس : الدَّجَّحُ العظيم .

ومنه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جني بكر شواء بعد طعام كثير .

- ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون إذا وجهه في حاجة ، أمره أن يتسدى ويمضي فَرَّجَ إلى المأمون في الظالم :
إف رأى أمير المؤمنين أن يجري على ابن أبي خالد نُزْلاً ، فإت فيه كلبية ، إلا أن
الكلب يحرس المنزل بِكُسْرَةٍ ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويعين الظالم بأكله ،
فاجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمأكلته ، وكان مع ذلك يشتره إلى طعام
الناس . ولما أنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال للمأمون لأحمد بن أبي خالد :
امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقم إليه بحبل ما يحصل لك عليه وأخذ معه خدما
يُنْهِي إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكرو ،
ولما أتصل خبر أحمد بدينار ، قال للطباخ : إن أحمد أشبه من نُفِخ فيه الروح ، فإذا
رأيت قتل له : ما الذي تأمر أن يتخذ لك ؟ فعمل الطباخ ، قال أحمد : فواريج
كسرية بماء الرمان تخدم مع خبز الماء بالسيد ، ثم هات بعدها ما شئت ، فابتدأ
الطباخ بما أمره ، وأخذ أحمد يُكَلِّم ديناراً ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا
قبلك ما لا قد حسبته علينا ، فقال : الذي لكم ثمانية آلاف ألف ، قال فاحملها ،
قال : نعم . وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة ، فقال أحمد : تجل بها فإني
أجوع من كلب ، فقدمت عليها ما أقترح ، وقدم البجاج وعشرين فروجا كسرية
فاكل أكل جائع نهم ، ما ترك شيئا مما قدم ، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد شبع ،
لوح بطيغورية فيها خمس سمكات شبايط كأنها سباتك القضة ، فانكر أحمد عليه
إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وأعاد أحمد الخطاب ، فقال دينار : اليس قد عرفتك

أن الباقي لكم عندى سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك أعترفت بأكثر منها، فقال: ما أعترفت إلا بها، قال: هاتِ خطك بما أعترفت به، فكتب بسنة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد أعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قيل إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدم الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، قال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء؛ فما بال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد بألف ألف إلا غداء دينار، وأقتصر على الخط ولم يتعقبه كراماً وتبلاً.

ومنها أبو العالية، حكى أن امرأة حملت لحلفت إن ولدت غلاماً لأشيعر أبا العالية خبيصاً، فولدت غلاماً، فأطعمته، فأكل سبع خفان، فقيل له: إنما حلفت أن تشبعك خبيصاً، فقال: والله لو علمت لما شيعت إلى الليل.

ومنها أبو الحسن بن أبي بكر العلاف الشاعر دخل يوماً على الوزير المهلبى ببغداد، فأخذ الوزير من أخذ حماره الذى كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وخرج وطبخ لحمه بلاء وملح، وقدم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلته، وعوضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافي في أخبار الأكلة.

ذكر ما قيل في الجبن والفرار

ومن أفسح ما قيل به الرجل أن يكون جباناً فراراً، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُيِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْواً فَلَا تَوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يَوَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ

وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبَيْتُ الْمَصْبُرِ) . وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) . وقالت عائشة رضي الله عنها : إن لله خلقا ، قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خَفَقَتِ الرِّيحُ خَفَقَتْ معها ، فَأَفَّ الْجَبْنَاءُ ، أَفَّ الْجَبْنَاءُ .

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدِي موضع إلا فيه طُعْنَةٌ رُمِحَ أو ضُرِبَتْ بِسَيْفٍ أو رُمِيَتْ بِسَهْمٍ ، وهانذا أموت على فراشي حَتَفَ أَهْلِي ، كما يموت العَبْرُ . فلا نامت أعين الجبناء .

وقيل كتب زياد إلى آبن عباس : أن صف لي الشجاعة والجلل والجود والبخل فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع رُكِبَتْ في الإنسان تركيب الجلود ، أعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يصرفه ، والجليل يفر عن عُرْسِهِ ، وأن الجود يعطي من لا يلزمه ، وأن البخل يمسك عن نفسه ، وقال شاعر

يَفْرُجُ جِبَانُ الْقَوْمِ عَنْ ظُهُورِ نَفْسِهِ ۖ وَيَجِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مِنْ لَانِيسَبِهِ
وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضمها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي

يرى الجبناء أن الجبن حُرْمٌ ۖ وتلك خديعة الطبع اللثيم

وقالوا : حد الجبن الضيق بالحياة ، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في القراسة : من كانت فزعته في رأسه ، فذاك الذي يفر من أمه وأبيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تُؤْوِيهِ .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنه أقلهم حياء من الفرار . وقال هاني الشيباني

لقومه يوم ذى قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر ! حالك مَصْدُورٌ ، خيرٌ من تَاجٍ

فَرُّوا . المنيّة ، ولا الدنيّة ، استقبال الموت خيراً من استبداده ، الثغر في ثغور النحور ، خيراً منه في الأعجاز والظهور ، يائي بكر ! قاتلوا ، فما من المنايا بُدّ ، الجبان مبغض حتى لأتمة ، والشجاع محبوب حتى لعدوه .

ويقال : الجبن خيراً أخلاق النساء ، وشر أخلاق الرجال .

- وقال يعلّى بن مُنبّه لقومه حين فروا من على يوم صفّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أتى لكم ! فراراً واعتناراً ! قال : ولما قاتل أبو الطيّب المتني ورأى الغلبة عليه فرّ ، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدث بهذا الفرار عنك ؟ وأنت القاتل

الليل والليل واليئداء ترفقي * والطنن والضرب والقرطاس والقلم

- ١٠ فكر واجما ، وقاتل حتى قُتل ، وأستبج أن يُعير بالفرار .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفربه : أخبرني عن أصحابي ، أيهم كان أشدّ إقداماً في المبارزة ، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أفتيتهم مدّيرين ، قل لهم : يُدبروا لأعرّك أيهم كان أشدّ فراراً .

وقال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر

- ١٥ فِرْنُ سليمان قد أضربه * شوق إلى وجهه سيّدته
لا يعرف القرون وجهه ويرى * قصاه من قريح فيرته

وقال حسان بن ثابت يُعير الحارث ابن هشام بفراره يوم بدر

- إن كنت كاذبة التي حدثني * فنبوت متجى الحارث بن هشام
لـ نجسة لم يُقاتل دونهم * ونجا برأس طيمرة والحام
مزلت به القريجين فارقت به * وقوى أحبته بشر مقام

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكان أبو حبة النيرى وهو الميثم بن الربيع
 ابن زُرارة جباناً بخيلاً كذاباً ، قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : لعاب المنية ،
 ليس بينه وبين الخشب فرق ، قال : وكان أجبن الناس ؛ قال : لحدثني جاري له ،
 قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً ، فأشرف عليه ، وقد أنتضى سيفه ،
 وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المُفترِّبنا ، المجترئ علينا ، بشس واقه ٥
 ما أخترت لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ،
 مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالغزو عنك قبل أن أدخل بالقوبة
 عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تهم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الضياء خيلاً
 ورجلاً ، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فيينا هو كلك ، إذا الكلب قد خرج ،
 فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفانا حرباً . ١٠

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم ، قول الشاعر
 ولو أنها عُصفورة لحسبتها ٥ مسومة تدعو عبيدا وأرئماً^(١)

ومثله قول عمرو بن الورد
 وأضحجُ قد أدركتهم فوجدتهم ٥ يخافون خطفَ الطير من كلِّ جانب
 وقال آخر ١٥

مازلت تحسبُ كلَّ شيءٍ بدمهم ٥ خيلاً تكثرُ عليهمُ ورجالا
 وقول أبي تمام

مَوْكَلٌ يَفِاقُ الأرضَ يشره ٥ من خِفةِ الخوفِ لا من خِفةِ الطَّربِ

وقال ابن الرومي

(١) وفارس أجبن من صفر ^(١) * يحول أو ينور من صفرة
لو صالح في الليل به صائح * لكانت الأرض له ظفرة
يرحمه الرحمن من جبنه * فيرزق الجند به النفرة

ومن أخبروا الفرّارين الذين حسّنوا الفرار على قبعة

(١٤٩)

قال صاحب كلبلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدّاً منه ، لأنّ التفقّة فيه من النفس ، والتفقّة في غيره من المال .

وقالوا : من تَوَقَّ سلم ، ومن تهورَ ندم .

وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متفقّة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من

المقتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فليؤتِر الجبن على الشجاعة .

وليمَ بعضُ الجبناء على جبنه ، قال : أوّل الحرب شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

وقال آخر : الحرب مقنّلة للعباد ، منجبة للطارف والنّاد .

وقيل لجبان : لمَ لا تهاتل ؟ فقال : عند النطاح يُطلب الكيش الأجم ^(٢) .

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .

وقالوا : الشجاع ملقّب ، والجبان موقّ . قال البديع الهمداني

ماذاقهما كالشجاع ولاخلا = بمسرة كالمجاز المتبواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

(١) الصفر : طائر يقال له : أبو الملح وهو طائر جبان .

(٢) الأجم : النمل لا ترون له ، وهو مثل يصرّب لمن طبع صاحبه بما أجده .

- وقالوا : السلم أركى لسان ، وأبقى لأفئس الرجال .
- وقالوا : الحمام في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .
- وقال المتوكل لأبي العبيد : إني لأفرق من لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ، الكريم ذو فرق وإحجام ، والله ذو وقاحة وإقدام .
- وقيل لأعرابي : ألا تعرف القتال ؟ فإن الله قد أمرك به ، قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية ، فكيف أمضي إليه ركضاً ؟ قال شاعر
- تمشى المنابا الى قوم فابضها * فكيف أعدوا إليها عارى الكفن ؟
- وقيل ليزيد : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت شخصاً بالليل ، فكن للإقدام عليه أولى منه عليك » قال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبل ، فاتممه فيما أكره ، وإنما الحرب خير .
- وسمع سليمان بن عبد الملك قارئاً يقرأ (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : ذلك القليل نريد .
- ولما قرأ أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد يوم مرءاء هجر بالبحرين من أبي قديك الخارجى إلى البصرة ، ودخل عليه أهلها ، فلم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يقوته به من القول ، ألهثونه بالسلامة أم يمزونه بالفرار ، حتى دخل عبد الله ابن الأعمى ، فاستشرف الناس له ، ثم قالوا : ما عسى أن يقول لمنهم ؟ فسلم ثم قال : مرحباً بالصابر الفضول ، الحمد لله الذى نظرنا عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة جهلك ، ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبغاك لم يخذلان من مملكك ، فقال أمية : ما وجدت أحداً أخبرنى عن نفسى غيرك .
- وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار

الله يعلم ما تركت فقال لهم ، حتى تلوا مهري بأشقر مزيد
وعلمت أني إن أغفل واحدا ، أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدفت عنهم والأجبة فيهم * طمعا لم يقاب يوم سرمد
وقال زفر بن الحارث وقد فر يوم مريج راحط عن رفيقه

- أذهب يوم واحد إن أسأته * بصلح أياي وحسن بلائيا؟
فلم ترمي زلة قبل هذه * فرأى وترك صاحبي ورائيا

وهي أبيات تذكرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن بعد يكره
من أبيات يخاطب بها أخته ويخاتمة ، وقد فر من بني عيس

- أجاعلة أم النوير نراية * على فرأى إذ لقيت بني عيس
وليس يعاب المرء من حين يومه * إذا عرفت منه الحماية بالأمس

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود السدي ، وكان قد فر يوم الحرّة
من جيش مسلم بن عقبة ، فلما حاصر الجحاج عبد الله بن الزبير بمكة جعل يقاتل
أهل الشام ويرميهم

- أنا الذي فررت يوم الحرّة * والشيخ لا يفر إلا مرة
فاليوم أجرى كرهة يفره * لا بأس بالكثرة بعد المرة

ولم يزل يقاتل حتى قُتل ، قال الفزار السلمي

وفوارس لستها بفوارس * حتى إذا ألبست أملت بها يدي
وتركتهم قهض الرماح ظهورهم : من بين مقتول وأمر مستند
هل ينفعني أن تقول نساؤهم * وقتلت دون رجلهم : لا تبعدي

وقال آخر

قامت مُتَجَمِّعِي هِنْدٌ قَتَلَتْ لَهَا : * إن الشجاعة مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ
لا والذي منع الأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ * مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَرْبُ
لِلْعَرَبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَهَبَتْهُمْ إِلَى نِيْلَانِهَا وَبُشُوا
وَقِيلَ لِحَبَانٍ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمَ، فَقَالَ

وَقَالُوا : هَتَمْتُ قَلْبِي : لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخْلَفَ عَلَى بَغَارِي أَنْ تَحْطَلُنَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانُ أَطْلَعْتُ وَاحِدًا * وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أُنْغِيَا
وَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأَرْسَلُ نَسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّفْتُمَا؟

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قَالُوا : الْحَقُّ قَلَّةٌ الْإِسَابَةُ، وَوَضَعَ الْكَلَامُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ : هُوَ شَدَانُ
مَا يُجَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ؟ وَقِيلَ لِمَعْرَبٍ هَيْبَةُ : مَا حَدَّ الْحَقُّ؟ قَالَ : لِأَحَدِهِ كَالْعَقْلِ .
وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «الْأَحَقُّ أَبْخُسُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ،
لَأَنَّهُ حَرَمَهُ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَقْلُ» .

(١٥)

وَقِيلَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، أَتَدْرِي لَمْ رَزَقْتُ الْأَحَقُّ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ،
قَالَ : لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْاجْتِهَادِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً، كَانَ أَوَّلُ مَا يُجِدُّهُ عَقْلَهُ .
وَقَالُوا : الْحَقُّ دَاءٌ دَوَاءُ الْمَوْتِ . وَقَدْ يَنْتَهِى اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيهِ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ بِقَوْلِهِ (لِيُنْذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا) قِيلَ : عَاقِلًا، وَبِقَوْلِهِ (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْأَشْمِيرِ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَخْبَى قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَالَتْغُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ عَقْلُ الرَّجُلِ ؟ » قَالُوا : يُخْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَهْتَابِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَحْمَقَ يَصِيبُ بِحُفَّتِهِ أَعْظَمَ مِنْ لُجُورِ الْفَاجِرِ ، وَتَرْيِضُ الْعِبَادُ غَدَا فِي الدَّرَجَاتِ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » .

وَمِنْ كَلَامٍ لِقَائِهِ لَأَكْبَنَهُ : أَنْ تَكُونَ أَنْرَسَ عَقْلاً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطَوْقاً جَاهِلاً ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ ، وَدَلِيلُ الْعَقْلِ النُّقْلُ ، وَدَلِيلُ النُّقْلِ الصَّمْتُ ، وَكَفَى بِكَ جَهْلاً أَنْ تَهْمَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكِبَهُ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : طَلَبْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَطَالَتِ الْأَحْمَقُ فَأُخْيَانِي ، قَالَ شَاعِرٌ

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطْبُ بِهِ * إِلَّا الْحِمَاةَ أَعْيَتْ مِنْ يَدَاوِيهَا

وَقَالَ آخَرُ

وَعِلَاجُ الْأَبْذَانِ أَبْسَرُ خَطْبٍ * حِينَ تَمْتَلِ مِنْ عِلَاجِ الْعَقُولِ

وَقَالَ آخَرُ

الْحَقُّ دَاءٌ مَالَهُ حِيلَةٌ * تُرْجَى كِبَالُ النَّجْمِ مِنْ مَسِّهِ

وَقِيلَ : إِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّ فَفِيراً أَسْتَفْنَى ، وَغَنِيّاً أَفْتَقَرَ ، وَحَيّاً مَاتَ ، أَوْ مَيِّتاً عَاشَ ، فَصَدَّقْ . وَإِذَا بَلَغْتَ أَنْ أَحَقَّ اسْتِفَادَ عَقْلاً فَلَا تَصْنُقْ .

وَقَالُوا : الْأَحْمَقُ لَمْ يَنْتَهِ أُمُهُ أَنَّهَا بِهِ مُشْكَلَةٌ ، وَنَحْنُ زَوْجُهُ أَنَّهَا مِنْهُ أَرْمَلَةٌ ، وَبِمَنْتَى جَارُهُ مِنْهُ الْعَزَلَةُ ، وَرَفِيقُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَأَخُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ .

وقال سهل بن هارون: وجدتُ مودةَ الجاهل، وعداوةَ العاقل، أسوةً في الخطر،
ووجدتُ الأُنسَ بالجاهل، والوحشةَ من العاقل، سِيِّئَةً في السَّيبِ، ووجدتُ غشَّ
العاقل أقلَّ ضرراً من نصيحةِ الجاهل، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصوابِ من
يَقِينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما يُستَكَمُّ من الجاهل لما أُسْتُكِمَ .
وقال لحيان لا بُدَّه : لا تُماثرَ الأحمقَ وإنَّ كانَ ذا جَلالٍ ، وأنظر إلى السيف
ما أحسنَ منظره وأقبحَ أثره !

وقال عليُّ رضي الله عنه : قَطِيعَةُ الجاهلِ تَمِدُّ صِلَةَ العاقلِ ؛ وقال : صديقُ
الجاهلِ في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدِيرِ ، أَرْجَى شَيْءٍ مِنَ الْأَحْمَقِ الْمُتَقَبِّلِ ، وقال شاعر
مَدَّوْكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ السَّعِيدِ لَكَ الْوَامِي الْأَحْمَقُ

والبيت المشهور السائر

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

وقيل : الحمق يَسْلُبُ السلامةَ ، ويورثُ التَّدامةَ ؛ وقد ذُقُوا مَنْ لَهُ أدبٌ
بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلاً قال : هو ذو أدبٍ وافرٍ ، وعقلٍ ثاغرٍ ، قال شاعر
فَهَبَكَ أَخَا الْأَدَابِ ، أَيُّ فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَيْ عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ؟



ومن صفات الأحمقِ وعلاماته : قيل : ما أَضْمَكَ مِنَ الْأَحْمَقِ فَلَاحِظُكَ
منه كثرةُ الالتفاتِ وسرعةُ الجوابِ ، ومن علاماته الثقةُ بكلِّ أحدٍ .

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجَاهِلَ مَوْلَى بَحْلَاوَةِ الْعَابِلِ، غَيْرُ مَبَالٍ بِالْعَوَاقِبِ، وَلَا مُصْتَبِرٌ بِالْمَوَاقِظِ، لَيْسَ يُعْجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهُ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَ غَيْرَ قَصْدٍ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسِنُ بِهِ غَيْرُهُ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَالُوا: سَتَ خِصَالُ تُرُفٍ فِي الْجَاهِلِ، الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَالْفُتُنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وَالنَّفَقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وَقَالُوا: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَابِلِ فِي فِعْلِهِ، وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا، وَالْأَحَقُّ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا خُلْفًا، الْأَحَقُّ إِذَا خَلَّتْ ذَعْلُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا، وَإِذَا حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ قَلَّ .

١٠ . وَقَالَ أَبُو يُونُسَ: اثْبَاتُ الْحَمِيَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .
وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَتْبَعٍ: كَانَ يَقُولُ لِلْأَحَقِّ إِذَا تَكَلَّمَ: فَضَحَهُ حَقُّهُ، وَإِذَا سَكَتَ فَضَحَهُ عَيْهِ، وَإِذَا عَمِلَ أَفْسَدَ، وَإِذَا تَرَكَ أَشَاعَ، لَا عَلَيْهِ يُعَيَّنُهُ، وَلَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ يَنْفَعُهُ، تَوَدَّ أَنَّهُ أَنْهَا تَكَلَّمَ، وَتَحَيَّيْ أَمْرًا أَنَّهُ عَدِغَتْهُ، وَتَحَيَّيْ جَارَهُ مِنْهُ الْوَحْدَةَ، وَتَأْخُذْ جُلُوسَهُ مِنْهُ الْوَحْشَةَ .

١٥ . وَاسْتَدْلَى عَلَى الْأَحَقِّ بِأَشْيَاءَ، قَالُوا: مِنْ طَالَتْ قَامَتُهُ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ، وَأَنْسَدَلَتْ لِحْيَتُهُ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنْ يَحْرِيمَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .

وَيُقَالُ فِي الثَّوَرَةِ: الْهَيْئَةُ تَحْرِجُهَا مِنَ الدَّمَاعِ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهُمَا قَلَّ دِمَاعُهُ، وَمَنْ قَلَّ دِمَاعُهُ قَلَّ عَقْلُهُ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحَقُّ .

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِنَاضٍ قَضَى عَلَيْهَا: صَبَّرَ رَأْسُكَ، قَبَعْتُ فَهَجُكَ، وَأَنْسَدَلَتْ لِحْيَتُكَ، فَتَكُونُ بَعْضَ عَقْلِكَ، وَمَا رَأَيْتُ مَيْتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينَ غَيْرَكَ .

﴿١١﴾

وقال مسئلة بن عبيد الملك جلسائه : يُعرف حق الرجل في أربع ، طول لحيته ، وبشاعة كنيته ، وإفراط شهوته ، وهش خاتمه ، فدخل عليه رجل طويل الهبة ، فقال : أما هذا فقد أتاكم بواحدي ، فانظروا أين هو من الثلاث ؟ قيل له : ما كنيته ؟ فقال : أبو الياقوت ، فقيل له : ما نقش خاتمك ؟ قال : (وَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَنُودَ) قيل : فأى الطعام أحب إليك ؟ قال : الجلتجين^(١) ، قال مسئلة : فيه ما بعد كنيته ، مع طول لحيته ، مع نقش خاتمه ، شك لمُتَرٍ .

قال الشعبي : خطب الجهاج يوم جمعة فاطال ، فقام إليه أعرابي ، فقال له : إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يمتدك ، فأمر به فحبس ، فأتاه أهله يشعون فيه وقالوا : إنه جنون ، فقال الجهاج : إن أقرب الجنون خليت سبيله ، فأوه وسأله ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله ابتلاني وقد عاقبني ، فليكن كلامه الجهاج ، فسلم في نفسه وأطلقه .

وقال الأصمعي : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : أخلف أن يتي على حمق جناية ، فذهب مني ، وبقى حمق .

والعرب تضرب المثل في الحمق يسئل بن بكيم ، ويرعون أنه قيل له : إن لكل فارس جواد أسما ، وإن فرسك هذا سابع قسمه ، فقفا عيه وقال : سميت الأعرور ، وفيه يقول الشاعر

(١) قال صاحب أقرب الموارد : الجلتجين : سجون يسئل من الورود والصل ، فارسي مصروب عن

كلمة "كل" وصفا لها ورد ، ومن جهة "أنكبن" وصفا لها هل .

رَمَنِي بَشْرٌ عَجِلَ بِدَاءِ أَيْبَمٍ ، وَهَلْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ ؟

أليس أبوم عازٍ عَيْنَ جَوَادِهِ ؟ * فَسَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ بِالْجَهْلِ !

وَيَضْرِبُونَ الْمَثَلَ فِي الْحَقِّ بِهَيْئَةِ الْقَيْسِيِّ ، وَهُوَ يَزِيدُ بِنُزْوَانٍ ، وَيَكْنَى أَبَانُفَعٍ ،
حُكِيَ أَنَّهُ شَرِدَ لَهُ بَعِيرٌ ، قَالَ : مَنْ جَاءَ بِهِ فَلَهُ بِسِيرَانٍ ، فَقِيلَ لَهُ : أَنْجِسُ فِي بَعِيرِ
بَعِيرَيْنِ ؟ قَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ فَرَحَةَ الْوَجْدَانِ .

وَقَدْ رَضِيَ قَوْمٌ بِالْجَهْلِ فَقَالُوا : ضَعُفَ الْبَقْلُ أَمَانٌ مِنَ النَّفَمِ ، وَقَالُوا : مَا سُرُّ
عَاقِلٍ قَطُّ ؟ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْبِتِيُّ

ذُو الْعَقْلِ يَسْتَقِي فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ * وَأَخُو الْجَهْلَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْتَمِ

وَقَالَ حَكِيمٌ : ثَمَرَةُ الدُّنْيَا السَّرُورُ ، وَلَا سُرُورَ لِلْمَقْلَةِ ، وَقَالَ الْخَمِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

مَا الْمَهْشُ إِلَّا فِي إِقَاءِ الْخِشْمَةِ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ : إِذَا كَانَ الْعَقْلُ سَبْعَةَ أَجْزَاءٍ
أَحْتَاجُ إِلَى جُزْءٍ مِنْ جَهْلٍ لِيَقْدَمَ عَلَى الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ أَبَدًا مُتَوَانٍ مُتَوَقِّفٌ
مُتَخَوِّفٌ ، قَالَ النَّابِغَةُ الْجَمْعِيُّ

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * يُوَادُّ تَعْبَى صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا

وَقَالَ آخَرُ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِمُحَاجَّتِهِ * وَقَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاسِكَاتُ الْإِلَهَجُ

أَخَذَهُ آخَرُ قَالَ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا * وَقَازَ بِاللُّدَّةِ الْجَسُورُ

وَقَالُوا : الْجَاهِلُ يَنَالُ أَغْرَاضَهُ ، وَيَظْفَرُ بِأَرَائِهِ ، وَيَطْلُعُ قَلْبَهُ ، وَيَجْرِي فِي عَيْنَانِ

هُوَاهُ ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْوَلَمِ ، سَلِيمٌ مِنَ الْعَيْبِ ، مَغْفُورُ الزَّلَّاتِ .

وقالوا : الجاهل ربح الذرع، خال البلب، غازب المم، حسن الظن، لا يحطر خوف الموت بغيره، ولا يحرق ألم الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجاهل مطية المراج والمصرة، ومرح المزاج والفكاهة، وحليف الهوى والتصاني، وصاحبه في ذنبايم من عهدة القوم والعتب، وأمان من قوارص الذم والسب ؛ قال بعض الشعراء

ورأيت الموم في محبة العقل فداويتها بإمراض عقل

وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجاهل، غير الإقدام، وورود الحمام، إذ هما من الشجاعة والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالة، لكفاه ؛ قال أبو هلال العسكري : سألني بعض الأدباء أي الشعراء أشد حقا، قلت الذي يقول

أتيه على إنس البلاد وبعثها • ولو لم أجد خلقا تهمت على نفسي
أتيه فلا أدري من التيه من أنا • سوى ما يقول الناس في وفي جلسي
فإن صدقوا أني من الإنس مثلهم • لما في عيب غير أني من الإنس

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عز وجل : (وَيَلْزَمُ أَكْثَرُ آبَائِهِمْ) . وقال : (إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) وقال في الكاذبين : (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكذب مجانب

الإِيمَانِ . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَمْيُوزُ الْكَذِبُ فِي جَدِّ وَلَا هَزْلٍ » وقال : « لَا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ كُفَّابًا » .

وقالت الحكماء : ليس للكاذب مُروءةٌ .

وقالوا : مَنْ حُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْسَنْ صِلَتَهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : خُفَّ الوعدُ ثَلَاثُ النِّفَاقِ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدْقُ مُنْجِيكَ وَإِنْ خِفْتَهُ ، وَالكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ آمَنْتَهُ .

قال عمرو بن العلاء القاري : سَادَ عُبَيْدُ بْنُ زَيْمَةَ وَكَانَ بَمِثْلِهِ ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ حَذَنًا ، وَسَادَ أَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ بَحَالًا ، وَسَادَ عَلَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَكَانَ طَاهِرًا ، وَسَادَ كَلْبُ بْنُ وَائِلٍ وَكَانَ ظُلُومًا ، وَسَادَ عَيْنَةُ وَكَانَ مُحَقِّقًا ، وَلَمْ يَسُدْ قَطُّ كِتَابًا ، فَصَلَحَ السُّؤْدُدُ مَعَ الْفَقْرِ وَالْحِدَاةِ وَالْبُخْلِ وَالْمُحَرِّ وَالظُّلْمِ وَالْحَسَقِ ، وَلَمْ يَصْلَحْ مَعَ الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ يَمُحُّ الْأَخْلَاقَ كُلَّهَا بِالْقَسَادِ .

وقال يحيى بن خالد : رَأَيْتُ شَرِيْبَ نَحْرٍ تَزْعُ ، وَلَصَبًا أَقْبَعَ ، وَصَاحِبَ فَوَاحِشٍ

رَجِعَ ، وَلَمْ أَرْ كُذَّابًا رَجِعَ .

وقال : الْكَذِبُ مِفْتَاحُ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، وَانْمِرْ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

وقيل : لَا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْتَبُ لَكَ أَنَّ يَكْتَبُ عَلَيْكَ .

وقيل : الْكَذِبُ وَالْعُتْقُ وَالْحَسَدُ أَطْفَى النَّلَّ .

وقال ابن عباس : حقيق على الله أن لا يرفع للكاذب درجة ، ولا يُثبت له حجة .
وقال سليمان بن سعيد : لو هيجني رجلٌ وقال : لا تشترط على إلا شرطا واحدا
لقلت : لا تكذبني .

وقال أبو حيان التوحيدي : الكذب شمار خلق ، ومورد رفق ، وأدب سي ،
وعادة فاحشة ، وقيل من استعمل فيه إلا الله ، وقيل من ألفه إلا الله .

وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خطية ، وأجمعها للذمة والمحنة ، وأكبرها ذلًا
في الدنيا ، وأكثرها خزيًا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات الضايق ، وأقوى الدلائل
على دناعة الأخلاق والأعراف ، لا يؤمن حامله على حال ، ولا يصدق إذا قال .
وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .

وقال بعضُ الكرماء : لو لم أَدعِ الكذبَ تأثما ، لتركته تكزما .
وقال أرسطاطاليس : فضلُ الناطق على الأخرس بالنطق ، وذو النطق المصدق ،
فلذا كان الناطق كاذبا ، فالأخرس خير منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بني إياك والكذب ، فانه يُزري بقائله ، وإن كان
شريفا في أصله ، ويذلّه وإن كان عزيزا في أهله .

وقال الأخف بن قيس : اثنا عشر لا يجتمعان : الكذبُ والمروءة .
وقال زُرْجُمهر : الكاذبُ والميتُ سواء ، لأن فضيلة النطق المصدق ، فإذا
لم يوفق بكلامه بطلت حياته .

وقال معاوية يوما للأخف : أتكذب ؟ فقال : والله ما تكذبُ منذ علمتُ أن
الكذبَ سيئ .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لصالح نفسه ، فما عجز الصدق عن إصلاحه
كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ما أحسن الصدق والمغبوط قائله • وأقبح الكذب عند الله والناس

وقالوا : أحذر مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليها فلا تصدقه ولا تعلمه
أنك كذبت ، فيقتل عن موثقه ، ولا يتقل عن كذبه .

وقال هُرمس : اجنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لست منه على شيء يُحصل ،
وإنما أنت معه على مثل السراب يابح ولا ينفع .

وقيل : الكذاب شر من الثم ، فإن الكذاب يفتلق عليك ، والثمّ ينقل
عك . قال شاعر

إن الثموم أغلَى دونه خبيري • وليس لي حيلة في مقترى الكذبي
وقال آخر

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو • كل خلي في فيه قليلة

ووصف أعرابي كذاباً فقال : كذبه مثل طُطاسه ، لا يمكنه رده .

وقال بعض الأعراب : عجبت من الكذاب المُشيد بكذبه ، وإنما هو يدل الناس
على عيبه ، ويترصص للقباب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ،
إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ، فهو الخائن على نفسه بفعاله ،
والدّال على فضيحتها بمقاله ، فما صح من صدقه نُسب إلى غيره ، وما صح من كذب
غيره نُسب إليه .

وقال : الكذب يجمع النفاق ، وعناد مساوئ الاخلاق ، عارٌ لازم ، ونذل دائم ، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن ، ويكشف سِرَّ الحسب عن لُؤمه الكامن ، وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مَهَانِهِ • أو عادة السوء أو من قلة الورع

وقال الأصمعي : قيل لرجل معروف بالكذب . هل صدقت ؟ قال : أخاف أن أقول : " لا " فأصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر
ومن آفة الكتاب نسيان كذبه • ونقاه نأ دعي إذا كان كاذبا
وقال علي بن النعمان شاعر القيمة

تكذب الكذبة يوما • ثم تسأها قريبا
كن ذكورا يا أبا يحيى إذا كنت كذوبا

وقال أبو تمام
يا أكثر الناس وعدا حسوؤه خف • وأكثر الناس قولاً حسوؤه كذب
وقال أحمد بن محمد بن حنبل

صيفة أُنيت "ليت" بها و"عسى" • عنوانها راحة الراعي إذا يلسا
وعُدَّ له هاجس في القلب قد برمت • أحشاء صديري به من طول ما هجسا
يراعة غرني منها ويمض سستا • حتى مددت إليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تغرب • من لؤمه يصبا موسى لما اتجسبا

وقال آخر

وتسول لي قولا أنطكت صادقاً • فاجيء من طمع اليك وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت يعلين • قالوا مسيلة وهذا انشعب

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

- قال الله عز وجل : (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَيْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الْعَارِ) .
- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من آمن رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان مقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين رُفِعَ لكل غدير لواء » وقيل : هذه غدير فلان .
- وقالوا : من قضى عهده ، ومنع وفده ، فلا خير عنده .
- وقالوا : النالِب بالغير منقول ، والثاكت للعهد محقوت مخذول .
- وقالوا : من علامات الشقاق ، قَضُ العهد والميثاق .
- وقالوا : لا ضرر في الغدر . والعذر يصلح في كل المواطن ، ولا عذر لفساد ولا خائن .
- وفي بعض الكتب المنزلة : إن ما تُجَبَّل عقوبته من التوب ولا يؤخر الإحسان .
- يُكْتَمَر ، والألمة تُكْتَمَر . قال شاعر
- أخافُ بمن رَضِيَ الخيانةَ شِمْعَةً • أن لا يرى إلا صريحَ حوادث
- ما زالت الأرزاءُ تُكَلِّحُ بِؤْسَهَا • أبدا بنادر ذمّة أو ناكث
- وقالوا : الفدر ضامن النقرة ، قاطع ليد النصرة .
- ويقال : من تعلّى على جاره ، دَلَّ على فُتْحِ نِجَارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يطارد حيةً وهي تقول له :
والله لئن لم تذهب عني ، لأخضعنَّ عليك نضجةً أقطعك بها قطعاً ، فضى عيسى
عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :
ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روح الله ، إنه حلف لي وغدَّر ، وإن سمَّ
غدره أقتل به من شئى .

ذكر أخبار أهل الغدَرِ وغدَرَاتِهِم المشهورة

أعرف الناس في الغدَرِ آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد مدت لهم
غَدَرَات ، فنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد أن لا ينزومهم
إلى أفضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد بكتلة ، وجعل يحمل عليهم ويقول
أقسمت لا أنزل حتى يهزموا • أنا ابن معد يكرب فاستسأموا
• فارُسُ هِجَا ورئُوسُ مِصْبَم •

فقتل قيس بن معد يكرب وأرند الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث بنى
الخارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فلم يروه ، فغلب نفسه بماتى بغير ، فأعطاهم
مائة وبنى عليه مائة ، فلم يؤتوها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وغدر أيضا
بأهل طبرستان وكان عيِّد الله بن زياد ولأه إياها ، فصالح أهلها على أن لا يدخلوها ورجل
عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا ، فأخذوا عليه الشعاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن غنم بن الأشعث بالمجانيح لما ولَّاه خراسان . ونرج
عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الواقع ما نذكره في التاريخ في أخبار المجانيح

إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلهم ورتوا الفدر عن
معد يركب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فزاهم ناقضا لمعهدهم ،
فقتلوه وبقروا بطنه وملأوه بالحصى .

- وغدرت أبنة الضيَّير بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلت سابور على
طريق قعنه ، ففتحه وقتل أباهما وترجَّعها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول .
من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فصله الثمان يستمار ، وقد ذكرناه أيضا
في خبر بناء الخورثي .

ومن أشهر بالفدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي
السباع ، وقد ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجبل .

- ومن الفدر الشليح ما فعله عَصَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد أحد رط من عَصَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا
إسلاما وخيرا فأبست مما نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئوننا القرآن ،
ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من
أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير حليف بن عدي
ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي .
أخو بني جَحَجَ بن كُفَّة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن
عاصم ، وعبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأُمِّه ، وأمر عليهم مرثد
ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصما ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع :
— ماء لذيذ — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هديلا ، فلم يرج القوم وهم في رحالم إلا

الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم، فقالوا: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة، فاما مرشد وخالد وعاصم ومُعْتَب فقالوا: والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا، فقاتلوا حتى قُتلوا، وأما زيد وخُثَيْب وعبد الله فلانوا ورغوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم ونرحلوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمر الظهران، أترع عبد الله بن طاري يده من القرآن، ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم، فرمّوه بالجحارة حتى قتلوه، وقَدِمُوا بجنيب وزيد إلى مكة فباعوهما فابتاع خبيبا فجبر بن أبي لهب التيمي حليف بن نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل لقتله بالحارث، وأما زيد بن اللبنة فابتاعه صفوان بن أمية لقتله بأمية بن خلف، وروى أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث استأمر من إحداهن موسى يستعدها فإراها المرأة إلا صبي لها يدورج، وخُثَيْب قد اجلس الصبي على فخذه، والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خُثَيْب: ألتصحين أنى أتخله؟ إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة: ما رأيت بعد أسيرا قط خيرا من خُثَيْب، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرة، وإن في يده قطعا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا، ولما أخرج بخُثَيْب من الحرم ليقتلوه، قال: تدرون أصلى ركعتين، ثم قال: لولا أن يقال: جزع لزنت، وما أبالي على أى شئ كان مصرعى، وهذه القصة تذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرشد إلى الرجيع.

قيل: أنار خَيْشَمَةَ بن مالك الجُفَيْيَ على حى من بنى القَيْن فاستأق منهم إبلا فطعقوه ليستقنوها منه، فلم يطعموا فيه، ثم ذكر يدا كانت لبعضهم عنده، فحلى عما كان في يده، وولى متصرفا، فتادوه وقالوا: إن المقازة أمامك، ولا ماء مأك. وقد فعلت

جبلًا، فانزل وَاك الذِّمَامَ وَالْحَبَاءَ فَتَرَلْ فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ وَسَكَنَ، وَأَسْمَكُوا مِنْهُ فَغَدَرُوا بِهِ
فَقَتَلُوهُ، قَتَى ذَلِكَ قَتُولَ عَمْرَةَ أَبْنَتِهِ

غَدَرْتُمْ بَيْنَ لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ * بِكَفَيَةِ مُفْتَوِّقِ الْفَرَارِينَ قَاضِبُ

أَذَاذَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبِ كَأَنَّهُ * سَهَامِ الْمُنَايَا كُلِّهِنَّ صَوَائِبُ

٨. وَتَلَاخَى بَنُو مَقْرُونِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَارِبٍ، وَبَنُو جَهْمِ بْنِ مُرَّةِ بْنِ عَارِبٍ، عَلَى
مَاءٍ لَمْ يَغْلِبْتَهُمْ بَنُو مَقْرُونِ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِي بَنِي جَهْمِ شَيْخٌ لَهُ تَجَرِبَةٌ وَسِنٌ،
فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهُمْ، قَالَ: يَا بَنِي مَقْرُونِ، نَحْنُ بَنُو أَبِ وَاحِدٍ، فَلِمَ تَتَفَانَى؟ هَدُّوا
إِلَى الصَّلَاحِ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى بِوَمِيثَاتِهِ وَفَقْدَةِ آبَائِنَا، أَنْ لَا نَهْجُكُمْ أَبَدًا وَلَا نَزِلْكُمْ
فِي هَذَا الْمَاءِ، فَأَجَابْتَهُمْ بَنُو مَقْرُونِ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَطْمَأَنَّنُوا وَوَضَعُوا السِّلَاحَ عَدَا
١٠. عَلَيْهِمْ بَنُو جَهْمِ فَتَالُوا مِنْهُمْ مَتَالًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ، قَتَى ذَلِكَ يَقُولُ
أَبُو ظُفَرٍ الْحَارِثِيُّ

هَلَّا غَدَرْتُمْ بِمَقْرُونٍ وَأَسْرَيْتِهِ * وَالْبَيْضُ مُصْبَقَةٌ وَالْحَرْبُ تَسْمَرُ

لَمَّا أَطْمَأَنَّنُوا وَشَاءُوا فِي سِيُوفِهِمْ * تُرْتَمِ إِلَيْهِمْ وَعُرَّ الضَّنْدُ مَشْتَرُ

غَدَرْتُمْ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ * وَالْوَرْدُ مِنْ بَدَنِ الْغَادِرِ الصَّبْرُ

هَذَا مَا قِيلَ فِي الضَّنْدِ .

١٥. وَأَمَّا الْجَلِيلَانِ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْوا أَلَّا
وَأَرْسُولُ وَتَحْزَنْوا أَمَا أَنْتُمْ تَقْلُونَ) .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ

وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

٢٠. وَقِيلَ: مَنْ ضَيَّعَ الْأَمَانَةَ، وَرَضِيَ بِالْجُلِيَانَةِ، فَقَدْ دَرَى مِنَ الدَّيَانَةِ .

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانة ، ما في النكث والخيانة ، لقهر منهما عتاته .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان مان ، وجرأ من الإحسان .

قبل دخل شهر بن حوشب وهو من جلة القزاة وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائط فيها مال ، قد جمعت لتوضع في بيت المال ، فعد على خريطة
منها ، وأخذها ، ومعاوية ينظر إليه ، فلما رُعت الخرائط ، قُد من عددها خريطة ،
فاعلم الخازن بذلك معاوية ، فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها ، فيه يقول
بعض الشعراء

لقد باع شهر دينه بخريطة • فن يامن القزاة بملك يا شهر ؟

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيائته : يا عدو الله ، وعدو أمير المؤمنين ، وعدو
المسلمين ، أكلت مال الله ، وخنت خليفة الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن ميل
الله ، وأنت خليفة الله ، والمال مال الله ، فمن أين نأكل إذا ، فضحك وأطلقه ،
وأمر أن لا يؤل عملا بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروان بطما من ذهب وهو يراه ، فنفقه الشراي ،
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يقتش ، فقال له أنوشروان : لا تتمض لأحد ،
فقد أخذه من لا يرقه ، وراه من لا يتم عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاض بمكة النهران وديعة ، وغاب مدة ، فلما
رجع ، طالب بها ، فأنكرها القاضى ، فتشبع إليه برؤساء بلده في ربحها ، فزالوا به
حتى أقرها ، وأدعى أنها سرقت من خزنه ، فاستحلفه المودع خلف ، فقال ابن
الدويلة في ذلك

لا يصدق القاضى الخئون إذا أدعى • علم الوديسة من حصين المودع

(١١٩)

إن قال قد ضاعت فيصدق أنها • ضاعت ولكن منك يعني لو تبي !
أو قال قد وقعت فيصدق أنها • وقعت ولكن منه أحسن موقع

وقال ابن الجلاح

وأدعوم إلى الصاخي عالم • إذا وقع اليمين يحققوني
وأضيق ما يكون الحق عندي • إذا عزم الغريم على اليمين

ذكر ما قيل في الكبر والعجب

قال الله عز وجل : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال تعالى : (قَدْ خَلَوْا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا مَثَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال : (كَذَلِكَ نَطْمِئُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) . وقال : (سَأَصْرِفُ
عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِئِيرَ الْحَقِّ) .

وناهيك بهذا زجراً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من في قلبه حبة من تكبر »
من كبر • وقال صلى الله عليه وسلم : « من تعظم في نفسه ، واختال في مشيئته لقي
الله عز وجل وهو عليه غضبان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من جرَّ ثوبه خيلاء
لم ينظر الله إليه » .

وروي : أن عبد الله بن سلام ، مر بالسوق يحمل حزمة حطب ، فقيل له :
أليس قد أغناك الله عن هذا ؟ قال : بلى ! ولكنني أردت أن ألق به الكبر ،
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه
منقال حبة من كبر » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يحمها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُئُهُ ، كَثُرَ عَجْبُهُ .

وقالوا : عَجِبَ المرء بنفسه ، أحد حساد عقله .

وقال أزدشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حق لم يدرك صاحبه أين يضعه فصرنه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أَهْلُ التَّضْيِيقِ حِلْمِي ، عِنْدَ أَهْلِ الْكِبَالِ اسْتَأْنَوْا بِالْكِبَرِ لِيُسْطَلِمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .

وقال أكرم بن صيفي : من أصاب حظا من دنياه ، فأصابه ذاك إلى كبر وترفع ، فقد علم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحق ، ومن تواضع وغلدر الكبر ، فقد علم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضي الله عنه : عجبت للكبر الذي كلن بالأمس طفلة ، وهو غدا جيفة .
وقيل : مرَّ بعضُ أولادِ المهلبِ بمالك بن دينار وهو يتطر ، فقال له : يا بُنَيَّ ، لو خَفَضْتَ بعضَ هذه الخيلاء ! لم يكن أحسنَ بك من هذه الشهرة التي قد شهَّرتَ بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أمرُك معرفة جيفة ، أولئك نطفة مئذرة ، وآثرك جيفة قنذرة ، وأنت بين ذلك حامل عبثرة ، فارني الفتى رُدَيْنَتَهُ وكَفَّ عما كان يفعل ، وطأ رأسه ، ومضى مستريلا .

وقال الواقدى : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يتبحر في مشيحه ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البغل والجمل مع التواضع ، أزيَّرُ الرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فإياها من حسنة غطت على عيبين عظيمين ، وإياها

من سَيْفَةٍ غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ، ثُمَّ أَوَّأَ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ: أَحْفَظْهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ كَبِيرٌ أَخَذْنَاهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ .

وَمِنَ الْكِبَرِ الْمُسْتَهْجَنُ مَا رُوِيَ : أَنَّ وَائِلَ بْنَ جُبَيْرٍ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْطَعَهُ أَرْضًا، وَقَالَ لِمَاوِيَةَ : أَحْرِضْ هَذِهِ الْأَرْضَ عَلَيْهِ وَأَكْتُبْهَا لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَ وَائِلَ فِي هَاجِرَةٍ شَاوِيَةٍ، وَمَشَى خَلْفَ نَاقَتِهِ، وَقَالَ لَهُ : أُرْدِفْنِي عَلَى نَجْزٍ رَاحِلَتِكَ ، فَقَالَ : لَسْتُ مِنْ أُرْدَافِ الْمُلُوكِ ، قَالَ : فَأَعْطَنِي نَعْلَيْكَ ، فَقَالَ : مَا بَجُلٍّ يَمْنَعُنِي يَا بَنِي سُلَيْمَانَ . وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يَبْلُغَ أَهْوَائِي إِلَيْكَ أَنْتَ لَيْسْتَ نَعْلِي ، وَلَكِنْ أَمْسُ فِي ظِلِّ نَاقَتِي، فَحَسْبُكَ بَهَا شَرَفًا . وَقِيلَ : إِنَّ وَائِلًا أَدْرَكَ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَحَدَّثَهُ .

١٠. وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ جَذِيمَةَ الْأَرْبَشِ الْغَايَةَ فِي الْكِبَرِ، وَرُوِيَ : أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَادِمُ أَحَدًا تَرْفَعًا وَكِبَرًا، وَيَقُولُ : إِنَّمَا يَنَادِمُنِي الْفَرَقْدَانُ . وَمِنْهُ قَوْلُ مَتَمٍّ :

« وَكَأَنَّكَ مَاتَى جَذِيمَةً حَقِيَّةً »

قِيلَ : إِنَّمَا إِرَادَ الْفَرَقْدَيْنِ ، لَا كَمَا ذَكَرَهُ الرُّوَاةُ أَنَّهُمَا مَالِكٌ وَعَقِيلٌ .

وَقِيلَ : كَانَ أَبُو نَوَابَةَ أَقْبَحَ النَّاسِ كِبَرًا ، رُوِيَ : أَنَّهُ قَالَ لِلْغُلَامَةِ أَسْقِنِي مَاءً، فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنَّمَا يَقُولُ " نَعَمْ " مِنْ يَحْسَبُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ : " لَا " وَأَمْسُ بِضَرْبِهِ ، وَدَعَا أَكْثَرًا فَكَلِمَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَبَّ بِمَاءٍ، وَتَمَضَضَ أَسْتَقْنَارًا لِلْمَخَاطِبَةِ .

١٥. قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مِصْعُودٍ

وَلَا تَمْجِبَا أَنْ تُؤْتِيَا فَكَلَمًا ، فَاحْشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش ، بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب ، بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن مُدَس ، وأما الأكرسة فكانوا لا يَمْلِكُونَ الناس إلا صيدا ، وأغصمهم إلا أربابا ، والكبر في الأجناس القليلة أرفع ، ولكن القسوة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم ، ومن قَدَر من الوضعا أدنى قُدرة ، ظهر من كبره ما لا خفاء به ، ولم أر ذا كبر عَطَّ علا من دونه ، إلا وهو يَنَلُّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه .

قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو جعفر بن كلاب ، وأختصاصهم بالتيه : فإنهم أبطَرهم ما وجدوا لأغصمهم من الفضيلة ، ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الحيثة فيهم ، لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم . وقال أبو الوليد الأعرابي ١٠

ولسْتُ بِنَيّاهِ إِنْ كُنْتُ مُقْرِيا • ولكنه خُلِّيَ إِذَا كُنْتُ مُعَدِّيا
وَأَنْ الَّذِي يُعْطَى مِنَ الْمَالِ ثَرَوَةٌ • إِنْ كَانَ نَذْلُ الْوَالِدَيْنِ تَعْظِيا

ومن المتكبرين ، عُمارَةُ بْنُ حَزْزَةَ ، حَكِي عَنْهُ : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمُهْدِيِّ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْجُلُوسُ ، قَامَ رَجُلٌ كَانَتْ الْمُهْدِيُّ قَدْ أَعْتَدَ لَهُ لِيَتَهَكَّمُ بِهِ ، فَقَالَ : مَظْلُومٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عُمارَةُ غَضِبَنِي ضَيْعَتِي ، وَذَكَرَ ضَيْعَةَ مِنْ أَحْسَنِ ضِيَاعِ عُمارَةَ وَأَكْثَرِهَا تَعَرَّاجًا ، فَقَالَ الْمُهْدِيُّ لِعُمارَةَ : ثُمَّ فَأَجْلِسْ مَعَ خَصِيمِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا هُوَ بِخَصْمٍ ، إِنْ كَانَتْ الضَّيْعَةُ لَهُ ، فَلَسْتُ أَنَا زَعَمُ فِيهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لِي فَقَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ ، وَلَا أَقُومُ مِنْ مَجْلِسِ شَرَفِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ الْمَجْلِسُ ، سَأَلَ عُمارَةَ عَنْ صِفَةِ الرَّجُلِ ، وَمَا كَانَ لِأَسَدٍ ، وَأَبْنَى كَانَ مَوْضِعَ

جلوسه ، وكان من تبه أنه إذا أخطأ يمر على خطه تكبرا عن الرجوع ويقول :
نقض وإبرام في ساعة واحدة ، أخطأ أهون منه .

- ومنها من أهلكه الكبر وأذله . كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القمريّ
أميرا على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك عملا رفيعا ، فأفسد أمره العجب
والكبر ، وأدناه إلى الملكة ، وعُذِبَ حتى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكِرَ هشام
عنده ، قال : أين الخمقاء ! فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إني هنا
البطر الأيسر الكافر لنعمتك ونعمة أهلك وإخوتك ، يذكرك بأسوأ الذِّكر ، قال :
لعله يقول : الأحمق ، قال : لا ، ولكنه يقول : مالا تعلق به الشفتان ، قال : لعله
يقول : أين الخمقاء ، فأمسك الشامي ، فقال لهشام قد بلغني كل ذلك عنه ، وكان
خالد يقول : والله ما إمارة العراق مما تشرفني ، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه :
بلغني أنك يأبى النصرانية تقول : إن إمارة العراق لا تُشْرَفُ وأنت دعيّ بجيلة القليلة
الذليلة ، والله إني لأظن أن أول من يأتيك صبيح بن قيس فيشد يدك إلى عنقك ،
قال خالد بن صفوان بن الأهمم : لم تزل أفضال خالد حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل
أبنته يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطا قد شده به الصبيان يمرّونه ، فدخلت
إلى هشام يوما ، فحدثته فاطلت ، فتنفّس ، وقال : يا خالد ! كان أحبّ إلى قُرْبًا وألذّ
عندي حديثا منك ، يعني خالد القمريّ : قال : فاتهمزتها ورجوت أن أشفع فتكون
لي عند خالد يدا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يملك من استئناف الصنيعة ، فقد
أدبته بما قرط منه ، فقال : هيأت ! إن خالبا أوجف فاعجف ، وأدل فامل ، وأفرط
في الإسائة ، فأفرطنا في المكافاة ، فحلم الأديم ، ونزل الجرح ، وبلغ السيل الزوي ،
والحزام الطينين ، ولم يبق فيه مستصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع ، عدّ إلى حديثك .

ومنها : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حكى : أن سعيد بن زُرارة مرّت به امرأة فقالت له : يا عبد الله، كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها : أين يكون من عبيد الله .

ومنها : عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه : كثر الله فينا مثلك، فقال : لقد كثفتم الله شططا .

ومن أشرار المتكبرين التباهين قول بعضهم

• أتبه على جنّ البلاد وإيها •

الآيات، وقد تهافتت في التحقّ .

وقال آخر

ألقيني في لظى فإن أحرقتني • فتبين أن لستُ بالياقوت
صنع النسيج كل من حالك لكن • ليس داود فيه كالعنكبوت
قال ابن حُبارة الخوافي المجنّبيّ يردّ عليه

أيها المدعى الفخار دج الفخّر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يُسد ليلة النفا • وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في قلب النفا • رُمز بِلُ فضيلة الباقوت
وصكّ ذلك النعام يلثم الجمر وما الجمر للنعام بقوت !

ومما أُجّح به أهل التكبر، قول جُمفران بهجو سعيد بن مُسلم بن قُتيبة

أم سعيد لم ولدته • ملؤنا بالكبر والقيّة ؟

ليتك إذ جئت به هكنا • حين خرّيته أكلّيه

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربعٌ من الشقاء انخ ... عُدٌّ منها الحرص
والأمل» وقال : «مادّثان جاثمان أرسلتا في غم فافسداها أشدَّ من حرص المرء على
المال»^(١) . وقال : «ينسب ابن آدم وتشتب منه أفتان : «الحرص على المال،
والحرص على العمر» وقال : «إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر» .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمع مُوردٌ غير مُصْدِر، وضامن
غير وافي، وكما عظم قدر الشيء المتناقص فيه، عظمت الرزية لفقده، والأمانى تعمى
البصائر. أزرى بنفسه من استشعر الطمع، وأستولت عليه الأمانى .

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه :
وقال قتيبة : إن الحرص يستعبل الثلثة، قيل إدراك البنية .
وقيل : لا راحة لحريص، ولا غنى لذي طمع .

وقيل : إن كعباً لقي عبد الله بن سلام، فقال : يا بن سلام، من أرباب العلم ؟
قال : الذين يعملون به، قال : فما أذهب العلم من قلوب الطلبة بعد إذ علموه
ووعوه؟ قال : الطمع، وشرة النفس، وطلب الحوائج إلى الناس . قال الأصمعي :
جمعتُ أعرابياً يقول : عجبتُ للحرص المستكبر، المستقل لكثير ما في يده، المستكثر

(١) هكذا في الأصل : والذي في الجامع الصغير : (مادّثان جاثمان أرسلتا في غم فافسداها من حرص
المرء على المال والتشرف ليه) .

لقليل ما في يد غيره، حتى طلب الفضل، بنهاب الأمل، فركب مفاوز البرارى،
ولجج البحار، ممرضا نفسه للآفات، وماله للآفات، فانظرا إلى من سلم، غير معتبر
بمن علم .

قال يزيد بن الحكم التقي

رأيت السخى النفس، ياتيه رزقه • هنيئا، ولا يُعطى على الخرص جامع
وكل حريص • يحاوذ رزقه • وكل من موفى رزقه وهو وادع

وقالوا : مصارع الأبواب تحت ظلال الطمع . وقال

الحر عبد ما طمع • والعبد حر ما قنع

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك، تحمل القيد من رجلك، وقال عمرو بن مالك الحارثي

الخِصْل للنفس قدر والفتور غنى • والقوت إن قنيت بالقوت يحزها
والنفس لو أن ما في الأرض حيزها • ما كان إن هي لم تمنع بكافيا

وقال ابن هرمة

وفي اليأس عن بعض المطامع راحة • ويارب خسر أدركته المطامع

وقال هرمة بن خشرم

وبعض رجاء المرء ما ليس تأثلا • عتاء وبعض اليأس أغنى وأرواح

وقال مكثف بن معاوية التيمي

تري المرء يأمل ما لا يرى • وبين دونك ريب الأجل

وكم آيس قد أتاه الرجاء • ونى طمع قد لواه الأمل

وقال آخر

طمعت فيما وعدتك المنى • وليس فيما وعدت مَطْمَع

وَبَقِيَ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا ، وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ
وَإِنَّمَا مَوْعِدُهَا بَارِقٌ . فِي كُلِّ حِينٍ خَلْبٌ يَلْمَعُ

- ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال
للقاتل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير نصتعي بي ؛ وقيل : إنه لم يمت شريف
قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : أحلف
أنه لم يؤوس لي بشيء قبل موته ؛ ووقف على رجل يعمل طباقا من الخيزران ،
فقال له : وسعه قليلا ، قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن
ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلى فيه شيئا ؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عمر
رضي الله عنه عن طمعه ، قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فتح
بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوت
في إثرهم ؛ وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخانا جاري فأترد عليه ؛
وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عمروا بالمدينة ترث إلا كنست
بني ورششته طمعا أن ترث إلى ؛ وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ،
كلب أُم حومل ، تبغى فرحين ، وأنا أمضغ كندرا ، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

- ١٥ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المدة دين » .
وقال بعض القُرشيين : من خاف الكذب ، أقل من المواعيد .
وقيل : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد . وشدة الاعتذار .

(١) ثرد الخيزراني : فقه .

(٢) الكندر : ضرب من الباك وهو البان الذي ذكره .

وقالوا : خُفِّ الوعد، خُلقُ الوعد .

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِيَّ، إِذَا غَدَا عَلَيْكَ الرَّجُلُ أَوْ رَاحَ مُسَلِّمًا ، فَكُنْ بِذَلِكَ تَقَاضِيًا .

قال الشاعر

أروح لتسلم عليك وأتخذى * تحسبك بالتسلم منى تقاضيا
كنى يطلاب المرء ما لا يتاله * عتاه وباليأس المصرح تاهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه ، كان كلفه لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقالوا : الخلف الأثم من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه ذم الأثم ، وذم الخلف ، وذم السجز . قال بعض الشعراء

وعدت فأكذبت المواعيد جاهدا * وأقلت إقلاع الجهم بلا وبل
وأجرت لي حبلا طويلا تبعته * ولم أدري أن اليأس في كرف الجبل
وقال أبو تمام

وما نفع من قدمات بالأمس صليدا * إذا ما سمى اليوم طلال أنهارها
وما السرف بالتسوف الاثكلة * تسليت عنها حين شط مزارها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرُوب ، وكان رجلا من العالقي وله في ذلك حكايات ، فنها : أنه أتاه أخ له ، يسأله شيئا ، فقال له عُرُوب : إذا أطلعت هذه النخلة فك طلعها ، فلما أطلعت ، أتاه الرجل للمدة ، فقال : دعها حتى تصير لحا ، فلما أبلحت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما أزهدت ، قال : دعها حتى

(١) في العقد الفريد : ذم اليوم وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات : ذم اليوم وذم الخلف

وذم الكتاب . ٢٠

تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمراً . فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب ، بختها ولم يسطر أخاه منها شيئاً .

وفيه يقول الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة ١٠ مواعيد عرقوب أخاه يبتزب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ١٠ وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال السكيت الهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستزَل بالإهمال والسكون ، لشككت القلوب بالضمير . ولنظرت إلى فضلك الميون بالأوهام ، فقال المهدي : هذا جزء التفريط فيما يكسب الأجر . ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العذرُ الجميل ، أحسن من المظل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأتجمع . وإن تعددت الحاجة فأقصع .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشاً ، أحب إلى من أن أخلف موعداً .

وقالوا : من وعد فأخلف ، لزمته ثلاث مذقات : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم الكذب ، وقال بعض الشعراء

ولا خير في وعدٍ إذا كان كاذباً ١٥ ولا خير في قول إذا لم يكن فعلٌ
فإن تجتمع الآفات فالبخل شرها ، وشر من البخل المواعيد والمطل

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيد عواقبها المظل ، ومآزرها الخلف ، ومحصولها اليأس .

(١) كذا بالأصل بالهاء والخاء وقال في اللسان وفي التاموس : إنها بالهاء الخاء والخاء بالهمزة . وهي نادرة بالهمزة .

وقال آخر : فلان له وعد مُطعم ، ومطل مُؤيس ، وأنت منه أبدا بين بأس
وطمع ، فلا يبلُ مُريح ، ولا منع صريح .

وقال الثعالبي : أول من أخلف المواعيد ولم يفِ بشيء منها : إسماعيل بن صبيح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة

ذكر ما قيل في النبي والحصر

قال الله عز وجل : (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْجِلْدَةِ وَهُوَ فِي الْحَصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند اقتضائه على موسى بالبيان : (أَلَمْ آتَا خَيْرًا مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَهِينٌ وَلَا يَكْدُ بَيِّنٌ) قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : (رَبِّ أَشْرِحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَقْهَرُوا قَوْلِي
الآية ، فقال الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ مُؤَلَّكَ بِأَمْرِي) .

وقيل : حد النبي معنى قصير ، يحويه لفظ طويل ، وقال أكرم بن صبيح : هو أن
تتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق ، أغنى من الغني الساكت .
وقال كسرى : الصمت خير من غنى الكلام .

وقالوا : فضّل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإننا نطق ولم يفصح
عدو بهيمة .

وقالوا : النبي داء دوائه الخرس . ومن علامات النبي الاستماتة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كلّ لسانه عند مقاطع كلامه ، يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت
لي ، وأفهم عني ، وأشبه ذلك .

ومنهم من يقول : قولنا، أعني به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يجد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان، التثنية، واللفافة، والمقلبة، والحسنة، واللفظ، والزنة، والنمقة، والطمطمعة، والكنكة، والفنة، والثنية، فالتثنية، قال الأصمعي : إذا تمتع في البناء فهو متمتع، وإذا ردد في الفاء فهو فافاء، قال الرازي .

ليس بأفائه ولا تنصاع . ولا كثير المجزئ الكلام

والمقلبة : آتوا اللسان عند الكلام ؛ والحسنة : تصدر النطق ، ولم تبلغ حد الفافاء ولا التمام، ويقال : إنها تعرض أول الكلام، فإذا مر فيه أخطعت . واللفظ : إدخال بعض الكلام في بعض، قال الرازي

كانت فيه لفظاً إذا تعلق . من طول تحيين وهم وأرق

- ١٠ والزنة : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفاضة، والنمقة : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تحطيط الحروف . ولا تفهم معناه، والطمطمعة : أن يكون الكلام شبيهاً بكلام السجم، وهي خيرية، وقالوا : هي إبدال الطاء بالثاء لاشبهما من مخرج واحد، فيقول : السلطان والشيطان، وأشبه ذلك، قيل : وكانت في لسان زياد بن سلمى، وكان خطيباً شاعراً كاتباً، والكنكة : إدخال بعض حروف العرب في حروف السجم، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية، وهي إبدال الهاء حاء، وأقلاب العين همزة، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد، وصيب الرومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولاً لزياد، قال له : أيها الأمير، أهدوا لنا هماراً وحشاً : يريد : أهدوا لنا هماراً وحشاً، فلم يفهم زياد عنه . وقال : ويلك ! ماذا تقول ؟ قال : أهدوا لنا أيراً : يريد عيراً، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير ؛ والفنة :
- ٢٠

أن يشرب الصوت الخيشوم، والخنة : ضرب منها : والترخيم : حذف بعض الكلمة لتمذر التلق بها، والثنة : إبدال ستة حروف بشيها، وهي المزة والراء والسين والقاف والكاف واللام، فالتى تعرض للهمزة، فهي إبدالها عينا، فإذا أراد أن يقول : أنت . قال : عنتَ وهي مستعملة في لسان التكرور . وأما التى تعرض في الراء، فهي ستة أحرف . فمنهم من يجعلها عينا منجعة فيقول (عُنتَ) : يريد عُمر، وهي غالبية على لسان أهل دمشق . وإذا اجتمعت الراء والنين في كلمة كقولهم : وغيف، قال : (غريف) . وقُفرت بمكان فرغت : فيبدلون كل حرف بالآخر . قيل : وكانت في لسان محمد بن شبيب الخاريجي . وواصل بن عطاء المعتزلي، وكان لاقتداره على الكلام، وغزارة مادته . يتجنب التلق بها، وفيه يقول الشاعر

من آيات ١٠

ويحصل الرُّقْعَا في تصرفه . وجانب الراء حتى أحتال للشعر
ولم يُلَقَّ مطراً والقول يجعله . فعاد بالنيث إشفاقاً من المطر

ومنهم من يجعلها عينا مهملة، فيقول في أزرق : أزرق، وهي في لسان عوام أهل دمشق، ومنهم من يجعلها ياء . فيقول في عُمر : عُمى، ومنهم من يبدلها بالطاء أخت الطاء . ومنهم من يبدلها همزة، فإذا أراد أن يقول : رأيت، قال : أأيتُ، وأما التى تعرض للسين، فإنهم يبدلونها تاء، فيقولون : بسم الله . ويقرئ الله : إذا أرادوا بسم الله، ويُسرة الله، أو أشباه ذلك، وهي مستحسنة في الجوارى والفلان . قال الشاعر

١٥

وأهيف كالللال شكوتُ وعدى . إليه ليُسِنِه وأطلتُ بَقِي
وقلت له فدتك النفسِ حسِنْتِي . نَحَزُ في الشوابِ فقال بَقِي

٢٠

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يحمل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال ، وقلت ، نطق : يطال ، وطُلت ، وهي نبطية ، وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب الدعوة ، وعبيد الله بن زياد ، ومنهم من يحملها كافا فيقول : كَلَّ وكُتَّ ، وأما التي تعرض للكاف ، فمنهم من يحملها همزة ، فيقول : أأف ، ومنهم من يبدلها تاء ، فيقول : تآن ، إذا أراد : كان ، وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياءً ، فيقول : آعتيت ، بمعنى : آعتلت ، ويقول في جمل : جى ، وإذا أقسم بالله ، يقول : ويأه ، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خوخ : حُوح ؛ وأستحسن في الغلمان والجواري ، ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد في كلمة جيم وضاد ، مثل ضجير ، ونضيج ، قال : جضر ، ونجض . والحمد لله وحده !

كُلُّ الْجُزْءِ الثَّالِثِ

١٠

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه :

”الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المحون والنوادر والفكاهات والملح“

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

وحسبنا الله ونعم الوكيل

تراثنا

نهاية الأرب

في
فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

٦٧٧ - ٨٧٣٢

السفر الرابع

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتوماس وشركاه
٩-١١٨
القاهرة

فهرست

السفر الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

الباب الثالث

صفحة

١

في المجون والتوادر والفكاهات والملح

ذكر من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ — ذكر من اشهر المزاح من الصعابة
رضوان الله عليهم ٣ — ذكر شيء من مجون الأعراب ٧ — من نوادر القضاة ٩ —
من نوادر النخاعة ١٣ — من نوادر المتنبيين ١٤ — من نوادر الخلفين والحق ١٦ —
من نوادر النبيين ١٧ — من نوادر النساء والجواري ١٨ — من نوادر الميادين ٢٢ —
من نوادر السؤال ٢٣ — من نوادر من اشهر بالمجون ٢٣ — من نوادر اشعب واخباره
٢٤ — من نوادر أبي دلالة ٣٦ — من نوادر أبي صدقة ٤٨ — من نوادر الأفيشر
٥٢ — من نوادر أبي سيابة ٥٦ — من نوادر طليح بن إلياس الكلابي واخباره ٥٧ —
من نوادر أبي الشيل ٦٣ — من نوادر حمزة بن بيض الحنفي ٦٥ — من نوادر أبي العلاء
عفا الله عنه ٦٨ — ذكر ما ورد في كراهة المزح ٧٢ — من الشعر المناسب لهذا
الباب والداخل فيه ٧٤

الباب الرابع

١٠٢ في النمر ونحريهما، وآفاتهما، وجناتهما، وأسمائهما، وأخبار من تزدهنهما
في الجاهلية، ومن حذر فيها من الأشراف، ومن اشتهر بها، وليس ثوب
التلاعبة بسببها، وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آفاتهما
وأقبيتهما، وما قيل في مبادرة اللذات، وما وصفت به المجالس، وما يجري
هذا الجبري

ذكر ما قيل في النمر ونحريهما ٧٦ — ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبينه
السنن ٨١ — ما قيل في إباحة الطبخ ٨٢ — آفات النمر وجناتهما ٨٣ —
أسماء النمر من حيث تصير إلى أن تكرب ٨٦ — أخبار من تزدهنهما في الجاهلية
وربما ترضى عنها ٨٨

صفحة

ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها وليس فيها ٩٠
ثوب الخلاعة ومن اقتصر بشربها :

من حدّ فيها من الأشراف ٩٠ — من شربها منهم واشتهر بها ٩٢ — من اقتصر
بشربها وسبأها ١٠٣

١٠٧ ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر :

ما قيل فيها على سبيل الملح لها ١٠٧ — ما قيل في وصفها وتبنيها ١٠٨ —
ما قيل في أفعالها ١١٢ — ما وصفت به غير ما قلناه ١١٣ — ما قيل فيها إذا مزجت
بالماء ١١٥

١١٨ ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها :

ما وصفت به مجالس الثرب ١١٩ — ما قيل في طيّ مجالس الشراب ١٢١

١٢١ ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها :

ما قيل في الزاويق ١٢٢ — ما وصفت به زقاق الخمر ١٢٣ — ما وصفت به
الأباريق ١٢٣ — ما وصفت به الكسائات والأفخاخ ١٢٤

الباب الخامس

١٢٦ في الندمان والسقا

ما قيل في السقا ١٢٩

الباب السادس

١٦٠ في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الخطر والإباحة وما استدل به من رأى
ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن التابعين
ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف
والقواد والأكابر ، وأخبار المغنيين الذين قتلوا الغناء من الفارسية إلى
العربية ، ومن أخذ عنهم ، ومن اشتهر بالغناء وأخبار القيان

ذكر ما ورد في الغناء من الخطر والإباحة ١٣٣ — ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به
من رأى ذلك ١٣٣ — دليلهم من الكتاب العزيز ١٣٤ — دليلهم من السنة ١٣٤ —
أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ١٣٥ — أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى ١٣٦ —
ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة ١٣٧ — ما استدلوا به على إباحة الغناء
من الأحاديث النبوية ١٣٨ — ما ورد في الضرب بالآلة ١٤٠ — في البراع ١٤٢ —
في القصب والأوتار ١٤٣ — في المزامير والملاحم ١٤٥ — ذكر ما ورد في توهين

صفحة

ما استدلوا به على محرم الفناء والبيع ١٤٧ — ما احتجوا به من الآيات ١٤٧ —
ما احتجوا به من الحديث ١٥١ — ذكر أنعام البيع ورواؤه ١٦٧ — ذكر العوارض
التي يحرم معها البيع ١٧١ — العارض الأول ١٧١ — الثاني في الآلة ١٧٢ —
الثالث في ظلم الصوت ١٧٢ — الرابع في المنع ١٧٣ — العارض الخامس ١٧٤ —
ذكر آثار البيع وأدائه ١٧٤ — من سمع الفناء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
١٩٠ — من سمع الفناء من الأئمة والعباد والزهاد ١٩٤ — من غنى من الخلفاء وأبائهم
ونسبت له أصوات من الفناء قلت عنه ٢٠٠ — من غنى من الخلفاء ٢٠٠ — ومن غنى
من خلفاء الدولة العباسية ٢٠١ — أباء الخلفاء الذين لم يستعروا في هذا الفن
٢٠٥ — من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله ٢٢٧ — من غنى من الأعيان
والأكابر والقواد ممن نسبت له سنة في الفناء ٢٣١

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ
عنهم ومن اشتهر بالفناء :

أخبار سعيد بن مسجع ٢٣٩ — أخبار سائب خاثر ٢٤٣ — أخبار طويس
٢٤٦ — أخبار عبد الله بن مريج ٢٤٩ — أخبار معبد ٢٦٢ — أخبار الفريض
وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ٢٦٧ — أخبار محمد بن عائشة ٢٨٠ —
أخبار ابن محرز ٢٨٧ — أخبار مالك بن أبي السرح ٢٨٨ — أخبار يونس الكاتب
٢٩٢ — أخبار حنين ٢٩٣ — أخبار سباط ٢٩٥ — أخبار الأبحر ٢٩٧ —
أخبار أبي زيد اللال ٢٩٨ — أخبار عطرد ٣٠٢ — أخبار عمر الوادي ٣٠٤ —
أخبار حكم الوادي ٣٠٥ — أخبار ابن جامع ٣٠٦ — أخبار عمرو بن أبي الكناش
٣٠٨ — أخبار أبي الهيثم غمارق ٣١٢ — أخبار يحيى بن مرزوق المكي ٣٢٠ —
أخبار أحمد بن يحيى المكي القصب بطنين ٣٢١ — أخبار هاشم بن سليمان مولى
بن أمية ٣٢٢ — أخبار يزيد حورا ٣٢٣ — أخبار طنج بن أبي الفوارس ٣٢٦ —
أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه ٣٢٨ — نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البراءة
رحمهم الله تعالى ٣٣٥

السفر الرابع

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

❶

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثاني

(في المحبوس والنادر والفكاهات والمُلح)

وهذا الباب مما يتخذب النفوس اليه، وتشتمل الخواطر عليه؛ فإن فيه راحة للنفوس إذا تيسبت وكُتبت، ونشاطاً لخواطر إذا سمعت وملت؛ لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال . فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان، ولاطفتها بالفكاهات في أحد الأزمان، عادت إلى العمل الجلت بنشطة جديدة، وراحة في طلب العلوم مديدة . ١٠

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ^(١) أَجْهِوْا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَأَتَمِّسُوا لَهَا طَرِيقَ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، وَتَلْتَفِتُ مَوْثِرَةً لِلْهَوَى، آخِذَةً بِالْهَوِيِّ، جَانِحَةً إِلَى

(١) اللهو، أثاره بالسوء، مستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنقضتها، وإن أهملتها أرديتها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه. وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لُما به.

- وقال هشام بن عبد الملك: قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طما، وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة أينت أم حائطا، فما وجدت شيئا ألد إلى من جليس تسقط بيني وبينه مشونة التحفظ.
- (٢) وقال أحمد بن عبد ربه: المُلح تُرْهه النفس، ويربع القلب، ومرتج السمع، ويجلب الراحة، وممدن السرور. وقال أيضا: إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشعمون كانا من الحواريين، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شعمون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله. فقال شعمون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك قد فرغت من عملك! فقال له يوحنا: ما أكثر بكائك! كأنك قد يئست من ربك. فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أتأحب السيريين إلى سيرة يوحنا.

- ١٥ والعرب إذا ملحوا الرجل قالوا: هو ضحوك السن، بسام العشيات، هُش إلى الضيف. وإذا ذقته قالت: هو عبوس الوجه، جهم الحياء، كرية المنظر، حامض الوجه «كأنا وجهه بالخل منضوح». وكأنا أسعط خيشومه بالخرذل.
- وقيل لسفيان: المزاح هُجْنة، فقال: بل سُنَّة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق»، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

- ٢٠ (١) كذا في العقد الفريد. وفي الأصل: «فإن أكرهتها أنقضتها، وإن أهملتها أدبتها».
- (٢) في الأصل: «مروءة الحفظ».
- (٣) في العقد الفريد: «بسام الثنيات».

ذكر من زاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم
 لرجل استحملة : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه
 وسلم لأمرأة من الأنصار : « الحقي زوجك حتى عينه يبيض » . فسعت المرأة نحو
 زوجها مرعوبة ؛ فقال لها : مادهاك ؟ فقالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : إن في عينك بياضا ؛ فقال : إن في عيني بياضا لا سوء . وأنته عجوز
 أنصارية فقالت : يا رسول الله ؛ أدع لي بالمغفرة . فقال لها : « أما علمت أن الجنة
 لا يدخلها المجز » ! فصرخت ؛ فبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : « أما قرأت
 ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَثَرَابًا ﴾ .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أصراقي قد صلى صلاة خفيفة ،
 فلما قضاه قال : اللهم زوجني بالحوار العين ؛ فقال عمر : يا هذا ! أسأت التقد ،
 وأعطمت الخطبة .

ذكر من أشتهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم ثمان ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج
 مع أبي بكر الصديق إلى بصرى ، وكان في الجملة سويط ، وهو يدري أيضا ، وكان
 سويط على الزاد ؛ فجاءه ثمان فقال له : أطمعني ؛ قال : لا ، حتى يأتي أبو بكر .
 فقال ثمان : والله لأغفلنك . وجاء إلى أناس جلبوا ظهرا ، فقال أبتاعوا مني غلاما
 عربيا فارها إلا أنه دعاء له لسان ، لعله يقول : أنا حر ؛ فإن كنتم تاركه لذلك فدعوه ،

لَا تُفْسِدُوا عَلَى غُلَامِي . قالوا : بل يتباعه منك بمشرك فلا تص ، فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقّها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو . فقالوا : قد أشتريناك . فقال سويط : هو كاذب ، أنا رجل حرّ ؛ فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا في عنقه حبلا وذهبوا به . فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه . وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرةً حصل اشتراها من أعرابي ، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ النمن من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي : أَلَا أُعْطِيَ نَمْنٌ صِلَى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إحدى هاتيتُ نَمِيان» . وسأله : لم فعلتَ هذا ؟ فقال : أردتُ رُكَّ يارسول الله ، ولم يكن معي شيء . فقبض النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابي حقه .

ومن مزاحاته أيضاً : أنه مرّ يوماً بمخزّمة بن نوفل الزهري ، وهو ضريب ، فقال له : قُذِنِي حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤخر المسجد قال له : اجلس ، فجلس مخزّمة ليبول ، فضاح الناس : يَا أَبَا الْمُسُورِ ، أنت في المسجد . فقال : من قاذى ؟ فقبل له : نيمان . قل : لله على أن أضربه بعصا إن وجدته . فبلغ ذلك نيمان ، فجاء يوماً فقال لمخزّمة : يَا أَبَا الْمُسُورِ ، هل لك في نيمان ؟ قال نعم . قال : هوذا يصلي . وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه وهو يصلي ، فقال : هذا نيمان ؛ فعلاه مخزّمة بعصاه ، فضاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين . فقال : من قاذى ؟ قالوا : نيمان ؛ فقال : لا جرم لأعرّضت له بسوء أبداً .

ومنهم ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . وكانت ذا ورع وعفاف وشرف، وكان كثير المحبون، وله نوادر مستظرفة، منها : أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما تقول في إنسان هجاني بشعر، وهو :

أَذْهَبَ مَالِكَ غَيْرُ مُتْرَكٍ * فِي كُلِّ مَوْسِمٍ وَفِي الْخَمْرِ^(١)
ذَهَبَ إِلَهِهُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ * وَبَقِيَتْ وَحْدَكَ غَيْرُ ذِي وَفَرٍ

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح . فقال له عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك . فقال : وما هو؟ قال : أرى أن أنيكه . فقال ابن عمر : سبحان الله ! ما ترك الهزل ! وأقربا . ثم لقيه بعد ذلك فقال له : أندري ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أي إنسان؟ قال : الذي أعلمتك أنه هجاني . قال : ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لي حر إن لم أكن ينكته . فأعظم ذلك عبد الله بن عمر وأضطرب له . فقال له : أمرأتى والله التي قالت الشعر وهجنتي به . وكانت أمرأتها أم إصمحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللعب في موضعه، كما مدح الخلد في موضعه؛ فقال أبو تمام :

الْخَلْدُ شَيْئُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ * طَوْرًا وَلَا جِدَّ لِمَنْ لَمْ يَلْعِبْ
وَقَالَ الْأُمَيْرُ دَرَمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْخَلْدِ أَرْضَاكَ جِدَّهُ * وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شئتَ أَهْلَاكَ بِإِطْلُهُ .

(١) رواية اليعيني في تجلج التاج لملاحظ من ١٣١ :

ذهب الاله بما تعيش به * وقسرت ليلك أيما قر

أذهقت مالك غير محتمم * في كل زانية وفي الخمر

(٢) في التاج أنها ما نكح بنت عبد الرحمن .

ومن مجوز عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له :
 إن فلانا القارئ ، وكان يظهر النسك ، قد قطع على الطريق وآذاني ويقول لي :
 أنا أحبك . فقال لها : قولي له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المتزل ؛ ففعلت وأدخلته
 المنزل ؛ وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلت
 الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل ، فدعاها فاعتلت عليه ؛ فوثب إليها [فاحتملها ^(١)]
 وضرب بها الأرض ؛ فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه وقد تورّكها ؛ فغجل وقام
 وقال : يا فأساق ، ما تجعم هاهنا إلا لريبة . فقال له ابن أبي عتيق : أسترعلينا سترافه
 عليك . ثم لم يرتدع عن العبت بها ، فشكّت ذلك إلى سيدها ؛ فقال لها : هتبي من
 الطعام طعن ليلة إلى الغداة ففعلت ، ثم قال لها : عيدي الليلة ؛ فإذا جاء قولي له :
 إن وظيفتي الليلة طعن هذا كله ، ثم أخرجني إلى البيت وأتركه ، ففعلت . فلما دخل
 طعن الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدير الرخي حتى أفتقد سيدي ؛ فإذا نام وأمتنا
 أن يأتينا أحد ، صرّ إلى ما تحب ، ففعل ؛ ومضت الجارية إلى مولاه ، وأمر ابن
 أبي عتيق عذّة من مولاته أن يقرأوحن على سهر ليلتين ويتقدن أمر الطحن
 ويحثن عليه ، ففعلن وجعلن ينادين الفتي كلما كف عن الطحن : يا فلانة إن
 مولاي مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفت عن الطحن ، فيقوم إليك بالمصا كعادته
 مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن . فلم يزل كلما سمع ذلك
 الكلام منهن اجتهد في العمل والجارية تنفقه وتقول له : استيقظ مولاي والساعة
 ينام فأصير إلى ما تحب وهو يطحن ، حتى أصبح وفرغ القمح . فأنته الجارية بعد
 فراغه فقالت له : قد أصبح فأج بنفسك . فقال : أو قد فعلت يا عذوة الله !

(١) الكلام الذي يشد بهذا المريع [وينتهي في صفحة ١١ بهذا المريع] ساقط من الأصل

ونخرج تبعاً نصيباً ، وأحقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية ، فلم ترمه بعد ذلك شيئاً تكرهه . قال : وتثنى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر في الدار ووقع آخر وثالث ؛ فقال للجارية : أخرجي فانظري : أذنوا المغرب أم لا ؛ فخرجت وجاءت بعد ساعة ، وقالت : قد أذنوا وصلوا . فقال الرجل الذي كان عنده : أليس قد صليتما قبل أن تدخل الجارية ؟ قال : بلى ، ولكن لولم أرسلها تسأل عن ذلك لرجعنا إلى الفداء ، أفهمت ؟ ! قال : نعم ، قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة .

من رسول إلى الثريا ^(١) * ضقت ذرعاً بهجرها والكاتب

فركب بقلته من المدينة ، وسار يريد مكة ، فلما بلغ ذا الحليفة قيل له : أحرم ؛ قال : ذو الحاجة لا يبحر ، وجاءه حتى دخل على الثريا . فقال لها : ابن عمك يقول :
* ضقت ذرعاً بهجرها والكاتب *

ثم ركب بقلته وحاد .

ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة ، فقيل له : أسرتك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت ؟ فقال : لا والله ! تذهب الأمة وتضيع الأئمة . وجد أعرابي امرأة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها فرأى وجهه فاستبجحه ، فرمى بها وقال : لشر ما طرحتك أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال : لأننا نبيع كبده ، ونفري جلده ، ونطيل كده . وتزوج أعرابي على كبر سنه ، فقيل له

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة : « باني » .

(٢) ذوالخليفة : ميقات أهل المدينة . ٢٠

في ذلك ؛ فقال : أبأدره باليتم ، قبل أن يُبادرنى بالعقوق . ومراً أعرابى وفى يده
رغيف برجل فى يده سيف ، فقال : يبنى هذا السيف بهذا الرغيف ؛ فقال : أجنون
أنت ؟ فقال الأعرابى : ما أنكرت منى ؟ أنظر أيهما أحسن أثراً فى البطن .

- وحكى أن المهديّ خرج للصيد فقلبه فرسه حتى انتهى به الى خباء لأعرابى ،
فقال : يا أعرابى ، هل من قرى ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلةً من خُبْزٍ مَلَّةٍ فأكلها وفضلة
من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبذ في زُكْرَةٍ فسقاه قعباً . فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟
قال : لا والله . قال : أنا من خَدَم الخَلاصة ؛ قال : بارك لك الله فى موضعك .
ثم سقاه آخر ؛ فلما شربه قال : أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدَم
الخاصة ؛ قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين ؛ فقال له الأعرابى : رَجِبت بلادك ؛
وطاب مزادك وصرّادك . ثم سقاه قدحاً ثالثاً ؛ فلما فرغ منه قال : يا أعرابى ،
أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أخيراً أنك من قواد أمير المؤمنين ؛ قال : لا ولكنى
أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابى الزُكْرَةَ فأوكأها وقال : والله لئن شربت الزاج لثقولنّ :
إنك لرسول الله ؛ فضحك المهديّ . ثم أحاطت بهم الخيل ، فقتل أبناء الملوك والأشراف ؛
فطار قلب الأعرابى ؛ فقال له المهديّ : لا بأس عليك ! وأمر له بصلة . فقال : أشهد
أنك صادق ، ولو آذعت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابى على يزيد بن المهلب وهو على فرسه والثاس سيمطان ، فقال :
كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تحب . فقال الأعرابى : لو كنت كما أحب
كنت أنت مكانى وأنا مكانك ؛ فضحك يزيد .

(١) الزُكْرَةُ (بالضم) : زق حمراء . (٢) القعب : القدح الضخم .

(٣) أوكأها : رطبها .

ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عدى بن أرطاة شريفاً الفاضى ومعه امرأة له من أهل الكوفة
يخاصمها اليه فلما جلس عدى بين يدى شريح ، قال عدى : أين أنت ؟ قال : بينك
وبين الحائط . قال : إني أمرؤ من أهل الشام ؛ قال : بيد الدار . قال : وإني
قدمت العراق ؛ قال : خير مقدم . قال : وتزوجت هذه المرأة ؛ قال : بالرفاء
والبين . قال : وإنها ولدت غلاماً ؛ قال : ليحك الفارس . قال : وقد أردت أن
أهلها إلى دارى ؛ قال : المرء أحق بأهله . قال : كنت شرطت لها دارها ؛ قال :
الشرط أملك . قال : أقض بيننا ؛ قال : قد فعلت . قال : فعلى من قضيت ؟
قال : على ابن أُمك .

١٠. ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته ، وكانت المرأة من أجمل
النساء ، فاختصما اليه ، فادلت المرأة بمجبتها ، وقويت ببتها . فقال للزوج : هل
عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول :

فَتَيْنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا • رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

فَتَنَّهُ بِدَلَالٍ • وَخَطَّيَ حَاجِبَيْهَا

١٥. قَالَ لِيَلْوِازٍ قَرَّبَ • هَا وَقَدَّمْ شَاهِدَيْهَا

فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ • سَمٍ وَلَمْ يَقِضْ عَلَيْهَا

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان ؛ فلما نظر إلى تبسم وقال :

فَتَيْنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا • رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين

٢٠. بما أتتك من حرمتي في مجلس الحكومة وما أقرى به على . قال : أحسنت !

وأحضر رجل أمراته الى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المستقيم، قبيحة المسفر، قال القاضي لما على زوجها وقال: يعيد أحدكم الى المرأة الكريمة فيزوجها ثم يسى اليها . ففطن الرجل لميله اليها فقال : أصلح الله القاضي، قد شككتُ في أنها أمرأتى، فُرِّها تَسْفِر عن وجهها؛ فوقع ذلك يوافق من القاضي، فقال لها: أسفري رجلي الله؛ فسفرت عن وجه قبيح . فقال القاضي لما نظر الى قبح وجهها: قومي عليك لعنة الله! كلامٌ مظلوم، ووجهٌ ظالم .

قيل : بينا رقية بن مصقلة القاضي في حلقة، إذ مرَّ به رجل غليظ العنق؛ فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، هذا أعبد الناس . فقال رقية : إني لأرى لهذا عنقاً ما دَقَّتْهَا^(١) العبادة . قال : فضى الرجل وعاد قاصداً اليهم . فقال رجل لرقية : يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبية؛ قال : نعم، أخبره أنت حتى تكون نيمة . ودخل رقية الى المسجد الأعظم فأتى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال : قتيل فالودج رحمكم الله! قالوا: عند من ؟ قال : عند من حكم في الفروقة وقضى في الجماعة، يعنى : بلال بن أبى بُرَّة .

وآختم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز في مطرف خز وأنجباني، وأدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنجباني لصاحبه . فدعا إياس بمشط وماء، فبَلَّ رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما: مَرِّحْ رأسك فسرَّحه، فخرج في المشط غفر المطرف، وفي مشط الآخر غفر الأنجباني؛ فقال: ياخيث ! الأنجباني لك، فأتى، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى على من بأس إن أكلت تمرا؟ قال لا . قال : فهل ترى على من بأس إن أكلت معه كَيْسوما؟ قال لا . قال : فإن تربت عليهما ماء ؟ قال : جائز .

(١) في أحد الأصول : « ماودتها » وفي أصل آخر . « مادقتها » .

قال : فلم تحزم السكر ، وإنما هو ماذكرت لك ؟ قال له إياس لو صبت عليك ماء هل كان يضرك ؟ قال لا . قال : فلو شئت عليك تراباً هل كان يضرك ؟ قال لا . قال : فإن أخذت ذلك فخلطته وعجنته وجعلت منه لينة عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك ؟ قال : كنت تحبني . قال : فهذا مثل ذاك .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فافتاه فأمر له بمائة ألف درهم . فقال [إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتجيلها قبل الصبح ! فقال : عجّلوها له . فقيل : إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة ، فلما دُعيت فتحت . فقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السواد . فقال : يا أمير المؤمنين ، ولم وليس في بدني شيء أعز منه ؟ قال : وما هو ؟ قال : السواد الذي في عيني .

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد ، فقال : لا أحرّمه ، ولكنني أكرهه . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا يُجَلّ فيهِ عَرُوس ، ولا يُلَبّي فيهِ مُحْرِم ، ولا يَكْفَن فيهِ ميت . فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال : ما تقول أنت في السواد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور في السواد . فاستحسن الرشيد ذلك . ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين . قال : وما هي ؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به ؛ فاهتز الرشيد لذلك .

تقدم رجل إلى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السُّكُونِي قاضي المتمدن ، وقدم أباه يطالبه بدين له عليه ، فأقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس والده . فقال القاضي : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلمه . قال : فذكر ما بينه وبين المال ؟ قال : منذ كذا وكذا . قال : قد فرضتُ عليك نفقة أهلك من وقت المدانة ؛ فحبس الابن وخلق الأب .

كان عبد الملك بن عمر قاضي الكوفة، فهجاه هذيل الأنصبيّ بأبيات منها :
إذا ذاتُ دَلٍّ كَلَبْتَهُ بِحَاجَةٍ * فَهَمٌّ بَانَ بِقَضَى تَحْتَجُّعٍ أَوْ سَعَلٍ
فكان عبد الملك يقول : قاتله الله ! والله لربما جاءني النحنة وأنا في التوضأ فأذكر
ما قال فأردّها .

- وقيل : شهد سلميّ الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل ، فقال : هو —
أصلحك الله — ناصبيّ ، رافضيّ ، قَدْرِيّ ، مجبريّ ، يشتم المجتاج بن الزبير الذي
يهدم الكعبة على عليّ بن أبي سفيان . فقال له جعفر : ما أدري على أي شيء
أحسبك : على علمك بالمقالات ، أم على معرفتك بالأنساب ! فقال : أصلح الله
الأمير ، ما خرجتُ من الكُتّاب ، حتى حذف هذا كله ورأيتُ .
- ١٠ وأستفتي بعضُ القضاة ، وقد نُسبت إلى القاضي أبي بكر بن قُرَيْبَةَ ، فقيل له :
ما يقول سيدنا القاضي أيده الله في رجل باع حجراً من رجل ، فحين رفع ذنبها ليقبله خرجت
منها ريح مصوّنة أتصلت بمحصة ففقات عين المشتري ؟ أفتنا في الدية والرّد يرحمك
الله . فأجاب : لم تجر العادة بمثل هذه البدائع ، بين مشتريّ وبائع ، فلذلك لم يثبت في كتب
الفقهاء ، ولم يستعمل في فتوى العلماء ؛ لكن هذا وما شاكّه يجرى مجرى الفضول ،
المستخرج من أحكام المقول ، والقول فيه — وبالله العصمة من الزلل والخلل — :
١٥ أن دية ما جتته الحجر ملني في المذر ، عملاً بقول النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله
الأطهار ، « بُرِحَ السَّجَّاءُ جُبَّارٌ » ؛ لا سيما والمشتري عند كشفه لعورتها ، أستار
كأمن سورتها . وعلى البائع لها آرتجاعها ، ورد ما قبض من ثمنها ، لأنه دلّس حجراً
مَصَيِّقُها مَتَجَنِّقُها . وإذا كانت السهام طائشة ، فهي من العيوب الفاحشة . وكيف
٢٠ يتمتع رذها وأغراضها نواظر الحَدَق ، وقلبا يَسْتَظْهِرُ الْمُقْلَبُونَ الخليل بالدَّرَق .

ذكر شيء من نوادر النحاة

قدم رجل من النحاة خصما إلى القاضي، وقال: لي طيب مائتان وخمسون درهما.
فقال لخصمه: ما تقول؟ فقال: أصلح الله القاضي، الطلاق لازم له، إن كان له
إلا ثمانية، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نحوي.

ومر أبو علفمة بأعدال قد كُتِبَ عليها: رَبُّ سَلَمٌ لأبو فلان؛ فقال لأصحابه:
لا إله إلا الله! يلحنون ويربحون.

وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ما تقول في رجل مات فترك أبيه
وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال: ما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: ما لأبيه
وأخيه. فقال الرجل: إني أراك كلما طاولتكَ تخالفني! . وقيل سكر هارون بن محمد
ابن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف فطلبه السكر فنام في المضرب. فلما
أنصرف الناس جاء راشد الخاحب فأنبه وقال: يا هارون أنصرف. فقال: هارون
لا ينصرف. فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون: سئل مولاك فهو يعلم
أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف؛ فتركه راشد.
فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه؛ فأنكر على راشد، وقال:
يا راشد، يبيت في مضربي رجل لا أعلم به! فقال: أنت أمرتني بهذا، قلت:
هارون لا ينصرف. فضحك وقال: ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره.

وقيل: قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفظ من مسألة فإنه
يقول: لأن يُقِيمَنِي رجل بجحر أحبُّ إليَّ من أن يُسَمِّعَنِي رجل لحنا. فأتاه العريان
ذات يوم فسلم عليه. فقال له مسألة: كم عطاطك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل
عنده وقال له: لحن الرراق؛ فلم يفهم الرجل عن مسألة، فأعاد مسألة القول على

العريان وقال : كم عطاؤك؟ فقال : ألفان . فقال : ما الذى دعاك الى الخن أولا والإعراب ثانيا؟ قال : لئن الأمير فكرهت أن أعرب ، وأعرب فأعريت . فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

- ووقف نحوي على بقال يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع؟ قال : عشرين بدائق ، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدائق؟ فقتر البقال أنه يستريده ، فقال ثلاثين بدائق . فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ، فقال : وما عليك أن تقول : سبعون؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لايكون أبدا .

ذكر شيء من نوادر المتنبيين

- قيل : ادعى رجل النبوة فى أيام المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بعثت؟ فقال : ما تركتموني أذهب الى من بعثت اليهم ، فإني بعثت بالنداء وحسبتموني بالعشوة . فضحك المهدي منه وأمر له بجائزة وخل سبيله .

- وتنبأ رجل وأدعى أنه موسى بن عمران . فبلغ خبره الخليفة ، فأحضره وقال له : من أنت؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم . قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال نعم . قال : فألقها من يدك ومُرّها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاى ثعبانا كما فعل موسى . فضحك الخليفة منه واستظرفه . وأحضرت المائدة ، فقيل له : أكلت شيئا؟ قال : ما أحسن العقل ! لو كان لى شيء آكله ، ما الذى كنتُ أعمل عندكم؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .

- وآذعت امرأة النبوة على عهد المأمون ، فأحضرت اليه فقال لها : من أنت؟ قالت : أنا فاطمة النيرة . فقال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ؟ قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق . فقال المأمون : فقد قال عبد صلي الله عليه وسلم « لا نبي بعدى » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لا نية بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أما أنا فقد أعطعت ، فمن كانت عضده حجة فليات بها ، وضحك حتى غطى على وجهه .

وآذعى رجل النبوة ، قيل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنيكم بما في نفوسكم . قالوا : فإني أنفسنا ؟ قال : في أنفسكم أني كذبت ولست بنبي .

وتبأ رجل في أيام المأمون ، فأتي به إليه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : فما معجزتك ؟ قال : ماشئت . قال : أنخرج لنا من الأرض بطيخة . قال : أمهلني ثلاثة أيام . قال المأمون : بل الساعة أريدها . قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفني ، أنت تعلم أن الله يثبتها في ثلاثة أشهر ، فلا تقبلها مني في ثلاثة أيام ! فضحك منه ، ولم أنه عتال ، فأستتابه ووصله .

وآذعى آخر النبوة في زمانه فطالبه بمعجزة ، فقال : أطرح لكم حصاة في الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئا واحدا . قالوا : قد رضيتم ، فأخرج حصاة كانت معه فطرحها في الماء فذابت . فقالوا : هذه حيلة ، ولكن أذب حصاة غيرها فأتيك بها غش . فقال لهم : لا تشعّبوا ، فلستم أضل من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى ، ولم يقل فرعون موسى : لا أرضى بما فعله بمصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا . فضحك المأمون منه وأجازه .

وآذعى رجل للنبوة في أيام المعتصم ، فأحضر بين يديه ، فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : إلى من بُعث ؟ قال : إليك . قال : أشهد إنك لسفيه أحمق . قال : إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم . فضحك منه وأمر له بشئ .

وآدعى آخر النبوة في أيام المأمون؛ فقال له : ما معجزتك ؟ قال : سل ما شئت ؛ وكان بين يديه قُفْل ، فقال : خذ هذا القفل فاتحه . فقال : أصلحك الله ، لم أقل
إني حنّاد . فضحك منه وأستأببه وأجازره .

- وآدعى آخر النبوة ، فطُلب ودُعي له بالسيف والتطعم ؛ فقال : ما تصنعون ؟ قالوا :
تتلك . قال : ولم تتلونى ؟ قالوا : لأنك آدعيت النبوة . قال : فلست آدعيها .
قيل له : فأى شيء أنت ؟ قال : أنا صديق . فدُعي له بالسياط ؛ فقال : لم تضربونى ؟
قالوا : لأنك أنك صديق ؛ قال : لا آدعى ذلك . قالوا : فمن أنت ؟ قال :
من التابعين لم بإحسان . فدُعي له باللّرة . قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأنك
ما ليس بك ؛ فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبي تريدون أن تحطونى في ساعة
واحدة الى مرتبة الموات ! لا أقل من أن تصبروا على الى غد حتى أصير لكم ما شئتم .
وآدعى آخر النبوة ، وسمى نفسه نوحا ، فنهاه صديق له عن ذلك فلم يثبه ؛ فأخذه
السلطان وصلبه ؛ فتر به صديقه الذى كان ينهاه ، فقال : يا نوح ! ما حصل لك
من السفينة غير الدّقل .

ذكر شيء من نوادر المغفلين والمجنّين

- قال بعضهم : رأيت ابن خلف الهمداني في صحراء وهو يطلب شيئا ، فقلت له :
ما تبغى هاهنا ؟ قال : دفنت شيئا ولست أهدى اليه . قلت : فهلا علمت طبعه
بشيء ! قال : جعلت علامتى قطعة من النّيم كانت فوقه ، وما أراها الساعة . ونظر
مرة في الحُبّ (وهو الزبر) فرأى وجهه ، فعدا الى أمه فقال : يا أمى في الحُبّ لى
لجأت أمه وتطلّمت فيه ، فقالت : لى والله ومعه حقبة . ورئى في وسط داره

(١) في الأصول : « لا أقل مما تصروا » .

وهو يمدو صدواً شديداً ويقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك فقال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد . ودخل إلى رجل يمزيه ، فقال : عظم الله مصيبتكم ، وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس . فقال : تضحكون مما قلت ! وإنما أردت هاروت وماروت .

٥ . وقيل : كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي ، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا . فدخل عليه أبو زياد التيمي ، وكان مغفلاً فقال : أصلحك الله ! أكتبني في القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد من النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن . فقال : فأكتبني في العميان . قال : أكتبوه منهم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . قال أبو زياد : وأكتب أبني في الأيتام ، قال : نعم ! من كنت أباه فهو يتيم . ١٠

وسئل بعضهم عن مولده ، فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شتم .

ذكر شيء من نوادر النبيذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبيذ : وجهت إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجدك ؛ فقال : ذاك وقت لا أجد فيه قسي . ١٥

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهور . قالوا : فالعصر ؟ قال : تعريف وتكرار . قالوا : فالعشاء ؟ قال : يلبثها الجواد . قالوا : فالتمّة ؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

٢٠ . شرب الأقيشر في حانوت نخار حتى نفذ مامعه ، ثم شرب بئابه وبقى عُرْياناً ، فجلس في بين يستدق به . فتر رجل ينشد ضالّةً فقال الأقيشر : اللهم أردد عليه ،

وآحفظ علينا . فقال له الخمار : مَحْنَتْ عَيْكُ ، أى شئ يحفظ عليك ربك ! قال :
هذا التبن ، لكلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .
وباع بعضهم ضَيْعَةً له ، فقال له المشتري : بالعشى أشهد عليك . فقال : لو كنتُ
مِن يفرغ بالعشى ما جئت ضيعتي .

ذكر شئ من نوادر النساء والحوارى

قال رجل : قلت لجارية أريد شراها : لا يُرِيكَ شَيْءٌ ؛ فإِن عندي قُوَّة .
فقالَت : أيسرك أنْ عندك عجوزا مُتَغَلِّمَةً !

أُخِذَ على المنصور جاريَتان فأعجبتهما . فقالَت التي دخلت أولاً : يا أمير المؤمنين ،
إن الله فضَّلني على هذه بقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ . وقالت الأُخرى : لا ، بل
الله فضَّلني عليها بقوله : ﴿ وَلَا حِجْرَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

وعُرض على المعتصم جاريَتان بكر وثِيْبٌ ؛ قال إلى البكر . فقالَت الثيب : ما بيننا
إلا يوم واحد . فقالَت البكر : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

قيل لامرأة ظريفة : أَيْبَرُ أَنْتِ ؟ قالت : أعوذ بالله من الكساد .
وقال المتوكل لجارية أسترخصها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير

المؤمنين .

وأسترخص رجل جارية فاستقيح قدميها . فقالَت : لا تُبَالٍ ؛ فإني أجعلهما
وراء ظهرك .

وقال الرشيد لبغيض جاريته : إنك لدقيقة الساقين . قالت : أحوج ما تكون
إليهما لا تراهما .



وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق: أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة، وقد مضى شطر الليل؛ قال: فأتخرج جارية كأنها مهأة، فأجلسها في حجره، ثم قال غنّني؛ فغنته:

جِئْتُ مِنَ الرُّومِ وَقَالِقِلا^(١) * يَرْفُئَنَّ فِي الْمِرْطِ وَلِيْنَ الْمَلَأَ
مُقَرَّطَاتٍ بِصَنُوفِ الْحُلَى * يَاجِدْنَا الْبَيْضَ وَتِلْكَ الْحُلَى

فأستحسنه وشرب عليه.

طلبت جارية محمود الوزاق للعصم بسبعة آلاف دينار، فاستنع من بيعها، واشترى له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائة دينار. فذكر المعتصم ذلك لها، فقالت: إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهوته المواريث فسبعون ديناراً في ثمن كثير، فكيف بسبعمائة!

وأستعرض رجل جارية فقال لها: في يدك عمل؟ قالت: لا، ولكن في رجل. وحكى أن بعض الجبان كان يعشق جارية أعجن منه. فضاق يوماً، فكتب إليها: قد طال عهدي بك يا سيدي، وأقلقني الشوق إليك. فإن رأيت أن تستدركي رمي بمضغة حلك وتحمله بين ديارين وتغذيه إلى لأستشفي به فعلت إن شاء الله. ففعلت ذلك وكهنت إليه: رد الطرف من الطرف، وقد سارعت إلى إتخاذ ما طلبت؛ فأقيم برء الطبق والمكبة، وأستعمل الخبز: «إستلذوا الهدايا برء الظروف».

وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها؛ فقالت: يا سيدي، هذا ذهب وأخاف أن تنهب، ولكن خذ هذا العود حتى تعود.

(١) قالقلا: يهد من أعمال أرمينية.

وكتب رجل الى عشيقته : مُرّى خيالك أن يلم بي . فكُتبت اليه : رِبت
الى بدينارين حتى آتيتك بنفسي .

قَدَم بعضهم عجوزا دلالة الى القاضي وقال : أصلح الله القاضي ، زوجني هذه
امرأة ، فلما دخلت بها وجلستها عرجاء . فقالت : أصلح الله القاضي ! زوجنه
امرأة يحامها ، ولم أعلم أنه يريد أن يحج عليها أو يساقب بها في الحلبة أو يلعب عليها .
بالكرة والصوبلجان ! .

كتب رجل الى عشيقته رقعة ، قال في أولها : عصمتا الله وإياك بالقوى .
فكُتبت اليه في الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعائك لم تلق أبدا .
قال عقيل بن بلال : سمعتني أهرابةً أنشد :

وكم ليلتٍ قد نيتُها غيرَ آثمٍ * بمهضومة الكشحين رِآنة القلب^(١)
فقالت : هَلَّا نمت ! أخزأك الله ! .

كان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه ، فخرجت عليه جارية بيضاء عليها
ثياب خضر . فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى . فقالت :
وما رأيت ؟ قال : ألك معرفة بعلم التمييز ؟ قالت : ولا أعرف غيره . قال :
رأيت كأنني راكب دابة شبيهة ، وعليها جُلٌّ أخضر وهي تمرح تحتي . فقالت : إن
صدقت رؤياك فستدخل بخلّة . وقد روى أن هذه الحكاية آتفت له مع عنان
جارية الناطقي .

وكان بعضهم جالسا مع امرأته في منقرة ؛ فتر غلام حسن الوجه ؛ فقالت :
أعبد هذا بالله ، ما أحسنه وأحسن وجهه وقتله ! فقال الزوج : نعم ، لولا أنه
خَصِي . فقالت : لعنه الله ولعن من خصاه ! .

(١) القلب (بالهمز) : سوار المرأة .

قال أبو العيئة : خطبتُ امرأة فاستبجني . فكسبت اليها :
 فإن تنفيري من قبح وجهي فإني * أريب أديب لا غني ولا فم
 فأجابني : ليس لديوان الرسائل أريدك .
 وخطب ثمانية العوفي امرأة . فسألت عن حرقه ؛ فكسب اليها يقول :
 وسائلة عن حرقى قلت حرقى * مقارعة الأبطال في كل ما يرق
 وضربى كل الأبطال بالسيف معلماً * إذا زحف الصقان تحت الخوافق
 فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك ! أنت أسد، فأطلب لك
 لبؤة ؛ فإني ظلية أحتاج الى غزال .

خرجت حبي المدنية في جوف الليل ، فلقيها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا
 الوقت ! قالت : ما أبالي ، إن لقيني شيطان فأنا في طاعته ، وإن لقيني رجل فأنا
 في طلبه . وجاءت الى شيخ يبيع اللبن ، ففتحت ظرفاً فذاقته ودفعته إليه
 وقالت : لا تمجّل بشقه ؛ ثم فتحت آخر فذاقته ودفعته إليه . فلما أشغلت يديه
 جميعاً ، كشفت ثوبه من خلفه ، وجعلت تصفيق^(١) بظاهر قدميها آسته وخصيه ،
 وتقول : يا ثارات ذات النخين ، والشيخ يستغيث ، فلم يخلص منها إلا بعد جهد .

غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه اشتري جارية ، فاشتريت غلامين . فبلغه
 ذلك فجاء مبادراً ، وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرحى الى بنين أحوج
 من البغل الى رحين ! ولكن ج الجارية حتى تبع الغلامين ؛ ففعل ذلك ففعلت .
 ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه اعتم ونظر في المرأة ؛ فقالت له
 امرأته : كأنك قد هممت بخطبة امرأة ! قال : قد كان ذلك . قالت : فإذا فعلت

(٨)

فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى امرأتين . فتقض عتمه وترك ما كان قد هم به .

ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيبّابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمته إلا عوضه عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت . فما الذي عوضك الله عن عيبك؟ قال : فقد النظر لبغض ثقيل مثلك !^(١)

ونظير هذه الحكاية ما حكى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شأني ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ويده سراج ، فلم يزل حتى أتتهى إلى النهر ، وملاً جرفته وعاد . قال : فقلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلك ، يستضيء به لئلا يضل في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العيّن أن المتوكل يقول : لولا عمى أبي العيّن لاستكثرته منه ؛ فقال : قولوا لأمر المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلّة ونظم اللاّئي واليوافيت وقراءة نقوش الخواصم ، فأنا لا أصلح لذلك ؛ وإن كان يريدني للحاضرة والمتأخرة والمذاكرة والمسامرة ، فتأهيك بي . فاتتهى ذلك الى المتوكل فضيحك منه ، وأمر بإحضاره ، فحضر وفادمه .

ترّوج بعض العميان بسوداء ؛ فقالت له : لو نظرت الى حسنى وجمالى وبياضى لأزدتد في حبا . فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركت لي البصراء .

(١) في إحدى النسخ : « الراحة من النظر ... »

(٢) في الأصول : « أبا المتأخرة » والتصويب من وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٧٢٠ . طبع بولاق) .

ذكر شيء من نوادر السؤال

سأل أبو عوين رجلاً فتمه، فأخ عليه فأعطاه؛ فقال: اللهم آجرنا وإياهم، نسألكم إلحاقاً ويطوتنا كرهاً، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها.

وقف أعرابي سائل على باب وسأل؛ فأجابه رجل وقال: ليس هاهنا أحد. فقال: إنك لو جعل الله فيك بركة.

ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة؛ فسمع السائل صوت بولتها فظنه نسيش المقل، فقال: أطعمونا من هذا الذي تَقْلُونه؛ فضرطت المرأة وقالت: حَطْبُنَا رَطْبٌ ليس يُشعل.

❦

ووقف سائل على باب وقال: تصدّقوا على فلاني جائع. قالوا: إلى الآن لم نخبز. قال: فكفّ سويق. قالوا: ليس عندنا سويق. قال: فشرية من ماء فلاني عطشان. قالوا: ما أأنا السقاء. قال: فيسير دهن أجعله في رأسي. قالوا: من أين لنا دهن. فقال: يا أولاد الزنا، فما تعودكم هنا! قوموا وأشمتوا معي!

ذكر شيء من نوادر من أشهر بالمجون

كان مَرِيدٌ من أشهر بالمجون والنوادر، وله نوادر. فلما قيل: إنه أخذه بعض الولاة وقد آثمهم بالشرب، فاستنكهه، فلم يجد منه رائحة؛ فقال: قيثوه. فقال مريد: ومن يضمن عثائي أصلحك الله؟ فضحك منه وأطلقه. وهبت ريح شديد فصاح الناس: القيامة، القيامة! فقال مريد: هذه قيامة على الرقيق بلا دابة، ولا دَبَّال، ولا القاتم، ولا عيسى بن مريم، ولا ياجوج وماجوج. وقيل له:

(١) هذه الكلمة عامة. والتصحیح في هذا المعنى «مخد» أو «سأل».

- لم لا تكون كفلان؟ (سئون رجلا موسرا) فقال : بأبي أتم ! كيف أشبه بن يضرب
فُيْشَمْتُ^(١) وأعطس فألطم ! . وقيل له : ما بال حمارك يقبل إذا توجه نحو المنزل
وحير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المقلب . ونظرت أمرأته
وهي حيل إلى قبح وجهه ، فقالت : الويل لي إن كان الذي في بطني يُشبهك .
فقال لها : الويل لك إن لم يكن يشبهني . وصيح رجلا يقول عن ابن عباس :
مَنْ نَوَى حِجَّةَ عَاقِه عَاقِق ، كُتِبَتْ لَهُ . فقال مزبد : ما نخرج العام كراء أرخص
من هذا .

ومن أشهر بالمجون أشعب .

ذكر شيء من نواذر أشعب وأخباره

- هو أشعب بن جبيرة، وأسمه شُعَيْب، وكنيته أبو العلاء. وأمه أم الجلودح، وقيل :
أم حميد حميدة . وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها . وكان أبوه
قد خرج مع المختار بن أبي عبيد ، فأسره مُصْعَب بن الزبير ، فقال له : ويلك !
تخرج عليّ وأنت مولاي ! وقتله صبوا . وقد قيل في ولاته : إن أباه مولى عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ، وإن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب ، وإن ميمونة
أم المؤمنين أخذتها لتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت تدخل على
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فيستظرفنها ، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهن إلى
بعض ، وتُفَرِّق بينهن . فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات . وقد حكى

(١) التثمت (بالتين المعجمة والسين المهملة) : الداء العاطس .

(٢) في الأثر : « كان يقال لأمه أم » انطلقتج » وقيل أم جليل وأسمها حميدة .

عن أشعب : أنه جلس يوماً في مجلس فيه جماعة ، فضاخروا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يمدح به الناس ويتفاخرون ؛ فوثب أشعب وقال : أنا ابن أُمّ الجلود ، أنا ابن المحزنة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . فقبل له : ويلك ! أو بهنا يفخر الناس ! قال : وأى افتخار أعظم من هذا ! لو لم تكن أمي عندهن ثقة لما قبلن روايتي في بعضهن بعضاً . وقد حكي : أنها زنت ، فخلقت ، وطيف بها على رجل ، فكانت تنادي على نفسها : من رآني فلا يزني . فقالت لها امرأة : نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه ، ونطيعك وأنت مجلوبة مخلوقة ، راكبة على رجل ! . ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ، وكفله وتولت تربيته عائشة بنت عثمان . وعمر أشعب عمراً طويلاً . وحكى عنه أنه قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه يوم البارئ حُصر ، فلما جرد ماله من السيوف ليقاتلوا كنت فيهم ؛ فقال عثمان : من أغمد سيفه فهو حر . فلما وقعت في أذني كنت والله أقل من أغمد سيفه فقتلت . وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة . وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

⑪

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن المهدي عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من ممالك عثمان بن عفان . وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت في أشعب خلل ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره للجمع المعترلة ، وكان أمراً منهم . وقال مصعب بن عبد الله : كان أشعب من القزاة حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نكح وغزاه ؛ وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبي الزناد

١٥

٢٠

في حجر مائسة بنت عثمان؛ فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المقتلة . وقال إسحاق
ابن إبراهيم : كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتا فيجدها . وفيه يقول عبد الله
ابن مُصعب الزبيري عفا الله عنه :

إذا تمززت صُراجيَّة * كثل ربح المسك أو أطيَّب

ثم تقنَّى لي بأهزاجه * زيد أخو الأنصار أو أشعب

حيث أنى ملكٌ جالسٌ * حَفَّت به الأملاك والموكب

وما أبالي وإله العلاء * أشرق العالم أم غرَّبوا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة، وقد آن أن نذكرها . فنها

ما حكي أنه كان يقول : كلبي كلب سوء، يصبص للأضياف، وينبح على أصحاب

الهدايا . وقيل له : قد لقيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو حفظت

أحاديث تتحدث بها ! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث . قيل : لحدثنا . قال : حدثني

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل

الجنة، ثم سكت . فقيل له : هات ، ما الخلتان ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ونسيت

أنا الأخرى . وكان أشعب يتحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول :

حدثني عبد الله ، وكان يبغضني في الله . وكان أشعب يلازم طعام سالم بن عبد الله

ابن عمر رضي الله عنهم . فأشتهى سالم أن يأكل مع بناته ففرج إلى البستان؛ فغاء

أشعب إلى منزل سالم على عادته؛ فأخبر بالقصة ؛ فاكرى بجلا بدرم وجاء إلى

البستان . فلما حاذى الحائط وثب فصار عليه ؛ فغطى سالم بناته بثوبه وقال :

بتاني بناتي ! فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ

مَا نَرِيدُ) .

قال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك ؛ فجعلته بين يدي الفيراش . بغامت بعد أيام وقالت : بأبي أنت ! الدينار ؛ فقلت أرفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت الى جنبه درهما ، فأخذت الدرهم وتركته الدينار . وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك . وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتهما بكيت ؛ فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس ! .

ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المنائي ، قال : قال أشعب : تملكت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ؛ فررت بالقرشين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئا . فبغت الى أمي ، فقالت : مالك قد جئت خائبا ؟ فأخبرتها بذلك ؛ فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع قستغيل ربك . فرجعت فجعلت أقول : يا رب أقلني ، ثم رجعت ، فما مررت يحلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني ، ووهب لي غلام ؛ فبغت الى أمي بجمال موقرة من كل شيء . فقالت : ما هذا الغلام ؟ فخفت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهبوه لي . فقالت : أي شيء هذا ؟ فقلت : غين . قالت : أي شيء [غين] ؟ قلت : لام . قالت : أي شيء [لام] ؟ [قلت : ألف . قالت : وأي شيء [ألف] ؟ قلت : ميم . قالت : وأي ميم ؟ قلت : غلام ؛ ففشي عليها . واولم أقطع الحروف لمات القاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما الى جانب مروان بن أبان بن عثمان ؛ فانفلتت من مروان ريح لها صوت ؛ فانصرف أشعب يومئذ الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح . فلما آنصرف مروان الى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية ،

قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

وقال محمد بن أبي قبيلة : غذى أشعب جدًّا بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غاية ،

ثم قال لزوجته أم ابنه وردان : إني أحب أن ترضعيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به الى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : نأقه إنه لا يخفى ، رضع بلبن زوجتي ، قد

حبوتك به ، ولم أر أحدا يستأمله سواك . فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذبح وشُيِّط . فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة ؟ فقال : ما عندى والله اليوم شيء ،

ونحن من تصرف ، وذلك غير فائت لك . فلما يئس أشعب منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر ، ثم أندفع فشتم حتى التفت أضلاعه ، ثم قال : أخلى .

قال : ما معنا أحد يسمع ، ولا طليع عين . قال : وشب أبوك إسماعيل على أبي فذبحه وأنا أنظر إليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال :

أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك . فجزاه خيرا وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار فقال : خذ هذه ، ولك عندنا ما تحب .

قال : ونخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطلأ عليه ، فإذا به مسترسل فى مجلسه . فلما رأى وجه أبيه أنكره وقام إليه ، فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب ! قتلت

ولده ؟ قال : فاستضعك وقال : جاعنى ، وأخبره الخبر . فأخبره أبوه بما كان منه وما صار إليه . قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رُعنى راعك الله ! فيقول :

روعة أبوك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمائتي الدينار .

قال المداينى : دخل أشعب على الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وعنده أعرابي

فبيع المنظر ، مختلف الحلقة ، فبيع أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبي أنت وأمي ، أأذن لي أن أسلح عليه ؟ فقال : إن شئت . ومع الأعرابي قوس وكنانة ، فنزق

نحوه مهما، وقال : والله لئن فعلت لتكون آخر سلعة سلحتها . فقال أشعب
الحسين : جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَخَذَنِي الْقَوْلُ^(١) . وعنه قال : تَوْضُأُ أَشْعَبَ فَنَسَلَ رَجُلَهُ
الْبُسْرَى وَتَرَكَ الْيَمْنَى . فقيل له : لِمَ تَرَكْتَ غُسْلَ الْيَمْنَى ؟ قال : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « أَمَتِي غُرٌّ مَحْبُولُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ » وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أُغْرٌ مَحْبَلًا^(٢)
مُطْلَقِي الْيَمِينِ . وقال : سَمِعَ أَشْعَبُ حُمَيَّ الْمَدِينَةَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَمْنَنِي حَتَّى تَغْفِرَ لِي
ذُنُوبِي ؛ فَقَالَ لَهَا : يَا فَاسِقَةُ ! أَنْتَ لَمْ تَسْأَلِي اللَّهَ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ ، وَإِنَّمَا سَأَلْتَهُ عَمْرَ
الْأَبْدِ ! (ريد : أَنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهَا أَبَدًا) .

وقال الزبير بن بكار : كَانَ أَشْعَبُ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو ، وَقَدْ قَبِضَ وَجْهَهُ
فَصَبَّرَهُ كَالصَّبْرَةِ الْمُجْمُوعَةِ . فَرَأَاهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ فَصَبَّرَهُ وَنَادَاهُ :
يَا أَشْعَبُ ، إِنَّمَا أَنْتَ تَتَلَبَّى رَبَّكَ فَتُجَاهِدُ بَوَاجِهِ طَلِيقٍ . قَالَ : فَأَرْنِي لَحْيَهُ حَتَّى وَقَعَا
عَلَى زَوْرِهِ . قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَقَالَ : وَلَا كُلَّ ذَا .^(٣)

وقال مصنف : بَلَغَ أَشْعَبُ أَنَّ الْغَاضِرِيَّ قَدْ أَخَذَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِهِ وَنَوَادِرِهِ ،
وَأَنَّ جَمَاعَةَ اسْتِطَاعُوهُ ؛ فَرَقَّبَهُمْ حَتَّى حَلَمَ أَنَّهُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ يَحَادِثُهُمْ
وَيُضْحِكُهُمْ ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ قَدْ نَحَوْتَ نَحْوِي ، وَشَغَلْتَ عَنِّي
مَنْ كَانَ بِالْفَنَى ؛ فَإِنْ كُنْتُ مِثْلِي فَأَفْضَلُ كَمَا أَفْضَلُ . ثُمَّ غَضَّنَ وَجْهَهُ وَعَرَّضَهُ وَشَتَّجَهُ ،
حَتَّى صَارَ عَرَّضُهُ أَكْثَرَ مِنْ طَوْلِهِ ، وَصَارَ فِي هَيْئَةٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ بِهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ

(١) القولنج (بضم القاف وقد تفتح ، وفتح اللام وقد تكسر) : مرض معوي مؤلم يصبر منه خروج
الفضل والرج .

(٢) التي في الجامع الصغير : « أَمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ مَحْبُولُونَ مِنَ الْوُضُوءِ » .

(٣) كذا في الأغاني . والصبرة : المناسب من معانيها هنا أَنْ تَكُونَ بِالْفَنَمِ بِمَعْنَى الْكُومَةِ الْمُجْتَمِعَةِ
مِنَ الطَّامِ وَغَيْرِهِ . وفي الأصول : « كَالشَّمْرِ » . ولم نجد لها معنى مناسباً .

(٤) الزور : وسط الصدر .

وجهه حتى كاد ذقنه يحوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيف؛ ثم ترع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حذبة كستانم البعير، وصار طوله مقدار شبر، ثم زرع سراويله، وجعل يمد جلد خصيه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما من يده، وجعل عيس، وهما يخططان الأرض، ثم قام قتاوول وتمدد وتمطى، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال . فضحك القوم حتى أغشى عليهم، وقطع بالفاضري^١ لما تكلم بتأدرة ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء، لا أعاود ما تركه أبدا، إنما أنا عبدك ونحريك؛ ثم انصرف أشعب وتركه .

وقال الزبير بن بكار: حدثني عمي، قال : لقي أشعبَ صديقاً لأبيه، فقال له : ويلك يا أشعب ! كان أبوك الحى وأنت أقط^(١)، فإلى من خرجت تشبهه ؟ قال : إلى أمي .

١٠

وقال الميثم بن عدي : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألونني عن أحاديث الملوك؛ ويعطونني عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعبَ سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له : يا أشعب، هل لك في هريس أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم، بأبي أنت وأمي . ففنى أشعب إلى منزله؛ فقالت له أمهاته : قد وجهه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دمانى إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلة، وليس لي بد من المضي إليه . قالت : إذا يغضب عبد الله . قال : آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله . بقاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالي . فقال له : كل يا أشعب، وأبعث ما فضل

عنتك إلى متراك . قال : ذلك أردت ، أبى أنت وأتى . قال : يا غلام ،
 أحمل هذا إلى منزله ، فحمله ومشي أشعب معه . فقالت أمراءه : نكلتك أمك ، قد
 حلف عبد الله لا يكلمك شهراً ؛ قال : دعيني وإياه ، هاتى شيئا من زعفران ؛ فأعطته ،
 فأخذه ودخل الحمام ، فمسحه على وجهه وبدنه ، وجلس في الحمام حتى صفّره ،
 ونرج متوكأ على عصا يرد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رآه
 حاجبه قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى . ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له .
 فلما دخل طيه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، بفعل يزيد في الرعدة ، ويقارب الخطو ،
 وجلس وما كاد أن يستقل . فقال عبد الله : ظلمتاك يا أشعب في غضبتك عليك .
 فقال له سالم : ويحك ! مالك ؟ ألم تكن عندى آفأ وأكلت هريرة ! قال : لقد
 شُبّه لك ، لاحول ولا قوة إلا بالله . قال : لعن الشيطان يتشبه بك . قال أشعب :
 على وعلى ! إن كنت رأيتك منذ شهر . فقال له عبد الله : أعزب ويحك عن خالي !
 أتبته لا أتم لك ! قال : ما قلت إلا حقا . قال : بجأتى أمصدقى وأنت آمن
 من غضبي . قال : وحياتك لقد صدق ؛ وحذّته بالقصة ؛ فضحك حتى استلقى
 على قفاه .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان
 إلى أشعب بعد ما طلق أمراءه سعة ، فقال له : يا أشعب ، لك عندى عشرة
 آلاف درهم على أن تبلي رسالتى سعة . فقال له : أحضر المال حتى أنظر اليه ،
 فأحضر الوليد بدرة ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك . قال :
 قل لما يقول لك :

أسعدتُ هل اليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامة من تلاقٍ
 بلى ! ولعل دهرًا أن يؤاتى * بموتٍ من حليك أو طلاقٍ

فأصبح شامتا وهر عني * ويجمع شملنا بعد أفرق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففُرش لها فرش وجلست
وأذنت له ؛ فدخل فأنشدها . فلما أنشد البيت الأول :

أسعدتُ هل اليك لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامة من تلاقٍ

قالت : لا والله ، لا يكون ذلك أبدا . فلما أنشد البيت الثاني :

بل ! ولعل دهرنا ان يؤاتى * بموتٍ من حليك أو طلاقٍ

قالت : كلا إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به . فلما أنشد البيت الثالث :

فأصبح شامتا وهر عني * ويجمع شملنا بعد أفرق

قالت : بل تكون النهاية به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال :

ياسيدي ، إنها عشرة آلاف درهم . قالت : واه لا قتلَكَ أو تبلفه كما بغتنى . قال :

وما تهيئين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحب . قال : قومي عنه ؛ فقامت ، فطواه ،

ثم قال : هاتي رسالتك ، فجعلت فداك ! قالت : قل له :

أتبعيكي على لبتى وأنت تركتها * فقد ذهب ليلى فما أنت صانع ؟

فأقبل أشعب ، حتى دخل على الوليد ، فأنشده البيت . فقال : أوه قتلني واه !

فأتراني صانعا بك يا ابن الزانية ! اخترنا أن أدريك منكسا في بئر ، أو أرميك من

فوق القصر منكسا ، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة . قال له : ما كنت

فاعلا بي شيئا من ذلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عيتين قد نظرنا

إلى سعدة ! قال : صدقت يا ابن الزانية !

ودرى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى إبراهيم بن المهدي عن ابن أشعب

عن أبيه ، قال : دُعي ذات يوم بالمفتين إلى الوليد بن يزيد ، وكنت نازلا معهم ،

فقلت للرسول : خذني فيهم ؛ قال : لم أؤمر بك ، إنما أمرت بإحضار المغنين ، وأنت بطلال لا تدخل في جملتهم . فقلت له : أنا واقه أحسن غناء منهم ؛ ثم أندفعت فغنيته . فقال : لقد سمعت حسنا ، ولكن أخاف . قلت : لاخوف عليك ؛ ولك مع ذلك شرط . قال : وما هو ؟ قلت : كل ما أصبت فلك شطره ؛ فاشهد على الجماعة ، ومضيتا حتى دخلنا على الوليد ، وهو يقص النفس ؛ ففناه المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم يتشط . فقام الأجير إلى الخلاء ، وكان خبيثا داهيا ، فسأل الخادم عن خبره ؛ فقال : بينه وبين أمرائه شر ، لأنه عشيق أختها ففضبت عليه ، وهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها ، وحلف ألا يذكرها أبدا بمراسلة أو مخاطبة ، فخرج على هذه الحال من عندها . فماد الأجير الينا ، وجلس ثم أندفع يفتي :

فبينى فاني لا أبالي وأيقيني * أصعد باق جكم أم تصوبا
الم تعلمي أني عزوف عن الهوى * إذا صاحبي من غير شيء تنضبا

فطرب الوليد وأرتاح ، وقال للأجير : أصبت واقه يا عبيد ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر ، ولم يحفظ أحد بشيء سوى الأجير . فلما أيقنت باتقصاء المجلس وثبتت فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بمحضرتك ! فضحك . ثم قال : قبحك الله ! وما السب في ذلك ؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول ، وقلت له : إنه بدأنى بالمكروه في أول يومه فاتصل على إلى آخره ، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدى مثله . فقال : لقد لطفت ، بل أعطوه مائة دينار ، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب ، فقبيضتها وأصبرفت .

- قال ابن زَبَّيج^(١) : كان أبان بن عثمان من أهل النلس وأعجبهم ، فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابي معه حمل ، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتقلّى كأنه أفعى ، والشرير^(٢) في وجهه ، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره ؛ فقال أبان : هذا والله من البادية ، ادعوه لي ، فدعوه له وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ؛ فأتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه ، فانتسب له . فقال له أبان : حيّاك الله يا خال ، اجلس ، بفلس . فقال له : إني أطلب رجلاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتبه بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف ، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه ، أتيتنيّه ؟ فقال : نعم أيها الأمير . قال : فإني قد بذلت لك به مائة دينار ؛ فطمع الأعرابي وسرّ بذلك وآتفخ ، وبان الطمع في وجهه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويحك يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك (يعني : في الطمع) فأوسع له مما عندك ؛ قال : نعم ، بأبي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خال ، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أتأجل يساوي ستين ديناراً ، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلّة النقد عندنا ، وإني أعطيك عُرُوضاً تساوي مائة دينار ؛ فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير . وأسرّ أبان إلى أشعب ، فأنرج شيطاً مغفلياً ، فقال له : أنخرج ما جئت به ؛ فأنرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم . فقال له : قَوْمها يا أشعب . فقال : عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً . قال : ضحها بين يديه ،

(١) كما في الأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢ طبع بولاق) . وزَبَّيج فتح الزاى والباء وفتح النون مشددة ، داويدة ابن حمرمة . وفي الأصول « زبج » وهو تصحيف .

(٢) كما في الأغانى . وفي الأصول « دأولهم » وهو تحريف .

(٣) كما في الأغانى . وفي الأصول « البابة » .

وقال لأبن زَبَّيج: أثبت قيمتها، فكذب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي؛
فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام . قال: هات قلنسوتي،
فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ واللُحْن وتخوّضت تساوى نصف درهم.
قال: قوم؛ فقال: قلنسوة الأمير تلوعامته، ويصلى فيها الصلوات الخمس،
ويجلس فيها للحكم! ثلاثون ديناراً . قال: أثبت، فاثبت ذلك، ووضعت القلنسوة
بين يدي الأعرابي فارتدّ وجهه وبجّطت عيناه وهمّ بالرتوب، ثم تماسك وهو
مقلقل . ثم قال لأشعب: هات ما عندك؛ فأخرج خُفَّين خُفَّين قد نُفِّيا وتَقَشَّرا
وتَفَتَّتا، فقال: قوم؛ فقال: خُفَّ الأمير يطا بهما الروضة، ويعلوهما مبرالنبي
صلى الله عليه وسلم! أربعون ديناراً، فقال: ضَعُهما بين يديه . ثم قال للأعرابي:
أضُمّ اليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: آمِضْ مع الأعرابي وأقبض ما بقى لنا
عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب
به وجوه القوم لا يألوف شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء أموت؟ قال
لا؛ قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك واقفه في دمه إذ ولّد مثلك! ثم نهض كالمجنون
حتى أخذ برأس بيهره؛ وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كلف معه . فكان
الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلمّ إلى يابن الحبيشة، حتى أكاظك
على تقويمك المتاع يوم قومت؛ فمهرّب منه أشعب .

وقال المدائني: حدّثنى شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين،
لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عاتته؛ فلعلّت على أشعب وهو في الموت، وهو

(١) في الأصل «خفة» وهو خطأ، يقال: فوب خلق وجبة خلق بغير ما .

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصول: «كيف لا أدركت» .

(٣) كذا في الأغانى . وفي الأصول: «قيمتك»، وهو تحريف .

يقول لأخته : يا بنية ، إذا أنا مت فلا تدبيني ، والناس يسمعونك ، ويقولين : وأبناؤه ،
أندبوك للصوم والصلاة ، للفقهِ والقرآن ، فيكتب الناس ويلمنونني . ثم ألتفت فرأى
المرأة ، فغطى وجهه بكفه وقال لها : يا فلاتة ، بالله إن كنت استحسنيت شيئا عما أنا
فيه ، فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني ، فنضبت المرأة وقالت :
مخنت عيك ! وفي أي شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! قال : قد
علمت ، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنيت خفة الموت على^(١) وسهولة الزرع ، فويشتد
ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهي تسبه ، ومخمت من كان حوله من كلامه ومات .

ذكر شيء من نوادر أبي دُلّامة

هو أبو دُلّامة زُند بن الجَلّون . وزند بالنون . وهو كوفي ، أسود ، مولى لبني أسد ؛
كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاص ، فاعتقه . وأدرك آخر زمن بني أمية ولم
يكن له نباحة في أيامهم ، وبيع في أيام بني العباس ، فاقطع إلى أبي العباس السّقّاح
وأبى جعفر المنصور والمهدي ، وكانوا يقيمونه ويفضلونه ويستطيون مجالسته
وتولّده .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو دُلّامة رديء المذهب ، مرتبكا للحارم ،
مُضيعا للفروض ، متجاهرا بذلك ، وكان يُلّم هذا منه ويُعرف به ، فيُتجاف عنه
للطف محله . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما ثبت في هذا الموضع
ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبي جعفر المنصور ،
وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلائس الطوال ، تلسم^(٢) بيلان من

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « ولكن قد لا تكونين » وهو مخبريت .

(٢) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ١ طبع بولاق) . وفي الأصول : « وقدم » .

داخلها، وأن يلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: (قَسَّيْكَفِيَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فلما دخل عليه أبو دلامة في هذا الزى قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في نصفي، وسيفي في آسفي، وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبتت كتاب الله وراء ظهري؛ ثم أُنشد:

وكنا نرجى منحةً من إمامنا * فجاءت بطول زاده في القلائس
تراها على هام الرجال كأنها * ديارُ^(١) يهود جُلَّتْ بالبرائيس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد.

وحكى عنه: أنه كان واقفا بين يدي السفاح أو المنصور، فقال له: سلقى حاجتك؟ فقال أبو دلامة: كلب صيد؛ قال: أعطوه إياه. قال: ودابةً أنصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يقود الكلب ويتصيد به؛ قال: أعطوه غلاما. قال: وجارية تصليح لنا الصيد وتطعمنا منه؛ قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد لهم من دار يسكنونها؛ قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فلا، لم يكن ضبيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب عامرة. قال: وما العامرة؟ قال: مالا نبات فيه. قال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب عامرة من فيافي بني أسد. فضحك وقال: أجعلوا المساكين كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبل يدك؛ قال: أما هذه فدعها، فإني لا أفضل. قال: والله ما منعت عيالي شيئا أقل عليهم ضررا منها.

(١) كنا في الأغاني. وفي الأصول: «ديار» وهو تحريف.

(٢) في الأغاني: «عييك».

(٣) الجريب: مقدار سبعين من مساحة الأرض.

وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

إن الخلط أجتوا البين فأتجهوا * وزودوك خيالاً بش ما صنوا
واقه يعلم أن كادت ، لينهم * يوم الفراق ، حصة القلب تنصدع
عجت من صيتي يوماً وأهمهم * أتم الدلالة لما حاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما جمعوا
ونحن مشبهوا الألوان ، أوجهنا * سود قباح ، وفي أسماشنا شنع
إذا تشككت إلى الجوع ، قلت لها * ما حاج جوعك إلا الرى والشنع
أذا بك الجوع مذ صارت عيالتنا * على الخليفة منه الرى والشنع^(١)
لاوالدى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة في أسبابها الرغ
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله * دوني ودون عيالي ثم تضطجع^(٢)
شوهاة مشاة في بطنها تجل * وفي المقاصيل من أوصافها فدع^(٣)
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترجع^(٤)
فأنزلت ثم قالت وهي مضطجة * أأنت تشلو كتاب الله يا لكع^(٥)!

(١٧)

(١) ورد هذا البيت في الأصول : « قالت أذا بك قد صارت الخ ... » . وهو تحريف . وقد أورد

صاحب الأغاني هذا البيت على أنه رواية أخرى في البيت قبله وهي الرواية الجيدة . ولذلك كانا متحدى
الغافية .

(٢) مشاة : قبيحة .

(٣) التجل : عظم البطن واسترخؤه .

(٤) القدح : اعوجاج الرسخ في اليد أو الرجل .

(٥) أنزلت : رقت أقمها استكلرا أو غضبا .

(٦) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مضطجة » وهو تحريف .

أَخْرُجْ تَبِغْ لَنَا مَالًا وَمَزْدَعَةً * كَمَا جَهِيرَاتُ مَالٍ وَمُزْدَعُ
وَأَخَذَعُ خَلِيفَتَنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدِعُ

قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بماثي جريب عامرة - ويرى مسمائة
جريب عامرة وغامرة - فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة
فيما بين الحيرة والتجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : أجعلوها كلها عامرة .
قال : ولما توفى السقاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه ، فقال :

أَمْسَيْتُ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عَقْرِهَا تَحْوِيلًا
وَيْلَ عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ * وَيْلًا وَعَوَّلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ * وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ مَبْوِيلًا
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَّ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ * بِفَعْلَتِهِ لَكَ فِي التُّرَابِ عَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدْلِكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَمْسَحَ مِنْ سَأَلْتُ بِغِيلًا
أَلِشَقَوْتُ أَنْ تُرَتُّ بِعَدْلِكَ لِقَى * تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا ؟
فَلَا خَلْفَ يَمِينٍ حَقٌّ بَرٍّ * ثَلَاثَةٌ مَا أُعْطِيَ بِعَدْلِكَ سَوِيلًا

قال : فابكى الناس قوله . فغضب المنصور غضبًا شديدًا وقال : إن سمعتك تنشد

هذه القصيدة لأقطعن لسانك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين
كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما
قال يوسف : (لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَفِرُّ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) . فسرى عن
المنصور وقال : قد أفلتاك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان
أبو العباس أسرى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها . فقال
المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء (وأشار إلى جماعة ممن حضروا) فوثب سليمان
ابن جبالد وأبو إلهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي

(١) أيوب الخازن [وهو مغيظ] : يا سليمان آدضها إليه وسيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف) فوثب أبو دلالة وقال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن أخرج معهم ، والله إلى مشئوم . قال المنصور : امض فإن يئني يظلب شؤمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يجرّب ذلك مني على مثل هذا العسكر ، فإن لا أدري أيهما يظلب : يمينك أو شؤمي ، إلا أنني بنفسى أوثق وأعرّف وأطول تجربة . فقال : تخنى وهذا ، فمالك من الخروج بتد . قال : فإنى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرًا كلها هزمت ، وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل . فضحك المنصور وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

- ١٠ وعن جعفر بن حسين اللّهيّ قال : حدثني أبو دلالة قال : أتني بي المنصور أو المهديّ وأنا مسكران ، خلف ليخريجنّي في بئس حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلّبيّ لقتال الشّراء . فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أنّ تخني فرسك ومعنى سلاحك لا أثرت في عدوك اليوم أثرًا ترتضيه ! فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ولأخذتك بالوفاء بشرطك ، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلى ، ودعا بشيره فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي قلت : أيها الأمير ، هذا مقام المائد بك ، وقد قلت أباينا فاسمها . قال : هات ، فأنشدته :
- إني استجرتك أن أقدم في الوغى * ليطاعني وتنازل ويضرب
فهيب السيوف رأيها مشهورة * وتركها ومضيت في الهزّاب
ماذا تحول لما يحى ولا يرى * من بادرات الموت والنشاب

١٨ فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال :
 اخرج اليه يا ابا دُلّامة . فقال : أُنشدك الله أيها الأمير في دى . فقال : والله
 لَتَخْرُجُنَّ ! فقلت : أيها الأمير ، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا
 والله جامع ما تَبِعْتُ منى جارحة من الجوع ، فمُر لي بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لي
 برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف . فلما رآني الشاري أقبل
 نحوي . وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فافعل ^(١) وعيناه قحطان ،
 فأسرع إلى ، فقلت : على رِسْلِكَ يا هذا ! فوقف ، فقلت : أقتل من لا يقاتلك ؟
 قال لا . قلت : أنتستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال لا . قلت : أنتستحل
 ذلك قبل أن تدعو من تقاتله الى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني الى لعنة الله ،
 فقلت : لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . فقلت : هل كانت بيننا عداوة أو رِيَّة
 أو تعرفني بحال تحفظك علي أو تعلم بيني وبين أهلِكَ وترا ؟ قال : لا والله ، قلت :
 ولا أنا والله لك إلا على جيل ^(٢) [الرأي] ، فإني لأهواك وأتحمّل منعبك وأدين دينك
 وأريد السوء لمن أراداك . فقال : يا هذا ، جزاك الله خيرا فانصرف . قلت : إنا معي
 زادا أريد أن آكله وأريد دُواكلك لتؤكد الموتة بيننا ويرى أهلُ العسكرين هوانهم
 علينا ، قال : فافعل . فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على
 مآرِفها وجمعنا نأكل والياس قد غلبوا ضحكا . فلما استوفينا ودعني ، ثم قلت له :
 إن هذا الجاهل ، إن أنت على طلب المبارزة تدبني إليك فتصّب وتُتبعني ، فإن
 رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت ، فأنصرف وأنصرف . فقلت لروح :
 أما أنا فقد كُفيتك قِرْنِي ، فقل لنبري يكفيك قِرْنَه كما كُفيتك . ونخرج آخر يدعو
 الى البراز ، فقال لي : اخرج اليه ، فقلت :

(٢) زيادة عن الأغاني .

(١) اقبل : تهبض .

إني أعوذ بروح أن يُقدّمني * إلى القتال فتخزي بي بنو أمّ
إن البراز إلى الأقران أعلمه * مما يُترق بين الروح والجسد
قد حالفك المنابا إذ رُصدت لها * وأصبحت لجميع الخلق كالرصد
إذ المهلب حبّ الموت أورتكم * فأورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجلدت بها * لكنّها خلقت فرداً فلم أجِد

قال : فضحك روح وأعفاني .

قال : وشرب أبو دلامة في بعض الحانات وسكر ، فثنى وهو يميل ، فلقبه
العسس فأخذه ؛ فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :

دينى على دين بنى العباس * ما حُتم الطين على القِرطاس
إذا اصطحبت أربابا بالكاين * فقد أدار شربها براسى

* فهل بما قلت لكم من باس *

فأخذوه ونرققوا ثيابه وساجه ، وأتى به إلى أبي جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج
في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو
مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاة الديك . فلما أكثر قال له السجان :
ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان
السجان . قال : ومن حسنّى ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومن خرّق طيلباني ؟
قال : الحرس . فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل فأناء ؛ فكتب إلى
أبي جعفر المنصور يقول :

أمير المؤمنين قد تكّ نفسي * ملام حبستني وخرّقت ساجي

(١) الساج : اللسان .

(٢) الزقاة : الصياح .

أَيْنُ صِهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمَزَاجِ * كَأَنَّ شِعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طُجِجَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ التَّطَلُّفِ النَّضَاجِ
تَهْتَسُ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَسْتَهْمُ * إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقُ فِي الرِّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخِرَاجِ !
فَلَوْ مَعَهُمْ حُسَيْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُسَيْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُحَسِّبُنِي ذَنْبِي * بَاقِي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ
عَلَى أُنَى وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا * يَلْجِئُكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرُّ رَاجِ

فاستدعاه المنصور وقال : أَيْنَ حُسَيْتُ يَا أَبَا دُلَامَةَ ؟ قال : مع الدَّجَاجِ . قال :
فأكنت تصنع ؟ قال : أَتَقُولُ^(١) معهم إلى الصباح ، فضحك وخرق سبيله وأمر له
بجائزة . فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله :
وَقَدْ طُجِجَتْ بِنَارِ اللَّهِ ؟ (يعني الشمس) قال : لا والله ، ما عَيِيتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى نَوَازِدِ الرَّبِيعِ . فضحك المنصور وقال : خلها يا ربيع ولا تعاود
التعرض له .

وروى عن المدائني قال : دخل أبو دُلَامَةَ على المهدي وعنده إسماعيل بن علي
وعيسى بن موسى والعبَّاس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم ، فقال
له المهدي : أَنَا أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا إِنَّهُ سَتُجَّ وَاحِدًا مِمَّنْ فِي الْبَيْتِ ، لَأَنْقَطِعَنَّ لِسَانُكَ
أَوْ لَأُضْرِبَنَّ عَقَبَكَ . فنظر إليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غزوه بَأْتٍ عَلَى
رِضَاكَ . قال أبو دُلَامَةَ : ضَلَمْتُ أُنَى قَدْ وَقَعَتْ وَأَنْهَا عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِهِ لَا بَدَّ
مِنْهَا ، فَلَمْ أَرْ أَحَدًا أَحَقَّ بِالْهَيْبَةِ مِنِّي وَلَا أَدْعَى إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ هَيْبَةِ نَفْسِي ، فَقُلْتُ :
أَلَّا أُلَبِّغَ لَدَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ * فَلَسْتُ مِنَ الْكَرَامِ وَلَا كِرَامَةِ

إذا لبس العامة كان قردًا ^(١) * وخشياً إذا نزع العامة
 جمعت دمامة وجمعت لؤماً * كذلك اللؤم تبعه الدمامه
 فإن تك قد أصبت نعم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجاهزه .

- قال : وخرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد ، فسمع لهما قطع من ظباء ،
 فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، ورى المهديّ مهما فأصاب ظيما ، ورى
 عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ؛ فقال أبو دلامة :
 قد رى المهديّ ظيماً * شكّ بالسهم فؤاده
 وعليّ بن سليما * ن رى كلباً فصاده
 ١٠ فهنيئاً لهما كُـلُّ أمرئٍ يا كل زاده

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر
 له بجائزة سنية ؛ فلقّب عليّ بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب ، فغلب عليه .

- قال : وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها ؛ فلما وقف على حُفرتها
 قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : أبنه عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنته
 عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى ضُلب وستر وجهه .
 ١٥

قال الميمون بن هديّ رحمه الله عليه : سمجت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح
 أبو دلامة : جعلني الله فداك ، الله الله في أمرى ! فقالت : من هذا ؟ قالوا : أبو دلامة .
 فقالت : سلوه ما أمره ؛ قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنوني من تحملها ؛ قالت
 أدنوه ؛ فأدنى ، فقال لها : أيها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك فيّ عظيم . قالت :

(١) كذا في الأغني . وفي الأصل : « قلت قردا » .

فه! قال : تَهَيَّئِي جاريةً من جواريك تَوَسِّلِي ، وَتَرْفُقْ بِي وَتُرِيحَنِي من عجز عُنْدِي ؛
 قد أَكَلْتُ رِفْدِي ، وَأَطَالَتْ كَتْدِي ؛ فقد عافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقْدَهَا .
 فضَحِكْتَ الخِيزَانُ وَقَالَتْ : سوفَ أَمُرُّكَ بما سَأَلْتَ ، فَلَمَّا رَجَعْتَ تَلَفَّاهَا وَأَذْكَرَهَا
 وَنَجَّجَ مَعَهَا إِلَى بَنَدَادٍ ، فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضُ ^(١) . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْدَةَ حَاضِنَةِ مُوسَى
 وَهَارُونَ فَدَفَعَ إِلَيْهَا رَقْعَةً قَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْخِيزَانِ ، فَبَيَّنَا :

أَبْلَغِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ يَا أُمُّ عَيْدَةَ
 أَنَّنَا أَرْسَلْنَا اللَّهَ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
 وَوَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَ لِحْجَ وَلِيدَةٍ
 فَسَأَيْتُ وَأَرْسَلْتُ بِعَشْرِينَ قَصِيدَةٍ
 كَلِمَاتٍ أَخْلَقْتُ لَهَا أَنْتَرِي جَدِيدَةٍ
 لَيْسَ فِي بَيْتِي لِقَائُكَ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةٍ
 ضَرِيرَةٍ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ * سَاقِيهَا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ
 وَجْهَهَا أَقْبَحُ مِنْ حَوْ * تَطْرُقُ فِي عَصِيدَةٍ
 مَا حَيَاةٍ مَعَ أَثَى * مِثْلَ عَرِيضِي بِسَمِيدَةٍ

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا ، ضَحَكَتْ وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَاتَّقَتِ الْجَمَالَ ، فَقَالَتْ لَهَا :
 خُذِي كُلَّ مَالِكَ فِي قَصْرِي ، فَعَمَلْتُ ؛ ثُمَّ دَعَتْ بَعْضَ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَأَلْتُهَا
 إِلَى أَبِي دُلَامَةَ . فَانْطَلَقَ الْخَادِمُ بِهَا فَلَمْ يَصَادِفْهُ فِي مَرَّتِهِ ؛ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ
 أَبْودِلَامَةَ فَادْفَعِيهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : يَقُولُ لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنِي مُصْنَعِي هَذِهِ الْجَارِيَةَ فَقَدْ
 أَمَرْتُكَ بِهَا . فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ الْخَادِمُ دَخَلَ أَبْنَاهَا دُلَامَةُ فَوَجَدَ أُمَّهُ
 تَبْكِي ؛ فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَبْرَأَنِي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَالْيَوْمَ .

(١) غرض : مل وجهر .

- قال : قولى ما شئت فافعله . قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطوؤها فتحميها عليه وإلا نعبث بقلبه بخفائي وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محلم ذاهب ، فمذبه اليها وذهب ليقبلها ، فقالت : مالك ويمحك ! تتح وإلا لطمتك لطمة دقت منها أذنك . فقال لها : أبهنا أوصيتك السيدة ؟ قالت : إنها بعثت بى الى قتي من هيتته وحاله كيت وكيت ، وقد كان عندي آفا ونال منى حاجته . فعلم أنه قد دُعي من أم دُلّامة وابنها . فخرج أبو دلامة الى دُلّامة فطلمه ولبيسه وحلف ألا يفارقه إلا الى المهدي . فمضى به مُلبيا حتى وقف بباب المهدي ، فعرّف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخليفة ما لم يفعله ولد بأبيه ، ولا يرضينى إلا أن تقتله . قال : ويمحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر ، فضحك حتى استلقى ثم جلس . فقال له أبو دُلّامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف والتطع . فقال له دُلّامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين ، فاسمع حجتي . قال : هات ! قال : هذا الشيخ أصفى الناس وجها ، هو يفعل بأمرى منذ أربعين سنة ما غيبت ، وفعلت أنا بحارسته مرة واحدة غضب وصنع بى ما ترى . فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعها له يا أبا دُلّامة ، وأنا أعطيك خيرا منها ؛ قال : هل أن تحبها لى بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه ؛ فتقدم إلى دُلّامة ألا يساود مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ثم وهب له جارية .

(١) كذا فى الأغانى . ولبيه : جمع ثياب عند صدره ونحوه . وفى الأصول : « وتلب به »

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « متلبا به » .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله: جاء ابن أبي دُلَامة يوما إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته بجلوس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إنَّ شيخى كما ترون قد كبر سنُّه ورَقَّ جلده ودَقَّ عظمه ، وبنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشيء يُمسك رَمَقَه ويُنقِ قُوته فيخالفنى فيه ، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بمحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فاستمعوا بمسألته معى .

فقالوا : نعمل حبا وكرامة ؛ ثم أقبلوا على ابن دُلَامة بالسَّتم فتناولوه بالكتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، قال : قولوا لثبث قليل ما يريد ، فستملون أنه لم يأت إلا بيلة . فقالوا له : قل ؛ فقال : إن ابنى إنما قتله كثرة الجماع ، فتعاونونى حتى أخصيه ، فلن يقطعهُ عن ذلك غير الخصاء فيكون أحقَّ بجسمه وأطول لِمَره . فخرجوا بما أتى به ونجحوا . ثم قالوا لابن دُلَامة : قد سمعتَ فاجِبٌ . قال : قد سمعتُ أتم فزوتكم أنه لم يأت بخير . قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أنه حكما فيما يلينى وبينه ، فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجنهم ودخلوا إليها ، وقصَّ أبو دُلَامة القصة عليها وقال : قد حَكَمَك . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن أبى هذا أبقاه الله قد نصَّح أباه ولم يأل جهدا ، وما أنا إلى بقاء أبيه أحوج منى إلى بقاءه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة منّا ولا جرى بمثله عادة لنا ؛ وما أشك فى معرفته بذلك ، فليدأ بنفسه فليخصها ، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أتر عليه أثرا محمودا استعمله أبوه . فضحك أبوه والقسوم وأنصرفوا ينجبون من خبثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « ما أنا إلا ال » .

ذكر شيء من نواحر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش . قال أبو الفرج :
- وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة ، من أكثر الناس نادرة وأخفهم رُوحاً واشتحم طمعاً وألحهم مسألة ، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز في أيامه . قيل : إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة ، فقال : وما يمنعني من ذلك ، وأسمي مسكين وكنتي أبو صدقة وأبني فاقه وأبني صدقة ، فمن أحق بهذا مني ؟ وكان الرشيد يبعث به كثيراً ؛ فقال ذات يوم لمسرور : قل لأبن جامع وإبراهيم الموصلي وزير بن دحان وزلز و برصوما وأبن أبي مريم المديني : إذا رأيتموني قد طابت نفسي ، فليسأل كل واحد منكم حاجة ، مقدارها مقدار صلته ، وذ كر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة ؛ فقال لهم مسرور : ١٠ ما أمر به الرشيد . ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له : يا أبا صدقة ، لقد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم مجبور وأحببت أن أتفرج وأفرح ، ولست آمن أن تنقص عليّ مجلسي بمسألتك ، فلما أن تعفيني أن تسألني اليوم حاجة وإلا فأنصرف . فقال له : لست من يومى هذا الى شهر أسألك حاجة . فقال له الرشيد : أنا إذ شرطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسةائة ١٥ دينار وهامى ذم نفذها طيبة معجلة ، فإن سألتني شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم عليّ إن لم أصالك سنة بشيء . فقال : نعم وستين . فقال له الرشيد : زدني في الوثيقة . فقال : قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك في يومى هذا حاجة ، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك . فدفع إليه المال ، ثم أذن للجلساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم . فلما طابت نفس الرشيد ، قال له أبن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نلت منك ما لم تبلغه أمتي ،

- وكثر إحسانك إلىّ حتى كُتِبَ أعدائي وقتلهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبى به دارا وأفرشها بياقيه لأفقا عيون أعدائي وأزريق نفوسهم فعل . فقال له : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار، فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلي فقال : يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك على وعل الكبار من ولدي، وفي أصاغرهم من أحتاج [إلى] ختانه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول فيثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفرَّق بيننا وشمالا، فوثب قائما وروى بالدنانير من كمّه وقال للرشيّد : أظني أقال الله عزّرتك . فقال الرشيّد : لا أفعل .
- ١٠ فجعل يستحلفه ويضطرب وبلغ والرشيّد يضحك ويقول : مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أملك . فلما عيّل صبره أخذ الدنانير وروى بها بين يدي الرشيّد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدتك أتم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا . وإن لم تلحقني يموائر القوم فالحقني بجائزة هذا البارد عمرو النزال — وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار — فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخممئة دينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم .
- ١٥ وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : مُطِرنا ونحن مع الرشيّد بالرقّة مع الفجر فاتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيّد أنه مقيم عند أم ولده المسماة صحر، فتشاغلنا عنه في منازلنا، فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيّد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كلّ واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه؛ فيخبره إلى أن انتهى
- ٢٠ (١) زيادة عن الأغانى (ج ٢١ ص ١٥٨ طبع أوروبا). وقد جاء الكلام فيه هكذا : «وفي أصاغرهم من قد بلغ ماريه ترويه، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أظهره ... الخ» .

إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكار الأعشى وأبو صدقة ، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا ، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ؛ فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشماله ، ويفطرن أبو زكار لذلك فيجئ ويوت غيظا ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر ، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك ، إلى أن توسطنا الشرب وسمنا من عبثه به ؛ فقلت له : دع هذا عنك وعن غناك . ففنى رملا ذكر أنه من صنعته ، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طريا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين وهو :
فتنتى بفاحم اللون جيد * وبغير حكاية نظم دُر
وبوجه كأنه طلعة البد * روعين في طرفها نقت يحير

(١٧)

قلت له : أحسنت والله يا أبا صدقة ! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال :
ياسيدى إني قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لما فرشا فأقرشها لى . فتناقلت عنه . وعاود الفناء فتعمدت أن قلت : أحسنت ، فسألنى فتناقلت ؛ فقال :
ياسيدى ، هذا التناقل متى حدث لك ؟ سألتك بالله وبحق أليك عليك إلا أجبتنى عن كلامى ولو بستم . فأقبلت عليه وقلت له : أنت والله بفيض ، أسكت يا بفيض ، وأكففت عن هذه المسألة الملحة . فوثب من بين يدى ، قلت : إنه قد نرجح الحاجة ، فإذا هو قد نزع ثيابه ويجرد منها خوفا من أن تبزل ووقف تحت السماء لا يواريه ثي . والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : يا رب أنت تعلم أنى مله ولست نائحا ، وعبدك الذى قد رفته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنت لا يقول لى : أسأت ، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت ، فيحلف

٢٠ (١) فى الأصول : « منذ حين وزمان » ولا معنى لذكر كلمة « زمان » وهى غير موجودة فى الأغنى .

(٢) كما فى الأغنى . وفى الأصول : « لأن قلت » .

بك جرأة عليك أنى بشيخ، فاحكم بيني وبينه فأنت خير الحاكمين . فغلطني الضحك
وأمرت به فتصغى، وجهدت به أن يننى فأمتنع، حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش
له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها . فقال له الرشيد: طيب والله!
الآن تم لنا به اللهو، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتجزك الفرش لأنك حلفت له
بحياتي فهو يقتضيك ذاك بحضرتي ليكون أوفى له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبورى^(١)
وحاكيه الى . ثم دعا به فخره، فلما استقر في المجلس قال لجعفر: الفرش الذى
حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدم به . فقال له جعفر: آختره،
إن شئت فرشتها لك بالبورى وإن شئت فبالبردى من الحصر، فصاح وأضطرب .
فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأت يا أبا صدقة
إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة، فاذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد بر^(٢)
في يمينه، وإنما خدعك ولم تظن أنت ولا توقفت وضيعت حقلك . فسكت ثم قال:
نوفر أيضا البردى والبورى عليه أعزّه الله . وغنى المغنون حتى انتهى الدور اليه، فأخذ
ينفى غناء الملاحين والبتائين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء . فقال له الرشيد: أى
شئ هذا الغناء؟ قال: من فرش داره بالبورى والبردى فهذا الغناء كثير منه،
[وكثير] أيضا لمن هذه صلته . فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار^(٣)
من ماله، وقال له: أفرش دارك بهذه . فقال: وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها
أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى وإلا مت والله أسفا لفوات ما حصل فى طمعى
ووعدت به، فحك له على جعفر بخمسةائة دينار أخرى، فأمر له جعفر بها .

(١) البورى جمع يارى وهو الحصر المنسوج .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصول: « ونعت » .

(٣) زيادة عن الأغاني .

ذكر شيء من نوادر الأقبشر^(١)

هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن
نزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . والأقبشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه
أقبشر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعمر الأقبشر عمرا طويلا ، ولعله ولد في الجاهلية
ونشأ في الإسلام ، وكان أبداً بنى أسد نسباً . قال : وكان كوفيّاً خليعاً ماجناً مدمناً
لخنزير ، وهو الذي يقول لنفسه :

فإن أبا معرضٍ إذ حسا * من الزاح كاساً على المنبر
خطيبٌ لييبُّ أبو معرض * فإن ليم في الخمر لم يصبر
أحلّ الحرام أبو معرض * فصار خليعاً على المكبر
يحبّ اللئام ويلقى الكرام * وإن أقصروا عنه لم يقصر

قال : وشرب الأقبشر في بيت نمار بالحيرة ، بغشاء الشرط ليأخذوه ، فاحتز
منهم وأغلق الباب وقال : لست أشرب فما سيحكم عليّ ؟ قالوا : قد رأينا العس
في كفك وأنت تشرب . فقال : إنما شربت من لبن لقحة لصاحب هذه الدار ، فما
برحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنما لتحتننا باطية^(٢) * فاذا ما منجحت كانت عجب
لبنٌ أصفر صافٍ لونه * يترع الباسور من عجب الذنب^(٣)
إنما نشرب من أموالنا * فسلوا الشرطي ما هذا الغضب ؟

(١) الأقبشر هو صغير أقر وهو الشديد الحرة .

(٢) الباطية : إنا من الزجاج الخمر يوضع بين الشرب يترقون به .

(٣) العجب : أصل الذنب .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وفيه قال : كان الأقبشر لا يبال أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يحصل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين في كراء بغل إلى الحيرة . وكان له جار يكنى أبا المضاء ، له بغل يكرهه ، فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة حتى يأتي به بيت الخمار فيترك عنه ويربطه ، ثم يجلس للشرب حتى يمسى ثم يركبه . وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال وتزوج الأقبشر أبة عم له يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم —
ويقال : على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألم فلم يعطوه شيئا ، فأتى ابن رأس البغل وهو تهقان الصين ، وكان مجوسيا ، فسأله فأعطاه الصداق كاملا ؛ فقال :
كفاني المجوسى^(١) هم الرباب * فلدى المجوسى خال وعم
شهدت بأنك رطب اللسان * وأنتك بحر جواد خضم^(٢)
وأنتك سيد أهل الجحيم * إذا ما ترديت فيمن ظلم^(٣)
تجاوز هامان في قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم^(٤)

فقال له المجوسى : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتني فأعطيتك بفزيتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وقرين أبى جهل ؟ قال : ثم جاء إلى عكرمة بن ربيعة التميمي ، فسأله فلم يعطه شيئا ؛ فقال فيه :

- (١) كذا في الأغاني (ج ١٠ ص ٩٢ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الى » وهو محريف .
(٢) الهقان (بالكسر والنم) : رئيس الإنم .
(٣) في الأغاني : « مهر » .
(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « بئر اللسان » .
(٥) في الأغاني : « تارون » .

سالت ربيعة مَنْ شَرَّهَا * أبا ثم أَمَا فقالوا لِمَنْ
فقلت لأَعْلَمَ مَنْ شَرَّكُمْ * وأَجْمَلَ للسَّبِّ فِيهِ سِمَةً
فقالوا لِمَكْرَمَةِ الْخِزْيَاتِ * وما ذا يرى الناس في عِرْكَمَةِ
فإن يك عبدا زكاه * فإِغْرِ ذَا فِيهِ مِنْ مَكْرَمَةٍ

قال الأصمى : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدنى أبياتك في الخمر ،
فأنشده قوله :

تُرِكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ * لَوْ جِئْتُ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قَطُوبُ
كَيْتٌ إِذَا تَجَبَّعْتُ فِي الْكَاسِ وَرَدُّهُ * لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

فقال له : أحسنت والله يا أبا معرض ! لقد أجدت في وصفها ، وأظنك قد
شربتها . فقال : واه يا أمير المؤمنين ، إنه ليربيني معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر
يأتى إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهم فامر له بخمسة درهم فأخذها
ومضى الى الحانة فدفعها الى صاحبها ، وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه ، ففعل .
فانضم اليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفذت الدراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه
يوما ويوما . فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا اليه من بعيد ، فقالوا لصاحب
الحانة : أصعد بنا الى الغرفة ، وأعلم الأقيشر أننا لم تأت اليوم ، ففعل . فلما جاء
الأقيشر أعلمه بما قالوا ، فلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن ، فطرح
اليه بعض ثيابه وقال له : أقم لى ما أحتاج اليه ، ففعل . فلما أخذ منه الشراب
أخذ يقول :

يا خَلِيلِي أَسْقِيَانِي كَأْسًا * ثُمَّ كَأْسًا حَتَّى أَنْتَرُ نَعَامًا

إن في الغرفة التي فوق رأسي * لآتاسا يُخادعون أناسا

يشرون المعتق الراح صرفا * ثم لا يرضون للزور راسا^(١)

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر، فدَّوَّه بآبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له : إنا أن تصعد إلينا وإما أن قتل إليك، فصعد إليهم .

قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دراهم ، فجاءه مرة فوجده قد أصيب بآبته ، فردته أمراءته عنه ، ثم عاد بعد ذلك بيومين فردته عنه أيضا ، فكتب إليه يلقى شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصلها إليه ، فقرأها ، فاذا فيها :

ألا أبلغ لديك أبا هشام * فإن الرج أبرُّها الشَّمالُ

عِدائُك في الملأِ عدائُ صديق * فهل سمعت كما سمن الملأُ

فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال : لقد سمعت وما بي إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له بها وزادها خمسة دراهم .

وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه السير ويسخطه . وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة ، وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأقيشر قتيلًا . وقيل : إنه مدح عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يملئه شيئا فجهاد ، فزعموا أن غلمانا لعبد الله بن إسحاق قتلوه ، فاجتمع بنو أسد وأدعوا عليه قتل الأقيشر ، فاقتدى منهم بديته . وقال ابن الكلبي : كان الأقيشر مولما بهجاء عبد الله بن إسحاق ومدح أخيه زكريا . فقال لغلماناه : ألا تريهوني منه ! فانطلقوا فجمعوا بهرا وقصبا

(١) الزور : جمع زائر ، كراكب وركب .

بظهر الكوفة وجعلوه في وسط إربة^(١) ، وأقبل الأقيشر سكرانا من الحيرة على بغل أبي المضاء المكارى ، فآزروه عن البغل وشدوه رباطا ثم وضعوه في تلك الإربة وأطهبوا النار في القصب والبرغمات ، ولم يعلم من قتله . واقه أعلم .

ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

- هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . كان يقال : إن جدّه حجام اعتقه .
 بعض الهاشمين . قدمه إبراهيم الموصلي وأبنيه إسحاق لأنه مدحهما فرعا من
 قدره وغنياً بشعره ونوّها بذكوره . وكان خليفاً ماجنا حسن النادرة . وله نوادر
 نذكر منها نبئنا فيها رواء أبو الفرج الأصفهاني . منها ما رواه عن إسحاق الموصلي
 قال : أتى إبراهيم ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد ،
 فماقه وقبله ، وكانت معه دابة يقال لها رصاص ، فقيل لها : إنه لم يقبله تقبيل
 التسليم ، وإنما قبله شهوة ؛ فطحنته الدابة فشتمته وأسمته كلّ ما يكره ، وهجره الغلام
 بعد ذلك ؛ فقال :

لئن لثمتك مرّاً * فأبصرتنى رصاص

وقال في ذاك يوم * على أنتقاصي حراص

- ١٥ هجرتني وأتتني * شتيمة وأنتقاص

فهاك فاقصص مني * إقبالجروح قصاص

وقد قيل : إن رصاص هذه كانت متينة كان الغلام يهاها ، وإنه سكر وثام ،
 تقبله ابن سيابة . فلما آتته قال للفتية : ليت شعري ! ما كان خبرك مع ابن سيابة ؟
 فقالت له : سل عن خبرك أنت معه ، وحديثه بالقصة ؛ فهجره الغلام ، فقال هذا
 الشعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان ابن سيابة عندنا يوماً مع جماعة تحتل وتناشد وهو يُنشد شيئاً من شعره ، فتحرك ففُضِرَ ففُضِرَ بيده على آسنه غير مكترث وقال :
إما أن تسكتي حتى أتكلّم ، وإما أن تتكلمي حتى أسكت .

وقال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كنت عند
جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكبر
منها عند القوم ، وبيتك أولى بالآثم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :
قدم عليّ إبراهيم بن سيابة بنيسابور فأنزلته عليّ ، فجاء ليلة من الليالي فجعل يصيح :
يا أبا أيوب ، نخشيت أن يكون قد غشيه شيء ، فقلت : ما تشاء ؟ فقال :
* أعياني الشادن الربيب * .

قلت بماذا ؟ فقال :
* أكتب أشكو فلا يُجيب * .

فقلت : دأره ودأوه ، فقال :

من أين أبني شفاء قلبي * وإني دائي الطيب
فقلت : لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله عز وجل عنك . فقال :
يا رب فرج إذاً وعجل * فإنك السامع المحي
ثم أنصرف . وقد قدّمت هذه الحكاية . والسلام .

ذكر شيء من نوادر مطيع بن إلياس الكافّي وأخباره

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية
والعباسية . كان ظريفاً خليفاً ماجناً حلوا العشرة مليح النادرة قال : وكان متهما
في دينه بالزندقة . وكان مولده ومنشؤه بالكوفة ، وكان مقطوعاً إلى الوليد بن
عبد الملك ، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد . وكان سبب ذلك ما حكى عن حكم

الواديّ المغنيّ، قال : غيّت الوليد بن يزيد وهو غلام حليت السنّ بشعر مطيع بن
أيّاس وهو :

أَكَلِيهَا أَلَوَانُ * وَوَجْهَهَا قَسَانُ

وَخَلَا فَرِيدُ * لَيْسَ لَهُ جِيرَانُ

إِذَا مَشَتْ تَبَنَّتْ * كَأَنهَا ثِعَابُ

قَدْ جُدِلَتْ بِغَامَتٍ * كَأَنهَا عِنَانُ

- فطرب حتى زحف عن مجلسه الى^(١)، واستعاد في الصوت حتى صَحِلَ صوتي؛
ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت : عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخديتك .
قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن أيّاس . قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ؛ فأمر
أن يُجَلَّ اليه مع البريد، فُجِلَ اليه ؛ فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقال :
عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أدن مني ، فدنا منه فضمه الوليد اليه وقبّل فاه
وبين عينيه ، وقبل مطيعٌ رجله والأرض بين يديه ؛ ثم أدناه حتى جلس في أقرب
المجالس اليه ، وأصطحب معه أسبوعاً متوالياً الأيام على هذا الصوت . وكان في خلال
الدولة الأموية ينقطع الى أوليائها وعلماؤها ، ثم أقطع في الدولة العباسية الى جعفر
أبن أبي جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر . ومات مطيع في خلافة المادى
بعد ثلاثه أشهر مضت منها . وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها ،
فلنتنصر هاهنا من أخبارها عليها دون غيرها .

قيل : سقط لمطيع حائطٌ ؛ فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة .

قال : أحمد الله أنت إذ لم تُرْعَك هدمته ، ولم يصيبك غباره ، ولم تنرم أجرة بنائه .

ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع بن إياس، قال: قال لي حماد بن محمد يوما: هل لك أن أريك «خُشَّة» صديقي وهي المعروفة بظبية الوادي! قلت نعم. قال: إنك إن فعلت عندها ونجبت عينك في النظر أفسدتها علي. فقلت: لا والله لا أتكلّم بكلمة تسوءك ولا شرتك، ففضي بي وقال: والله لئن خالفت ما قلت لأخرجتك. قال: قلت: إن خالفت إلى ما تكره فأصنع بي ما أحببت. قال: أمض بنا فضيئنا، فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجها. فلما رأيته أخذني الزم^(١)ع، وفطن لي فقال: آسكت يابن الزانية، فسكت قليلا، فلحظتني ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه، وكانت صلبته حمراء كأنها آسست قرد؛ فلما وضعها وجدت للكلام موضعا، فقلت:

وإن السوءة السودا * يا حماد من خُشَّة

عن الأثرجة الغضب * لة والتفاحة الهشمة

فالتفت إلي وقال: فعلتها يابن الزانية! فقالت له: أحسن، فوافقه ما بلغ صفتك بعد، فما تريد منه! فقال لها: يا زانية! فسبته وتناورا، فشقت قيصره وبصقت في وجهه وقالت له: ما يصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية، ونرجنا وقد لقي كلّ بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يابن الزانية: إنك ستفسد علي مجلتي! فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبني ويشكوني إلى أصحابنا؛ فقالوا لي: أجه ودعنا وإياه؛ فقلت:

ألا يا ظبية الوادي * وذات الجسد الرادي

وزين المعير والدار * وزين الحى والتادى

(١) كما في الأغاني (ج ١٢ ص ٨٢ طبع بولاق). وفي الأصول: «إنك إن فعلت عندها

وحقت عينك في النظر... الخ» (٢) الزم: القمش.

وَذَاتِ الْمِسْمِ الْعَذِيبِ * وَذَاتِ الْمِسْمِ الْبَادِي
أَمَّا بِاللّهِ تَسْتَجِيبِ * بَيْنَ مِنْ خَلَّةٍ حَمَادٍ
فَحَمَادٌ قَتَلَ لَيْسَ * بِذِي عَزٍّ فَتَقَادِي
وَلَا مَالٍ وَلَا طَرَفٍ * وَلَا حِظٌّ لِمُرَادٍ^(١)
فَتُوبِي وَآتِي الله * وَبُئِيَ حَبْلَ عَجْرَادٍ
قَدْ مَيَّزْتَ بِالْحَسَنِ * عَنِ الْخَلْقِ بِأَفْرَادٍ
وَهَذَا الْبَيْنُ قَدْ حُمَّ * بِخُودِي لِي بِالزَّادِ

قال : فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها وألقوها في الطريق ، ونجرت
أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم ، فلما رأها وقرأها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن
الزانية وساعدتموه ؟ قال : وأخذها حكم الوادئ ففني بها ، فلم يبق بالكوفة سقاء
ولا طحان ولا مكابر إلا غني فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتاني فأسلم علي حتى قال لي :
أَمَّا بِاللّهِ تَسْتَجِيبِ * بَيْنَ مِنْ خَلَّةٍ حَمَادٍ

قتلني قتلك الله ! والله ما كلمتني حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدم هجرها له
وسوء رأبها فيه وأسفه عليها وأغوه بها ؛ فشتني ساعة . قال مطيع : ثم قلت له : قم
أمض بنا حتى أريك أختي — وكانت لمطيع صديقةً يُسميها أختي وتسميها أختي ، وكانت
مغنية — فلما خرجت البنا ، دعوتُ قِيمَةً لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاما
وشرابا ، وعرفت أنها التي معي حماد فضحكت . ثم أخذت صاحبتي في الفناء وقد
علمت بموضعه وعرفت ، فكان أول ما غنت :

أَمَّا بِاللّهِ تَسْتَجِيبِ * بَيْنَ مِنْ خَلَّةٍ حَمَادٍ

فقال لما : يا زانية ! وأقبل عليّ وقال : وأنت يا زاني يا بن الزانية ! أسرّرت هذا إلى قيمتها ! فقلت : لا والله كذبت . وشاتمته صاحتي ساعة ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيّظ عليّ . فقلت : أنت ترى أني أمرتها أن تعني بما غنت ؟ فقال : أرى ذلك وأظنه ظننا لا والله ولكني أتيقنه . خلقت له بالطلاق على بطلان ظنه وأنصرفنا .

وحكى قال يحيى بن زياد المحاربي لمطيع بركان صديقا له : أنطلق بنا إلى قلانة صديقتي ، فإن بني وبينها مفاضة تُصلح بيننا وبس المصلح والله أنت . قال : فدخلنا عليها ، فأقبلا يتعاتبان ومطيع ساكت ، حتى إذا أكثر قال يحيى : مايسكتك ؟ أسكت الله أمتك ! قال مطيع :

أنت معتلة عليه وما زالا مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى وهش له . فقال مطيع :

فدعيه وواصل ابن إياس . جيلت نفسه الفداة فذاك

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت فما زال يحلدهما رأسه ويقول : ألمذا جئت بك يا بن الزانية ! ومطيع يفتوت حتى ملّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه .

وروى عن محمد بن الفضل السكوني قال : رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن

مطيع بن إياس زنديق وأنه يلازم أبنه جعفر وجماعة من أهل بيته ، ويوشك أن

يفسد أديانهم أو يُنسبوا إلى مذهبه . فقال له المهدي : أنا به عارف ، أما الزندقة

فليس من أهلها ، ولكنه خيث الدين فاسق مستحل للحارم ؛ قال : فأحضره وأنه

عن صحبة جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهدي وقال له : يا خيث يا فاسق ! لقد

(١) في الأصول : « خطا » ، والتصويب عن الأغاني .

(٢) الأمة : الصوت . وأسكت الله تعالى ثأره أي أماته .

(٣) عوث الزيل : قال واغوثاه .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « دنياه » وهو لا يستقيم مع السياق .

أفسدت أُنحى ومن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغتني أنهم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم في الناس ، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليهم الزنقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك ! ياربيع أضربه مائة سوط وأحبسه . قال : ولم يا سيدي ؟ قال : لاني سبكر خير

(١)

قد أفسدت أهلى كلهم بصحبتك . فقال له : إن أدبت لي وسمعت احتجاجت . فقال له : قل ؛ فقال : أنا أمرؤ شاعر ، وسوق إنما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندي ، وأنا في أيامكم مطروح ، وقد رضى منها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ؛ فإن كان ذلك غالبا عندك تبث منه . فأطرق المهدي ثم رفع رأسه فقال : قد رفع إلى

صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال ، وتضحك منهم . قال : لا والله ما ذاك من فصل ولا شأني ولا جرى مني قط إلا مرة واحدة ؛ فإن سائلا أعمى أعترضني وقد عبرت الجسر على بقلتي ، فظنني من الجند فرمى عصاه في وجهي ، ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يعطى الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وترجع التجار عليهم فتدثر أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا على منها . ففترت بقلتي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء . فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر فضولا منك ، سئل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول . فضحك الناس منه ورفع علي في الخبر [قولي له هذا] . فضحك المهدي وقال : خلوه ولا يضرب ولا يحبس . فقال له :

أدخل عليك لموجة وأخرج عن رضا وتبرا ساحتى وأنصرف بلا جائزة ! قال :

٢٠

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « على » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مطروح » بالواو وهو تصحيف .

(٣) زيادة عن الأغاني (ج ١٢ ص ١٠١ طبع بولاق) .

لا يجوز هذا، اعطوه مائتي دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجند عنده ذنوبه، وقال له: أخرج عن بغداد ودع محبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين، ثم عد إلى . فقال له: فإين أقصد؟ قال: أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن اليك. قال: قد رضيت. فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي فولاه الصلقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبي هند فزله به .
وأخبره في هذا الباب كثيرة أغضيتنا عن كثير منها .

ذكر شيء من نوادر أبي الشبل

هو طاسم بن وهب بن البرأجم . مولاه الكوفة . نشأ وتأدب بالبصرة . وقد إلى سامراء أيام المتوكل ومدحه . وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون . فتفق عند المتوكل وخدمه وأختص به وأمنده بقوله :

أقبل فالتير مُقبِل * وأتركي قول المَطْل

وثقي بالصبح إن * أبصرت وجه المتوكل

ملك يُنصف يا ظا * لمتي فينا ويسيل

فهو الناية والمأ * مول يرجوه المؤمل

فامر له بثلاثين ألف درهم . وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدل على ظرفه سندكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق، وقدر أن يعطيه ألف درهم . فيمض اليه بصره مخومة فيها مائة دينار، فظن أنها دراهم فردها اليه وكتب معها :

فليت الذي جادت به كف مالك * ومالك مدسوسان في أمست أم مالك

(١) سامراء : لغة في سرمن رأى، وهي مدينة كانت بين بغداد وكريت .

وكان الى يوم القيامة في آستها * فأيسر مفقود وأيسر هالك
وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز . فلما قرأ الرقة أمر بإحضاره فأحضر وقال :
ما هذا ؟ ظلمتنا وأخذت علينا . فقال : قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة
درهم . فقال : أفتحها ففتحها فلذا فيها مائة دينار ؛ فقال : أغلني أيها الأمير . فقال :
قد أفلتت ولك كل مانع أبدا ما بقيت وقصدتني .

قال : وكان له جار طيب أحق ، فمات فرماه فقال :

قد بكاه بول المريض بدمع * واكف فوق مقتلته ذروف
ثم شقت جوبهن القوارب * رُعليه ونحْن نوح اللهيف
يا كساد الخيلار شبر والأف * راص طرا ويا كساد السفوف
كنت تمشي مع القوى فإن جا * ضعيف لم تكثر بالضعيف
لطف نفسي على صنوف رقاعا * ت تولت منه وعقل مخيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هيرة يشرب النبيذ ، وكان يشنأنا ،
وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها لهب ، كانت تشنأنا معه ، وكنت أعبت بها
كثيرا . فقام مولاه يوما الى الخابية يستقي نيفا ، فاذا قميصة قد أنشق ؛ فقلت فيه :

قالت له لهب يوما ووجد لها * بالشعر في باب فعلاّن ومفعول
أنا القميصُ فقد أزدى الزمانُ به * فليت شعري ما حال السراويل

قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضط على صوت العبدان وغيرها
في الإيقاع . فقلت فيه :

في الحى من لا علمت حخته * قى إذا ما قطعت وصلّا

(١) كلا في الأغاني (ج ١٣ ص ٢٣ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الجاية » وهو محريف .

(٢) في الأغاني : « أودي » .

له عجوزٌ بالحِيقِ أبصر^(١) من • أبصرته ضاربا ومرتبلا
 نادمته مرةً وكنت قى • مازلت أهوى واشتهى الفزلا
 حتى إذا ما أمالها مَسكرٌ • بيعت في قلبها لها مثلا^(٢)
 اتكأت يسرة وقد خرفت • أشراجها كي تهوّم الرّمل^(٣)
 فلم تزل إستها تطارحنى • إسمع إلى من يسومنى العِلا

وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي ، وكان إذا حضر
 أضحك الشكلى بنوادره . فقال له أبي يوما : حتشا ببعض نوادرِكَ وطرائفِكَ .
 قال نعم . من طرائفِ أموري أن أبى زنى بجارية سِنْدِيَّةَ لبعض جيرانى ،
 فخلت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين دينارًا . فقال : يا أبت ، الصبي واقه
 أبى ، فساومتُ فيه فقيل لى : خمسون دينارًا . فقلت له : ويك ! كنت تخبرنى وهى
 حبل فاشتريها بعشرين دينارًا وزبح الفضل بين التمتين ! وأمسكت عن المساومة
 بالصبي حتى أشتريته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدت أبتا آخر ، فبَاء
 يسألنى أن أبتاعه ؛ فقلت : عليك لعنة الله ، أى شىء حملك على أن تُحبل هذه ،
 هلا عزلت عنها ! فقال : إنى لا أستعمل العزل . ثم أقبل على جماعة عندى فجعل
 يقول : شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستعمله . فقلت له : إبن الزانية ! تستعمل الزنا
 وتُخرج من العزل ! فضحكك منه .

ذكر شىء من نوادر حمزة بن بيض الحنقى

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية ، وهو كوفى خلع ماجن . وكان مقطعا
 إلى المهلب بن أبى صُفْرَةَ وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وليل بن أبى بردة ،
 (١) الحيق : الضراط . (٢) كفا فى الأغاني . وفى الأمل : « شت »
 (٣) خرفت : أملت وصرفت .

وأكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما . يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء وريق وخملان وغير ذلك ألف ألف درهم . وله نوادر ، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني عنه :

- أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبت به عبتا شديدا . فوجه اليه ليلة رسول وقال : خذه على أي حالة وجدته ، وأحلفه وغلظ عليه الأيمان على ذلك . فمضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء ، فقال له : (٢١) أجب الأمير . فقال : ويحك ! إني أكلت طعاما كثيرا وشربت نبيذا حلوأ وأخذني بطني . فقال : والله ما تفارقني أو أمضي بك اليه ولو سلحت في ثيابك . بفهد في الخلاء فلم يقدر عليه . ومضى به ، فوجده قاعدا في طارمة له وجارية بحيلة جالسة بين يديه ، وكان يحفظها ، تسجر الند . فجلس حمزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيه . قال حمزة : فرضت لي ربح فقلت : أسرحها وأستريح لعل ربحها لا يظهر مع هذا الند ، فأطلقتها ، فغلبت والله ربح البخوز وعموته . فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : على عهد الله وميثاقه وعلى المنى والهدى إن كنت فعلت ! وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة . فغضب ، وتجلت الجارية لما قدرت على الكلام . ثم جاءتني أخرى فسرحتها ، فسطع والله ورحمها . فقال : ما هذا ؟ ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتى طالق ثلاثا إن كنت فعلتها . فقال : وهذه اليمين لازمة إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية ، وقال لها : ما قصتك ؟ ويلك ! قومي إلى الخلاء إن كنت تجددين شيئا . فزاد تجلها ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ربحها ما لم يكن في الحساب . فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ، ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض ، فقد قصمت على ليالي . فأخذت بيدها

وخرجتُ . فلقيني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أمضى هذه الجارية . فقال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت لَيُغْفِرَنَّكَ بِنَصِّها لا تنفع به بعده أبداً ، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يحفظها ، وسيتدم على هبته إياها لك . فأبيتُ إلا بمحبة دینار . فقال : ليس غير ما ذكرت لك . فأخذتها وتركتم الجارية . فلما كان بعد ثلاث دنانى عبد الملك . فلما قُرُبْتُ من داره لعيني الخادم وقال لى : هل لك فى مائة أخرى وتقول مالا يضرك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت قَادِجُ القَسَوَاتِ الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأنضع عن الجارية ما قَرَقَها به . فأخذتها ودخلتُ على عبد الملك . فلما وقفتُ بين يديه قلت له : الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحك . قال : لك الأمان . فقلت : أرايت ليلة كذا وكذا وما جرى ؟ قال نعم . قلت : فعلى وعلى إن كان فسا لك القَسَوَاتِ غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال فقلت : أردت بذلك خصالاً ، منها أنى قتُتُ قَضِيبتُ حاجتى وقد كان رسولك معنى من ذلك . ومنها أنى أخذتُ جاريتك . ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمشله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها الى فلان الخادم وأخذت مائتى دينار . فسرَّ بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجليل فعلك فى وَرَثَتِكَ أَخَذَ الجارية . قال حمزة : ودخلتُ اليه يوماً وكان له غلام لم ير الناس أتنَّ إبطاً منه . فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى هذا حتى يفوح صُنَانِكَا ، فأجابك كان صُنَانُهُ أتنَّ فله مائة دينار . فطيمعتُ فى المسألة ويُسْتُ منها لما أعلمه من قَنِّ إبط السلام ؟ فقلت : أقبل . وتعادينا ساعة فسبقنى ، فسَلَحْتُ فى يدي ثم طليت إبطى بالسُّلَاحِ ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكا ، فلما

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وماذا » . (٢) اضح ، أى ادفع منها .

دنا الغلام منه وشبه وشب وقال : هذا واقه لا يُسَاكَله شيء . فصاحت به : لا تعجل
على بالحكم ، مكانك ! ثم دنوت منه فألقمت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط
دماغه وأنا ممسك رأسه تحت يدي ، فصاح : الموت واقه ! هذا بالكُفِّ أشبه
منه بالإبط . فضحك عبد الملك ثم قال : أضحكت له ؟ قال نعم . فأخذت الدنانير .
قال : ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك . فلما مثلت بين يديه قلت :
رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ شَتَّتَ نَرًّا * عَلَى بَنَفْسٍ وَأَقْضِيَتْ دِيْنِي
فَصَلْتُ بِأَفْئِدَتِكَ النَّفْسُ رَوْيَا * رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ لَدَيْكَ عَيْنِي
قال سليمان : يا غلام ، أدخلك خزانة الكسوة واشتق عليه كل ثوب خز بنفسجي ،
نخرجت كاني مشجب^(١٢) . ثم قال : كم دينك ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمر لي بها
وما أطمع والله أنني رأيت من ذلك شيئاً .

ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عفا الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، من بني حنيفة أهل البجامة .
وأبى ياسر في بنياء في خلافة المنصور . فلما صار في يد المنصور اعتقه ؛ فهم موالى
بني هاشم . وكان أبو العيناء ضرير البصر ، يقال : إن جدّه الأكبر لقي على بن
أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالمعنى ؛ فكل من عيى
منهم فهو صحيح النسب . وهو ممن أشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستظرفة ،
ومراسلات عجبية ، سأورد منها طرفاً ، وأسطر طرفاً . فمن ذلك : أن بعض الرؤساء
قال له : يا أبا العيناء ، لو مُتَّ لرقص الناس طرباً وسرورا . فقال بديهة :
أَرَدْتُمْ مَتَعِي فَأَجَلْتُ مَدِي * بِمَحْنَدِ اللَّهِ ذَلِكَ لَا بِمَحْنَدِي

فلا تك واقفا أبداً بمعبد * فقد باقى القضاء بغير عمدك

ثم قال : أجل ! البأس قد ذهبوا ، فلورآنى الموتى لطربوا لدخول مثلى عليهم ، وحاول عقلى لنسهم ، ووصول فضلى اليهم ؛ فما زال الموتى يفتطونكم ويرحمونى بكم .

وقال : وآتصلت أشغال أبى الصقر الوزير ، فتأخر توقيعه عن أبى العيناء

برسومه . فكتب اليه : رقتى ، أطال الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شُكَّك

فأطرح عدلك ؛ وحقق أمرك فبسط عُدرك . أما والليل إذا عمس ، فالبنان

لبنت الدنان ، ومُلامسات الحسان ؛ وأما والصبح إذا تنفس ، فالبنان للعنان ،

ومؤامرات السلطان ؛ فن أبو العيناء القرنان^(١) ! . فوقع أبو الصقر تحت سطوره :

لكل طمام مكان ، ولكل مغوز إمكنان ؛ وقد وقعتا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظاً

من المقسوم ؛ وكفينا أنفسنا عُدرك الذى هو تمزير ، ولسانك الذى هو تمخدير .

والسلام .

ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبهِ فقال : طاعة شيمك لسلطان كرمك ، أزميتك

الصبر على ذنوبى إليك ، وتجنبت خلقى عليك . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ،

يستغرق يسير سيناتك . فدعا له وأنصرف شاكراً . قال : وبسط أبو العيناء لسانه

على أهله فى بعض الدواوين . فقال له قى من أبناء الكتّاب كانت فيه جراءة : كل

الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبى على البصير . فقال له أبو العيناء :

قد ملكنا عصمتك بيقين خُوالك ، ثم تنظر فى شكوك دعواك ، وقد طلقت الناس

كلهم سواك ؛ ذلك أدنى آلا نول ، وفيك ما يروى الفحول ، ويتجاوز السول .

قال : ففضضه بهذا الكلام ، فلم يُجبه . قال : وكان فى بنى الجراح قى خليج ماجن

فأراد البعث بابى العيناء ؛ فنهاه تصحاؤه فأبى ؛ فقالوا : شاكك . فقال له :

(١) القرنان : من لائحة له .

يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له القتي : إذا قد علمت أنك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وسترى أئى السلطانين أقوى - وأئى الشيطانين أغوى؛ وسيعلم أهلك، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فقبلاً من ذنبيه، ودفعه إليه برئته . فقال له أبو العيناء : قد وهبتُ جوره لعدلك ، وتصدقتُ بحقه على عقلك .

ومن أخبار أبي العيناء أيضاً : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برزون زعم أنه غير فارده، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا عليّ محمداً أراد أن يبرئ فقنّى، وأن يركبني فأرجلني ! أمر لي بدابة تقف للنبرة، وتسرّ بالبعرة، كالفضيب اليابس جففاً، وكالعاشق المجهود دقاً، يساعد أعلاه لأسفله، حباقة ^(١) مقرون بسأله؛ فلو أمسك لترجيت، أو أفرد لتعزيت؛ ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مُرشد، أو شاعر مُنشد؛ تضحك من فعله النسوان، ويتناخى من فعله الصبيان؛ فن صائح يصيح : داوه بالطباشير، ومن قائل يقول : نقّ له من الشعر . قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار؛ فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشامي . وإنما أتيت من كاتبه الأعر، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإذا أختار لغيره أخبث وأزبر . فإن رأى الوزير أن يُدليني ويربّحني بمركوب يضحكني كما يضحك منى، يحو بحسنه وفراسته، ما سطره العيب بقبحه ودماسته . ولست أرد كرامة، سرجه ولجامة؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يحميه . فوجه إليه عبيد الله برزوناً من براذينه بمرجه ولجامة . ثم اجتمع محمد

١٣٣

ابن عبيد الله عند أبيه . فقال عبيد الله لأبي العيئة : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا يُستَكى . فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستريدا ، لم أنصرف مستفيدا . وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : (الآن حَصَّحَصَّ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) . فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة ، بلاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة . ودخل أبو العيئة على أبي الصُّقْر وكان قد تأخر عنه ، فقال : ما أتحرك عنا ؟ قال : سُرِقَ حماري . قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فلم تأت على غيره ؟ قال : أبعدني عن الشراء قلّة يساري ، وكرهت ذلّة المكاري ، ومنّة العواري . قال : وصار يوما الى باب صاعد بن محمد ، فقبل له : هو مشتقون يصلّ ، فقال : لكلّ جديد نذّة . وكان صاعد نصّرانيا قبل الوزارة . وقال له صاعد يوما : ما الذي أتحرك عنا ؟ قال : بقي . قال : وكيف ؟ قال : قالت لي : يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا فتأتي بالخِلعة السريّة ، والجاوّة السفية ، ثم أنت الآن تغدو مُسَيِّفاً ، وترجع مُعْتِمًا ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الدرايتين . قالت : أعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيشقّ عليك ؟ قلت : لا . قالت : أرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا أبت لم تعبُدْ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يفنى عنك شيئا ! .

وقال له رجل من بني هاشم : بلشني ألك بقاء . قال : ولم أنكرت ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مولى القوم منهم" ؟ قال : إنك دعيت قينا . قال : ينأى صحّح نسبي فيكم . وسأل أبو العيئة الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحب له ، فكتب الكتاب وناول الرجل ، فماد به الى أبي العيئة وقال : قد أسعف . قال : فهل قرأته ؟ قال : لا ، لأنه مختم . قال : ويحك ! فضّه لا يكون صحيفة المتلمس . فضّضه فاذا فيه : مُوصَّل كتابي سألني فيه أبو العيئة ، وقد عرفت

- سفهه وبذاء لسانه ، وما أراه لمعروفك أهلا . فإن أحسنت إليه فلا تحسبه على يداء ، وإن لم تحسن إليه لم أعدّه عليك ذنبا ، والسلام . فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان . فحجل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء ، هذه علامتي فيمن أعنى به . قال : فإذا بلغك أنك صاحبي قد شتمك فأعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء : مررت يوما بدرب بسامراء ، فقال لي غلامي : يا مولاي ، في الدرب حمل سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيئاساني وصرت به الى منزلي . فلما كان من الغد جاءني رُصعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنا بالأمس حمل ، فأخبرني صبيان دربتنا أنك أنت سرقت ، فأمر برده متفضلا . قال أبو العيناء : فكتبت إليه : أي سبحان الله ! ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربتنا يزعمون أنك بقاء وأكذبهم ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صبيان دربك أني سرقت الحمل ! . قال فسكت وما عاودني . ولأبي العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل في هذا الباب وتركنا ما سواه .

ذكر ما ورد في كراهة المزاح

- روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَنْ مَزَحَ اسْتَخَفَّ بِهِ» . وقال حكيم : خير المزاح لا يُنال ، وشَرُّه لا يُقال ؛ سكرات الموت به مُحْدَقَة ، وعيون الآجال إليه مُحْدَقَة . وقال آخر : تجنب شؤم المنزل وتكد المزاح ؛ فإنهما بابان إذا قُصُتا لم يُفْلَقَا إلا بعد عسر ، وخِلان إذا لَقِحا لم يَتَجَا غيرَ ضَرٍّ . وقالوا : المزاح يضع قدر الشريف ، ويذهب هيبة اللليل . وقالوا : لا تقل ما يسوءك عاجله ، ويضرّك آجله . وقالوا : لِمَاك وما يُسْتَجَبَّع من الكلام ، فإنه يُنْفَرُ عنك

الكرام، ويُحَسِّرُ عليك اللثام . وقال عمر بن عبد العزيز : آتوا المزاح ، فإنها حَقَّةُ
تورث ضغينة . وقال حكيم لأبيه : يا بني ، إياك والمزاح ، فإنه يذهب بيهاء الوجه
ويحط من المروءة . قال شاعر :

١٠
إِحْزَنَ لِنَفْسِكَ مَا لِعَيْنِكَ تَكَرُّهٌ • وَأَفْعَلَ لِنَفْسِكَ فَعْلَ مِنْ يَتَرَهُ
وَأَرْفَعَ بِصَمْتِكَ عَنْكَ سُبَاتِ الْوَرَى • خَوْفَ الْجَوَابِ فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ
وَدَعَ الْفَصَاكَهَ بِالْمَزَاحِ فَإِنَّهَا • تُودِي وَتُسْقِطُ مَنْ بِهَا يَتَمَكَّهُ
وقيل :

أَلَا رَبِّ قَوْلٍ قَدْ جَرَى مِنْ مِمَازِجٍ • فَسَاقَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ الْجَبَلِ
فَإِنَّ مِزَاحَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ • دَلِيلٌ عَلَى فِرَاطِ الْحَاقَةِ وَالْجَهْلِ
وقيل :

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِزَاحَ فَإِنَّهُ • يُجَرِّى عَلَيْكَ الْعُفْلَ وَالرَّجْلَ التَّدْلَا
وَيُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ • وَيُورِثُ بَعْدَ الْعَزِّ صَاحِبَهُ ذُلًّا

وقال بعض البلغاء : المزاح تحرف ، والاقتصاد فيه ظُرف ، والإفراط فيه تدامة .
وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر
أسباب التقطيع المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه ^(١) فليكن بمقدار الملح
في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

أَفِذْ طَبْعَكَ الْمَكْثُودَ بِالْمِزَاحَةِ • تَرَاهُ وَعَلَّاهُ شَيْءٌ مِنَ الْمِزَجِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَهِ الْمِزَجَ فَلَيْكِنْ • بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلَحِ

وقيل :

إِمرَحْ بِمَقْدَارِ الطَّلَاقَةِ وَاجْتَنِبْ * مَرَحًا تَضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
لَا تُفَضِّلَنَّ أَخَا إِذَا مَارَحْتَهُ * إِنَّ الْمَرَّاحَ عَلَى مَقْدَمَةِ الْفَضْلِ

وقيل :

- مَارَحَ صَدِيقُكَ مَا أَحَبَّ مَرَّاحًا * وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَرَّاحِ جَحَا
فَلَرَبَّمَا مَرَّحَ الصَّدِيقُ بِمَرَحَةٍ * كَانَتْ لِبَدِهِ عِدَاوَةٌ مِفْتَاحًا
وقال سعيد بن العاص لولده : يَا بَنِيَّ ، اقْصِدْ فِي مَرَّاحِكَ ، فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِيهِ يَنْهَبُ
الْبَهَاءَ ، وَيُجَرِّئُ السُّفَهَاءَ . ويقال : الْمَرَّاحُ أَقْوَلُ فَرَحٍ ، وَأَتَرَهُ تَرَحٌ . قال أبو العاتية :
وَرَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخَدْنَهُ * فِي بَعْضِ مَنَاطِقِهِ بِمَا لَا يُفْقَرُ
ويقول كنتُ مَلْعَبًا وَمَمَّارَحًا * هِيَاةً ! تَارُكٌ فِي الْحَشَا تَسْمُرُ
الْقِيَمَاتِ وَطَفِيفَتِ تَضْحَكُ لَاهِيًا * وَفَوَّادُهُ مِمَّا بِهِ يَتَقَطَّرُ
أَوْ مَاعِلَمَتٍ وَمِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ * أَنَّ الْمَرَّاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَكْبَرُ
فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون ، يفرح لها قلب المحزون ، وتزول عنه
الشجون . فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزارعين .

- ١٥ ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه
وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن ، ما رَقَلَتْ مَعَانِيهِ فِي حُلُلِ أَنْفَاسِهِا
على صفحات أطراسها ، وَأَهْلَتْ مَقَانِيهِ بِمَا أَوْدَعَهُ لِسَانُ الْقَلَمِ صَدْرَ قِرْطَاسِهَا مِنْ
بَدِيعِ لِيْسَانِهَا . يُضْحِكُ سَامِعَهُ وَإِنْ كَانَ تِكْلًا . وَيُسْتَوِفِيهِ وَإِنْ كَانَ تَجْلًا . هذا مع
ما فيه من حُسْنِ الْقَوْلِ الَّذِي إِذَا تَأَمَّلْتَهُ فِي مَوْضِعِهِ كَانَ أَزْيَنَ مِنْ عَقُودِ اللَّاتِي ،

وإن لمحبته في غيره كان أقفر من ظلم الليالي . نسأل الله المساعدة لكتبه وقائله ،
ومستمعه ونافله . فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء :

يا أبا أحمد بنفسى أفسديك وأهلى من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طاء * عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى سبال مبعرك الندى * ل غريقا في المزة الصفراء
وقال الحسن بن هاني :

للطمئة يطمنى أمرد * تأخذ من العين والفقك
أطيب من نقاعة من يدي * ذى لجة محشوة مبعكا
وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الجلاج :

قومي تحتي فليس من شاني * قومي أذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهر عليك حصتي * ولا زمان اليك ألباني
فعلت نفسين فوق طمئنتي * ما بين راحي وبين ريماني
لما عدمتنا من الكنيف وقد * حضرت الإبنات ورداني
وقال أبو بكر محمد الخوارزمي :

فسا الشيخ سهواً وفي كفه * شراباً فلئناء لوماً قيعا
فقال لي المخل والخرج لي * فادخلت راحا وأخرجت ريماً
وقال ابن سكرة الهاشمي :

وبات في السطح معي صاحب * من أكرم الناس ذوى الفضل
أفسو فيفسو فهو لي مُعيد * وإنما أملي ويسئل

(١) المجلس : الرجيع . (٢) العذل : الروح .

(٣) بنات وردان : دواب حراء اللود وأكثر ما تكون في الحمامات وفي الكنف .

الباب الرابع

من القسم الثالث من الفرق الثاني

- في الخمر وتحريمها وآفاتنا وجناباتها وأسمائها، وأخبار من نثره عنها في الجاهلية،
ومن حُد فيها من الأشراف، ومن أشتهر بها، وليس ثوب الخلاعة بسببها،
وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها وآنيتها، وما قيل
في مبادرة اللذات، وما وُصفت به المجالس وما يجري هذا المجرى

ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها

- أجمع الناس على أن الخمر المحرمة في كتاب الله عز وجل هي المتخذة من عصير
العنب بعد أن يغلي ويقذف بالزبد من غير أن يمسها نار. وإذا أقبلت بنفسها وتخللت
طهرت من غير أن يستحب في ذلك بشيء يلقي فيها. وطهارتها إذا غلبت عليها
المخوضه وفارقتها النشوة. والخمر المتخذة أيضا من التمر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الخمر من هاتين الشجرتين
النخلة والعنية». وفي حديث آخر: «من هاتين الشجرتين الكرمة والنخلة». وعن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا بعد، أيها الناس: إنه نزل تحريم الخمر وهي من
خمسة، من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير». والخمر ما خامر العقل.
ولا خلاف بين أحد من الأئمة في أن الخمر حرام، لما ورد في ذلك من الكتاب
والسنة. أما ما ورد في كتاب الله عز وجل فأربع آيات، منها ما يقتضي الإباحة،
ومنها ما يقتضي الكراهة والتحريم. فأقول ما نزل فيها بمكة قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ

تَحْيَا بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ * وَهَلْ لِي بَعْدَ رَهْطِكَ مِنْ سَلَامٍ
تَدْرِي أَصْطَبِحَ يَكْرًا ظَنَى * رَأَيْتُ الْمَوْتَ كَفَّتْ عَنْ هِشَامٍ
وَوَدَّ بَنُو الْمُغْتَرَةِ لَوْ قَدَّوْهُ * بِالْفِ مِنْ رِجَالِ أَوْ سَوَامٍ

1.

في أبيات أخر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء قَزَاطَ يحز رداءه حتى انتهى إليه ، ورفع شَأْكَان في يده ليضربه ؛ فلما عاينه الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبداً ، ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾ . وروى أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ، وكان نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أصبْتُ شَارِقاً^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَقَمِّ يوم بدر ، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارقاً أخرى من الخنفس . قال علي : فلما أردت أن أبتقي بها طامة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدتُ رجلاً صَوَّافاً من بني قَيْتِقَاعَ^(٢) يتحل معي فتأني بإذْخِرَ^(٣) أردت أن أبعده من الصَّوَاغِينِ فاستعين به علي وليمة عُمَرَى . فبينما أنا أجمع لشارقي متاعاً من الأفتاب والفرائر والحبال ، وشارفاي مُنَاخِتَانِ إلى جنب شجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعتُ ما جمعتُ ، فلذا شارفاي قد أَجْتَبْتُ^(٤) أَسْمَتَهُمَا وَبُقِرْتُ خَوَاصِرَهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أِكَادِهِمَا ، فلم أملك نفسي حين رأيت ذلك المنظر منهما [أن] قلت : مَنْ فعل هذا؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شَرْبٍ من الأنصار ، غتته قِيَّةً وأصحابه ، فقالت في غنائها :

• أَلَا ياحزَرَ الشُّرْفِ النَّوَاءِ •

(١) الشارف : المسة المهرمة من النوق .

(٢) بنو قَيْتِقَاعَ (بفتح القاف وتثنية النون) : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .

(٣) الإذْخِرَ : حشيشة طبية الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب . (٤) زيادة يقتضها السياق .

— لم يذكر مسلم في صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه . والآيات التي غنت بها :

ألا يا حمز للشرف ^(١) التواء * وهن ممقلاتٌ بالقناء

ضع السكين في اللات منها * فضرَّجُهنَّ حمزةٌ بالدماء

وعجَّل من شرائحها كجأاً * ملهوجةٌ ^(٢) على وُجج الصلاء

وأصلح من أطايبها طيغاً * لشريك من قديدٍ أو شواء

فانت أبا عمارة المُرَجَّى * لكشف الضر عنها والبلاء

١٠ — فقام حمزة بالسيف فاجتبأستمتها وبقر خواصرها وأخذ من أجادها .

فقال على : فأطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن

حارثة . قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مالك ؟ " قلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم

قط ، عدا حمزة على ناقتي فأجتبأستمتها وبقر خواصرها وما هو ذا في بيت معه

شرب . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا

وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذي فيه حمزة ، فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شرب ،

فطفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل وإذا حمزة بحمرة عيانه فنظر

١٥ حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر إلى

سرتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أتم إلا عيلاً لأبي ! فعرف

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تمَّل ، فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه

الفقهري ونخرج ونرجنا معه . وفي حديث آخر : أت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لعلي : " إن عمك قد تمَّل وهما لك على " فغريمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشرف : جمع شارف وهي الناقة المسنة كما تقدم قريبا .

(٢) ملهوجة : غير ناجية .

- لملى . فلما أصبح حمزة غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر . فقال : "مه
 ياعم فقد سألت الله فعفا عنك " . قالوا : واتخذ عتيان بن مالك صنيعة ودعا رجلا
 من المسلمين ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا
 منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم أفتخروا عند ذلك وأنسبوا وتناشدوا
 الأشعار ، وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار ونفر أقومه ؛ فقام رجل من الأنصار
 فآخذ لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موحجة . فانطلق سعد الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الأنصار . فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بين لنا
 رأيك في الخمر بيانا شافيا ؛ فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة (لَا تَمَسُّ
 يَدُ الشَّيْطَانِ) الآية الى (مُتَهَوِّنَ) . فقال عمر : اتيننا يارب . وقيل : إنها
 حُرِّمَتْ بعد غزوة الأحزاب بإيام في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة . والله أعلم .
 ١٠ قال أنس رضى الله عنه : حُرِّمَتْ ولم يكن للعرب يومئذ عيشٌ أعجبُ منها ، وما
 حُرِّمَ عليهم شيء أشد من الخمر . قال : فأخرجنا الحِجابَ الى الطريق فصبيتنا ما فيها ،
 فتنا من كسر حُجَبِه ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولقد غودرت أَرْزَقَةُ المدينة بعد
 ذلك حِيناً ، كلنا مُطِرَتْ أسنان فيها لون الخمر وفاحت ريحها .
- ١٥ وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : صُكِّنَتْ ساقُ القوم يوم حُرِّمَتْ الخمر
 في بيت أبى طلعة ، وما شراهم إلا قِضِيخُ البسروا التمر ، فاذا متايد ينادى ، فقال القوم :
 أخرج فأنظر ، فاذا متايد ينادى : ألا إنا الخمر قد حُرِّمَتْ ، قال : بَحَرَّتْ في سلك المدينة .
 فقال لى أبو طلعة : أخرج فأهريقها فهرقها . فقالوا أو قال بعضهم : قُتِلَ فلان !
 قُتِلَ فلان ! وهى فى بطونهم ، فأنزل الله عز وجل : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا آمَنُوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) .
 ٢٠ (١) فى الأمل : «فهم» . (٢) القضيخ : نبيذ يمدل من البسروا التمر .



وأما ماورد في تحريمها في كتاب الله وبينته السنة، فالأحاديث متضاربة

في تحريمها . فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من

مات وهو مدمنٌ نجسٍ لقي الله وهو كهايدٍ وزن » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخل الجنة مدمنٌ نمر » . وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيرد عليه ذلك

ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى

الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كرهه أن يصنعها ، وقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال :

« إنها ليست بدواء ولكن داء » . وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قدم من

جيشان (وجيشان من اليمن) فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه

بأرضهم من الدرة يقال له المزرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أو مسكر هو »

قال نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام إن على الله عهداً

لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » . فقالوا : يا رسول الله ، وما طينة

الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر نجس وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا

فوات وهو يئمنها لم يقب لم يشربها في الآخرة » وفي لفظ : « حريمها في الآخرة

فلم يسقها » وفي لفظ : « إلا أن يتوب » . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال : حُرِّمَتِ الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كل شراب . وعنه رضي الله عنه :

من سره أن يجرم ما حرم الله ورسوله فليحزم النيزد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا

يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »

أنعجه البخاري في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ



- والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طُبِّخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . سُمِّيَ بذلك لأنه شبه بطلاء الإبل في تحنُّه وسواده . وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كلَّ عَصِيرٍ طُبِّخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يُكرهُ ، وإن طُبِّخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربهُ وبيعهُ إلا أن السكر منه حرام . وحجته في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن أَرْزُقِ المساكين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما بعد ، فاطبخوا شرايكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له اثنين ولكم واحد . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أتَ نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال : هذا لي ، وقال : هذا لي ؛ فاصطلحا على أن نوح ثلثها وللشيطان ثلثها . وسئل سعيد بن المسيب : ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله عنه ؟ فقال : الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وحكى أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار في مُثُلٍ لم يسكر البتة . ودليل ذلك ما حكى عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز : ألا تشرَبوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، وكلَّ مسكرٍ حرامٌ . هذا الذي عليه أكثر العلماء . وقال قوم : إذا طُبِّخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالا ، وهو قول إسماعيل بن عُلَيَّة

(١) الثخن : النطخ .

(٢) المثلث من الشراب : الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه .

وبشر المرئسي وجماعة من أهل العراق . وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذي رُخِّص فيه إنما هو الرِّب والدُّبُس . والله عز وجل أعلم .

ذكر آفات الخمر وجنباياتها

وآفات الخمر وجنباياتها كثيرة، لأنها أم الكبائر . وأول آفاتنا أنها تُذهب العقل، وأفضل ما في الإنسان عقله، وتحسن القبيح وتصح الحسن . قال أبو نؤاس الحسن ابن هاني عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف :

إسقى حتى ترائى • حَتَّى عِنْدِي الْقَبِيحُ

وقال أيضا :

إسقى جرًّا حُمِيًّا • تَرَكَ الشَّيْخَ صَبِيًّا

وَتَرَبَّهَ النَّتَى رُشْدًا • وَتَرَبَّهَ الرُّشْدُ غَيًّا

وقال أبو الطيب :

رَأَيْتُ الْمُدَمَّةَ غَلَابَةً • تُهَيِّجُ لِرءِ أَشْوَاقِهِ

نَسِيءٍ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيئِهِ • وَلَكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ

وَأَنْقَسُ مَا لَلْفَتَى لُبُّهُ • وَذَوِ اللَّبِّ يَكْرَهُ إِخْفَاقَهُ

وَقَدْ مِثَّتْ أَمِيسَ بِهَا مَيْتَةً • وَمَا يَسْتَهِي الْمَوْتُ مَنْ ذَاقَهُ

قالوا : وإنما قيل لشارب الرجل نديم، من التندمة ؛ لأن الرجل معافر الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه، فقيل لمن شارب « نادمه » لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له، كما يقال : جالسه فهو جليس له . والمعافر : المدين ، كأنه لزم عقر الشيء أى فُتاهه . وقد شهِر أصحابُ الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ،

(١) الرب : ما يطبخ من التمر، أو سلاطة غطاة كل ثمرة بعد اعتصارها . والديس : صل التمر .

وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغفيت عنه حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تُتَكَب، وما غَلَت دِنَانُكَ حتى تُتَرَف، وما رأوك بغيرهم حتى يفقدوك. قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جثتهم حيوك ألفا ورحبوا * وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إناؤهم مادارت الكأس بينهم * وكلهم رث الوصال مسوم
فهذا يبانى لم أقل بجهالة * ولعكنى بالفاسقين علم

- قيل : سقى قوم أعرابية مسكرا، فقالت : أشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا نعم . قالت : فما يدرى أحدكم من أبوه . وقال قُصَي بن كلاب لبيته : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدى بن حاتم : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : معاذ الله ! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم . وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلى . وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر فى الجاهلية ولا حرج عليك ؟ قال : إني رأيتها تُذهب العقل جملةً وما رأيت شيئا يَنْهَب جملةً ويعود جملة . وقال عبد العزيز بن مروان لُنُصَيْب
- ١٥ (٤١) ابن رباح : هل لك فيما يُبْرمُ المحادثة ؟ يريد المنادامة، فقال : أصلح الله الأمير ! الشَّعرُ مَقْلُوعٌ واللونُ مُرْمَدٌ ، ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلى ولسانى ، فإن رأيت ألا تَهْزُقَ بينهما فاقبل . ودخل نُصَيْبٌ هذا على عبد الملك ابن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله ؛ ثم دعا بالطعام فطعم معه . فقال له عبد الملك : هل لك [أن] تُنادِمَ عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تأملنى . قال : قد أراك . قال : يا أمير المؤمنين ، جلدى أسود وخطى مشوهٌ ووجهى قبيحٌ ولست
- ٢٠

في منصب ، وإنما بلغ بي مجالسك ومؤاكلتك عقي ، وأنا أكره أن أدخل عليه ما يُقَصُّه . فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضاً لَغَالَى النَّاسُ فِي ثَمَنِهِ ؛ فَالْحَبِيبُ لِمَنْ يَشْتَرِي بِمَالِهِ شَيْئاً لِيُشْرِبَهُ فَيُنْهَبَ عَقْلُهُ ! .

وقال الوليد بن عبد الملك للجباج بن يوسف في وقعة وفدها عليه وقد أكل : هل لك في الشراب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس بحرام ما أحللت ، ولكن أمنع أهل عمل ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ .

وقالوا : للنبذ حدان ، حد لا هم معه ، وحد لا عقل معه ؛ فلعليك بالأقول . وأتق الشاني .

ومن آفات الخمر آفتضاح شاربها بريحتها عند من يحتشم منه ويتقيه ويحافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكار شربها . والولادة تُحَدُّ بالاستِكْناه ؛ لأن نمارها يثبت في الفم اليوم واليومين بعد تركها . فمن شربها ساعة وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليه أحتاج إلى الانقطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة . وقد تحايل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها . فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المنز واليساسة والسعد والجناح والقرقل أجزاءً متساوية وجزءان من الصمغ ، ويُدق

(١) هوشيب عليه السلام . (٢) البباسة : قشر جرة المد .

(٣) السعد : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .

(٤) الجناح : نبات طيب الرائحة ، ويقال له : " الرأس " .

ذلك ويجعل ماء الورد يستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم، كما زعموا .
وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة أبيات فقال :

مرء وبساسة وسعد * الى جناح وماء ورد
ينظمها الصمغ إن تلاه * قرقل الهند نظم عقيد
أجزاؤها كلها سواء * والصمغ جزآن، لا تعدي
فيه لدى ميرة شفاء * وصول عريض وحفظ ود

ذكر أسماء الخمر من حين تُعصر الى أن تُشرب

الخمر اذا عُصر فأم ما يسيل منه قبل أن تطاه الرجل : السلاف ؛ وأصله من
السلف وهو المتقدم من كل شيء، وهو في مثل ذلك الخمرطوم أيضا . ويقال للذي
يمصر بالأقدام : المصير، والموضع الذي يُعصر فيه : المصرة . والنطل : ما عُصر
فيه السلاف ؛ ويقال للعاصر : الناطل، ثم يُترك المصير حتى يغلي فاذا غلا فهو خمر،
وقيل : سُميت خمرا لأنها تحاصر العقول فتخالطها . وقالوا : لأنها تُحمر في الإثناء،
أي تُغطى وهي مؤنثة . ويقال لها : القهوة، لأنها تُقهي عن الطعام والشراب، يقال :
أقهي عن الطعام وأفهم عنه اذا لم يشته . ومن أسمائها : الشمول، سُميت بذلك
لأن لها عَصَفة كعَصَفة الثَّيَال، وقيل : لأنها تشتمل القوم برمجها . ومنها : السلاف
والسلافنة والخمرطوم وقد تقدم معناها . ومنها : القرقف لأن شاربها يُقرقف اذا
شربها، أي يَرعد، يقال : قَرَقَفَ وَقَقَفَ . وقال أبو عمرو : القرقف اسم لخمير غير
صفة وأنكر قوْلهم سُميت بها لأنها تُرعد . ومنها : الراح لأنها تكسب صاحبها الأريحية
أي خفة العطاء . ومنها : المُقار لأنها عاقرت اللت ، وقيل : لأنها تعير شاربها

من قول العرب : كلاً بنى فلان عقاراً ، أى يعقر الماشية . ومن أسمائها : اللدامة
والمدام لأنها داومت الظرف الذى آتيت فيه . والرحيق ومعناه الخالص من
الغش . وقيل : الصافى . وقيل : العتيق . والكيت سميت بذلك لأنها اذ كانت
تضرب الى السواد . والجريال وهو صبيح أحمر سميت بذلك لأنها أيضاً . والسيئة
والسباء وهى المشتراة وأصلها مسبوغة ، يقال : سبأت الخمر اذا اشتريتها . والمشعشة
وهى المزوجة . والصبياء وهى التى عُصرت من العنب الأبيض . والشموس
شبهت بالذابة التى تجمع براكبها . والخندريس وهى القديمة . والحانية : منسوبة
الى الحانة . والماذية : اللينة يقال : غسل ماذى اذا كان ليثاً . والعانية : منسوبة
الى عانة . والسخامية : اللينة من قولهم : قطن سخام أى لين وثوب سخام . قال الرازي :
كانه بالصحصحان الأنجيل ^(١) . قطن سخامى بأدى غزل

والمرزة والمرأة لطعمها . والإسفنط ، قال الأصمى : هو بالرومية . والغرب ومعناه
الحدة ؛ وغرب كل شئ حده . ولعلها سميت بذلك لحقتها . والحميا ، وحمياً كل شئ ،
سورته وحدته . والمضطار : الخلة ويقال : المضطار بالضاد أيضاً . والخلطة :
المتغيرة الطعم . والمعقة : التى قد طال مكنتها . والإثم : اسم لها لعله وقع عليها لما
فى شرها من الإثم . والحق كذلك . قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقل • كذلك الإثم يفعل بالعقول

والمعرق : المزوج قليلاً ، يقال : عرقت من ماء أى ليس بكثير . ومن أسمائها :
القنيدى والقميج وأم زنبق والمقطب والطموس والسلسل والزرجون
والكففاء والجرباء والمانسة والطابة والتاجود والكأس والطلاء ، قال عبيد بن
الأبرص :

(١) الصحصحان : ما استوى من الأرض . والأنجيل : الراعي .



هي الخمر صرفاً تكتيُّ الطلاء * كاللثب يُسمَى أباجعةً^(١)

والباقِ والبَحْجُجُ : فارسِيان . والجَهْوَرِيّ . والمَقْدِيّ منسوبة الى قرية من قُرَى الشام . والمزاء من قولك : هذا أَمَزَى من هذا أى أفضل . والتبذ . والبثع : نيد العسل والسُّكْرَكَةُ من الذرة . والجمعة من الشعير . والفَضِيخ من البسر . والمِرْز من الحبوب

• ذكر أخبار من تنزّه عنها في الجاهلية وتركها تركها عرفاً عنها

- كان من تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جُدعان التيميّ وكان سيّداً جواداً من سادات قريش ، وسبب تركها أنه شرب مع أُمَيّة بن أبي الصلت التقيّ فأصبحت عين أُمَيّة مخضرةً بخاف طيبها اللهاب ، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة ، قال : وبلغ منّي الشراب ما أبلغ معه من جليسي هذا المبلغ ، فأعطاه عشرة آلاف درهم . وقال : الخمر على حرام ، لا أذوقها أبداً ، وقال فيها :

شربت الخمر حتى قال صهيي * ألسّت عن السّقاء بمستفيقي ؟

وحتى ما أوسّد في ميّتي * أنا ما به سوى التّرب السّحقي

- ومن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المقرئ ، والسبب في ذلك أنه سكر فغمز عُمَكة أخته أو أخته فهربت منه ، فلما سمعها أخبروه فحرم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك :

وجدت الخمرَ جاعّةً وفيها * خصالٌ تفضح الرجلَ الكريما

فلا وافهٍ أشربها حيّاتي * ولا أدعو لها أبداً نديما

(١) في اللان : وقالوا هي الخمر تكتي الطلاء * كما التّثب ... الخ .

ولا أعطى لها ثمتا حياتي * ولا أشفى بها أبدا سقيا
فإن الخمر تفضح شاربها * وتجشمهم بها أسرا عظيا
إذا دارت حياتها تلت * طوالع تسفّه الرجل الحليما

ومنها : طمر بن القلوب العدواني، قال :

سأله للفتى ماليس في يده * ذعابةً بقول القوم والمسال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها * حتى يفرق ربّ القبر أوصالي

ومنها : صفوان بن أمية بن حرث الكعبي وعفيف بن معديكرب الكندي
والأسلم بن ناعي من همدان ومقيس بن عدى السهمي وكان سكر بفعل يخط بيوله :
أنامة أو بعيرا، فلما أفاق وأخبر بذلك حريها .

ومنها : العباس بن مرداس السلي قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد
في جرأتك وبماحتك ؟ فقال : أكره أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيهم .

ومنها : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة .
وقال زيد بن غليان :

بئس الشراب شراب حين يشربه * يوهي العظام وطورا يوهي المصيب^(١)
إني أخلف مليكي أن يمدني * وفي المشيرة أن يزدى على حسبي

وقال رجل لسعيد بن مسلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى
وقليله للناس .

(١) كذا بالأصل ، ولعل صوابه "وطورا يوهي المصيب" .

ذكر من حَدَّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشهر
بها ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن أفتخر بشربها

فأما من حَدَّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط وهو أخو
عثمان بن عفان لأمه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات
وهو سكران ثم ألفت إليهم فقال : وإن شئتم زدكم ، بقلده عبد الله بن جعفر بن
يحيى عثمان رضى الله عنه ، ومن ذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجملتها في الباب الثاني
من القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضى الله عنه .

ومنهم : عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده بها عمرو بن العاص
سراً ، فلما قدم على أبيه جلده حدًا آخر علانية .

ومنهم : عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي شحمة ، حدّه أبوه
في الشراب فمات تحت حدّه .

ومنهم : عاصم بن عمر بن الخطاب ، حدّه بعض ولاية المدينة .

ومنهم : قدامة بن مظعون ، حدّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشهادة
علقمة الخصى وغيره .

ومنهم : عبد الله بن عروة بن الزبير ، حدّه هشام بن إسماعيل المخزومي .

(١٢)

ومنهم : عبد العزيز بن مروان ، حدّه عمرو بن سعيد الأشدق .

ومنهم : أبو نجیح التقي وأسمه عمرو بن حبيب ، وكان مغرماً بالشراب ،

حدّه عمر مراراً في الخمر ، وحدّه سعيد بن أبي وقاص مراراً وشهد القادسية وأبلى

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس . وفي الأصول : « سحمة » بالسين المهملة

وهو محريف .

بلاء حسنا، ثم حلف بعد القادسية ألا يذوق النحر أبدا ومات ثائبا عنها، وأنشد رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله :

اذا ميتٌ فأدْفني الى جنبِ كَرْمَةٍ * تُروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفسلة فإني * أخاف اذا مايت أن لا أدوقها

• فقال عبد الله : حدثني من رأى قبره بأرمينية بين شجرات كرم يخرج اليه الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبّوها على قبره .

ومنها : إبراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب، حذّه جماعة من عمال المدينة فلما طال ذلك طلع رجل الى أبي جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل الى المهدي وأمتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

١٠ له لحظات في حِصَافِي سريره * اذا كَرَّها فيها عِقَابٌ وثائل
له تربةٌ بيضاء من آل هاشم * اذا أسودَّ من لُومِ الترابِ الثبائل

فأستحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لي بكتاب الى عامل المدينة ألا يحذني على شراب ، فقال له : ويلك ! لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت ، قال : يا أمير المؤمنين، ولو عزلته ووليتني مكانه أما كنت تمرلني أيضا وتولّي غيري ! قل : بلى، قال : فكنت أرجع الى سيقى الأولى فأخذ، فقال المهدي لوزرائه : ما هؤلاء في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه سأل مالا سبيل اليه ، إسقاط حذ من حدود الله عز وجل ، فقال المهدي : له حيلة اذا أعتكم الخيل فيه ، اكتبوا الى عامل المدينة : مَنْ أتاكَ بأبن هرمة سكرانا فأضره مائة سوط وأجلد ابن هرمة بمائتين، فكان إذا شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بجانين ؟



وأما من شربها منهم وأشهرها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

منهم : يزيد بن معاوية شهر بشربها ، وكان يقال له : يزيد الخمر ، روى هشام ابن الكلبي عن أبيه قال : وجه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجدري ، وعند يزيد أمراته أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسكر وأنسا يقول :

إذا ارتفعتُ على الأتباط في عُرف * بدّر مران عندى أم كلثوم
فأبالي الذي لاهت جيوشهم * بالنقنونة^(١) من حمى ومن موم^(٢)

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت هاهنا ! الحق بهم ، وسيّر الى قتال الروم .

ومنهم : عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى : حمامة المسجد ، لأجهاده في العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافة إليه شرب ، فقال له سعيد بن المسيّب : بلغني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إى والله والدماء .

ومنهم : يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حباية^(٣) وسلامة ، وأخبره مشهورة .

ومنهم : ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خلع وقتل ، وله في ذلك حكايات وأشعار . منها : أنه سمع بشرامة بن الزندبوز الكوفي ، وكان من أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب ، فاستدعاه

(١) النقنونة : أسم جامع للتراثى من المصيبة وطرسوس وغيرها .

(٢) الموم : البرسام وأشد الجدري .

(٣) حباية وسلامة : فيثان مشهورتان كانتا له .

- بالكوفة الى دمشق فحمل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرارة ، ما أرسلت اليك
 لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا ،
 قال : وإنما أرسلت اليك لأسألك عن القهوة ، قال : أنا دهقنا الخبير ، ولقناها
 الحكيم ، وطيبها الماهر ، قال : فأخبرني عن الشراب قال : سئل عما بدالك
 • قال : ما تقول في الماء قال : لا بد منه ، والحمار شريكى فيه . قال : فاللبن ؟
 قال : مارأيت أنه إلا استحييت من طول ما أرضعتنى أمى به ، قال : فالسويق ؟
 قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع
 الامتلاء ، سريع الانفشاش . قال : فتبذ الزبيب ؟ قال : حاموا به على الشراب ،
 قال : فأنخر ؟ قال : تلك والله صديقة روى ، قال : وأنت والله صديق روى ،
 ١٠ قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب فيه على وجه الساء ؛ ومن شعر الوليد :
 (١٢) خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ثباتا يساوى ما حيت عقلا
 دعوا إلى سلمى والنبيذ وقينة * وكأسا ، ألا حسبي بذلك مالا
 أبأملك أرجو أن أخلد فيكم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا
 ومنهم : المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار ، منها : أنه شرب هو
 ١٥ ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر ، فتعامل المأمون وأبن طاهر على سكر
 يحيى ، فأشار الى الساق فأسكره ، وكان بين أبيهم رزم من الورد والرياحين ، فأمر
 المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والرياحين وصبروه فيه ، وعمل يتي شعر ودعا
 قينة جلست عند رأس يحيى وضت بالشعر :
 دعوته وهو حي لأحياء به * مكفنا في ثياب من رياحين
 ٢٠ فقلت قم قال رجل لا تطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لا تواتبنى
- (١) كذا بالأصول ، ولها « تعامل » .

فانتبه يحيى لرثة العود وصوت الجارية فقال :

ياسيدى وأمير الناس كلهم • قد جارى حكمة من كان يسقى
إنى غفلت عن الساق فصيرنى • كما ترائى سلب العقل والدين
فأنظر لنفسك قاض إننى رجل • أراح يقتلى والروح يحى

ومنهم : العباس بن على بن عبدالله بن العباس وهو عم المنصور ، كان يأخذ الكأس
بيده ويقول : أما العقل فتُفطن ، وأما المروءة فتُصحف ، وأما الدين فتُفسد ،
ويستك ساعة ثم يقول : وأما النفس فتُسَخِّن ، وأما القلب فتُسَجِّص ، وأما الحم
فتطردن ، أفتراك من تُفطن ! ثم يشربها .

ومنهم : بلال بن أبى بردة فضع بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرى :

وأما بلالٌ فذلك الذى • يميل الشراب به حيثُ مالا
بيت يمض حيق الشراب • كص الوليد يخاف القمصلا
ويصبح مضطربا ناعسا • تحال من السكر فيه أحوالا
ويمشى ضعيفا كشى التريف ^(١) • تحال به حين يمشى شكالا

ومنهم : عبد الرحمن بن عبدالله التقي - قاضى الكوفة وفضح بمنادمة سعد بن هبار

وفيه يقول حارثة بن بدر :

نهاره فى قضايَا غير عادلة • وليله فى هوى سعد بن هبار

ومنهم : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول :

هاك فأشرب يا خليلى • فى مدى الليل الطويل
قهوة فى ظل كرم • سبيت من نهر نيل

في لسان المرء منها • مثلُ لَدَع الزنجيل

إنما أَذْهَبَ مَالِي • طُولُ إِدْمَانِ الشُّمُولِ^(١)

وَحَتِينُ الْمَوَدِّ تَنْفِي • هَذَا ظَلِي كَجِيلِ

فَالطَّوِيلُ الْمُتَّقِي الْأَهْيَفُ كَالسَّيْفِ الْمُصْقِلِ

يَا خَلِيلُ أَقْيَانِي • وَاهْتَفَا بِالشَّمْسِ زُؤَلِي

قُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِيهَا • مِنْ نَصِيحِ أَوْ عَذُولِ

يَبْقَى مِنَ السَّابِّ وَالْمَا • رَ عَلَيَّ تَعَبُ الطَّلُولِ

وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بذك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لي،

فقالوا : أما فلان إذا شرب حرق ثيابه وثياب نديمه ، فقال : سوف يدع هذا

شربها ، قالوا : وأما فلان فلذا شربها حقاً في ثيابه ، قال : وهذا سوف يدعها ، قالوا :

وأما آدم فلذا شربها فأسكن ما يكون لايتال أحدًا بسوء ، قال : هذا لا يدعها أبدا .

وممنهم : حارثة بن زيد العدواني - رجل من تميم - دخل يوما على زياد ابن

أبيه وبوجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال : أصلى الله الأمير

ركبت فرسي الأشقر فجمع بي حتى صدمني الحائط ، قال : أما إنك لو ركبت

فرسك الأشهب^(٢) لم يصبك مكروه . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف

ابن قيس ، وكان الأحنف ينهأ عنها وهو لا يتهمى ويحبه بشعر في مدحها وقيل :

إن حاوثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسّن في حال صباه وحداثته .

وممنهم : والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي روى أبو نؤاس وأدبه وعلّمه الفزّة

وقول الشعر . حكى أن المنصور قال له يوما : ادخل إلى محمد - يعني المهدي -

وحديثه ، فدخل عليه ، فأقول ما أئتله قوله :

(١) الشمول : من أسما . الخمر - (٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر ، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو لا تكن ناسيا * وسقني لا تحبس ناسيا
وأردد على الهيثم مثل الذي * هجت به ويحك وسواسيا
وقل لساقينا على خلوة * أدن كذا رأسك من راسيا

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : لا تعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن

٤٥

يفسده .

وممنهم : أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شهب بن ربيعي
البربوعي ، حج به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر : إنك فتناء بيت الله
الحرام ومحل حرمة فدفع الشراب ، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب
ويشكي ويقول :

١٠ رضيعُ مدام فارق الرُّوحَ رُوعَه * فظلَّ عليها مستهلَّ المدامع
أديرا على الكأس إني قدنتها * كما قدَّ المفظومُ دَرَّ المراضع

ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا ، فقال له : أفسدت شرفك ، فقال :
لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت اليوم والى نراسان .

وممنهم : سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا .

١٥ ومنهم : الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هاني وكان خليعا ماجنا
مليح الشعر وهو الذي يقول :

ألا إنما الدنيا وصالٌ حبيبٍ * وأخذك من مشمولَةٍ بنصيبٍ
وعيشك من السماتِ ممتمعا * بفتنٍ من عزفٍ وشذوٍ مصيبٍ
وأنسُ وإنسان تاذُّ بقره * وبذلةٌ معشوقٍ ونومٌ رقيبٍ
وعُدَى ساعِلِ النهارِ ورفيقٍ * إلى الشمس لما أدنت بمغيبٍ

٢٠

ومنها : يحيى بن زياد وهو الذى يقول :

أعاذل ليت البحر نحرٌ وليتنى * مدى الدهر حوتٌ ساكن بِلْحة البحر
فاضحى وأمسى لا أفارق بِلْحة * أروى بها عظمى وأشفى بها صدرى
طوال الليالى، ليس عني بناضيب * ولا ناقص حتى أصير إلى الحشير

ومنها : أبو نؤاس الحسن بن هانىء من اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومطبعة
القيان، وله فى النثر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره
طروفا :

حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نؤاس، قد خلعت عنارك وأطلت
الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كفاك يفعل الأديباء ! فاطرق ثم قال :
فاؤلُ شريك طرْحُ الرءاء * وآخِرُ شريك طرْحُ الإزار
وما هناك الملامى بمثل * إمامة مجيد وإحياء عار
وما جاد دهرٌ بلفاته * على من يَضُنُّ بطلع المنار

فأنصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهيل
فاجر. ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره فى ذلك : أنه بلغ إخوانه عنه
أنه ترك الشراب واللذات وأخذ فى الزهد والصلاة فى أوقاتها فأجتمعوا إليه وأقبلوا
يهتثونه، فوضع بين يديه باطيةً وجعل لا يدخل إليه أحدٌ منه إلا شرب بين يديه
رطلاً وأنشد :

فالوا نزعَ ولما يعلمو وطرى * فى كلِّ أغيد ساجى الطرف ميس
كيف التزوع وقلبي قد تقسمه * لحظَّ العيون وقرع السن بالكايس
لاخير فى العيش إلا فى المجون مع الـ * لا كفاء والراح والريحان والآيس

ومسمع يتقنى والكموس لها • حث علينا بأحماس وأسديس
يا موري الزند قد أكتب قوادحه • إقيس اذا شئت من قلبي بمقياس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم • إذا نظرت فلم أبصر في الناس

وحدث الفضل بن سامة عن الثوري، قال : خرج الحسن بن هاني ومعه

مطييط صاحبه ، حتى أتيا دار خمار . فقال الحسن لمطييط : ادخل بنا نمزج بهذا
الخمار . فدخلوا فسأما فرد عليهما . فقال له الحسن : أعتلك نمر عتيقة يا خمار ؟
فقال : عندي منها أجناس ، فأيا تريد ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

مُجِبَّتْ خَيْفَةً وَصِيْنَتْ لِفَاعَت • بَكَلَاءِ الْعُرُوسِ بَعْدَ الصَّيَانِ
وَكَاكَ الْأَكْفُ تُصَبِّغُ مِنْ ضَوْ • سَنَاهَا بِالْوَرِيسِ وَالزَّعْفَرَانِ

١٠ فلا له الخمار قدحاً من نمر صفراء ، كأنها ذهبٌ مخلولٌ ؛ فشربه الحسن وقال :
أحسن من هذا أريد . فقال له الخمار : أي جفيس تريد ؟ قال : التي يقول فيها
الشاعر :

دَفَعْتَهَا أَيْدَى الْمَوَاجِرِ حَتَّى • صَبَّرْتُ جِسْمَهَا بِكَيْسِ الْمَوَاءِ
فَهِيَ كَالثَّوْرِ فِي الْإِنَاءِ وَكَالْتَا • إِذَا مَا تَصَيَّرُ فِي الْأَحْشَاءِ

١٥ فلا له الخمار قدحاً من نمر كأنها العقيق . فشربه وقال : أرفع من هذا أريد .
فقال : أي جلس ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر :

وَإِذَا حَسَا مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً • سَمَحَ الْوَضِيعُ كَفْعِلِ ذِي الْقَدْرِ
فِي لَوْنِ مَاءِ الْغَيْثِ إِلَّا أَنَّهَا • بَيْنَ الضُّلُوعِ كَوَاقِدِ الْجَمْرِ

فلا له قدحاً من نمر بيضاء ، كأنها ماء المزن . فشرب الحسن وقال للخمار :

٢٠ أنا ؟ قال : إني والله بأسدي ، أنا أعرف الناس بك . قال : من أنا ؟ قال :

أنت الذي يسكر من غير وزن . فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليه ما بقى
عندك من الضفة ، فأعطاه مائة درهم وأنصرف .

وقال الحسين بن الضحك : كنت مع أبي نُوَاس بمكة عام حج ، فسمع صويًّا
يقرأ (يَكَادُ الْبَرْقُ يَحْطُفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا أَضَاءَ لَمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) .
فقال أبو نُوَاس : في مثل هذا يجيء للحرصة حسنة ؛ فكر ساعة ثم أُنشدني :

وسيارة ضلّت عن القصد بعدما * تزلجهم أفق من الليل مظلم
فاصنوا الى صوت ونحن عصابة * وفينا قى من سكره يترنم
فلاحت لهم منّا على الثأى قهوة * كأن منها ضوء نار تضرّم
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم * وإن مُرِجَتْ حثوا الركاب ويمموا

قال : فحدث بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال : لا ولا كرامة ، ما سرقه
من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليل بهيم كلما قلت غورث * كواكب عادت لنا تسذيل
به الركب إنما أومض البرق يعموا * وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل
وقال أبو نُوَاس فيها :

ألا دارها بالماء حتى تلينها * فما تُكْرِمُ الصبأ حتى تهبها
أغالي بها حتى اذا ما ملتها * أهنّت لإكرام النديم مصونها

وقال أيضا :

تبهته والليل ملبس به * وأزحت عنه حشائه فانزاحا
قال أبيني المصباح ، قلت له أنشد : حسبي وحسبك ضوءها مصباحا

فصبت منها في الزجاج شربة * صكأت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فالبسها المزاج وشاحا
شك الزال^(١) فؤادها فكأنها * أبدت اليك برمجها ثقا
وقال أيضا :

رُذا على الكأس ، إنكا * لا تدران الكأس ما تُجدي
خوقاني الله جهدكما * وتكفيتيه رجاؤه عندي
لا تمزدا في الراح إنكا * في غفلة عن كنه ما تُسدي
لوقما ما نلت ما مُزجت * إلا بلمعك من الوجد
ما مثل ثملها اذا آشملت * إلا آشكال نسج على خد
إن كنتما لا تشربان معي * خوف الإله شربتها وحدي
وأخبار الحسن بن هاني فيها كثيرة، وفيها أوردناه منها كفاية .

ومنها : الترواني، كان شاعرا مطبوعا بليغا، من أهل الخلاعة المشهورين .
وكان آخر أمره أن أصيب في حانة تخار بين زقي نمر وهو ميت . وهو القائل
فيها :

كّر الشراب على نشوان مضطجع * قد هب بشرها والدّيك لم يصبح
والليل في عسكر حمر بورقه * من النجوم، وضوء الصبح لم يضيح
والعيش لا عيش إلا أن تبأكرها * نشوان تقتلهم النعيس بالفرج
حتى يظل الذي قد بات يشربها * ولا مراح به يختال كالسريح

(١) الزال : الحديدة يفتح بها ميزل المدن .

ومنهم : مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ . وكان شاعرا أدبيا ظريفا مشتهرا بالخلاعة
واللعب . وكان أصحابه على ذلك ، وهم يحيى بن زياد ، ووالبة بن الحُبَاب ، وحماد
عجور .

ومنهم : أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ . كان شاعرا فصيحاً ، لا يكاد يتقدمه أحد
لجزالة ألفاظه وحلاوة معانيه . وكان مولعا بالبحر مشتهراً بها مُدَمِّناً عليها ، أكثر
أشعاره فيها . فن شعره :

أُخْطِبُ لكَاسِكَ تَدْمَانًا تُشْرِبُهُ • أَوْ لَا فَتَأْتِمُ عَلَيَّ حِكْمَةُ الْكِتَابِ
أُخْطِبُهُ حَرًّا كَرِيمًا ذَا مُحَافَظَةٍ • تَرَى مُودَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ
وقال أيضاً :

وَكَمْ قَالُوا لَمْ تَمُتْ ، فَقُلْتُ كَأَنَّ • يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ
وَتَدْمَانًا يُسَاقِطُنِي حَدِيثًا • كَصَدَقِ الْوَعْدِ أَوْ غَضَّ الرَّقِيبِ

ومنهم : أبو هَقَّانَ . وكان شاعرا محسناً ، وخليفاً ماجناً . حكى أنه شرب مع
أحمد بن أبي طاهر حتى فنى ما عندهما ، وكانا يجوار العلاء بن أيوب . فقال ابن
أبي طاهر لأبي هَقَّانَ : تماوت حتى نحتال على أبي العلاء في أن ينيلنا شيئاً .
فرضى إليه ابن أبي طاهر فقال : أصلحك الله ! نزلنا جوارك فوجب حقنا عليك .
وقد مات أبو هَقَّانَ وليس له كَفَنٌ . فقال لوكيله : امض معه وشاهد أمره
وأدفع إليه كَفَنًا . فأتاه فوجده مُلقًى عليه ثوبٌ فتقرأه فضرط . فقال : ما هذا؟
فقال : أصلحك الله عَجَلَتْ لَهُ صَمْفَةُ الْقَبْرِ فَزَنَتْهُ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَ ، فضحك وأمر له
بدفنائه .

ومنهم : الأَقِشِيرُ . وكان مغرماً بالشراب مُدَمِّناً عليه . وهو القائل :
وَمُقَعِدِ قَوْمٍ قَدْ مَشَى مِنْ شَرَابِنَا • وَأَعْمَى سَقِيَاءَ ثَلَاثًا فَأَبْصَرَ

كَيْتُ كَانَ الْمَنْسِبُ الْوَرْدَ وَيُحْمُهُ * وَمَسْحُوقٌ هُنْدِيٌّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا
ومِنْهُمْ : النَّمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قَبِيلَةَ . وَكَانَ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَلَى مَيْسَانَ ، وَكَانَ مَدْمَنَ الشَّرَابِ . وَهُوَ الْقَاتِلُ :

أَلَا أُلْبِغَ الْحَسَنَاءُ أَتَى خَلِيلَهَا * بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي رُجُلَيْجٍ وَحَنَمٍ ^(١)
فَإِنْ كُنْتَ تَمْنَانِي فَبَالَا كَبْرَ آسِقِي * وَلَا تَسْقِيَنِ بِالْأَصْغَرِ الْمُشْلِمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُوءٍ * تَأْدُمُنَا بِالْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ ^(٢)
فَبَلَغَ الشَّعْرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثُمَّ تَقْرِئُ الْكِتَابَ مِنْ اللَّهِ الْغَزِيرِ
الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي
الْمَصِيرُ) أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي قَوْلُكَ :

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُوءٍ * تَأْدُمُنَا بِالْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

وَأَمَّا اللَّهُ فَقَدْ سَاءَنِي ! وَعَزَلَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : وَاقِهِ مَا كَانَ
مِنْ هَذَا شَيْءٍ ، وَمَا كَانَ إِلَّا فَضْلُ شَعْرٍ وَجَدْتَهُ وَمَا شَرِبْتَهَا قَطُّ . فَقَالَ عُمَرُ : أَظُنُّ
ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُ لِي عَمَلًا أَبَدًا . فَزَلَّ الْبَصْرَةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَفْزَعُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى
مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ومِنْهُمْ : عِمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَتْ :
لَا أَتَزَوَّجُكَ حَتَّى تَدَعَ الْحُمْرَ وَالزَّانَا . فَقَالَ : أَمَّا الزَّانَا فَنَاقِي أَدْعُهُ ، وَأَمَّا الْحُمْرُ فَوَجَدِي
بِهَا شَدِيدٌ . ثُمَّ أَشَدَّتْ وَجَدَهُ بِالْمَرْأَةِ فَصَاوَدَ طَلِبَهَا ، فَقَالَتْ : حَتَّى يَحْلِفَ بِطُلَاقِ يَوْمِ

(٤٨)

(١) الحنم : الجرعة الخضراء .

(٢) الجوسق : القصر .

يزنى أو يشرب خمرا؛ خلف لها وتزوجها . ومكث حينا لا يشرب، الى أن مرز
بجنار وعنده قوم يشربون وقينة تفنئهم وهو على غافة؛ فطرب اليهم وأرتاح ورمى
بثيابه الى الخمار، وقال : أسقمهم بها؛ ونحر لهم ناقته، ومكث أياما يطعمهم ويسقيهم
حتى أنفذ مامعه . ثم رجع الى أمراءه، فلامته، فأنشأ يقول :

أَقْلَى عَلَى اللُّؤْمِ يَا أُمَّ مَسَالِمَ * وَكُنِّي فَاثَ الْعِشِّ لَيْسَ بِدَائِمِ
أَسْرِكَ لِمَا صَرَّحَ الْقَوْمُ نَشْوَةً * نَحْرُوحِي مِنْهُمْ سَالِمًا خَيْرَ غَايِمِ
سَلِمَا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ * وَلَيْسَ الْخِلْدَاعُ مِنْ تَصَافِي التَّنَادِمِ
ثم قال لما : الحق بأهلك، وعاد الى ما كان عليه .



وأما من أفتخر بشريها وسبأها، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها،
وتضيفه الى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها . وشاهد ذلك قول امرئ القيس :
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلنَّذَةِ * وَلَمْ أَتَبْلُنْ كَاعِبَا ذَاتِ خَلْغَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَّوَّى وَلَمْ أَقْلِ * نَخْلِي كُرَّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
فقرن جوده في سبأ الرق يسأله في كراخليل . ولما أنشد أبو الطيب المتنبي
سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها :

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفَ * كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمْرُوكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِمَتْ * وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفْسُوكَ بِاسْمُ
فقال له سيف الدولة : استقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما أتتقد على
امرئ القيس بيتاه، وذكروهما، قال : وبينك لا يلثم شطراهما كما لا يلثم شطرا
هذين البيتين : كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأنّ لم أركب جوادا ولم أقل * خيلِي كَرَى كَرَّةً بعد إجمال
ولم أسبأ الزق الروى للذّة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
وأن تقول أنت :

وقفت وما في الموت شك لو اقيف * ووجهك وضاح وتغرك باسم
تمزك الأبطال تكلّمى مزيمّة * كأنك في جفن الردى وهو نائم
فقال : أيد الله مولانا ! إن كان صحّ أنّ الذى استدرك على أمرئ القيس أعلم منه
بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والتوبّ لا يعرفه البرّاز معرفة الحائك
لأن البرّاز يعرف جلته والحائك يعرف جلته وتغاريقه ، لأنه هو الذى أنحرحه من
الغزلية الى التويّة . وإنما قرن أمرؤ القيس لذّة النساء بلذّة الركوب للصيد ، وقرن
السماحة في سببه الخمر للأضياف بالشجاعة في منزلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت
الموت في أوّل البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه . ولما كان الجريح
المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت :

* ووجهك وضاح وتغرك باسم *

لأجمع بين الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة
بقوله ووصله .

وقال لقيط بن ذرارة :

شربت الخمر حتى خلت أنى * أبو قابوس أوعبّد المدان

وقال حسان بن ثابت الأنصارى عفا الله عنه ورحمه :

إذا ما الأثرياء ذكرن يوما * فهرت لطيب الراح الفداء
ونشرها فتركا ملوكا * وأسدا ما ينهها اللقاء

حكى أبا حسان بن ثابت عَفَّ جماعة من الفتيان على شرب الخمر وسوء
تأديهم عليها وأنهم يُضْرَبُونَ عليها ضربَ الإبل ولا يرجعون عنها ؛ فقالوا : إنا إذا
هممت بالإفلاق عنها ذكرنا قولك :

ونشرها فتركتنا ملوكا • وأسدا ما ينهها اللقاء

فماودناها •

وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان :

إِذَا مَا نَدِي عُلَى ثُمَّ عُلَى • ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ لَهْنٍ هَدِيرُ
نَجْرَتٍ أَجْرُ الذَّيْلِ حَتَّى كَانَتِي • طِيكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ

وقال آخر :

إِذَا صَدَمْتَنِي الْكَأْسُ أَبَدْتَ عَاسِنِي • وَلَمْ يَخْشَ ثَمَانِي أَذَى وَلَا بَحْلُ
وَاسْتَبْقَاشَ طِيهِ وَإِنْ أَسَا • وَمَا شَكَلُ مِنْ أَذَى نَدَامَاهُ مِنْ شَكَلِ

وقال آخر :

شَرِبْنَا مِنَ الذَّادِي حَتَّى كَانَتَا ^(١) • مَلُوكٌ لَمْ يَرِ الْعِرَاقِينَ وَالْبَحْرُ
فَلَمَّا أَتَجَلَّتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْنَا • تَوَلَّى الْغَنَى عَنَّا وَطَوَدَنَا الْفَقْرُ

ومثله لَلنَّخْلِ الْيَشْكُرِي :

وَإِذَا سَكَّرْتُ فَإِنِّي • رَبُّ الْخَوْرِقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي • رَبُّ الشُّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ

وقال عترة :

وَإِذَا سَكَّرْتُ فَإِنِّي مَسْتَهْلِكُ • مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكَلَمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَعَنْ نَدَى • وَكَمَا طَلَبْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

(١) الذادي : شراب معروف بجودة إسكراره •

أخذه البحرى وزاد عليه في قوله :

وما زلتَ خِلاً للندامى إذا أنتشوا • وراحوا بدورا يستحثون أنجبا

تكرمت من قبل الكئوس عليهم • فما أسطن أن يُحدثن فيك تكزماً

والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحرى ذكر أن ممدوحه

يتكرم قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيد تكزماً .

وكان الأعشى يميون بن قيس مشهوراً بتعاطى الخمر مشغوقاً بها كثير الذكراً

في شعره . ومن أشتهره بها قال المفضل بين قدماء الشعراء : أشعرهم أمرؤ القيس

إذا ركب ، والتأبسة إذا رهب ، وزُهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب . وقصد

الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمتدحه بقصيدته التي أولها :

١٠ ألم تتمض عينك ليلة أرمنا • وبت كما بات السليم مسهداً

فاعترضه في طريقه من أراد منعه ، فقالوا له : إنه يحزم عليك الزنا والخمر .

فقال : أتما الزنا فقد كثرت فلا حاجة لى فيه ، وأتما الخمر فلا أستطيع تركها . وعاد

لينظر في أمره ، وقيل : إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع ، فبات قبل الحول .

قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يعيس في كأسه ، فقال : ما أنصفتها ،

١٥ تضحك في وجهك وتعيس في وجهها . ومن ذلك قول الشريف الرضى :

كالخمر يعيس حاسيها على مِقة • والكأس تجلو عليه ثغر مبتسم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول :

ما أنصف الندمان كأس مدامة • صحكت اليه فشعها بتعيس

ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء في هذا المعنى وأطنبوا فيه وتوسعوا . ففهم من مدحها ومنهم من وصفها وشبهها ، ومنهم من ذكر أطفالها وتقرّل فيها . وسنورد في هذا الموضوع نبذة مما طالعناه في ذلك ؛ إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطال ، ولا تسعت فيه دائرة المقال .



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها ، فن ذلك قول ابن الرومي حيث يقول :

تالله ما أدرى بآية علية * يدعون هذا الراح باسم الراح ؟

الريحها ولروحها تحت الحشا * أم لأرياح تديها المراتج ؟

إن حُرمت فبحقها من نعمة * ما كان مثل حريمها بياج

أو حُلّت فبحقها من تشوة * تشفى سقام قلوبنا بصحاح

وقال أيضا :

نحمر إذا ما تديى ظل يكرهها * أحنى عليه من اللالاء بمحرق

لورام يخلّف أن الشمس ما غرّيت * في فيه كذبه في وجهه الشفق

ومثله قول الطليق المرواني :

فإذا ما غرّيت في فيه * أطلعت في الخلد منه شفقا

وقل التاجم :

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى من رقّة شبا

إذا تماطيتها لم تدري من فرج * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا ؟

وقال الناصي :

ياربما كأس تناولتها * تحب ذبلا من تلالها
كانها النار وليكنها * منعّم واقه صالحها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها؛ فن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية :

ومدامة حمراء في قارورة * زرقاء تحملها يد بيضاء
فانخر شمس والحباب كواكب * والكف قطب والإناء سماء

وقال السروي :

عنيت بالمدامة الشعراء * وصفوها وذلك عندي عناء
كيف تحصيل علمها وهي موت * وحياء وعلة وشفاء
فهى في باطن الجوانح نار * وهي في ظاهر المحاجر ماء
حلو مرة فاحد يد * رى أداء خصوصها أم دواء

وقال البحتري :

اشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصبا
من قهوة تليق الموم وتبعث الـ * شوق الذي قد ضل في الأحشاء
يخفى الزجاجة لوئها فكانها * في الكف قائمة بفسير إنا
ولما نسيم كالرياض تقمت * في أوجه الأرواح والأنداء
وفواق مثل الدموع تردت * في صحن خذ الكاعب الحساء
يسقيها رشاً يكاد يرتها * سكرى بفترة مقلية حوراء
يسعى بها وبمثلها من طرفه * عتوداً وإبداء على الندماء
وقال الواواء الدمشقي :

فأمرج بمائك نار كأمك واسقى * فلق قد مزجت مدامعى بدماء

وأشرب على زهر الریاض مُدَامَةً • تَسْفِي المسمومَ بِمَاجِلِ السَّوَاهِلِ
لَطَفَتْ فَصَارَتْ مِنْ لَطِيفٍ مَحَلًّا • تَجْرَى بِكَرَى الرُّوحِ فِي الْأَعْضَاءِ
وَكَأَنَّتْ مَحْقَقَةً عَلَيْهَا جَوْهَرٌ • مَا يَبِينُ نَارِ أَوْ كَيْتٍ وَهَوَاهِ
وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّتْ حَامِلٌ كَأَمْسِهَا • إِذْ قَامَ يَحْمِلُوهَا عَلَى النَّدَامِ
تَمْسُ الضَّمْحَى رَقَصَتْ فَقَطَّ وَجْهَهَا • بَدُرُ الدَّبِيِّ بِصُكُوكِ الْجُوزَاءِ
وَقَالَ أَبُو نُؤَاسٍ :

أَقُولُ لِمَا تَحَايَا شَبَا • أَنَّهُمَا لِلتَّشَابِهِ النَّهْبُ
هَمَا سَوَاءٌ وَفَرَّقُ بَيْنَهُمَا • أَنَّهُمَا جَامِدٌ وَمُنْسَكِبٌ

وَلَهُ أَيْضًا :

إِذَا عَبَّ^(١) فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْ • يَقْبَلُ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَيْبَا
تَرَى حَيْثَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا • وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا
يَدُورُ بِهَا سَلْقِي أَغْرَبَ تَرَى لَهُ • عَلَى مُسْتَدَارِ الْأُذُنِ مُدْغًا مُعْقَرًا
سَقَاهُمْ وَمَتَانِي بَعَيْنِهِ مُنِيسَةً • فَكَانَتْ إِلَى قَمِيٍّ أَلَدَّ وَأَطْيَبَا
وَمِثْلُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

كَأَنَّهُ قَائِمٌ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ • مَلَأَ أَوَّلَ شَهْرِ ظَبٍّ فِي شَفَقِ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَمَهْفُوفٍ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ • حَتَّى تَجَاوِزَ مِنْهَى النَّفْسِ
أَبْصَرَتْهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ نَفْسٍ • مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْ أَمْلِئَ نَجْمِ
فَكَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي فَمِهِ • قَرَّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

وقال الحسين بن الضحاك :

كأنما نُصِبَ كَأْسُهُ قَرٌّ • يَكَرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجَمِ الْفَلَكَ

وقال آخر :

وَأَكْتَسَتْ مِنْ فَضَّةٍ دُرًّا • خَلَّتْهَا مِنْ تَحْتِهَا ذَهَبًا

كَكَيْتِ اللَّوْنِ قَلْبَهَا • فَارَسَ مِنْ لَوْلُؤِ حَيَا

وقال آخر :

تَنْشَى ^(١) بَيَاضَ شَارِبِهَا • فَخَالَهَا بَيْنَ غَضَبِ

دَارَتْ وَعَيْنِ الشَّمْسِ غَائِبَةً • فَحَسِبْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ لَمْ تَغِبْ

وقال آخر :

حَمْرَاءُ وَرْدِيَّةٍ مَشْعُتَةٍ • كَأَنَّهَا فِي إِنْثَاهَا لَهْبُ

صِهَاءٍ صِرْفًا لَوْ مَتَّهَا حَجَرٌ • مِنْ جَانِبِ الصَّخْرَةِ طَرَبُ

وقال آخر :

قَلْتُ وَالرَّاحِ فِي أَكْفِ النَّدَايِ • كَنْجُومِ تَسْلُوحٍ فِي أَبْرَاجِ

أُسْدَامًا خَرَطْتُمْ لُسْدَامَ • أُمَّ زُجَاجَا سَبَكْتُمْ لَزْجَاجِ

وقال الحسن بن وهب :

وَقَهْوَةٍ صَافِيَةٍ • كَالْمَسْكِ لِمَا نَفَعَا

شَرِبْتُ مِنْ دِنَانِهَا • مِنْ كُلِّ دَنٍّ قَدَعَا

فَعَدْتُ لَا تَحْمِلُنِي • أَعْوَادُ سُرْجِي مَرَحَا

مِنْ شِدَّةِ السَّكَرِ الَّذِي • عَلَى قَوَادِي طَفَعَا

(١) هذا الشطر يخل الوزن وورد هكذا بكل الأمول . ولله : « تَنْشَى الْكَلُوسَ » أو تَنْشَى

الْمَدَامَ » مما يستقيم به المعنى والوزن .

وقال ابن المعتز :

خليلي قد طاب الشراب المبرد * وقد عدتُ بعد النسك والعود أحد
فهايتُ عقارا من قبض زجاجة * صكافوتية في دُرّة توقدُ
يصوغ عليها الماء شباك فضية * له حلق بيض تحل وتعد

وقال التنوخي :

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قَدَج من نهار
هواء ولكنه ساكن * وماء ولكنه غير جار
إذا ما تأمله وهي فيه * تأملت ماء محيطا بنار
فهذا النهاية في الأبيضاض * وهذا النهاية في الأحمرار
وما كان في الحكم أن يوجد * لفرط تنافهما والغار
ولكن تجاور سطحاها الـ * بسيطان فالتف بالحوار
كأن المدير لما باليمين * إذا مال بالسقي أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسين * له فردكم من الجلّار

وقال ابن وكيع التنيسي :

حملتُ كفه الى شفّتيه * كأسه والظلام مُرعى الإزار
فألتقي لؤلؤا حباب وتغير * وعقيقان من فم وعقار

وقال آخر :

قم فأسقني قد تبلج الفسق * من قهوة في الزجاج تألق
كأننا والكشوس تأخذنا * نشرب نارا وليس نحترق

وقال أبو نواس :

غَتَا بِالطُّولِ كَيْفَ بَلَيْنَا * وَأَسَقْنَا نَطْلِكَ الْجُزْءَ الثَّمِينَا^(١)
 مِنْ سَلَاكِ كَأَنهَا كُلُّ شَيْءٍ * يَتَمَتَّى غَيْرَ أَنْ يَكُونَا
 أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا * وَتَبَقَّى لَنَا بِهَا الْمَكُونَا^(٢)
 فَإِذَا مَا أَجَلْتِهَا فَهَبَاءٌ * تَتَمَعُّ الْكَفَّ مَا تُبَيِّحُ الْعِيُونَا
 ثُمَّ تُجَبَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَأَلٍ * لَوْ تَجَمَّرَ فِي يَدِ لَأَكْتُنِينَا
 فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجْمُوم * جَارِيَاتٍ ، بُرُوجِهَا أَيْدِينَا
 طَالَعَاتٍ مَعَ السَّقَاةِ طِينَا * فَأَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا
 لَوْ تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ * قَلَّتْ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَصْطَلُونَا
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

وَنَحَارَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمَجُوسِ * تَرَى الْقَدَّ فِي يَدَيْهَا سَائِلَا
 وَزَنًا لَهَا دَهَبًا جَامِدًا * فَكَلَّتْ لَهَا دَهَبًا سَائِلَا



وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي أَفْعَالِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامِ الطَّائِي :

وَكَيْسٍ كَمَسُولِ الْأُمَانِيِّ شَرِبْتُهَا * وَلَكِنِّي أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ حَقْلَا
 إِذَا عُوِيَتْ بِالْمَاءِ كَانَ أَصْدَارُهَا * لَهَا كَوْعُ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزَلَا
 إِذَا الْبُدُ نَالَتْهَا يَوْثَرٌ تَوَقَّرَتْ * عَلَى ضِيْفَتِهَا ثُمَّ أَسْتَفَادَتْ مِنَ الرَّجَلَا^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَعَّةُ الْجَزْءِ ... » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ

* وَأَسَقْنَا نَطْلِكَ النَّاءِ الثَّمِينَا *

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَفِي الدِّيْوَانِ : * وَتَبَقَّى لَنَا بِهَا الْمَكُونَا *

(٣) كَذَا فِي الدِّيْوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْهَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ومثله قول ديك الجن وأسمه عبد السلام :

فقام تكاد الكأس تخضب كفه * وتحسبه من وجنته أستمراها
مشعشة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فادارها
فظلتنا بأيدينا تُعتِجُ رُوحها * وتأخذ من أقدامنا الراحُ ثارها

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي :

كانت لها أرجل الأعلاج وارة^(١) * بالدوس فانتصفت من رؤوس العرب

[أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباغي الكاتب فقال :

عقرتهم مقصورة لو سالت * شرايها ما بُيئت بسقار
لأت لهم حتى آنتشوا وتمكنت * منهم فصاحت فيهم بالشار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار]

وقال آخر :

أمروها وجه النهار من الدن * فأمسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الصمد بن بابك عفا الله عنه :

عقار طيها من دم الصب نفضة * ومن عبرات المستهام فواقع
معودة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع



وأما ما وصفت به غير ما قدمناه، فن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة

الحصكفي [والحصكفي نسبة الى حسن كفا] :

وخليع بت أعيبه * ويرى عتي من العيث

(١) الأعلاج : جمع طلع وهو الرجل من كفار الجعم .

(٢) الزيادة الى بن حاتين العلامين [مقولة عن إحدى النسخ .

قُلْتُ إِنَّ الْخمرَ عَجَبَةٌ * قَالَ حَاشَاها مِنْ الْحَبَثِ
قُلْتُ مِنْهَا الْقِيَمُ، قَالَ أَجَلٌ * طَهُرْتُ عَنْ مَخْرَجِ الْحَدِيثِ
قُلْتُ فَالْأَرْفَافُ تُنْبِعُهَا * قَالَ طِيبُ الْعَيْشِ فِي الرِّفْتِ
وَسَأَلُوهَا فَقُلْتُ مَتَى * قَالَ عِنْدَ الْكَوْنِ فِي الْحَدِيثِ

وقال آخر:

ثَقُلْتُ زِيَاغَاتُ أَتَقْنَأُ فُسْرُغًا * حَتَّى إِذَا مِلْتُ بِصَرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَاحُوتِ * وَكَذَا الْجَسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ
[وقريب من المعنى قول الآخر:

وَزَنَا الْكَأْسَ فَارَقَةً وَمَلَأَى * فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءً]^(١)

وقال أبو نواس :

قَهْوَةٌ أُنْعِمَى عَنْهَا * نَظَرُوا رَيْبَ الْمُنُونِ
عُتِقَتْ فِي الدِّقِّ حَتَّى * هِيَ فِي رَقَّةٍ دَبِيحِ
ثُمَّ تُجَبَّتْ فَأَدَارَتْ * فَوْقَهَا مِثْلَ الْعِيُونِ
حَدَقًا تَرَوُ الْبِنَا * لَمْ تُجْجَرْ بِجَفُونِ
فَهَبَا يُبْمَرُ دُرًّا * كُلُّ إِبَانٍ وَحِينِ
مِنْ يَدَيَّ سَاقٍ عَلَيْهِ * حَلَّةٌ مِنْ يَاسَمِينِ
غَايَةِ فِي الظَّرْفِ وَالشَّكْلِ وَفَرْدٍ فِي الْمَجُونِ

وقال :

ذُذِّبَ الْكَرَمُ وَالْعَنْبُ * خَطَرَاتِ الْمَهْمِ وَالنُّوبِ
قَهْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا فَطَقَتْ * ذَكَرْتُ سَامَاً أَبَا الْعَرَبِ

(١) الزيادة التي بين هاتين السلاتين [مقفولة من بعض النسخ .

وهي تكسوكف شاربا * دسبانات من الذهب ^(١)

وقال تاج الملوك بن أيوب :

وكم ليلة فيها وصلنا غيوقة * وكم من صباح كان فيه صبح
تدار علينا من أكف سقاتنا * عفار من المم الطويل ترج
تلوح لنا كالشمس في كف أعيد * يلوح لعيني البدر حين يلوح
مدام نحكي خده ورضابه * ونكهته في الطيب حين تفوح
ولكن لها أفعال عيبه في الحشا * فكل حشا فيها عليه جرح

وقال أيضا :

والكأس أعطاه عقيقا أحرا * قايب ، فأعطها بلحيا يقا ^(٢)
من قهوة ما العيش إلا أن أرى * مصطحا في شربها مفتحا
أشربها شربا هنيئا من بدى * غصن رشيق وغزال أرقا

ومما قيل فيها إذا مزجت بالماء ، فن ذلك قول أبي نواس :

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلفاك دونها
ترى العين تستفيك من لمانها * وتحسر حتى ما قيل جفونها

ومنه أخذ ديك الجن فقال :

وحمره قبل المزج صفراء بعده * بدت بين توبى زجس وشقاقي
حكمت وجنة المعشوق صرفا فسقطوا * عليها مزاجا فاكست كون عاشق

وقال أبو هلال العسكري :

راح إذا ما الليل مد رواقه * لاحت تطرر حلة الظلماء

(١) الدسبانات : كلمة فارسية ومعناها الأساور . (٢) القيق : الأبيض .

حتى اذا من زجت ارا لك حبابها • زهرات ارض او نجوم سماه

وقال ايضا :

وكأس تمتلئ اطراف كف • كأن بناتها من أرجوان

أنازعها على العلات شرباً • لمن مضاحك من أحقوان

يلوح على مقارقتها حباب • كأنصاف الفرائد والجمان

وطالمني الفلام بها مخيراً • فزاد على الكواكب كوجان

وواقفها بخد أرجوان • وخالفها بفرج أوجوان

قوله :

• كأنصاف الفرائد والجمان

مأخوذ من قول ابن الرومي :

لما صرحت كأنه ذهب • ورغوة كاللاكي الفائق

وقال أبو نواس :

فإذا علاها الماء البها^(١) • حياً شبيهة بجلاجل الجنيل

حتى اذا سكنت جوائعها^(٢) • كتبت بمثل أكارع النمل

وهو مأخوذ من قول الأئول، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية :

وكأيس سباحا التجر من أرض بائيل • كرقعة ماء الحزن في الأمين النبل

اذا شجها الساق حسبت حبابها • عيون الدبا^(٣) من تحت أجنحة النمل

وقال أبو نواس أيضا :

قامت تربي وأمُر الليل مجتمع • صبعا تولد من الماء واللهيب

(١) كنا في ديوانه . وفي الأصول : « نسا » . (٢) كنا بالأصل . وفي الديوان :

«جوائعها» . (٣) الدبا : الحراد .

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَنَاقِهَا * حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ النُّهْبِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ :

لِلْمَاءِ فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبٌ * كَنْتِلَ تَقِيَشُ فِي فَصِّ يَاقُوتِ
وَقَالَ الْمُسْكِيُّ :

ذَابَ فِي الْكَأْسِ عَقِيْقُ بَخْرَى * وَطَفَا الدُّرُّ عَلَيْهِ فَسَجَّ
نَصَبَ السَّاقِ عَلَى أَفْدَاحِهَا * شَبَّكَ الْفِضَّةَ تَصْطَلِدُ الْفَرْخَ
وَقَالَ ابْنُ السَّاعِقِيِّ :

وَلَيْلَةٌ بَاتَ بِدُرِّ الْقَمِّ سَاقِيْنَا * يُدِيرُ فِي فَلَكٍ مِنْ شَرِبِهَا شُبُهَا
بَكَرَ إِذَا قُرِعَتْ بِالْمَاءِ كَلْبُ بَنَا * جِدًّا وَإِنْ كَانَ فِي كَلْسَاتِهَا لَبَا
حَرَاءَ مَنْ نَجَلَ حَتَّى إِذَا مُزِجَتْ * لَمْ تَدْرِ مَا تَجَلَّأَ تَحْمُرُّ أَمْ غَضِبَا
تَزِيدُ بِالْبَارِدِ السَّلْسَالِ جَذُوْثُهَا * وَمَا سَمِعْتَ بِمَاءٍ عَنِيْثٍ لَهَا
تَكْسُو النَّدِيمَ إِذَا مَا ذَاقَهَا وَحَمَّأَ * حَتَّى كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَدْ شَرِبَا
وَقَالَ آخَرُ :

فَنَجَّيْتُ وَسَاقِ الْقَوْمِ يَمْزُجُهَا * فَصَارَ فِي الْبَيْتِ الصَّبَاحُ مَصْبَاحُ
قَلْنَا عَلَى عِلْمِنَا وَالشُّكُّ يَغْلِبُنَا * أَرَاخُنَا نَارُنَا أَمْ نَارُونَا الرُّحُ
وَقَالَ ابْنُ وَكِيعٍ التَّنِيْسِيُّ :

وَصَفْرَاءُ مِنْ مَاءِ الْكُرْمِ كَأَنَّهَا * فَرَأَى عَدُوًّا أَوْ لِقَاءَ صَدِيقِ
كَأَنَّ الْحَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ بِطَوْقِهَا * كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيْقِ
صَبِيَتْ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى تَعَوَّضَتْ * قَيْصَبَ بَهَارٍ مِنْ قَيْصِ شَفِيقِ

وَقَالَ آخَرُ :

حَرَاءَ مَا أَحْتَضِمُوا بِالْمَاءِ حِينَ طَفَتْ * إِلَّا وَقَدْ حَسِبُوهَا أَنَّهَا لُحْبُ

وقال الخالدیان :

فهايتها كالعروس محمزة ال * خدّين في معجّر من الحبّ^(١)
كادت تكون الهواء في أرج ال * منبر لو لم تكن من العنّب
من كفّ راض عن الصلود وقد * غضبت في حبّه على الفضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها * رأيت شيئا من أعجب المعجب
نار حواها الميزاج يلهبها المساء ودّر يدور في لمب

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطبها

قال أحمد بن أبي قن :

جدّد اللذات فاليوم جديد * وأمض فيما تنتهى كيف تريد
والله ما أمعكن يوم صالح * إن يوم الشر لا كان - عبيد

وقال ديك الحق :

تمتع من الغنى فإنك فاني * . . . في أيد : حديث فاني
ولا تُظنّ اليوم لموا إلى غد * . . . لعيد من حديث بامان
فاني رأيت الصهر يسرع بالفتى * ويتقلبه حالين مختلفان^(٢)
فاما الذي يمضى فأحلام نائم * وأما الذي يسبق له فاماني

وقال ابن المعتز من أبيات :

وبادّر أيام السرور فإنها * مِرَاعٌ وأيام المصوم يطأ
وخلّ عتاب الحادثات لوجهها * فإن عتاب الحادثات عتاء
تعالوا فسقوا أنفسا قبل موتها * ليأتى ما يأتي وهن رواء

(١) المعبر : توبت له المرأة على أستاذة رأسها . (٢) كذا بالأصل . ولها "تخفان" .

وقال أحد المارداني :

عاقِر الزَّحَّ ودَغَ نَمَتَ الطَّلَلِ * وَأَعْيَسَ مِنْ لَامِكٍ فِيهَا وَعَدَلُ
غَادِيهَا وَاسِعَ لَهَا وَأَغْرَبَهَا * وَإِذَا قِيلَ : نَصَابِي، قُلْ أَجَلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ - فَأَعْلَمْ - سَاعَةً * أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَلِكَ أَمَلُ
وقال ابن بسام :

وَاصِلُ خَلِيكَ إِنَّمَا إِلَا * مَدْنِيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ
وَأَنْتُمْ وَلَا تُتَجَبَّلُ إِلَا * حَكْرُوهُ مِنْ قَبْلِ التَّرْوِلِ
بَادِرٌ بِمَا تَهْوَى فَمَا * تَنْدَرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَأَرْفُضُ مَقَالَةَ لَائِمٍ * إِنْ الْمَلَامَ مِنَ الْقُضُولِ

وَمَا وَصَفْتُ بِهِ مَجَالِسَ الشَّرْبِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
فِي مَجْلِسِ ضَحْكِ السَّرُورِ بِهِ * عَنْ تَاجِذِيهِ وَطَلَّتِ الْحُمُرُ
وقال ديك الجحَن :

كَأَنَّمَا الْبَيْتُ بِرِيحَانَةٍ * ثَوْبٌ مِنَ السَّنْدَسِ مَشْقُوقُ

وقال السري :

أَلَسْتَ تَرَى رَكَبَ الْغَمَامِ يُسَاقُ * وَأُدْمَعُهُ بَيْنَ الرِّيَاضِ تُرَاقُ
وَقَدَرْتُ جِلْبَابُ النِّسِيمِ عَلَى الثَّرَى * وَلَكِنْ جَلَايِبُ الْغُيُومِ صَفَاقُ
وَعِنْدِي مِنَ الرِّيحَانِ نَوْعٌ نَجَسَهُ * وَكَأَنَّ كَرَفَاقِ الْخَلْقِ دِهَاقُ^(١)
وَنَدُو أَدِيبٍ جَلَّتْ صَنَائِعُ كَفِّهِ * وَلَكِنْ مَعَانِي الشَّعْرِ مِنْهُ دِقَاقُ
لَهُ أَبَدًا مِنْ شَرِّهِ وَنَظَامِهِ * بِدَائِعِ حَلِيٍّ مَا لَمْ يَحْقَاقُ

(١) الخلق : ضرب من الطيب مائع فيه صفة لأن غالب أجزائه من الزعفران .

وأغيدُ مهترٌ، على صحن خده * غلائلٌ من صبيغ الحياءِ رفاقُ
أحاطت عيونُ العاشقين بنخصره * فهن له دون النطاق نطاقُ
وقد نظم المشور فهو قلائد * علينا، وعقد مُذهبٍ وخناقُ
وغرقتا بين السحاب ثلثي * لمن علينا كيلةٌ ورواقُ
نقسم زواراً من الهند سقفاً * خفاف على قلب الكريم رשאُ
أعجمُ تلتذُّ الخصامَ كأنها * كواعبُ زنجٍ راعهن طلاقُ
أنسَ بنا أنسُ الإمامِ تحببت * وشمتها غسدرُ بنا وإباقُ
مواصلةً والورد في شجراته * مفارقةً إن حان منه فراقُ
فرز قيةً، بردُ الشرابِ لبيهم * حميمٌ إذا فارقتهم ^(١) وغساقُ
قوله :

أحاطت عيونُ العاشقين بنخصره * فهن له دون النطاق نطاقُ
ماخوذ من قول المتنبي :
وخصر تبت الأعداء فيه * كأت عليه من حدق نطاقا
وقال أبو هلال المسكوي :

وليل أبنتُ به لذة * وبست في العقل والدين
أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى * وبات فيه الهمُّ مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا * نسيم راجٍ ورياحينا
وأكؤس الراح نجومٌ أنا * لاحت بأيدينا هوث فينا
تضحك في الكأس أباريقنا * وحسبنا تضحك تبكينا

❦

(١) الباق : المتن للشهد للبرد القى يبرق من برده كالمراق الحميم .

ومما قيل في طيِّ مجالس الشراب؛ فن ذلك قول بعض الشعراء :
 حُكِّمَ العُقَارِ إِذَا قَصِدَتْ لَشْرِبِهَا * فِي لَذَّةٍ مِنْ مُسَمِّعٍ وَقِيَلِ (١)
 أَلَّا تَعُودَ لَذِكْرَ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ * أَحْلُوَّةٍ مِنْ شَارِبِ سِكْرَاتِ
 وقال آخر :

إِذَا ذُكِرَ التَّيْدُ فَلَيْسَ حَقًّا * إِعَادَةُ مَا يَكُونُ عَلَى التَّيْدِ
 إِعَادَةُ مَا يَكُونُ مِنَ السَّكَارَى * يَكْدَرُ صَفْوَةَ الْعَيْشِ اللَّذِيذِ

وقال آخر :

تَسَازَعُوا لَذَّةَ الصَّبَاءِ بَيْنَهُمْ * وَأَوْجِبُوا لِرَضِيعِ الْكَأْسِ مَا يَحِبُّ
 لَا يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكَانِ زَلَّتْ * وَلَا يُرِيكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رَيْبُ

ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها

١٠

من ذلك ما قيل في وصف مِعْصَرَةِ الخمر :

قال أبو الفرج البغدادى :

وَمِعْصَرَةُ انْخَسَتْ بِهَا * وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَبْقِ
 نَفِثَتْ قَرَارَهَا بِالْأُحْ * حَ بَعْضَ مَعَادِنِ التَّهْيَبِ
 وَقَدْ ذَرَفَتْ لِفَقْدِ الْكَوْ * مَ فِيهَا أَعْيُنُ الْعَنِيَبِ
 وَجَاشَ عُجَابُ وَادِيهَا * بِمَنْهَلٍ وَمُنْتَكِبِ
 وَيَأْقُوتُ الْعَصِيرَ بِهَا * يَلَاعِبُ لُؤْلُؤَ الْحَبِيبِ
 فَيَا عَجَبًا لِمَ صَرَهَا * وَمَا يَفْتَنِي بِهِ عَجَبِي
 وَكَيْفَ يَمِيشُ وَهُوَ يَخُو * ضَى فِي بَحْرِ مِنَ اللَّهَبِ

١٥

وقال آبن المعتز يصف الدنان :

ودنان كمثل صف رجال * قد أقيموا ليرقصوا ^(١) دستنداً

وقال القطامي يصف حرار النحر :

وأستودعها رواقيد ^(٢) مقيرة ^(٣) * دكن ^(٤) الظواهر قد برنس ^(٥) بالطين

مكليفات ^(٦) لحر الشمس قائمة * كأنهن ^(٧) نبيط في تباين ^(٨)

وقال العلوي الأصفهاني :

مخدرة مكنونة ^(٩) قد هشت ^(١٠) * كراهية بين الحسان الأوانيس

وأترأبها ^(١١) بلسن ^(١٢) بيض غلايل * هي ^(١٣) العرى مغرور بها كل لايس

مشعقة ^(١٤) مرهاء ^(١٥) ماخلت ^(١٦) أنى * أرى مثلها عذراء في زى عانس

ومما قيل في الراوق ؛ قال بعض الشعراء :

كأنما الراوق ^(١٧) وانتصابه * نرطوم ^(١٨) فلي سقطت أنيابه

والبيت منه ^(١٩) عطر ^(٢٠) ترابه * كأن ^(٢١) مسكا فتقت ^(٢٢) عيابه

وقال آخر :

سماء ^(٢٣) لاذ ، قطرها ^(٢٤) رحيق * رجب ^(٢٥) الذرى يخطفيه ^(٢٦) الفيق

ماء عقيق ^(٢٧) لو جرى ^(٢٨) العقيق * حتى ^(٢٩) اذا ^(٣٠) الهبا ^(٣١) التصفيق

* صفنا الى جيراتنا : الحريق *

(١) المستند : نوع من أنواع رقص الميوس : يأخذ بعضهم بيد بعض ويلودون ويرقصون .

(٢) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٣) مقيرة : أى مسجة بالثياب وهو "الزنت" .

(٤) التباين : جمع تباين وهو مراد بل صغير يستر للعودة .

(٥) المرهاء : التى أبيضت حماليقها من تركها الكحل .

(٦) اللاذ : جمع لاذة وهى توب حرير أحمر صفى .

ومما وُصفت به زقاق الخمر ؛ فن ذلك قول الأخطل :
 أناخوا بخزوا شاصيات^(١) كانوا * رجالٌ من السودان لم يتسرلوا
 وقال أبو الهندي وأجاد في شعره :

أناف المال وما جمعته * طلب اللذات من ماء العنب
 واستبأ الزق من حانوتها * شائل الرجلين مَعْضوب^(٢) الذنب
 كلما كَبَ لشرب خلته * حبشياً قُطعت منه الركب
 وقال ابن المعتز :

وتراها وهي صرعى * قرطاً بين الندى
 مثل أبطال حروب * قيلوا فيها كراماً

وقال العلوي الأصمغاني :

عجبت من حبشي لا حراك به * لا يدرك النار إلا وهو مذبح
 طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع * رخو الصفاق وطوراً وهو مشبوح^(٣)

ومما وُصفت به الأباريق ؛ فن ذلك قول شبرمة بن الطفيل :
 كأن أباريق الشمول عشية * إوزاً بأل الطف حوج الخناجر
 وقال آخر :

يأرب مجلس فنية نادمهم * من عبد شمس في ذرى العلاء
 وكأنما إبريقهم من حسنه * ظبي على شرف أمام ظباء
 وقال ابن المعتز :

وكان إبريق المدام لسيهم * ظبي على شرف أناف ملك

(١) الشاصيات : القرب إذا كانت عمولة أو قنق فيها قارضت قوائها .

(٢) المضوب : المقطوع . (٣) الصفاق : جد البطن .

لما استخنته السَّقاء جثى لها * فبكى على قدح النديم وقهقهها
وقال إصحاك الموصلي :

كَانَ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ * طِبَاءُ بَاعِلِ الرَّقَّتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَتْ رَقَابَهُمْ * مِنَ اللَّيْنِ لَمْ يُخَالِقْ هُنَّ عِظَامُ
وَكَلَّمَهُمْ نَظَرُوا إِلَى قَوْلِ طَلْقَمَةِ بْنِ عَبَّادَةَ :

كَانَ إِبْرَيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ * مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَثَافِ مَلْئُومُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ مِنْ أَيْيَاتِ :

وَالْأَبَارِيقُ كَالطَّبَّاءِ الْمَوَاطِي * أَوْجَسَتْ نَبَاهَةَ الْخَلِيُولِ السَّاقِي
مُصْغِيَاتٌ إِلَى الْغَنَاءِ مُطْلَا * تَتْ عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الْإِطْرَاقِ
وَهِيَ شُمُّ الْأَنْوَفِ يَشْمَخُنْ كَبْرًا * ثُمَّ يَرْغُضُنْ بِالْدَمِ الْمَهْرَاقِ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ :

وَالْكُوبُ يَضْحَكُ كَالْغَزَالِ مَسْبُحًا * عِنْدَ الرُّكُوعِ بِلُغْنَةِ الْفَنَاءِ
وَكَانَتْ أَقْدَاحُ الرَّحِيقِ إِذَا جَرَتْ * وَسَطَ الظَّلَامِ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ
وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

كَانَ إِبْرَيْقُنَا وَالْقَطْرُ مِنْ فَمِهِ * طَيْرٌ تَأُولُ يَأْقُوتًا بِمَنْقَارِ
وَمَا وَصَفَتْ بِهِ الْكَاسَاتُ وَالْأَقْدَاحُ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

غَدَا بِهَا صَفَرَاءُ كَرْخِيَّةٍ * تَحَالُفُ فِي كَأْسِهَا تَنْقِذُ
وَتَحْسَبُ الْمَاءَ زَجَاجًا لَهَا * وَتَحْسَبُ الْأَقْدَاحَ مَاءَ جَدِّ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ أَيْضًا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ :

وَكَأْسٌ تُحْجَبُ الْأَبْصَارُ عَنْهَا * فَلَيْسَ لِنَظَرٍ فِيهَا طَرِيقُ

٢٠

(١) السب والسبية : الثقة ، وخص بعضهم به الثقة البيضاء . وكذا في اللسان ، وقد استشهد بهذا البيت وقب عليه تالفا : « إنما أراد ببهايب الخذف » .

كأن غمامة بيضاء بينى * وبين الكأس تحرقها البروق
وقال أبو الفرج البقاء :

من كل جسم كأنه عَرَضٌ * يكاد لُطْفًا بالهَظْ يَنْتَبِ
كأنما صاغة التناق فسا * يخلص منه صدق ولا كذب
وقال الرقاء :

كأن الكؤوس بفضلها * متوجة بأكاليل نور
جيوب من الوشي مزودة * يلوح عليها بياض النحور
وقال آخر :

وكانما الأنداح مترعة الحشا * بين الشروب كواكب الجوزاء
وكانها ياقوتة فضلاتها * غروطة من دُرّة بيضاء
وقال المعوج :

يماطيك كأساً غير ملائى كأنها * إذا مزجت أحداق درج مزرد
كأن أعاليها بياض سوائف * يلوح على توريد خد مورّد
وقال أبو نواس :

وكانما الروض السماء ونهره * فيه المجرة والكؤوس الأنجم
وقال التتالي :

يا واصل الكأس بتشبيهها * دوتك وصفا طالى القدر
كأن عين الشمس قد أفرغت * فى قالب صبيغ من البدر

وقال آخر :

أقول للكأس إذ تبدت * بكفّ أحوى أغنّ أحوز
أخبرت ببنى وبيت غیری * وأصل ذا كعبك المدور

•

١٠

١٥

٢٠

الباب الخامس

من القسم الثالث من القرن الثاني

في الثمن والسقاء

قال سهل بن هارون : ينبغي للتدبير أن يكون كأنما خلق من قلب الملك يتصرف بشهوته ويتقلب بإرادته، لا يميل المعاشرة، ولا يسام المسامرة؛ إذا آتتشي يحفظ، وإذا صحا يئقظ، ويكون كأنما لسهره، ناسرا لبره . قالوا :

فأتركاك نديما، فقال الكاتب : أنا معونة، وأنت مؤونة؛ وأنا للبعد، وأنت للهزل؛ وأنا للشدة، وأنت للرءاء؛ وأنا للحرب، وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة، وأنت للخدمة؛ وأنا للخطوة، وأنت للهنة؛ تقوم وأنا قاعد، وتحتم وأنا مؤانس؛ تداب لراحتي، وتسبق لما فيه سعادتي؛ فأنا شريك وأنت ممين، كما أنك تابع وأنا قرين . فلم يجر الكاتب جوابا . والله أعلم .

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن النعماء، فقال :

واحد غم، وأثنان هم، وثلاثة قوام، وأربعة تمام، وخمسة مجلس، وستة زحام، وسبعة جيش، وعمانية عسكر، وتسعة أضرب طلبك، وعشرة آلق بهم من شئت .

وقال الجواز : النيذ حرام على أثني عشر نفسا، من غنى الخطأ، واتكا على البمين، وأكثر من أكل البقل، وكسر الزجاج، وسرق الريحان، وبل ما بين يديه، وطلب العشاء، وقطع^(١) البم، وحبس أول قديح، وأكثر الحديث، وأمتخط في منديل الشراب، وبات في موضع لا يحتمل الميت فيه .

(١) البم : الوتر الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكري :

ما أعافُ النيذَ خيفةً إثم * إنما عفته لفقدِ النديم
ليس في اللهو والمدامةِ حظٌ * لكرمِ دونِ النديمِ الكريم
فتخيرَ قبلَ النيذِ نديماً * داخلِ معطراتِ النسيم
وجال إذا نظرتَ بديحٍ * وضير إذا اختبرتَ سلم

وقال آخر :

أرى للكأس حقا لا أراه * لنسيمِ الكأسِ إلا للنديم
هو الغضبُ الذي دارتُ عليه * رعى اللذاتِ في الزمانِ القديم

وقال آخر :

ونذني أني قمية * كأنتَ حديثه ^(١) جيره
يسرك حسنُ ظاهره * ونحمد منه محبته
ويستر عيبَ صاحبه * ويسر أنه ستره

وقال آخر :

ونديم حلو الحديث يجاري * لك بما تشتهي في ميدانك
ألمني كأنتَ قلبك في أض * للاحه أو كلامه في لسانك

وقال يحيى بن زياد :

ولستُ له في فضلةِ الكأسِ قائلا * لأصرفه عنها : تحسَّ وقد أبى
ولكن أحياه وأكرم وجهه * واشرب ما أتى وأسقيه ما أشتى
ولستُ إذا ما نام عندي بموقظ * ولا مُسمع يقظانَ شيطانِ الأذى

وقال آخر :

ليس من شأنه إذا دارتِ الكأ * من فازرى إدمانها بالحلوم

(١) الحيرة : ضرب من برد اليمن مفر - (٢) هذه رواية الأصل وهي غير مستقيمة
ويحتمل أن تكون محرفة عن « لأصرفها عن » أو « لأصرفها سكرًا » أو نحو ذلك .

قَوْلُ مَا يُسَخِّطُ النَّدِيمَ وَإِنْ أَسَ * حَظَّهُ عِنْدَ ذَاكَ قَوْلُ النَّدِيمِ
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَطْوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَخْطُبُ لَكَاسِكَ تَدْمَانًا تُسْرِبُهُ * أَوْ لَا فَتَدِيمُ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْكِتَابِ
أَخْطُبُهُ حَرًّا كَرِيمًا ذَا عَاقِلَةٍ * تَرَى مُوَدَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ
وَقَالَ أَبُو تَوَّاسٍ :

وَتَدْمَانٍ يَرَى عِيًّا عَلَيْهِ * بَانَ يَمْشِي وَلَيْسَ بِهِ أَنْشَاءُ
إِذَا نَهَتْهُ مِنْ نَوْمٍ سَكِرَ * كَفَاهُ مَرَّةً مِنْكَ النَّدَاءُ
فَلَيْسَ بِقَائِلٍ لَكَ : إِيَّاهُ دَعَى * وَلَا مُسْتَخْبِرًا لَكَ مَا تَنَاءُ
وَلَكِنْ سَقَى وَيَقُولُ أَيْضًا * عَلَيْكَ الصَّرْفُ إِنْ أَعْيَاكَ مَاءُ
إِذَا مَا أَدْرَكَتْهُ الظُّهُرُ صَلَّى * وَلَا عَصْرٌ عَلَيْهِ وَلَا عِشَاءُ
يَصَلِّي هَذِهِ فِي وَقْتِ هَذِي * وَكُلَّ صَلَاتِهِ أَبَدًا قَضَاءُ
وَقَالَ أَنَسٌ :

نَهَتْ تَدْمَانِي فَهَيَّوْا * بَعْدَ الْمَنَامِ لِمَا أَمْتَحِبُّوْا
هَذَا أَجَابَ وَذَا أَنَا * بَ وَذَا يَسِيرُ وَذَاكَ يَحْبُو
أَنْشَلْتَهُمْ بَيْنَا يَسْلُمُ * ذَا الصَّبَابَةِ كَيْفَ يَصْبُو
« مَا الْعِيشُ إِلَّا أَنْ تُحِبَّ * وَأَنْ يَحْبَكَ مِنْ تَحَبَّ »
فَتَطْزُرُوا وَالْأَرْيَحِيَّةُ شَانَهَا طَرَبُ * وَشَرِبُ
وَقَالَ أَبُو عُبَادَةَ الْبَهْرِيُّ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

وَتَدِيمُ نَهْتُهُ وَدَجَى الْإِلَى * لَمْ يَضُوءُ الصَّبَاحُ يَتَلَجَّانِ
فَمِنْ بَادِرِهَا الصِّيَامَ فَقَدْ أَقَ * حُرْ ذَاكَ الْحَلَالُ مِنْ شَعْبَانِ

وقال أيضا :

بات نديماً لي حتى الصباح * أغيدُ مجدولٌ مكانَ الوشاح
كأنما يسيم عن لؤلؤ * مُنْقَدٍ أو بردٍ أو أفاح
يساقط الوردَ علينا وقد * تبليج الصبح، نسيمُ الرياح
إن لانت عطفاه قسا قلبه * أو ثبّت الخلل جال الوشاح
أمنُجُ كأمي يحنّ ريقه * وإنما أمنُجُ راحا براح

ومنهم من كره التديم وآثر الأفراد . قال إبراهيم الموصلي عفا الله تعالى عنه

ورحمه :

دخلت يوما على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب ، فقلت له :
لئدّم كلبا ! قال : نعم ، يمتنى أذاه ، ويكف عني أذى سواه ، ويشكر قليل ،
ويحفظ ميثقي ومقيلي . وأنشد :

وأشرب وحدي من كراهي الأذى * مخافة شرّ أو سبابٍ لئسم
اتّهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل في السقاة ؛ فمن ذلك قول الصنوبري عفا الله عنه :

ومؤرد الخلتين يحد * طريحين يخطرفي مؤرد
يسقيك من جنّ الجير * من إذا سقاك دموع صعبد
حتى تظنّ النجم ين * زلّ أو تظنّ الأرض تصعد
فإذا سقاك بينه * وبفيه ثم سقاك باليد
حيّاك بالياقوت ثم الدرّ من تحت الزبرجد

(١) هذا البيت ساقط من أبيات هذه القصيدة في ديوان البصري .

وقال ديك الجحش :

ومُزِرٍ بالقضيب اذا تَنَيَّ * ومزهاة على القمر التام
سَقَانِي ثُمَّ قَبْلِي وأوما * بطرفِ سُقْمِهِ يَسْفِي سَقَامِي
فَيْتَ لَهُ عَلَى النَّدْمَانِ أَسَقَى * مُدَامًا فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

وقال ابن المعتز :

تدور علينا الراحُ من كَفِّ شاذين * له لحظٌ عين يشتكى السقمَ مُدْنِفٌ
كَأَنَّ سَلَاقَ النَّمْرِ من ماء خَذَهُ * وعقودها من شعره الجعد يُقَطِّفُ

وقال أيضا :

بين أقداحهم حليثٌ قصيرٌ * هو محروما سواء الكلامُ
فَكَأَنَّ السُّقَاةَ بين الندامى * أَلْقَاكَ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ

وقال أحمد بن أبي قحط :

بكفٍ مُقَرَّطِي خَنِيثٍ * تطيب بطيبه الرِّيبُ
تراها وهي في كَفِي * من خَذِيهِ تَلْتَهِبُ

وقال الصنوبري :

وساقٍ اذا هم تَدَمَّانَا * بَانَ يُزْجِي الكَاسَ لَمْ يُزْجِه
كَلِمَةً عَاجٍ عَلَى فَرْشِهِ * وَلَيْثٌ حَرِيرِينَ عَلَى سَرَجِهِ
لَطِيفِ الْمَنْطِقِ مَهْتَرَهُ * هَمِيلِ الْمُؤَزَّرِ مَرْتَجَهُ
سَقَانِي بِعَيْنِهِ أَضْمَأَ مَا * سَقَانِي بِكَفِيهِ مِنْ غَضَبِهِ

وقال آخر :

يَاسَاقِي الْقَوْمِ إِنْ دَارَتْ إِلَى فَلَا * تَمُزِّجُ فُلَانِي بِدُمْعِي مَازِجَ كَلَامِي
وَيَاقِي الْحَيَّ إِنْ غَشِيَتْ مِنْ طَرَبٍ * فَنَنْ : وَاحِرًا مِنْ قَلْبِهِ الْقَاسِي

وقال ابن المعتز :

وعاقِدُ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الآسِ * دَقِيقُ الْمَعَانِي مُخْطَفُ الْخَصْرِ مَيَّاسِ
سَقَانِي عُقَّارًا صَبَّ فِيهَا مَزَاجُهَا * فَأَصْحَكُ عَنْ ثَمَرِ الْحَبَابِ قَمَّ الْكَلَّاسِ

وقال أيضا :

قام كالنصن في النقا * يَمْزُجُ الشَّمْسُ بِالْقَمَرِ
وسَقَانِي الْمَسْدَامَ وَاللَّيْلُ بِالصَّبْحِ مُؤَثَّرِ
وَالثَّرِيَّا كَثُورِ غُصْنِي عَلَى الْغُرْبِ قَدُورِ

وقال البحتري :

وفي الْقَهْوَةِ أَشْكَالُ * مِنْ السَّاقِ وَالسَّوَالِ
حَبَابٌ مِثْلُ مَا يَضَحُّ * لَكَ عَنْهُ وَهُوَ جَذَلَانُ
وَيُسْكِرُ مِثْلَ مَا يُسْكِرُ * رُطُوفٌ مِنْهُ وَسَنَانُ
وَطَعْمُ الرِّيقِ إِنْ جَادَ * بِهِ وَالصَّبِّ هَيَّانُ
لَنَا مِنْ كَفِّهِ رَاحٌ * وَمِنْ رِيَّاهُ رِيحَانُ

وقال أبو القاسم الهبيري الكاتب رحمة الله تعالى عليه :

سَقَانَا الرِّاحَ سَائِغًا، كُلُّ رَاحٍ * سَوَى الْخَاطِظِ عَيْنِهِ مَرَابُ
يَدِيرُ الْكَأْسَ مَبْتَسِمًا عَلَيْنَا * فَمَا نَدْرِي أَتَفَرَّأَمُ حَبَابُ؟
وَقَدْ سَفَرُ الدَّجَى عَنْ ثُوبِ بَغْرِ * مَنِيرٍ مِثْلَ مَا سَفَرُ النِّقَابِ
نَخَلْتُ الصَّبِيحَ فِي أَثَرِ الثَّرِيَّا * بِشِيرٍ أَجَاءَ فِي يَدِهِ كَلْبُ

وقال أبو الشَّيْص :

يَطُوفُ طِينًا بِهِ أَحْشَوُ * يَدَاهُ مِنَ الْكَأْسِ مَغْضُوبَتَانِ
غَزَالٌ نَمِيلٌ بِاعْطَافِهِ * قَنَاءٌ تَمُطُّ كَالْخَيْزُرَانِ

وقال أبو بكر محمد بن عمار :

وهويته يسقى المدام كأنه * فريطوف بكوكب في حندس
متأرجح الحركات سدَى ريمه * كالنصن هنزته الصبا بتفيس
يسمى بكليس في أنامل سوسن * ويدير أخرى في محاجر ترجيس

وقال المعوج يصف ساقية :

لايش إلا من كف ساقية * ذات دلال في طرفها مرس
كأنما الكأس حين تمزجها * نجوم ليل تسلو وتخفض
وقال آخر يصف امرأة ساقية :

❦

وساقية كانت بمفرقها * أكاليلًا على طبقات ورد
لها طيب المنى وصفاء لون * وحررة وجنية ومذاق شهد

١٠

وقال ديك الجن يصف ساقيا وساقية :

أفديكا من حامل قدحين * قرين في غصنين في ديصين
رود متعة ومهضوم الحشا * للناظرين منى وقرة عين
قامت مؤتة وقام مؤتسا * فتأها الأخط بالنظرين
حبا على الراح إن هلاكا * قد صب نعمته على الثقلين
والى كأسكا على ماخيت * بالبر مجونا بماء لجين

١٥

الباب السادس

من القسم الثالث من القرن الثاني

في الغناء والسماع، وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة، وما استدلت به من رأى ذلك؛ ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر، وأخبار المفتين الذين قالوا الغناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن أشتهر بالغناء وأخبار القيان.

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة

قد تكلم الناس في الغناء في التحريم والإباحة واختلفت أقوالهم وتباينت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم؛ ففهم من رأى كراهته وأنكر أسماعه، واستدل على تحريمه؛ ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقا وإباحه وسمي على إباحته؛ ومنهم من فرق بين أن يكون الغناء مجزوا أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمغازف والقصب، فأباحه على أنفراده وكرهه إذا أنضاف إلى غيره وحرم سماع الآلات مطلقا. ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة استدلت بها. وقد رأينا أن تثبت في هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف النظائر المطولة فتقول وباقة التوفيق.



أما ما قيل في تحريم الغناء وما استدلت به من رأى ذلك، فإنهم استدلتوا على التحريم بالكتب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علماء

المسلمين . أما دليلهم من الكتاب العزيز فقول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتِهِمْ مَعْرُضُونَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّفْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِضَيْرٍ عَلِيمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَفْطَمَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَقِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَسْجُبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ . قال ابن عباس : (سَامِدُونَ) هو الغناء بلغة حمير ، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن ، سمد فلان إذا غنى . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) : إنه الغناء ، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهه . وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هو — والذي لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَفْطَمَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ قال : صوته الغناء والمزامير . وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قال : الغناء .

وأما دليلهم من السنة ، فما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن الله عز وجل حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاكتماع إليها ، ثم قرأت ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ الآية . وروى أبو أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعت الله عز وجل إليه شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمساك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أول من نوح وأول من غنى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نُبِتُ عن صوتين أحقّين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة".

- وأما أقوال الصمّابة والتابعين رضى الله عنهم ، فقد روى عن عثمان بن عفّان رضى الله عنه أنه قال : ما تَنَبَّيتُ قَطُّ . فَنَبْرًا من الفناء وَتَجَبُّجَ بَرَكَه . وَرُوى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الفناء يُنْهتُ التَّفَاقُ في القلب كما يَنْهتُ الماءُ الْبَقْلَ . وَرُوى أنَّ ابن عمر رضى الله عنهما مرّةً على قومٍ محرّمين ومعهم قومٌ ورجلٌ يَفْتَى فقال : ألا لا أسمعُ والله لكم ، ألا لا أسمعُ والله لكم . وَرُوى عن عبد الله بن دينار قال : مرّ ابن عمر رضى الله عنهما بِجاريةٍ صَنْبِرةٍ تَفْتَى ، فقال : لو تركَ الشَّيْطَانُ أَحَدًا تركَ هذه . وعن إسحاق بن عيسى قال : سألتُ مالك بن أنس رضى الله عنه عما ترخّص فيه بعض أهل المدينة من الفناء فقال : ما يفعله عندنا إِلَّا الْفُسَّاقُ . وقال الشعبي : لَمِنَ الْمَفْتَى وَالْمَفْتَى لَهُ . وقال الحكم بن عتيبة : حُبُّ السَّمَاعِ يَنْهتُ التَّفَاقُ في القلب . وَرُوى أن رجلاً سأل القاسم بن محمد فقال : ما تقول في الفناء ، أحرام هو ؟ فأعاد عليه ؛ فقال له في الثالثة : أنا كان يوم القيامة فأتى بالحق والباطل أين يكون الفناء ؟ قال : مع الباطل . قال القاسم : فَأَفَيْتَ نَفْسَكَ . وقال الْفُضَيْل بن عياض : الفناء رُقِيّةُ الزَّنا . وقال بعضهم : الفناء رائدٌ من رَوَادِ الْفُجُورِ . وقال الضمّاك : الفناء مَقْسَدَةٌ للقلب ، مَسْخَطَةٌ للرب . وقال يزيد ابن الوليد مع أشتهاره بما أشتهر به : يا بنى أُمَيّةَ ، إِيَّاكُمْ وَالْفَنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ الْحَيَاةَ وَيَزِيدُ في الشَّهْوَةِ وَيُهْدِمُ المَرْوَةَ ، وَإِنَّهُ لِيَنْوِبُ عَنِ النِّجْمِ وَيُفْعَلُ ما يفعله السكرانُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا شَيْءَ فَاعْلَمُوا بِفَنَائِهِمُ النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّ الفناء رُقِيّةُ الزَّنا . وَإِنِّى لَأَقُولُ ذَلِكَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَشْبَهَى إِلَى قَضَى مِنَ الْمَاءِ إِلَى ذِي النَّفْثَةِ الصَّادِي ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُقَالَ .

- وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتاب أدب القضاة : الغناء لمؤمروه يشبه الباطل . وقال : من استكثر منه فهو سفيه تُردّ شهادته . قال القاضي حسين بن محمد : وأما سماعه من المرأة التي ليست بحرم ، فإن أصحاب الشافعي قالوا : لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب ومواء كانت حرّة أو مملوكة . وقال الشافعي : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه تُردّ شهادته . ثم غلظ القول فيه وقال : هو ديانته . قال : وإنما جعل صاحبها سفيها لأنه دعى الناس إلى الباطل ، ومن دعى إلى باطل كان سفيها فاسقا . وقال مالك بن أنس : إذا أشتري جارية فوجدتها مغنية كان له ردها بالعيب ، قال : وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وذلك مذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم التيمي ، والشعبي وغيرهم لا خلاف بينهم في ذلك . قال : ولا يعرف أيضا بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد : والغناء يورث العناد في قوم ، ويورث التكذيب في قوم ، ويورث الفسادة في قوم .

وقال بعضهم عن حاله عند السماع :

- أخذ كُرُوقتنا وقد أجمعنا * على طيب الغناء إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى * فأسكرت القوم بنير راج
فلم ترفيعهم إلا نشأوى * سرورا والسرور هناك صاحي
إذا لي أخو اللذات فيه * منادى اللهو حتى على السباح
ولم يملك سوى المهجات شيئا * أرقناها لألحاظ ملاح

هذا ملخص ما ذكره في تحرير الفناء . وقد استدل من أباحه بما يناقض ما تقدم على ما ذكر ذلك إن شاء الله في إباحة الفناء .

ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة

وقد تكلم الناس في إباحة الغناء وسماع الأصوات والنفثات والآلات ، وهي الدف والبراع والقصب والأوتار على اختلافها من العود والطنبور وغيره ، وأباحوا ذلك وأستدلوا عليه وضحقوا الأحاديث الواردة في تحريمه ، وتكلموا على رجالها وجرحهم وبسطوا في ذلك المصنفات ووسعوا القول وشرحوا الأدلة . وطالمت من ذلك علة تصانيف في هذا الفن مجردة له تضاف إلى غيره من العلوم . وكان ممن تكلم في ذلك وجرده تصليفا الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى ، فقال في ذلك ما نذكر مختصرا ومعناه :

إعلم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة إلى الكافة . قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الْعَلْيَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ بُولُوا هُمُ الْمُقْلِقُونَ ﴾ . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأدى الأمانة ، وفصح الأمة ، وسنّ وشرع ، وأمر ونهى ، كما أمر صلى الله عليه وسلم . فليس لأحد بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم والاتباع لستهم أن يحزم ما أحل الله عز وجل وزسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق من آية محكمة ، أو سنة ماضية صحيحة ، أو إجماع من الأمة على مخالفته .

وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية المكذِّبين والمجرحين الذين لا تقوم بروايتهم حجة ، وبأقوال من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه ، فلا يرجع إلى قولهم ولا يُسلك طريقهم ؛ إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد من الناس أولى من قول غيره ، وإعما يُلزم بقول من أيد بالوحي والتزيل ، وعصم من التفسير والتبديل . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحى من الله تعالى . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم يقل فيه وحى توقف حتى يأتيه الوحي ، وليست هذه المنزلة لغيره فيلزم قبول قوله .

ذكر ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

- ١٠ . قد استدلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تهاولت به الأنصار يوم بُعث وليستا بمغنيات ؛ فقال أبو بكر : أمر مارُ الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلك يوم عيد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **”نينا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا“** . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعَاث ؛ فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فآتهرنى وقال : **”من مارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”دعهما“** . فلما غفل غمزتهما ففرجنا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدُرُق والحِراب ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : **”كشطين شظيرين“** فقلت نعم .
- ٢٠ .

فأقامني وراعه ، خذني على خذته وهو يقول : "دونكم يا بني أَرْفَدَةَ" حتى اذا مَلِكْتَ قال . "حَسْبُكَ؟" قلت نعم . قال : "فَأَذْهَبِي" . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تُدَقِّقَانِ وَتَضْرِبَانِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَنَشِّئٌ بِثَوْبِهِ ، فَاتَّهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ : "دَعُوهمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ" .
وتلك الأيام أَيَّامُ مَيِّ . وقالت عائشة : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرْنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ فزَجَرَهُمْ عَمْرٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "دَعُوهمْ أَمَّا بَنِي أَرْفَدَةَ" (يعنى من الأمن) . قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث : أَيْنَ يَقَعُ انْكَارُ مَنْ أَنْكَرَ مِنْ انْكَارِ سَيِّدِي هَذِهِ الْأُمَّةَ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيْ بَكْرٍ وَعَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا !
وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما إنكارهما ، فرجما عن رأيهما إلى قوله صلى الله عليه وسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جاريةً من الأنصار في سِجْرِي فَرَفَضْتُهَا ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْمَعْ غَنَاءً ، فَقَالَ : "يَا عَائِشَةُ لَا تَبْخِشِينَ مَعَهَا مِنْ يَفْنَى فَإِنْ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُحِبُّونَ الْغَنَاءَ" . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نَكَحَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ بَعْضَ أَهْلِ عَائِشَةَ فَأَهْدَتْهَا إِلَى قُبَاءٍ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَهْدَيْتِ عَمْرُسُكِ؟" قالت نعم . قال : " فَأَرْسَلْتِ مَعَهَا يَفْنَاءً فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَهُ " ؟ قالت لا . قال : " فَأَدْرِكِيهَا يَا زَيْنَبُ " (امرأة كانت تنسئ بالهدية) رواه أبو الزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكي عن جابر . وعنه أيضا قال : أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتَ قُرَابَةِ لَهَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : "أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟"

قالوا نعم . قال : « أرسلتم معها » ؟ . — قال أبو طلحة راوى الحديث : ذهب عنى — فقالت لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأنصار قوم فيهم غزّل فلو بعثتم معها من يقول :

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ * فَيَنَا وَحِيَالِكُمْ »

- وَرَوَى عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ » . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ فِي كِتَابِهِ الْمُسْتَدْرَكُ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَلَمْ يَنْزِجَاهُ ، وَقَدْ نَحَرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَةَ الْقَزْوِينِيُّ فِي سُنَنِهِ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَوَجْهَ الْاِحْتِجَاجِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْبَتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَمِعُ إِلَى حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ كَمَا يَسْتَمِعُ صَاحِبُ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ ، فَاثْبَتَ دَلِيلَ السَّمَاعِ إِذْ لَا يَحْزُوزُ أَنْ يَقْبَسَ عَلَى اسْتِمَاعِ عَزَمَ . قَالَ : وَلِهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الصَّحِيحِينَ أَخْرَجَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَدْنَى اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ يَتَنَقَّى بِالْقُرْآنِ » . هَذَا مَا وَرَدَ فِي السَّمَاعِ .

١٥



وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الضَّرْبِ بِالْأَلَةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الثُّفِّ . رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَصَلْ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ

(١) الْقَدَى فِي الْمَقْدُودِ : « لِحُفُوَا غَيْبِكُمْ » وَرَجَّحَهُ الْقَافِيَةُ إِذْ رَوَى الْبَيْتَ ثَلَاثًا :

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّوْرَا * لَمْ تَحُلْ بِرَوَادِيكُمْ

- ٢- (٢) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا : « الْاسْتِمَاعُ عَزَمَ » وَهُوَ بِمَا عُرِفَ عَنْ « اسْتِمَاعِ حَرَمٍ » أَوْ « الْاسْتِمَاعِ الْحَرَمِ » بِتَعْرِيفِهِمَا نَبَا أَوْ تَكْرِيمًا مَا .

(٣) فِي نَهَايَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ : « مَا أَدْنَى اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأَدْنَى لِنَبِيِّ يَتَنَقَّى بِالْقُرْآنِ . أَيْ مَا اسْتَمَعَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأَسْمَاعِهِ لِنَبِيِّ يَتَنَقَّى بِالْقُرْآنِ ، أَيْ تَلُوهُ : بِجَهْرِهِ » .

الثَّف والصوت في النكاح". قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى : هذا حديث صحيح الزم أبو الحسن الدارقطني مسلماً إخرجه في الصحيح، وقال : قد روى عنه (يعني محمد بن حاطب) أبو مالك الأشجعي ويحيى بن حرب وأبن عون ويوسف بن سعد وغيرهم . قال : وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله ابن ماجه في سُنَّتهما . وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفعه إلى جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دف فقال : "ما هذا" ؟ قيل : فإِن تزَّوج . فقال : "هذا نكاح ليس بالسَّفاح" . وقد ضعف أبو الفضل إسناده هذا الحديث ، وقال : إنما أخرجه على ضعف إسناده لأنه شاهد الحديث الصحيح المتقلم . وروى أبو الفضل أيضا بسنده إلى خالد بن ذَكْوَان عن الرُّبِيع بنت مَعُوذ قالت : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على صبيحة بُني عُلَى ، جلّس على فراشي كجلّسك مني ، فجعلت جَوَّيرَاتُ يَضْرِبْنَ دَفَّ لَهْنٍ ويندُبْنَ مَنْ قُبِلَ من آبائي يوم بدر إلى أن قالت إحداهن : وفيما نبيُّ يعلم ما في ضد؛ فقال : "دَعِيَ هَذَا وَقُولِي الَّذِي كُنْتَ تَقُولِينَ قَبْلَهُ" . وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذكوان أمّ من هذا، قال : كنّا بالمدينة يوم عاشوراء وكان الجوّاري يَضْرِبْنَ بالثَّف ويَضْنَين ، فدخلنا على الرُّبِيع بنت مَعُوذ ، فذكرنا لها ذلك ، فقالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عُمَري وصنّدي جاريتان تُغْنِيَان وتَسُدُّانِ آبائي الذين قُتِلوا يوم بدر ، وقولان فيا قولان : وفيما نبيُّ يعلم ما في ضد، فقال : "أما هذا فلا تقولوه لا يعلم ما في ضد إلا الله عز وجل". وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا، فسُكِّرَتْ

(١) التي في البخاري : «فدخل حين بنى على» .

(٢) التي في البخاري : «دعى منه وقول باقي كنت تقولين» .

جارية من قریش لئن رزاه الله تعالى أن تضرب في بيت عائشة بْدَف . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فلانة آتت فلان نذرت لئن رزاه الله تعالى أن تضرب في بيتي بْدَف ؛ قال : "فَتَضْرِبُ" . قال أبو الفضل : وهذا إسناد متصل ورجاله ثقات ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا نذر في معصية الله" . فلو كان ضربُ الدف معصيةً لأمر بالكفير عن نذرها أو منعهما من فعله . وروى عن الشعبي قال : مرَّ عياض الأشعري في يوم عيد فقال : مالي لا أراهم يُفلسون فإنه من السنة ! . والتغليس : الضرب بالدف . قاله هشيم .



- ١٠ وأما ماورد في البراع، فقد احتج بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ما أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه قال : حدثنا أحمد بن عبد الله القُداني، حدثنا مسلم، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع، قال : سمع ابن عمر رضي الله عنهما مناراً، فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق، وقال لي : يا نافع، هل تسمع شيئاً ؟ قلت لا . قال : فرفع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . قال أبو عبد الله اللؤلؤي : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكرو . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث نرجه أبو داود في سننه هكذا وقد أنكره . وقد ورد من غير هذا الطريق أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع راعياً وذكراً . وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد؛ فإن سليمان هذا هو الأشدق الدمشقي تكلم فيه أهل النقل وتفرد بهذا الحديث عن نافع ولم يروه عنه غيره . وقال البخاري : سليمان بن موسى عنده مناكير . والثاني
- ١٥
- ٢٠

قول عبد الله بن عمر لنافع رضى الله عنهم : أسمع ؟ ولو كان ذلك منياً عنه لم يأمره بالاستماع . وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . ولو كان حراماً لنهاه عنه وصرح بتحريمه ؛ لأنه الشارع المأمور باليان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَظْتُ عَلَى سَهْوَةٍ لِي سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ وَجْهَهُ وَهَتْكَه . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بأبائه فنهاه عن ذلك ، ورأى يزيد بن طَخْفَةَ مضطجماً على بطنه فنهاه وقال : ” هَذِهِ صِغَةُ يُغَضُّهَا اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ “ . وسمع صلى الله عليه وسلم رجلاً يلحن ناقته ، فوقف فقال : ” لَا يَلْبَحُنَا مَلْعُونٌ “ ؟ فَنَزَلَ عَنْهَا وَأَرْسَلَهَا . قال الحافظ المقدسى : وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال ، فنبت فساد هذا الحديث إسناداً ومتناً .



وأما ما ورد في القصب والأوتار . ويقال له التغيير ، ويقال له القطعقة أيضاً . ولا فرق بينه وبين الأوتار ؛ إذ لم يوجد في إباحته وتحريمه أثر لا صحيح ولا سقيم ؛ وإنما استباح المتقلمون استماعه لأنه لما لم يرد الشرع بتحريمه ، وكان أصله الإباحة .

وأما الأوتار ، فالتقول فيها القول في القصب ، لم يرد الشرع بتجليلها ولا تحريمها . قال : وكل ما أورده في التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا خلاف بين أهل المدينة في إباحة سماعه . ومن الدليل على إباحته أن إبراهيم بن

(١) السهوة : سرة تكون قدام ثناء البيت ربما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هوشية بإلف أو اللاق يوضع . النبي . (عن لسان العرب) .
(٢) في الأصل : « لا محيط ولا مقيا » .

- سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالة وفقهه وثقته كان يُفتى بحله ، وقد ضرب بالعود - وسنذكر خبره في ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى - ولم تسقط عدالته بفعله عند أهل العلم ، فكيف تسقط عدالة المستمع ! وكان يبالغ في هذا الأمر أتم مبالغة . وقد أجمعت الأئمة على عدالته وأتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح ؛ وقد عُلِمَ من مذهبه إباحة سماع الأوتار . والأئمة الذين رَوَوْا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه ورووا عنه بعد استماعهم غناه وعليهم أنه يُدبِّحه ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ، سمع منه ببغداد بعد حلفه أنه لا يحدث حديثا إلا بعد أن يُفتَى على عود ، وذلك أنه لا شك سمع غناه ثم سمع حديثه . قال : وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا تحريره نص يُرجع إليه ، فكان حكمه بحكم الإباحة . وإنما تركه من تركه من المتقنين توجها كما تركوا لبس اللين وأكل الطيب وشرب البارد والاجتماع باللسوان الحسن ، ومعلوم أن هناك حلالا . وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الضب وسئل عنه أحرام هو ؟ قال : " لا ولكن لم يكن بأرضي قومي فأجذني أعافه " وأكل كل على مائدته صلى الله عليه وسلم . وقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : إذا رأيت أهل المدينة اجتمعوا على شيء فاعلم أنه سنة . وقد روى عن محمد بن سيرين رحمه الله أنه رأى رجلا قديم المدينة بجوار ، فترد على ابن عمر وفيه جارية تضرب ، فجاء رجل فساومه فلم يوهن شيئا . فقال : انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا من هذا ، فأتى إلى عبد الله بن جعفر فعرض عليه ، فأمر جارية قال : خذي ، فأخذت العود حتى طلق ابن عمر أنه قد نظر إلى ذلك ؛ فقال ابن عمر : حسبك سائر اليوم من مزمار الشيطان ، قال : فبايعه . ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني غُبت بسبعائة درهم . فأتى

أَبْنِ عَمْرٍ إِلَى أَبْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ فُتِنَ بِسَبْعَائَةِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا أَنْ تُعْطِيَهَا إِيَّاهُ وَإِنَّمَا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ بَيْعَهُ ؛ فَقَالَ : بَلْ نَسْطِيحُهَا إِيَّاهُ . وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ ذِكْرُهَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَرْمٍ وَأَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى إِبَاحَتِهِ فَقَالَ : فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ سَمِعَا الْفَتَاءَ بِالْعَوْدِ ، وَإِنْ كَانَ أَبْنِ عَمْرٍو كَرِهَ مَا لَيْسَ مِنَ الْحَدِّ فَلَمْ يَنْتَهَ عَنْهُ ، وَفَدَّ سَفَرِي بِبَيْعِ مَغْنِيَةٍ كَمَا تَرَى ، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا اسْتَجَازَ ذَلِكَ أَصْلًا .



- وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْمَلَاهِي ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْخَافِضُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْقُلَيْسِيُّ : وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْمَلَاهِي ، فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِمُجَازِ اسْتِمَاعِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ بِسَنَدٍ رَفِيعٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ فَمَازِي قُلْتُ لِنَفْلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْلَةً وَكَانَ يَرْعَى مَعِيَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ غَنِيَّ حَتَّى أُدْخِلَ مَكَّةَ فَأَسْتَمُرَّ بِهَا كَمَا يَسْتَمُرُّ الشَّبَابُ قَالَ أَفْعَلُ . فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دِيَارِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْأَنْفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالُوا فَلَانُ تَرْجُحُ بِلَالَةَ بِنْتُ فَلَانٍ بَخْلَسَتْ أَنْظَرَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَدْنَى فَنَمْتُ لَهَا أَيْقَطَى إِلَّا مَسَّ الشَّمْسُ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ مَاذَا فَعَلْتَ قُلْتُ مَا صَنَعْتُ شَيْئًا ثُمَّ خَبَرْتَهُ الْخَبْرَ [فَقَالَ ^(١)] ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ
- (١) سفر : سعى وتوسط ، ومنه السفير وهو الرسول المصلح بين القوم . وفي باب البيوع من كتاب المحل لابن حزم : وسعى في بيع مفتية .
- (٢) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل ، وسياق الكلام لا يقتضيا .

- ذلك فقال أفعل فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت تلك الليلة فسالت عنه فقالوا فلان نكح فلانة بغلست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مسّ الشمس فخرجت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسالته . قال الحافظ أبو الفضل :
- وكان هذا قبل النبوة والرسالة ونزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام ، فإن الشرع لما ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقره على ما كان عليه في الجاهلية ولم يحرمه كما حرم غيره . قال : والدليل على أنه باق على الإباحة قول الله عز وجل :
- ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . ثم بين الدليل على ذلك بما رواه بسنده إلى جابر ذلك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً ، يخطب خطبتين . فكانت الجوارى إذا أنكحوهن يمزون فيضربون بالدف (١) والمزامير فيسأل الناس ويدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ . وقال :
- هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد الله بن حميد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال . والله عز وجل عطف الله على التجارة وحكم المعطوف حكم المعطوف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة ، ثبت أن هذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتنّيه على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم خرج ينظر إليه ويستمع . ولم ينزل في تحريمه آية ولا سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، فعلمنا بذلك بقاءه على حاله .

قال: ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حديث عائشة رضي الله عنها في المرأة التي زنتها وقد تقدم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفعه عن زوج دُرّة بنت أبي كعب قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجت دُرّة فقال : "هل من لهو" .

ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم الغناء والسماع

١٠

قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه وقسروا بها الآيات والأحاديث التي استدلوا بها على تحريمه مما قدّمنا ذكر ذلك في مجملهم وما لم نذكره مما يستدل به على تحريمه وكراهته وضمف رجالها . وتكلم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا في ذلك ووهن احتجاجهم إذا ثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

قال الحافظ أبو الفضل :

أما ما احتجوا به من الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية . وما أوردوه في ذلك من الأسانيد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فنظرت في جميعها فلم أر فيها طريقا يثبت إلا واحدا منها رواه يوسف بن موسى القطان عن جبر بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : الغناء وأشباؤه . وسائرهما لا يخلو من رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة .

قال : ورأيت في بعضها رواية عطية العوفي عن ابن عباس من حديث غير ثابت أصلا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : باطل الحديث وهو الغناء

ونحوه ؛ وهو أن رجلا من قريش اشترى جارية مغنية فزالت فيه . قال : وهذا وإن لم يصحّ عندى الاحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم احتجّوا به فيكون في حقّ هذا الرجل بيعته .

- وقد ورد في الآية تفسير ثالث يلزمهم قبوله على أصلهم ، وذكر حديثا رفعه إلى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) «اللعب والباطل ويتشعّ نفسه أن يتصدّق بدهم» . قال : وهذا أيضا غير ثابت عندى وإنما أوردت هذين التفسيرين مناقضة لما أوردوه فيما تمسكوا به .

- قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحجّ عليه ولا ألزمهم إياه ، بل أقول صحّ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على الكتاب ، وأن الكتاب لا يقضى على السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع للفناء وأمر باستماعه ، وقد أوردنا في ذلك من الأحاديث ما تقدم إirاده . قال : وجواب ثانٍ يقال هؤلاء القوم المحتجّين بهذه التفاسير : هل علم هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه ؟ فإن قالوا : لم يعلمه وعلمه هؤلاء ، كان جهلا عظيما بل كفرا . وإن قالوا : علمه ، قلنا : قلّ إلينا عنه في تفسير هذه الآية مثل ما نقل عن هؤلاء من الصحابة ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال . ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) هو الفناء ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما كان معكن لهو فإن الأنصار يسجدون لهم» .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ثلاثة ليس لها أصل : المغازي ، والملاحم ، والتفسير .

وقال أبو حاتم محمد بن حسان في كتاب الضمفاء : الله عز وجل يؤتي رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) .

ومن الخلل المحال أن يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين خلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسراً لم حتى يفهموا مراد الله عز وجل فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل أبان مراد الله عز وجل من الآي وقسر لأئمته ، ما تهم الحاجة إليه ، وبين سته صلى الله عليه وسلم . فمن تبع السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجل وأغناه الله تعالى عن الكلبي ونويه ، وما لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمته في معاني الآي التي أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أئمة أجوز ، وترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى .

قال : ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) القرآن كله أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابهاً من الآي . فالآيات التي ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأئمة . فلما فصل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أن المراد من قوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) كان بعض القرآن لا الكل .

وقال الإمام أبو حنيفة النعماني رحمه الله في هذه الآية : وأما شراء لحو الحديث بالدين استبدالا به ليضلل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس التراجع فيه .

وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الآية؛
ولو قرأ القرآن : ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين : أنه كان يؤتم الناس ولا يقرأ إلا سورة " عبس " .
ثم فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله [ورأى فعله
حراما لما فيه من الإضلال^(١)] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

وقال الثعلبي في أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبي ومقاتل : نزلت
في النضير بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد الدار بن قصي ؛ كان يتجبر فيخرج
إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيروها ويحدث بها قريشا ويقول : إن محمدا
يحدثكم بمحدث عاد وثمود وأنا أحدثكم بمحدث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة
فيستملحون حديثه ويتركون آستماع القرآن .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أَفَنُحَدِّثُكَ نَحْنُ وَنَضْحَكَوْنَ وَلَا تَنْكُرُونَ ﴾
وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿ قال ابن عباس : هو الغناء بلغة حمير ، ينى - السود - قال الغزالي
رحمه الله : فنقول ينبغي أن يحترم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشمل
عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا
مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى :
﴿ وَالْأَشْعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم
الشعر في نفسه .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِفِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ . قال الثعلبي :
قال الحسن ، عن المعاصي . وقال ابن عباس : الحليف الكاذب . وقال مقاتل :

(١) الزيادة من كتاب الإحياء للغزالي .

الشم والأذى . وقال غيرهم : ما لا يحل من القول والفعل . قال : وقيل اللغو الذى لا فائدة فيه .

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . قال الثعلبي : أى التقيح من القول . وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سُرُوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . قال مقاتل : إذا سمعوا من الكفار الشم والأذى أعرضوا وصفحوا ، وبقوله : ﴿ وَأَسْتَغْزِزْ مَنْ أَسْطَقَمَتْ مِنْهُمْ بَصُوتُكَ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : بدعائك إلى معصية الله تعالى . وكل دأع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس .

وأما ما أحتجوا به من الحديث فإنهم أحتجوا بحديث روى عن أبى أمانة الباهلى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل بيع المغنيات ولا شراءهن ولا تحمل التجارة فيهن وأثمانهن حرام والامتناع إليهن حرام » . قال الحافظ أبو الفضل المقدسى رحمه الله : هذا حديث رواه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبى أمانة ، قال : والصحابة كلهم مدول . وأما عبيد الله بن زحر وعلي والقاسم فهم فى الرواية سواء لا يمتنع بحديث واحد منهم إذا انفرد بالرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله . أما عبيد الله بن زحر فيقال : إنه من أهل مصر . قال أبو مسهر النسائي : عبيد الله بن زحر صاحب كل معضلة ليس على حديثه اعتماد . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين : عبيد الله بن زحر كيف حديثه ؟ قال : كل حديثه ضعيف ، قلت : عن علي بن يزيد وغيره ؟ قال نعم . وقال عباس السورى عن يحيى : عبيد الله بن زحر ليس بشيء . وقال أبو حاتم فى كتاب الضعفاء والمتروكين : عبيد الله بن زحر متكرر الحديث جدا ، روى الموضوعات عن انتذات وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالظلمات ، وإذا أجمع

في إسناده عبيد الله بن زحروعل بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لا يكون من ذلك الحديث إلا ما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج بهذه الصحيحة .

قال المقدسي : وهذا الحديث قد أجمعوا في إسناده، قال : وأما علي بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبي عبد الملك روى عن القاسم قال النسائي في كتاب الضعفاء : علي بن يزيد متروك الحديث . وقال أبو عبد الرحمن بن حيّان : علي بن يزيد مطروح منكر الحديث جلتا . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى بأبي عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لا يسوّى شيئا . وقال أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث . وقال أبو حاتم بن حسان : القاسم يروى عنه أهل الشام ، كان يروى عن الصحابة المعضلات ويأتي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات ، حتى كان يسبق إلى القلب أنه المتمدّد لها .
قال المقدسي : فهذا شرح أحوال رواة الحديث الذي احتجوا به في التحريم ، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدلّ به في التحليل والتحريم .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرني ربي عز وجل بنفي الطنبور والمزمار» وهو حديث رواه إبراهيم بن البّسّ بن الأشعث المكي وإسماعيل بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها . وإبراهيم هذا — قال البخاري — : منكر الحديث . وقال النسائي : المكي ضعيف .

وأحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب اللّف ولعب الصّنج وصوت الزّتارة ، وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مطر بن سالم عن علي قال : وعبد الله هو القتّاح ذاهب الحديث ، ومطر هذا شبه المجهول .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالتَّوَاهُاتِ وَعَنْ شِرَائِهِنَّ وَبَيْعِهِنَّ وَالتَّجَارَةِ فِيهِنَّ وَقَالَ : «كَسِبَتْ حَرَامٌ» . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الصَّدَائِيُّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ نَبْهَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْيِيِّ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَالْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ قَالَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : الْحَارِثُ مِنْكَ الْحَدِيثِ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : الْحَارِثُ رَجُلٌ صَالِحٌ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ وَلَا يَحْفَظُ ، مِنْكَ الْحَدِيثُ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : الْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . لَمْ يَرَوْهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبْيِيِّ وَفِيهِ وَلَا رَوَاهُ عَنْهُ غَيْرُ عَلِيٍّ بْنِ يَزِيدَ الصَّدَائِيِّ . وَعَلَى هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَدَى : أَحَادِيثُهُ لَا تُشَبِّهُ أَحَادِيثَ الثَّقَاتِ .

وَالْحَارِثُ الَّذِي رَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زُهَيْرٍ الْخَارِقِيُّ^(١) الْأَعْوَرُ ، أَجْمَعَ أَهْلَ الثَّقَلِ عَلَى كَذِبِهِ ، وَالْحَمَلُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ نَبْهَانَ وَإِنْ كَانَ فِي الْإِسْنَادِ مِنَ الضَّعْفَاءِ غَيْرُهُ .



وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَوْتُ مِرْزَمٍ عِنْدَ نَجْمَةٍ وَصَوْتُ نَذْبَةٍ عِنْدَ مَصِيْبَةٍ»^(٢) وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عُبَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ هُوَ الطَّعْمَانُ الْيَشْكُرِيُّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْهُ فَقَالَ : أَعُوذُ بِكِتَابِ خَبِيثٍ بِضْعَ الْحَدِيثِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ :

(١) كَذَا فِي أَنْسَابِ السَّمَاعِيِّ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ لِأَبْنِ جَرِّمٍ السَّعْدَانِيِّ . وَالْخَارِقِيُّ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَجَدَّهَا قَالَهُ : نَسَبُهُ إِلَى خَارِقٍ بَنِي مِنْ هَذَانَ . وَفِي الْأَمَلِ : «الْخَارِقِيُّ» وَهُوَ غَلَطٌ .

(٢) فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ : «رَدَّةٌ» .

أجمع الناس على طرح هؤلاء النفرا لا يعتد بهم، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصديقي يقول : قدم محمد بن زياد الرقة بعد موت ميمون بن مهران .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ ذَكَرَ خُسْفًا وَمُسْخَا وَقَدْ فَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : ” نَمَّ إِذَا أَظْهَرُوا التَّوَدَّ وَالْمَعَارِيفَ وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَلَبَسَ الْحَرِيرَ “ قَالَ : ٥
وهذا حديث رواه عثمان بن مطر عن عبد الغفور عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وعثمان هو الشيباني من أهل البصرة وكان ضريباً . قال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال البخاري : متروك الحديث .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” بَشَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ يَحْتَقِ الْمَزَامِيرَ وَالْمَعَارِيفَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْخَمْرَ وَأَقْسَمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِعَزَّتِهِ أَلَّا يَشْرِبَهَا عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا “ الْحَدِيثُ . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ عَنْ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : ١٠
هَذَا شَيْخٌ كَذَّابٌ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : مَتْرُوكٌ . ١٥
وقد تقدم ذكر السبيعي والحارث الأعور ، ومضى الكلام عليه .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْتَدًّا : ” إِنْ الْفِتْنَاءُ يُزِيَّتُ التَّفَاقُّ فِي الْقَلْبِ “ وَهُوَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ آبَنَ أَخِي عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَيْسَ يَسَوِي حَدِيثُهُ شَيْئاً ، ٢٠

سمعت منه ثم تركاه وكان ولي قضاء المدينة ، أحاديثه مناكير وكان كذاباً . قال النسائي : وهو متروك الحديث .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مَنْ أَسْمَعَ إِلَى قِيَانٍ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ " ^(١١) وهو حديث رواه أبو نعيم الحلي عن عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم أسماه عبيد بن هشام ^(١٢) من أهل حلب ضعيف ولم يبلغ عن ابن المبارك . مرسل .

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لعن الله النائحة والمستمعة والمفتي والمفتي له " وهو حديث رواه عمرو بن يزيد المدائني عن الحسن البصري عن أبي هريرة ، وعمرو هذا قال أبو أحمد بن عدي : منكر الحديث ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئا ، وقال ابن عدي : هذا الحديث غير محفوظ . ١٠

وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " النظر إلى المفتية حرام وغناؤها حرام ومنها حرام " وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل التوفلي المدني عن يزيد بن خُصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي ^(١٥)

(١) الآتك : الرصاص ، ولم يجز على أفضل مفرد غير هذا .

(٢) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وتهذيب التلخيص . وفي الأصل : « عبيد بن محمد » . ١٥
(٣) في تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعد أن أورد الحديث المروي « بالأصل : قال الدارقطني : تفرد به أبو نعيم ولا يثبت هذا عن مالك ولا عن ابن المنكدر .

(٤) هو أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عدي الجرجاني الحافظ المتوفى سنة ٣٦٥ هـ مؤلف كتاب « الكامل في معرفة ضغفاه المحدثين وغل الحديث » في ستين جزءا وهو أكل كتب الجرح والتعديل وعلقه اعتماد الأئمة - ويريد من أجزاءه محفوظة بدار الكتب المصرية . ٢٠
(٥) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر . وفي الأصل : « المديني » .

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويزيد الأول قال النسائي : متروك الحديث . وقال أحمد بن حنبل : عنده مناكير . وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذلك .

- وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا عَمِلْتَ أَمْرًا نَحَسَّ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ فِيهَا الْبَلَاءُ " وَذَكَرَهَا وَقَالَ فِي جَمَلَتِهَا : " وَأَتَخَذْتُ الْقِيَانَ وَالْمَعَارِفَ " ، وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ فَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ الشَّيْبَانِيُّ مِنْ أَهْلِ يَمَنٍّ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ : أَحَادِيثُ الْفَرَجِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ مَذْكُورَةٌ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : فَرَجٌ ضَعِيفٌ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَسَّانٍ : فَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ كَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ وَيُلْصِقُ الْمَتُونَ الْوَاهِيَةَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ ، لَا يَحِلُّ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ .

- وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَذَكَرَ حَدِيثًا قَالَ فِيهِ : " نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتِ عِنْدِ مَصْبِيَةٍ وَصَوْتِ عِنْدِ نَعْمَةٍ لَعِبٍ وَلَهُوَ وَمِنْ أَمِيرِ الشَّيْطَانِ " وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثَ وَضَعُفَ لِأَجْلِهِ . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَسَّانٍ ^(١) : كَانَ رَدِيءُ الْخَفْظِ كَثِيرَ الْوَهْمِ فَاحْتَسَبَ الْخَطَا يَرَوِي الشَّيْءَ عَلَى وَجْهِ الْوَهْمِ وَيَسْتَحِقُّ التَّرْكَ . وَتَرَكَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ .

(١) هو أبو حاتم محمد بن حسان مؤلف كتاب الضعفاء والمتركون وقد مر ذكره في ص ١٧٦

وَأَحْتَجَّجُوا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «انْظُرُوا مَنْ هَذَا» فَنَظَرْتُ
فَإِذَا مَعَاوِيَةُ وَعَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ . الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ : «اللَّهُمَّ أَرِكُنْهُمَا فِي الْفِتْنَةِ رَكْنًا»
وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ
الْأَسْلَمِيِّ . وَيَزِيدُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْكَذِبَةُ يَقْنُونَهُ عَلَى وَفْقِ اعْتِقَادِهِمْ
فَيَتْلَقَاهَا وَيُحَدِّثُ بِهَا ضَمَّةً أَهْلَ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ
لَيْسَ فِيهِ مَعَاوِيَةُ هَذَا ، وَأَنَّهُ ابْنُ التَّائِبِ .^(١)

قَالَ الْمُقْسِي : وَلَمْ يَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ
إِلَّا تَهَيَّرَ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَ الْحَدِيثَ ، أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَخَسُّفٌ وَسَخٌّ وَقَلْفٌ
فِي مُتَخَذِي الْقِيَامِ وَشَارِبِي الْخَمْرِ وَلَابِسِي الْحَرِيرِ» وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ زِيَادُ بْنُ
أَبِي زِيَادٍ الْجَلْصَاصُ عَنْ أَبِي نُضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَزِيَادُ
هَذَا مَقْرُوكُ الْحَدِيثِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثٍ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ مَاتَ وَلَهُ قِيَّةٌ فَلَا تَصَلُّوا عَلَيْهِ» وَهُوَ حَدِيثٌ رُوِيَ
بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مَصْعَبٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلِيٍّ .
وَخَارِجَةُ مَقْرُوكُ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ سَرَّخْسَ .

(١) فِي الْأَمَلِ : «زِيَاد» . وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَهْلِيلِ الْقَلْبِ .

(٢) كَذَا بِالْأَمَلِ وَلَمْ تَنْشُرْ عَلَيْهِ فَيَا بَيْنَ أَيْدِيْنَا مِنْ كُتُبِ الْقَرَابِيعِ .

وَأَحْتَجُّوا بِمَا رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَنْدَى قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَسْرٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَنَ الْجَنْدَى ، فَقُلْتُ : لَيْكَ يَا أَبَا صَفْوَانَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَيُؤَسِّخَنَّ قَوْمٌ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَرْبِ الْخَمْرِ وَضَرْبِ الْمَعَازِفِ حَتَّى يَكُونُوا قِرْدَةً أَوْ خَنَازِيرَ . وَالْحَدِيثُ مَوْقُوفٌ وَأَبْنُ الْجَنْدَى مَجْهُولٌ . وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَلَّا يَعْذَّبَ أُمَّتَهُ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَّمَ قَبْلَهَا فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ .

وَأَحْتَجُّوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهُ ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ أُخْرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغْنِيَّاتِ وَلَا شُرَاؤُهُنَّ وَلَا الْجُلُوسُ إِلَيْهِنَّ » ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَارَعَاحُ رَجُلٍ عَقِيرَتُهُ بَغْنَاءٌ إِلَّا أَرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ شَيْطَانٌ ^(١) عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا وَشَيْطَانٌ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا حَتَّى يَسْكَبَا » وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَعْرٍ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ رِوَايَةِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَلِيٍّ النَّمَشَقِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ . وَمُسَامَاةٌ هَذَا ، قَالَ أَبُو مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مُتَكَرِّرُ الْحَدِيثِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وَأَحْتَجُّوا بِحَدِيثِ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ رِوَايَةِ سَلَامٍ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْبَغْنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ » هَكَذَا رَوَاهُ سَلَامٌ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ لَا يُعْرَفُ . وَرَوَاهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَقَوْلُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا فِي أَسَدِ الْقَاتِبَةِ فِي سِرَةِ الصَّحَابَةِ . وَفِي الْأَمَلِ : « بَشَرٌ » وَهَذَا لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشَرٍ ^(٢) . كَذَا فِي شَرْحِ الْإِحْيَاءِ لِلْسَّيِّدِ مَرْتَضَى . وَفِي الْأَمْوَالِ : « إِلَّا أَرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ جُلُوسُ شَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ » . وَفِي الْأَمْوَالِ : « مَنْ قَوْلُهُ » .

- الله عليه وسلم . ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن مغيرة عن إبراهيم ، قوله^(١) ، ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل فيه من قول إبراهيم . قال الفزالي رحمه الله تعالى : قول ابن مسعود : بُنِيتُ النِّفَاقَ أَرَادَ بِهِ فِي حَقِّ الْمُنْفَى فَإِنَّهُ فِي حَقِّهِ بُنِيتُ النِّفَاقَ إِذْ غَرَضُهُ كُلُّهُ أَنْ يَمْرُضَ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِهِ وَيَرْوِجَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ . وَلَا يَزَالُ يَنَافِقُ وَيَتَوَدَّدُ إِلَى النَّاسِ لِيَرْضَوْا فِي غَنَائِهِ ، وَذَلِكَ أَيْضًا لَا يُوجِبُ تَحْرِيمًا .
- فَإِنْ لَبَسَ الثِّيَابَ الْجَمِيلَةَ وَرَكِبَ الْخَيْلَ الْمُهَلَّجَةَ وَسَاطَرِ أَنْوَاعِ الزَّيْنَةِ وَالتَّافَافِ بِالْحَوِثِ وَالْأَنْعَامِ وَالزَّرْعَ بُنِيتُ الرِّيَاءَ وَالنِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ وَلَا يُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ كُلِّهِ .
- فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط . بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا . ولذلك نزل ابن عمر رضي الله عنهما عن فرس هملج تحسه وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات .
- وَأَحْتَجَّجُوا بِمَدِيَّتِ رُؤْيٍ عَنْ صِفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ قُرَّةٍ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى الشَّقْوَةِ وَلَا أَرَانِي أُرْزَقُ إِلَّا مِنْ دَقِّ بَكْنَى أَقْتَازُنٍ لِي فِي الْغَنَاءِ مِنْ غَيْرِ فَاحِشَةٍ ؟
- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا إِذَنْ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً » وَذَكَرَ حَدِيثَنَا طَبْرًا ، وَهُوَ حَدِيثُ رِوَاةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ الصَّنَعَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْعَلَاءِ عَنْ بَشْرِ بْنِ ثُمَيْرٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ صِفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ .
- وَيَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ هَذَا مَدَنِي الْأَصْلُ رَازِي . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : يَكْنَى أَبَا عَمْرٍو لَيْسَ بِشَقَّةٍ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الصَّبْرِيُّ : يَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ مَقْرُوكُ الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
- (١) كَذَا فِي الْأَسْمُولِ . وَلَمَّا الْأَصْلُ : « مِنْ قَوْلِهِ » . (٢) فِي نَسْنَةِ : « الْأَسَانِيدُ » .
- (٣) كَذَا بِالْأَسْمُولِ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ عَمْرُوًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ مَا ذَهَبَ إِلَى التَّائِمِ رَكِبَ بِرَدْفَةِ فِهْلَاجٍ بِهِ فَنَزَلَ عَنْهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَنْ اللَّهُ مِنْ عَيْلِكَ ذَلِكَ .
- (٤) فِي الْأَهْلِ : « إِلَّا دَقِّ » بِدُونِ مَنْ . وَالصَّوْبُ عَنِ الشَّرْحِ الْإِحْيَاءِ لِسَيِّدِ مَرْتَضَى .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ
وَكَسْبِ الزَّقَاةِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ قَلِيلٌ سَلِيَانُ بْنُ أَبِي سَلِيَانَ الدَّوْدِيُّ الْبَصْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ
أَبْنِ بَشْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَسَلِيَانُ هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ غَيْرُ ثِقَةٍ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِقَوْلِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَفَتَيْتُ وَلَا تَمَتَيْتُ وَلَا مَسَسْتُ^(١)
ذَكَرَى يَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ صُقَيْرِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَالِكِ بْنِ يَقُولٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ قُلَيْلٍ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي حَدِيثِ الْقَفِّ وَالصَّيْدِ .



قَالَ الْمُقَدِّسِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ لَمْ أَرَفِهِ تَحْمِيلاً ، وَرَأَيْتُهُ ذَكَرَ مِنْ هَذَا أَشْيَاءَ لَمْ
يَأْتِ بِهَا ضَرِيرُهُ تُوجِبُ تَرْكَ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ النَّزَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَذَكَرَ
هَذَا الْحَدِيثَ : قُلْنَا فَلَيْكُنِ التَّمَتُّ وَمَسَّ الذِّكْرِ بِالْجَمْعِ حَرَامًا إِنْ كَانَ هَذَا دَلِيلَ تَحْرِيمِ
الْفَنَاءِ ، فَمِنْ أَيْنَ ثَبَتَ أَنَّ عُمَانَ كَانَ لَا يَتْرَكَ إِلَّا الْحَرَامَ .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ الْمُقَدِّسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَأَمْثَالُهَا
أَحْتَجَّجَ بِهَا مَنْ أَنْكَرَ السَّمَاعَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِصِنَاعَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَعْرِفَتِهِ ، فَتَرَى الْوَاحِدَ
مِنْهُمْ إِذَا رَأَى حَدِيثًا مَكْتُوبًا فِي كِتَابٍ جَعَلَهُ لِنَفْسِهِ مَذْهَبًا وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى مُخَالَفِهِ ،
وَهَذَا غُلْطٌ عَظِيمٌ بَلْ جَهْلٌ جَسِيمٌ . هَذَا مُلْخَصٌ مَا أَوْرَدَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِيهِ مِنْ
الزِّيَادَاتِ مَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى التَّلْمِيذِ وَالنَّزَّازِيِّ عَلَى مَا يَتَنَاهَى فِي مَوَاضِعِهِ .

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّزَّازِيُّ الطُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى السَّمَاعِ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجِمِ بِـ "إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ" وَبَيْنَ دَلِيلِ الْإِبَاحَةِ وَذَكَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ آدَابَ السَّمَاعِ وَأَثَرَهُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ فَقَالَ :

(١) أَيْ مَا كُنْتُ . وَالثَّنَى : الْكَذِبُ مِنْ مَنَى إِذَا قُدِّرَ لِأَنَّ الْكَاذِبَ يَحْتَرِفُ فِي قِسْمِ الْحَدِيثِ
ثُمَّ يَقُولُ (انْظُرِ السَّانَ مَادَّةَ مَنَى) .

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد
ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما
موزونة فتسمى التصفيق والرقص. ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر
ما تمسك به القائلون بتعريمه وأجاب عن ذلك بما ذكره أو مختصره إن شاء الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى : قل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة وقال :

سميع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وأبن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية
وغيرهم . وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي . قال : ولم يزل المجازيون

عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام للمعدودات التي أمر الله

عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق . ولم يزل أهل المدينة ومكة مواطنين على

السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار ^(١) يُسمَعَن [الناس] التلميع

قد أعدهن للصوفية . قال : وكان لمطاء جاريتان تُلحَنان وكان إخوانه يستمعون

إليهما . قال : وقيل لأبى الحسن بن سالم : كيف تُسَرُّ السماع وقد كان الحنيد

وسرى السقيطى وذو النون يسمعون ! فقال : كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من

هو خير منى . وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع . وإنما أنكر اللهو واللعب

في السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها ترداد

إلا قلة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء

مع الوفاء .

قال التزائلى : ورأيت في بعض الكتب هذا بينه محكما عن المحاسبي وفيه

ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره .

(١) الزيادة عن الإحياء .

وحكى عن مِشَادِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ قَعَلَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ تَتَكْرَمُنْ هَذَا السَّمَاعَ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : "مَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنْ قُلْ لَمْ يَفْتَحُونَ قَبْلَهُ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَمُونَ بِهِ بِالْقُرْآنِ" . قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَعَنْ أَبِي جُرَيْجٍ أَنَّهُ كَانَ يَرْخُصُ فِي السَّمَاعِ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ سَمِعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ حَسَنَاتِكَ أَوْ سَيِّئَاتِكَ ؟ فَقَالَ : لَا فِي الْحَسَنَاتِ وَلَا فِي السَّيِّئَاتِ لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِاللَّغْوِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) ، ثُمَّ يَنْبَغِي الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الدَّلِيلَ عَلَى إِبَاحَةِ السَّمَاعِ فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : السَّمَاعُ حَرَامٌ ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمَاقِبُ عَلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُعْرَفُ بِمَجْزُودِ الْعَقْلِ بَلْ بِالسَّمْعِ ، وَمَعْرِفَةُ الشَّرْعِيَّاتِ مَحْصُورَةٌ فِي النَّصِّ أَوْ الْقِيَاسِ عَلَى الْمَنْصُوصِ . قَالَ : وَأَعْنِي بِالنَّصِّ مَا أَظْهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، وَبِالْقِيَاسِ الْمَعْنَى الْمَفْهُومَ مِنْ أَفْظَاظِهِ وَأَفْصَالِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَصٌّ وَلَمْ يَسْتَقِمْ فِيهِ قِيَاسٌ عَلَى مَنْصُوصٍ بِطُلُّ الْقَوْلِ بِتَحْرِيمِهِ وَسَبْقِ فَسْلا لَا حَرْجَ فِيهِ كَسَائِرِ الْمُبَاحَاتِ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ السَّمَاعِ نَصٌّ وَلَا قِيَاسٌ . قَالَ : وَقَدْ دُلَّ الْقِيَاسُ وَالنَّصُّ جَمِيعًا عَلَى إِبَاحَةِ السَّمَاعِ .

أَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ أَنَّ الْفَنَاءَ اجْتَمَعَ فِيهِ مَعَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يُحْتَمَّ عَنْ أَفْرَادِهَا ثُمَّ عَنْ جَمْعِهَا فَإِنْ فِيهِ سَمَاعٌ صَوْتٌ طَيِّبٌ مُوزُونٌ مَفْهُومٌ الْمَعْنَى مُحَرَّكٌ لِلْقَلْبِ . فَالْوَصْفُ الْأَعْمُ أَنَّهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ ، ثُمَّ الطَّيِّبُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْمُوزُونِ وَغَيْرِهِ . وَالْمُوزُونُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْمَفْهُومِ كَالْأَعْمَارِ ، وَإِلَى غَيْرِ الْمَفْهُومِ كَأَصْوَاتِ الْجُمَادَاتِ وَأَصْوَاتِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ . أَمَّا سَمَاعُ الصَّوْتِ الطَّيِّبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ طَيِّبٌ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَرَّمَ بَلْ هُوَ حَلَالٌ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ .

أَمَّا الْقِيَاسُ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى تَلَذُّذِ حَاسَةِ السَّمْعِ بِإِدْرَاكِ مَا هُوَ مُخْصَصٌ بِهِ ، وَلِلْإِنْسَانِ عَقْلٌ وَخَمْسُ حَوَاسٍ وَلِكُلِّ حَاسَةٍ إِدْرَاكٌ . وَفِي مُدْرَكَاتِ تِلْكَ الْحَاسَةِ

ما يُستلَذَّ . فَلَذَّةُ البصرِ في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة . ولشَّم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة . ولذَّوق الطعوم اللذيذة كاللُّسومة والحلاوة والمحوضة وهي في مقابلة المرارة والمَرَازة المستبشعة . ولَّس لَذَّة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضَّراسة . وللعقل لَذَّة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة . فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت المعتدل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحُرِّ وضجراها ، فما أظهرَ قِياسَ هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

- وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن آتتان الله على عباده به إذ قال تعالى : (**يَزِيدُ فِي آخِلَاتِي مَا يَشَاءُ**) قيل : هو حسن الصوت . وفي الحديث : **« ما بعث الله نبياً إلا أحسن الصوت »** . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لله أشدُّ أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »** وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام : **« أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته ، وكان يُحْمَلُ من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك في الأوقات »** . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري : **« لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود »** وقوله تعالى : (**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) يدل بفهمه على مدح الصوت الحسن . ولو جاز أن يقال : إنما أُبْعِثَ ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزومه أن يُحَرَّمَ سماع صوت العنديل لأنه ليس بقرآن . وإذا جاز سماع صوت عُقِل لا معنى له ، فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة ؟ وإن من الشعر لحكمة . قال : فهذا نظري في الصوت من حيث إنه طيب حسن .

- الدرجة الثانية : النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب . والأصوات الموزونة باعتبار خارجها ثلاثة ، فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره . وإما أن تخرج من حجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان وإما غيره . فصوت العنكبوت والتمارى وفوات السجج من الطيور مع طيها موزونة متناسبة المقاطع فلذلك يستلذ سماعها . والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات . وإما وضعت المزامير على صورة الحناجر وهي تشبه الصنعة بالحلقة . وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحلقة التي آسائر الله تعالى بأحترافها ، منه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء . فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت العنكبوت وسائر الطيور . ولا فرق بين حجرة وحجرة ولا بين جماد وحيوان . فينبغي أن يُفاس على صوت العنكبوت الأصوات الخارجة من سائر الأجسام بأختيار آدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدق وغيره . ولا يستثنى من هذا إلا الملاحى والأوتار والمزامير ، إذ ورد الشرع بالمنع منها لا لأنها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يتلذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر وأقحضت ضرارة الناس بها المبالغة في الإفراط عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط . وكان تحريمه من قبيل الإجماع كما حرمت الخلوة لأنها مقدمة الجماع . وحرم النظر إلى الفخذ

(١) في نسخة من كتاب الإحياء : «عل صوت» .

(٢) الضرارة : الاضرار والاعتداء عليها .

(٣) كما بالأصل . وفي الإحياء للزالي : «الخلوة بالأجنبية» .

لاتصاله بالسوائين . وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسْكِرُ لأنه يدعو إلى المسكر .
وما من حرام إلا وله حرم يُطِيفُ به . وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون
حِمَى للحرام ووفاء به له وحِطَارًا مانعًا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم : «إِنْ لِكُلِّ
مَلِكٍ حِمَى وَإِنْ حِمَى اللَّهِ عِمَارُهُ» فهي عزمة تبعاً لتحريم الخمر .

الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حجة
الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً . والكلام المفهوم غير
حرام . والصوت الطيب الموزون غير حرام . فإذا لم يحرم الآحاد فن أين يحرم
المجموع؟ نعم يُنظر فيما يفهم منه، فإن كان فيه أمر محظور حُرِّمَ ثره وتعلمه وحرم
التصويت به سواء كان بالخان أو لم يكن .

والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال : الشعرُ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَفَاحُهُ
قَبِيحٌ . ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان . فإن أفراد
المباحات إذا اجتمعت كان مباحاً، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن
المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد، ولا محظور هاهنا . وكيف يُنكر إنشاد الشعر
وقد أُنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ
مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً» وساق رحمه الله في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت
إنشاد الشعر والحداء به وهي أشهر من أن يحتاج إلى سردها . ثم قال بعد سياق
الأحاديث : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وزمان الصحابة ، وما هو إلا أشعار تُؤدَّى بأصوات طيبة وألحان
موزونة . ولم يُنقل عن أحد من الصحابة إنكاره . بل ربما كانوا يتمسكون بذلك

(١) الخطار : الحافظ وكل ما حال بينك وبين شيء .

(٢) كذا بالأصل . وفي إحياء الترمذ : «العلق به» .

تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يُحرّم من حيث إنه كلام مفهوم مؤدّى بأصوات طيّبة وألحان موزونة .

- الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث إنه محرّك للقلب ومُهَيِّج لما هو الغالب عليه، قال أبو حامد: فأقول: لله سبحانه وتعالى سرٌّ في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنّها تؤثر فيها تأثيراً عجيباً. فمن الأصوات ما يُفْرِحُ ومنها ما يُحْزِنُ ومنها ما يُتَوَمَّنُ ومنها ما يُضِيقُ ويُطْرِبُ ومنها ما يُسْتَخْرِجُ من الأعضاء حركات على وزن باليد والرجل والرأس. ولا ينبغي أن يُظنَّ أنّ ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جارٍ في الأوتار حتى قيل: من لم يُحرّكه الربيعُ وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج. وكيف يكون ذلك بفهم المعنى، وتأثيره مشاهدٌ في الصبي في مهده فإنه يُسَكِّتُهُ الصوتُ الطيّبُ عن بكائه، ويتصرف نفسه عما يُبْكِيهِ إلى الإصغاء إليه. والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيراً يستخفُّ معه الأحمال الثقيلة ويستقصِّرُ لقوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يُسَكِّرُهُ ويُولِّهُ؛ فتراها إذا طالت عليها البوادي وأعترها الإعياء والكلال تحت الحمل والأحمال إذا سمعت مُنَادِي الحداء تَمُدُّ أَعْصَاقَهَا وتُصَنِّي إلى الحادى ناصبةً أذنانها وتُسْرِعُ في سيرها حتى تترعزعَ عليها أحمالها ومحاملها، وربما تُتَلَفُ أَنْفُسُهَا في شدة السير وتقلّ الحمل وهي لا تُشْعُرُ به لنشاطها.

فقد حكى أبو بكر محمد بن داود اللّينورى المعروف بالرقي، قال:

- كنت في البادية فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءً فرأيت في انجباء عبداً أسودَ مقيداً بقيد، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ^(١) وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه يترعُ رُوحَهُ. فقال لي الغلام:

(١) في الرسالة التشيرية: «جاء البيت».

أنت ضيفٌ ولك حقٌ قشَقٌ في حقِّ إلى مولاي فإنه مُكرِّمٌ لضيفه فلا يردُّ شفاعتك
ففساه يحملُ القيدَ عني . فلما أحضروا الطعامَ آمَنتُ وقلت : لا أكل ما لم أُشْفَعْ
في هذا العبد ، فقال : إن هذا العبدَ قد أَقَرَّنِي وأهلكَ جميعَ مالي ؛ فقلت : ماذا
فعل ؟ فقال : إن له صوتاً طيباً ، وإنِّي كنتُ أعيشُ من ظهورِ هذه الجمالِ فحملها
أحمالاً ثقلاً وكان يحملُ بها حتى قطعتُ مسيرةَ ثلاثِ ليالٍ في ليلةٍ من طيبِ نعمته
فلما حطَّتْ أحمالُها مَوَّتَ كُلُّها إلا هذا الجملَ الواحدَ ، ولكن أنتَ ضيفي فلكرامتك
قد وهبته لك قال : فأحببتُ أن أسمعَ صوته ، فلما أصبحتُ أمره أن يحملَ علي جمل
يَسْتَقِي الماءَ من بئرٍ هناك ، فلما رفعَ صوتهَ هامَ ذلكَ الجملُ وقطعَ حباله ووقعتُ أنا
على وجهي ، فما أظنُّ أني قط سمعتُ صوتاً أطيبَ منه .

قال : فإذا تأثيرُ السماعِ في القلبِ محسوسٌ . ومن لم يميزَ السماعَ فهو ناقصٌ
ماثلٌ عن الاعتدالِ بعيدٌ عن الروحانية ، زائدٌ في غِلْظِ الطبعِ وكثافته على الجمالِ
والطُيورِ بل على سائرِ البهائمِ فإن جميعها تتأثرُ بالنغماتِ الموزونة . ومهما كان النظرُ
في السماعِ باعتبارِ تأثيره في القلوبِ لم يميزَ أن يُحكَمَ فيه مطلقاً بإباحةٍ ولا تحريمٍ ، بل
يختلفُ ذلكُ بالأحوالِ والأشخاصِ وأختلافِ طرقِ النغماتِ ، فحكمه حكمُ ما في القلبِ .
قال أبو سليمان : السماعُ لا يعملُ في القلبِ ما ليس فيه ، ولكن يُمَزِّكُ ما هو فيه .

ذكر أقسام السماع وبيواعثه

وأقسامُ السماعِ تختلفُ باختلافِ الأحوالِ : فإن منه ما هو مستحبٌ وما هو
مباحٌ وما هو مكروهٌ وما هو حرامٌ . أما المستحبُ فهو لمن غلبَ عليه حبُّ الله تعالى
ولم يُمَزِّكِ السماعَ منه إلا الصفاتِ المحمودَةِ . وأما المباحُ فهو لمن لاحظَ له من
السماعِ إلا التلذُّذَ بالصوتِ الحسنِ ، وأما المكروهُ فهو لمن لا يترتله على صورةِ المخلوقين

ولكن يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو . وأما الحرام فهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليه شهوة الدنيا فلا يُحرك السماعُ منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد تكلم على هذه الأقسام الإمام أبو حامد الغزالي فقال رحمه الله ما مختصره ومعناه :

(٧٢)

- الكلمات المسجعة الموزونة تُعتادُ في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثارٌ في القلب وهي سبعة مواضع :

الأول : غناء الحُجَّج فإنهم يدورون أوقالا في البلاد بالطلب والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء القرية وشهود المشاعر .

- الثاني : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضا لما فيه من استثارة النفس وتحريكها على الغزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقييح الفرار .

- الثالث : ما يرتجزه الشجعان عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدح بالشجاعة والتجدة وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

- الرابع : أصوات النياحة وتغلاتها وتأثيرها في تسييح البكاء وملزمة الحزن والكآبة وهذا قسمان : محمود ومذموم .

- فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ۚ ﴾ . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يُغضبُ الله جلَّ جلاله وتأسف على ما لا تشارك فيه .

٢٠

(١) في الإحياء : « فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف الخ » .

وأما المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطيائه .
والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك .
ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة ، فقد كان يَحْزَنُ وَيُحْزَنُ وَيَبْكِي وَيَبْكِي
حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالغناطه وألحانه ، وذلك
محمود لأن المقضى إلى المحمود محمود . وعلى هذا لا يجرم على الواعظ الطيب الصوت
أن يُنشد على المنبر بألحانه الأشعارَ الحزينة المرفقة للقلب ولا أن يبكي ويبكي ويبكا
ليَتوصَّل به إلى بكاء غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتيسيراً له إن كان ذلك
السرور مباهجاً كالنساء في أيام العيد وفي المرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت
الوليمة والعقيقة وعند الولادة وإنحان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معناد لأجل
إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أن من الألحان ما يُثير الفرح والسرور والطرب
وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إسنادهم بالنف
والألحان عند مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم يقولون :

طلع البدر علينا * من ثغرتِ الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

فأظهار هذا السرور بالنتيمات والشعر والرقص والحركات محمود . فقد قيل عن
جماعة من الصحابة أنهم تجمّلوا في سرور أصابعهم كما سياتي في أحكام الرقص وهو
جائز في قدوم كل غائب وكل ما يحوز الفرح به شرعاً . ويحوز الفرح بزيارة
الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتيسيراً للعشق وقسوة للنفس ؛ فإن
كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض

تبيح الشوق . والشوق وإن كان مؤلماً ففيه نوعٌ لذَّةٌ إذا أنضاف إليه رجاء الوصال ؛ فإن الرجاء لذيق اليأس مؤلم ، وقوة لذَّة الرجاء بحسب قوة الشوق والحبِّ للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تبيح للعشق وتحريك للشوق وتحصيل للذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطباب في وصف حسن المحبوب . قال :

- وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُباحُ وصاله كمن يعشق زوجته أو سُرَّتَه
فَيُصْنِي إلى غَنَائِهَا لتضاعفَ لذَّتُه في لقائِها ، فيحظى بالمشاهدة البصرُ والسماع
الأذنُّ ويَقْهَمُ لطائف معاني الوصال والفراق القلبُ ، فتترادف أسباب اللذة .
فهذا نوعٌ تَمْتَنُّ من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما مناع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو
وهذا منه . وكذلك إن غُصِبَتْ منه جاريةٌ أو حِيلَ بينه وبينها بسبب من الأسباب
فله أن يُحرِّكُ بالسماع شوقه وأن يَسْتَتِيرَ به لذَّةُ رجاء الوصال . فإن باعها أو طلقها
حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء .
وأما من يَتَمَثَّلُ في نفسه صورةً صبيٍّ أو امرأةٍ لا يجوز له النظر إليها وكان يُتَزَلَّ
ما يسمع على ما يَتَمَثَّلُ في نفسه فهو حرامٌ لأنه يحرك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيِّجٌ
للذاتية إلى ما لا يباح الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض
الحكماء عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيِّجه السماع .
الساج : سماع من أحبَّ الله سبحانه وتعالى وعشقه وأشتاق إلى لقائه فلا ينظر
إلى شيءٍ إلَّا رآه فيه ، ولا يقرعُ سمعه قارعٌ إلَّا سمعه منه أو فيه ، فالسماع في حقه
مهيِّجٌ لشوقه ، ومؤكِّدٌ لعشقه وحبِّه ، ومُورِثٌ لقلبه ، ومُسْتخرجٌ منه أحوالاً من
المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها يعرفها مَنْ ذاقها ويُنْكِرُها مَنْ كَلَّ
حِسَّهُ عن ذَوَائِهَا ؛ وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وَجْداً — مأخوذ من
الوجود — وللصوفية على هذا كلامٌ يطول شرحه ليس هذا موضع إيرادِه . والله أعلم .

ذكر العوارض التي يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى: والسماعُ يحرمُ بخمسة عوارض: عارض في المُسمِعِ وعارض في آلة السماع، وعارض في ظلم الصوت، وعارض في نفس المُستَمِعِ أو في موطنه، لأن أركان السماع هي المُسمِعُ والمُستَمِعُ وآلة السماع.

٥. العارض الأول: أن يكون المُسمِعُ امرأة لا يَحِلُّ النظر إليها وتُخَشَى الفتنَةُ من سماعها، وفي معناها الصبي الذي تُخَشَى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنَةِ، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث تَقْتَنُ بصوتها في المحاورة في غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومعاذتها ولا سماعُ صوتها في القرآن أيضا، وكذلك الصبي الذي تُخَافُ فتنته. فإن قلت: فهل يقول: إن ذلك حرام بكل حال حميا الباب، أولا يحرم إلا حيث تُخَافُ الفتنَةُ. فأقول: هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يجازيها أصلا:

أحدهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت منها الفتنَةُ أو لم تُخَفْ لأنها مَظَنَّةُ الفتنَةِ على الجملة. فقضى الشرع بحسم الباب من غير ألتفات إلى الصورة.

١٥. والثاني: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنَةِ فلا يُلْحَقُ الصبيانُ بالنساء في عموم الحسم بل ينبغي أن يُفَصَّلَ فيه الحال. وصوتُ المرأة دائريين هذين الأصلين، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت. وليس تحريك النظر لشهوة الماسة كتحريك اللمع بل هو أشد. وصوتُ المرأة في غير الغناء ليس بصورة ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة،

فقياسُ هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساءُ بِسْتَرِ الأصواتِ ، فيلبيحُ أن يُتَّبَعَ مَثَارُ الفتنِ ويُقَصَّرَ التحريمُ عليه ، هذا هو الأقيسُ عندى . قال : ويتأيدُ بحديثِ الجاريتينِ المغنيتينِ فى بيتِ عائشة رضى الله عنها إذ يُعلمُ أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان يسمعُ صوتَهما ولم يحترزْ عنه ولكن لم تكنِ الفتنةُ غفوةً عليه فلذلك لم يحترزْ . فإنما يختلفُ هذا بأحوالِ المرأةِ وأحوالِ الرجلِ فى كونه شاباً وشيخاً ولا يبعدُ أن يختلفَ الأمرُ فى مثلِ هذا بالأحوالِ .
 ٥ . فإنما نقولُ : للشيخ أن يُقْبَلَ زوجته وهو صائمٌ وليس للشاب ذلك . والقبلةُ تدعو إلى الوقوعِ فى الصوم وهو محظور . والسباع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام ، فيختلفُ ذلك أيضاً بالأشخاص .

١٠ . العارضُ الثانى فى الآلة — بأن تكون من شعائرِ أهلِ الشربِ أو الخمئيينِ وهى المزاميرِ والأوتارِ وطبلِ الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع وما عدا ذلك يبقى على أصلِ الإباحة كالدُّفِّ وإن كانت فيه الجلاجلُ وكالطبلِ والشاهين والضربُ بالقضيبِ وسائرِ الآلاتِ .

العارضُ الثالثُ فى نظمِ الصوتِ — وهو الشعرُ فإن كان فيه شيء من الخنا والفحشِ والمجاءِ أو هو كذبٌ على الله عز وجل أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبهُ الروافضُ فى هجاءِ الصحابة وغيرهم ، فسماعُ ذلك حرامٌ بالحنانِ وغيرِ الحنان ، والمستمعُ شريكُ القاتلِ وكذلك مانيه وصفَ امرأةً بعينها فإنه لا يجوزُ وصفُ المرأةِ بين يدي الرجال . وأما هجاءُ الكفارِ وأهلِ البدعِ فذلك جائزٌ .

فقد كان حسان بن ثابتٍ يُنافِحُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ويهَيِّجُ الكفارَ ، وأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك .
 ٢٠ .

فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الحدود والأصداغ وحنن القد والقامة
وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر . والصحيح أنه لا يحرم نظمُه وإنشاده بلحن
وغير لحن^(١) ، وعلى المستمع ألا يُترَّله على امرأة معينة إلا على من تحل له من زوجة
أو جارية ، فإن ترَّله على أجنبية فهو العاصي بالتزويل وإجالة الفكر فيه . ومن هذا
وصفه فيذنب أن يحتجب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشقٌ نزل كل ما يسمعه
عليه سواء كان اللفظ مناسباً أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكن ترَّله على معانٍ
بطريق الاستمارة فالذى غلب عليه عشقٌ مخلوق يبنى أن يحتجز من السماع ؛ ي
لفظ كان ، والذي غلب عليه حبُّ الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمتعه عن فهم
المعاني اللطيفة المتعلقة بحملى همة الشريعة .

١٠ العارض الرابع فى المستمع — وهو أن تكون الشهوة غالباً عليه وكان فى غيرة
الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه ، فالسماع حرامٌ عليه سواء غلب
على قلبه حبُّ شخص معين أو لم يغب . فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصديق
والخلة والوصال والفراق إلا ويحرك ذلك شهوته ويُترَّله على صورة معينة ينفع
الشیطان بها فى قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة وتحتج بواعث الشر . وذلك هو النصرة
لحزب الشیطان والتخذيّل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى . والقتال
فى القلب دائم بين جنود الشیطان وهى الشهوات ، وبين حزب الله وهو نور العقل
إلا فى قلب قد قصه أحد الجندين وأستولى عليه بالكلية . وغالب القلوب قد
فصحها جند الشیطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال
لإزاعاجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتشجيع مسيوفه وأسنه ، والسماع مُشجّد

(١) كذا فى الإحياء . وفى الأصل : « بصوت وبغير صوت » .

لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص . فليخرج مثل هذا عن جميع السماع فإنه يَسْتَضْرِبُهُ واقفه أعلم .

- العارض الخامس — أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يطلب عليه حبّ الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقّه محظوراً، ولكنه أبيع في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه اتخذ ديدنه وهيمته وقصر عليه أكثر أوقاته، فهذا هو السفيه الذي تُردّ شهادته فإن المواظبة على اللهو جناية .
- وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة ؛ فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لعنهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القليل القليل بالشطرنج فإنه مباح، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة، ومهما كان الغرض اللبّ والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ؛ إذ راحة القلب معالجه له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه . هذا ملخص ما أورده في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

ذكر آثار السماع وآدابه

- قال أبو حامد رحمه الله : أعلم أن أقل درجة السماع فهم المسموع وتزيله على معنى يقع للسمع ثم يُثَرُّ الصَّحْمُ الوجد . ويثر الوجد الحركة بالجوارح . فليُنظر إلى هذه المقامات الثلاثة :

المقام الأول — في الفهم، وهو يختلف باختلاف أحوال المُسْتَمِع . وللمستمع أربعة أحوال :

إحداها — أن يكون سماعه يحزود الطبع أى لاحظ له في السماع إلا استلزام
الألحان والنغامت فهنا مباح وهو أحسن رُتِبَ السماع؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا
سائر البهائم . ولكل حيوان نوع تلتذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية — أن يسمع بفهم ولكن يُقَرَّل على صورة إما معينة أو غير معينة
وهو سماع الشباب وأرباب الشهوة ويكون قَرَّيلُهم المسموع على حسب شهواتهم
ومقتضى أحوالهم . وهذه الحالة أحسن من أن يُتَكَلَّم فيها إلا بيان خستها والنهي
عنها .

الحالة الثالثة — أن يُقَرَّل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملة الله تعالى
وتقلب أحواله في التمكن منه مرة ويُسَدُّ منه أخرى، وهذا سماع المرئيين لا سيما
المبتدئين . فإن للريد لا محالة مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه
والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف النطاء؛ وله في مقصده طريق هو
سالكة، ومعاملات هو ماثِرٌ عليها، وحالات تستقبله في معاملاته . فإذا سمع ذكر
عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصال أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت
أو تعطش إلى مُتَظَرٍّ أو شوق إلى وارد أو طمع أو ياس أو وحشة أو استئناس أو
وفاء بالوعد أو تقص للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب
ومداغمة الرقيب أو هول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو وحدة

الواصل أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار؛ فلا بد أن يوافق بعضها حال
الريد في طلبه، فيجرى ذلك مجرى القَدَح الذي يورى زناد قلبه، فتشتمل به
نيرانه، ويقوى به أنباتُ الشوق وهيجانه، وتَهْجُم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته،

(١) في الإحياء: « وتضره أخرى » .

(٢) كما في الإحياء . وفي الأصل: « غنة الرمال » .

ويكون له مجالٌ رَحْبٌ في تنزيل الألفاظ على أحواله . وليس على المستمع مراعاةُ مراد الشاعر من كلامه ؛ بل لكلّ كلام وجهٌ ولكلّ ذى فهم في اقتباس المعنى منه حفظٌ . وضرب الإمام الغزالي لذلك أمثلة يطول شرحها .

- الحالة الرابعة — سماعٌ من جاوز الأحوال والمقامات فعزّب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزّب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كاللدهوش .
- الخاص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى يهنّ وسقط إحاسنهن . وعن مثل هذه الحالة تعبّر الصوفية بأنه فني عن نفسه . ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أنفي ؛ فكأنه فني عن كلّ شيء إلا عن الواحد المشهود ، وفني أيضا عن الشهود فإن القلب إن ألتفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مُشاهدٌ فقد غفل ^(١) عن المشهود . فالمستتهر بالمرقى لا ألتفت له في حال استغراقه إلى رؤيته و[إلا] إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لفته . فالسكران لا خبر له في سكره ، والمتنوّذ لا خبر له في ألتناذه ، إنما خبره من المتنوّذ به فقط ، ولكن هذا في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطلقه القوة البشرية فربما يضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روى عن أبي الحسن النوري أنه سمع هذا البيت :
- مازلت أنزل من ودادك متزلّا * تتصير الأبواب دون نزوله
- فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع في آجة قصبي قد قطعت وبقيت أصولها مثل السيوف فصار يمدو فيها ويميد البيت إلى الغداة والدم يجري من رجله حتى ورمّت قدماه وصافاه ومات بعد أيام رحمه الله .

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء . (٢) في الإحياء « من » في الموضعين بدل « في » .
(٣) عبارة الإحياء : « فكان يتدفقها ويروح » .

قال أبو حامد : وهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات ، لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قُصور ، وإنما الكمال أن يغنى بالكلية عن نفسه وأحواله . أعني أنه يساها فلا يبقى له أكتافات إليها كما لم يكن للنسوة أكتافات إلى اليد والسكين . فيسمع بالله ، وفيه ، وفي الله ، ومن الله ؛ وهذه رتبة من خاض بلجة الحقائق وتبرّ ساحل الأحوال والأعمال وأتمد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا ، بل تحدت بالكلية بشيرته ونقي أكتافاته إلى صفات البشرية رأسا . قال : ولست أعني بفنائه فنائه جسده بل فنائه قلبه ، ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية ورامها سر الروح الذي هو من أمر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولتلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه إذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود إلا للحاضر . ومثاله المرأة المجلوة ، إذ ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لونها لَوْن الحاضر فيها . وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لَوْن قرارها ولونها لَوْن الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصبور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان . قال : وهذه مقاصد من مقاصد بطول المكاشفة منها نشأ خيال من أدعى الحلول والاتحاد . هذا ملخص ما أورده في مقام الفهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقام الثاني — بعد الفهم والتبريل الوجد .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

ولناس كلام طويل في حقيقة الوجد أعني الصوقية والحكمة الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفيّة، فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع : إنه واردٌ حقٌّ جاء بُزجَ القلوبِ إلى الحقِّ ، فن أصنى إليه بحقٍّ تَحَقُّقٌ ، ومن أصنى إليه بنفسٍ تَزَنُّقٌ . فكانه عبّر عن الوجد بأنزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع ، إذ سمّي السماعَ واردَ حقٍّ . وقال أبو الحسين المزاج مُحِبّاً عمّا وجده في السماع :

والوجدُ عبارةٌ عما يُوجدُ عند السماع ، وقال : جال في السماع في ميادين البلاء ، فأوجدني وجود الحق عند العطاء ، فسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به منازل الرِّضاء ، وأخرجني إلى رياض التزّهة والفضاء .

وقال الشَّيْخُ^١ : السماع ظاهره فِتْنَةٌ وباطنه عِبْرَةٌ ، فن عَرَفَ الإشارةَ حلَّ له آسَماعِ العِبْرَةِ وإلا فقد أَسَدَعِيَ الفتنة وتَمَرَّضَ للبلية . وأقوال الصوفيّة في هذا النوع كثيرة .

وأما الحكماء ، فقال بعضهم :

في القلب فِضِيلَةٌ شَرِيفَةٌ لم تَعِدِ قُوَّةَ التَّلَقُّعِ على إخراجها بِاللَّفْظِ فأنخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظَهَرَتْ سُرَّتْ وطَرِبَتْ إليها ، فَاسْتَمِعُوا مِنَ النَّفْسِ وَتَاجَوْهَا وَدَعَوْا مُنَاجَاةَ الظَّوَاهِرِ . وقال بعضهم :

نتائجُ السماعِ استنهاضُ العاجزين الرأى واستجلابُ المازب من الفكر ورحمةُ الكمال من الأنفهام والآراء حتى يثوبَ ما عَرَبَ وَيَنْهَضَ ما عَجَزَ وَيَصْفَوْ ما كَدَّرَ وَيَمُحَّ في كل رأيٍ ونيةٍ فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ . ثم ذكر المعنى الذي الوجد عبارة عنه فقال : هو عبارةٌ عن حالةٍ يُتمرَّ بها السماع وهو واردٌ [حقٌّ]^(٢) جديدٌ عَقِيبُ السماع

(١) في بعض نسخ الإحياء : « ويخرج من » . (٢) الزيادة عن كتاب الإحياء ، وفسره الأبيدي شاح الإحياء بقوله : « أي وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوي لا يشوب الباطل » .

يحده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لا تخلو من قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم والتنبيهات بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض . وهذه الأحوال يبيحها السماع ويقويها . فإن ضعفت بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والتفكير والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا . وإن ظهر على الظاهر شيء وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواحد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك . وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله ؛ فإن الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه ، والسماع منه . ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد .

ومنها صفاء القلب ، والسماع مؤثر في تصفية القلوب ، والصفاء سبب المكاشفة . ومنها أنبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه [قبل ذلك] قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله ، وهذا الاستكشاف من ملاحظة أسرار الملكوت . وكما أن حمل الجمل يكون بواسطة ، فيواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف ؛ بل القلب إذا صفا تمثل له الحق

في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة وبالرقيا إذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة . وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال : نرجت يوما في أيام جهل وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

يَلِيْزَنَا بِأَذْكُرِّمْ مَا مَرَدْتُ بِهِ * إِلَّا تَجِبْتُ مِمَّنْ يَشْرِبُ الْمَاءَ
فسمعت قائلا يقول :

وَفِي جَهَنَّمَ مَاءٌ مَا تَجَرَّمُهُ * خَلَقْتُ فَأَتَقَى لَهُ فِي الْخُوفِ أَمْعَاءُ
فقال : وكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم .

- قال أبو حامد: فانظر كيف أثر الفناء في تصفية قلبه حتى تمتل له حقيقة الحق في صفة جهنم وفي لفظ منظوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب . ويشاهد أيضا بالبصر صورة انخسار عليه السلام فإنه يتجمل لأرباب القلوب بصور مختلفة، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الإطلاع على ضمائر القلوب؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) «إِذَا تَوَضَّعَ الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى» . قال : فحاصل الوجد يرجع إلى مكاشفات وإلى حالات ينقسم كل واحد منهما إلى ما لا يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلا . وضرب لذلك أمثلة، منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسائلان متشابهتان في الصورة ويُدرك بذوقه أن بينهما قرقا في الحكم، فإذا كُلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وإن كان من أفصح الناس، فيُدرك بذوقه
- (١) في سبب باقرت : «محمد بن عبد الله الكاتب» .

- (٢) طيزنا باز : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين القادسية ميل، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس من عمر بن الخطاب وكانت من أثره المواضع مخوفة بالكرم والشجر والحانات والماسر وكانت أحد المواضع المقصودة للهروب إليها «من مقيم البدان ياقرت» .

الفرق ولا يمكنه التعبير عنه . وإدراكه الفرق علمٌ يصادفه في قلبه بالذوق . ولا شك أن لوقوعه في قلبه سببا ، وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لقصور في لسانه بل لثقة المعنى أن تتأله العبارة .

وأما الحال فكَم من إنسان يُدرك في قلبه في الوقت [الذي يصبح فيه] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبئ ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به . وقد تكون الحالة التي يُحسها سرورا يثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور ، أو حُزنا فينبئ المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه . وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يُعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفصَّلة عن المقصود ؛ بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهي حالة يُدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها (أعني التفرقة بين الموزون والمتحرف) ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تمحُّل في السماع عن غناء مفهوم . فإما الأوتار وسائر النغامت التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار ، وقد يعبر عنها بالشوق ، ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه ، فهذا عجيب . والذي اضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهدين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشاق ، ويمجد في نفسه حالة كأنها تنقاضي أمرا ليس يدرى ما هو ، حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يثلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى . وهذا له سرٌّ ، وهو أن كل شوق فله ركان : أحدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة

- الوصول إليه . فإن وُجدت الصفة التي بها الشوق وُجد العلم بالمشاقق وُوجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها ، أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة . ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راحق الحُلُم وغلبت عليه الشهوة لكان يُحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري أنه يشاق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء؛ فكذلك في نفس
- الآدمي مناسبة مع العالم الأعلی واللذات التي وُعد بها في سِدرة المنتهى والفراديس المُلأ، إلا أنه لم يُغفل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كاللذي يسمع [لفظ] الواقع و [أسم^(١)] النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة ليعرف بالمقايسة . فالسمع يمزك منه الشوق؛ والجَهْل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حِينته وأشتياقه العظيم،
- ١٠ فيتقاضاه قلبه امرأة ليس يدري ما هو فيدهش ويضطرب ويتغير ويكون كالمحتق الذي لا يعرف طريق الخلاص . فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ، ولا يمكن المتصِف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر أقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

- ١٥ وأعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف يسمى التواجد . وهذا التواجد المتكلف ، فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ؛ ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى الاستدعاء للأحوال الشريفة وأكتسابها واجتلابها بالحيلة ؛ فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ؛ ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن ،

فإن هذه الأحوال قد تُتَكَلَّف مبادئها ثم تتحقق أواخرها . وكيف لا يكون التكلّف سببا في أن يصير المتكلف بالآخرة طبعاً ، وكل من يتعلّم القرآن أولاً يحفظه تكلفاً ويقرؤه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدناً للسان مطرداً حتى يجرى به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها . ويعلم أنه قرأها في حال غفلته . وذكر أبو حامد أمثلة نحو ذلك ثم قال : وكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدانها ، بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره ، فلقد شُهِد في العادات من أشتى أن يشقى شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويدبّر النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة إليه والأخلاق المحمودة فيمضي عشقه ورمح ذلك في قلبه رسوخاً يخرج عن حدّ اختياره ، وأشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يقتلص ، فكذلك حبّ الله تعالى والشوق إلى لقائه والنفوس من محطته وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدتها الإنسان فيلزم أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ، ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم في النفس ، وبالجلوس معهم في السماع ، وبالدهاء والتضرّع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يُسرّله أسبابها ، ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمتقين والخاشعين ، فمن جالس شخصاً سرّت إليه صفاته من حيث لا يدري . ويدلّ على إمكان تحصيل الحبّ وغيره من الأحوال بالأسباب قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : «اللهم أرزقني حبّك وحبّ من أحبّك وحبّ من يُقرّبني إلى حبّك» . فقد فرغ إلى الدهاء في طلب الحبّ . قال : فهذا بيان أقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال ، وأقسامه إلى ما يمكن الإيضاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وأقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

المقام الثالث — في آداب السماع ظاهراً وباطناً ، وما يُحمد من آثار الوجد ويُذم .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهي خمس جملي :

- الأول — مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجُنَيْد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال النَزَّازِي : ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صاريف من الصواريف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فيراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون شارحاً مطروقاً أو موضعاً كرهه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُتجنب ذلك . وأما الإخوان فسيبه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متوهم الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستغلاً في المجلس وأشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر متكبر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبته ومراعاته ، أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتغزيق التوب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى .

- الثاني — وهو نظر للماضين ، أن الشيخ إذا كان حوله مُريدون يضرمهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم ؛ فإن سمع فليشتغلهم بشغل آخر . والمريد الذي لا يستفيد بالسماع أحد ثلاثة : أقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع ؛ فأشتغاله بالسماع أشتغال بما لا يعنيه ؛ فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ، ولا من أهل النوق فينتم بذوق السماع ؛ فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو مضيع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق ولكن فيه بقية من الحفظ والاكتمات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم يتكبر بعد أنكساراً تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد أنكرت شهوته وأمنت غائلته وأهتت بصيرته وأستولى على قلبه حبّ الله تعالى ، ولكنه لم يُحكّم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ، وإذا قُنع له باب المباح نزل المسموع في حقّ الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز ، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم عليه من قنع المباح . قال سهل : كلُّ وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل . فلا يصلح المباح لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحبّ الدنيا وشهوة الشهادة والثناء ، ولا من يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع ، فيصير ذلك عادة له ويشغله عن عبادته ومراعاة قلبه وتتقطع عليه طريقة الأدب ؛ فالسماح مَرَّة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه .

- ١٠ الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرّزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد ، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمة في سرّه ، متحفّظاً عن حركة تُشوّش على أحبابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكناً للظاهر ، هادئ الأطراف متحرّزاً عن التنجع والتناؤب ، يجلس مطرقاً رأسه بكلمته في فكر مستغرق لقلبه ، متماسكاً عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنّع والتكلف والمراعاة ، ساكناً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه يد . فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور وغير ملوم ؛ ومهما رجع إليه أخياره فليُعد إلى هدوه وسكونه . ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال : انقطع وجده على القرب ، ولا أن يتواجد خوفاً من أن يقال : هو قايى القلب صديق الصفاء والرفقة . قال : وقوة الوجد تحرك ، وقوة العقل والتماكس تضبط الظواهر . وقد يغلب أحدهما الآخر ٢٠ إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ، ويكون التصبان والكمال بحسب ذلك . فلا

تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتمّ وجدا من الساكن بأضطرابه ، بل ربّ ساكني أتمّ وجدا من المضطرب ؛ فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقبل له في ذلك فقال : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ آلِدَى أَنْتُمْ كُلُّ شَيْءٍ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت ، والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة .

الأدب الرابع — ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ؛ ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصده المראה ؛ لأن التباكى استجلاب للحنن ، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه ؛ ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون^(١) . وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم حملوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك [وذلك^(٢)] في قصة أبنه حمزة بن عبد المطلب لما أختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ، فتشاحوا في تربتها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : " أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ " فجعل عليّ . وقال بلحضر : " أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي " فجعل^(٣) . وقال زيد : " أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا " فجعل . الحديث . قال : والمجل : الرقص ، ويكون لفرح أو شوق ، فحكه حُكْم^(٤) مهيج إن كان فرحه محمودا ؛ والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود ، فإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم . نعم لا يليق ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب ، وما له صورة اللعب في أعين الناس

(١٨٦)

(١) يزفون : يرقصون . (٢) الزيادة من الإحياء .

(٣) في النهاية لابن الأثير : المجل أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى من الفرح وقد يكون بالرجلين

إلا أنه قفر .

فيلبني أن يجنبه المقتدى به لئلا يصغر في أمين الخلق فيترك الاقتصاد به . وأما تخريق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار . ولا يبعد أن يلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لطلبه سكر الوجد عليه أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكروه ، إذ يكون له في الحركة أو التزيق متفلس فيضطر إليه اضطراب المريض إلى الأئين ؛ ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فصل اختياري ؛ فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ؛ فالتفلس فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة اضطراب من باطنه إلى أن يختار التفلس ، فكذلك الزعقة وتخريق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم .

- ١٠ الأدب الخامس — موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجيد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام بأختيار من غير إظهار وجيد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتخريق . فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة . ولكل قوم رسم ، ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لاسيما إذا كانت أخلاقها حسنة المعاشرة والمجاملة وتطبيب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إن ذلك بدعة لم تكن في الصحابة ، فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة ولم يتقل النهي عن شيء من هذا . والقيام عند الدخول للدخول لم يكن من عادة العرب ، بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه ، وإن كان لم يثبت فيه نهى عام ، فلا نرى
- ٢٠

- به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام؛ فإنَّ القصد منه الاحترام والإكرام وتطبيب القلب به؛ كذلك سائر أنواع المساعدة إذا قُصِدَ بها طيبة القلب وأصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها؛ بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل . ومن الأدب ألا يقوم للرقص مع القوم إن كان يُستقل رقصه ويشوش عليهم أحوالهم؛ إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف؛ ومن يقوم عن صدق لا تستغله الطباع؛ وقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصديق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال: سمعته يقول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد . هذا ملخص ما أورده الغزالي رحمه الله تعالى في معنى السماع وقسمه الى هذه الأقسام التي ذكرناها .

- وأما أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التي أحتجوا بها وضمف روايتها نحو ما تقدم وذكر الآية : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وأنه قيل : إنه الفناء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثبت عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، فإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة؛ وما كان هكذا فلا يجوز القول به . ثم لو صح لما كان فيه متعلق؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول : (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وكل شيء أقتني ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن . فإذا لم يصح في هذا شيء فقد قال الله عز وجل : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) . وقال تعالى : (سَلَقَ

- (١) كذا في الإحياء . وعبارة الأصل : « ومن الأدب ألا يقوم المرقص مع القوم الرقص إذا كان ... الخ » .

لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعظم الناس جرماً في الإسلام مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ حَرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ" ، فصَحَّ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا فَقَدْ فَصَّلَهُ لَنَا ، وَكُلَّ مَا لَمْ يُفَصَّلْ حَرِّمَهُ لَنَا فَهُوَ حَلَالٌ .

وَأَسْتَدِلُّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى إِبَاحَتِهِ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ، حَيْثُ عَاشَتْ عَنْ خَيْرِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي غَنَاءِ الْجَارِيَتَيْنِ ، وَأَسْتَدِلُّ أَيْضًا بِحَدِيثِ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ

سَمِعَ مِنْ مَارَا فَوْضِعَ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ وَنَأَى عَنِ الطَّرِيقِ وَقَالَ : يَا نَافِعُ ، هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا ؟ قُلْتُ لَا ، فَرَفَعَ إِصْبَعِيهِ عَنْ أُذُنِيهِ وَقَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَسَمِعَ مِثْلَ هَذَا وَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا . قَالَ : فَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا أَبَاحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لِأَبْنِ عُمَرَ سَمَاعَهُ وَلَا أَبَاحَ ابْنَ عُمَرَ لِنَافِعِ سَمَاعَهُ ، وَلَكِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

كَرِهَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا كَرِهَ الْأَكْلَ مِنْكَأً ، وَالتَّخَشُّفَ بَعْدَ الْغَسْلِ فِي تَوْبٍ يَمُدُّ لَذَكَّ ، وَالسُّتْرَ الْمَوْثِقَ عَلَى سَهْوَةِ عَاشَةِ وَعَلَى بَابِ

فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَأَكْرَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ الزَّكَاهِ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ . وَإِنَّمَا يُبْعَثُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُنْكَرًا لِنُفُورِ الْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ .

فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا لَمَا أَقْتَصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسُدَّ أُذُنِيَهُ عَنْهُ دُونَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَرْكِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ، وَلَمْ يَفْعَلْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ بَلْ أَقْرَبَهُ

وَتَرَهُ عَنْهُ ، فَصَحَّ أَنَّهُ مَبَاحٌ وَأَنْ التَّرَكُّ لَهُ أَفْضَلُ كَمَا تَرَفُّضُ الدُّنْيَا الْمُبَاحَةِ .

قَالَ : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ)

فَقِيَ أَيْ ذَلِكَ يَقَعُ الْفَنَاءُ ؟ قِيلَ لَهُ : حَيْثُ يَقَعُ التَّرَوُّجُ فِي الْهَسَائِينَ وَصِبَاغِ الْوَرَانِ الثِّيَابِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا قَوَى فَإِذَا نَوَى الْمَرْءُ تَرْوِيجَ قَسِيهِ وَإِجْمَاعَهَا لَتَقْوَى عَلَى طَاعَةِ

اللَّهِ فَا آتَى ضَلَالًا . قَالَ : وَلَا يَحِلُّ تَحْرِيمُ شَيْءٍ وَلَا إِبَاحُهُ إِلَّا بِنَصٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يَحُوزُ

عنه تعالى إلا بالنص الذي لا شك فيه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَبْرَأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» . وقد تكلم على إباحة السماع
 جماعة من العلماء . وفيما أوردناه من هذا الفصل كفاية . فلنذكر من سمع الغناء
 من الصحابة رضى الله عنهم .

- ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .
- قد روي أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم سمعوا الغناء .
- منهم النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي رضى الله عنه . روى أبو الفرج
 الأصفهاني في كتابه المترجم : «بالأغاني» بسند رفعه إلى أبي السائب المخزومي وغيره ،
 قال : دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وأبن الزبير فقال : والله لقد
 أخفقت أذنائي [من] الغناء فاسمعوني . فقبل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء ، فإنها من
 ١٠ قد عرفت ، فقال : إى ورب هذه البنية ! إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل تحمدا ،
 ابسثوا إليها عن رسالي ، فإن أبت صرت إليها . فقال له بعض القوم : إن الثقلة تشد
 عليها لتقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النعمان : وأين النجائب عليها الموادج ؟
 فوجه إليها بخبيبة فذكرت علة ؛ فلما عاد الرسول إلى النعمان قال للجليسيه : أنت
 كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هومع خواص أصحابه حتى طرعوها ، فاذنت
 ١٥ وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان منورها وقال لها : خفي ، فغنت :

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق) .

(٢) في الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) : «ورب الكمية» .

(٣) في الأصل : «لن» والتصويب عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) .

(٤) كذا بالأصل . وفي الأغاني : «إليها» .

أَجَدَّ بِسَمَرَةٍ غُثَيَانُهَا ^(١) * قَتَجَرُ أُمِّ شَانِهَا شَانُهَا ^(٢)
وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ * تَنْفُخُ بِالسِّكِّ أُرْدَانُهَا ^(٣)

قال : وهذا الشعر هو لقيس بن الخطيم في أم النعمان بن بشير ، وهي عمرة بنت رَوَاحَةَ أخت عبد الله بن رَوَاحَةَ ؛ قال : فَأُشِيرُ إِلَى عَزَّةٍ أَنِهَا أُمُّهُ فَأَسْكُتُ ؛ فقال : غُثَيُّ فَوَاقِهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا كَرَمًا وَطَيِّبًا وَلَا تَنْفَى سَائِرَ الْيَوْمِ غَيْرَهُ ؛ فَلَمْ تَزَلْ تَنْفِيهِ هَذَا الْحَنُّ حَتَّى أَنْصَرَفَ .

ومنهم حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى محرز بن جعفر قال : خَفَنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ وَأَوَّلُمُ وَأَجْمَعُ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَامَّةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَحَضَرَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفَّ بِقَرْنِهِ يَوْمَئِذٍ وَهَجُلٌ مَعَهُ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُؤَانٌ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ ، وَكَانَ يُسَالُهُ كُلَّمَا وُضِعَتْ مَحْفَةُ أَطْعَامٍ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ ؟ فَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى جِئَ بِشِوَاءٍ ، فَقَالَ : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ ؟ فَقَالَ : بَلْ طَعَامُ يَدِينٍ ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ ؛ حَتَّى إِذَا فُرِغَ مِنَ الطَّعَامِ تُنِيَّتْ وَسَادَةُ عَزَّةِ الْمَيْلَاءِ وَهِيَ إِذَا شَابَتْ ، فَوُضِعَ فِي حِجْرِهَا مِزْهَرٌ فَضَرِبَتْ بِهِ وَتَفَتَّتْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ شِعْرَ حَسَانَ :

فَلَا زَالَ قَعَرٌ مِنْ بَصْرَى وَيَلَقِي ^(٤) * عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ جُودٌ وَوَابِلٌ
فَطَرِبَ حَسَانَ وَجَمَلَتْ عَيْنَاهُ تَضْحِكَانِ عَلَى خَدَيْهِ وَهُوَ مُصْبِحٌ لَهَا .

(١) غُثَيَانُهَا : أي استنشاؤها . وفي الأصل : « عَيْنَانِهَا » والتصريب عن الأثافي واللسان وديوان قيس بن الخطيم المطبوع في ليبسكة سنة ١٩١٤ م . (٢) كَتَا فِي الْأَصْلِ . وفي الأثافي واللسان والديوان : « أُمُّ شَانِهَا شَانُهَا » وكلامها ذر سني ، والأول أوجه .

(٣) جمع وذن يضم فسكون وهو مقدم كم القميص أو القميص كة وهو أيضا ضرب من الخمر الأحمر .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ » وَظَاهِرُ أَنْ « قَالَ » لَا مَعْنَى لَهَا .

(٥) جَلِي هِيَ دُمُوقُهَا أَوْ غُوطُهَا وَزَقَّتْهَا كَحَمْسٍ وَتَقَبَ .

وروى أيضا بسنده إلى خارجة بن زيد أنه قال : دُعينا إلى مأدبة في آل مُيط ،
فحضرتا وحضر حسان بن ثابت ، بقلنسوا جعيا على مائدة واحدة وهو يومئذ قد ذهب
بصره ومعه أبنته عبد الرحمن ، وكان إذا أتى بطعام سأل أبنته عبد الرحمن أ طعام يد
أم طعام يدين ؟ (يعني بطعام اليد الثريد ، وطعام اليدين الشواء لأنه ينش نشتا) فإذا قال : طعام يد
أكل ، وإذا قال : طعام يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين
مغتنيتين إحداهما " راقصة " والأخرى " عزة " بقلنسوا وأخذتا من هرهريهما وضربتا
ضربا عجيبا وغتتا بقول حسان بن ثابت :

أنظر خليلي يبابٍ جَلَّقَ هل * تُؤنِّسُ دون البلقاءِ من أَحَدٍ

قال : فأمسح حسان يقول : قد أرايتي هناك سيمما بصيرا ، وعيناه تدمعان ، فإذا
سكتا سكن عنه البكاء وإذا غتتا بيكي . قال : وكنت أرى عبد الرحمن أبنته إذا
سكتا يشير إليهما أن غنيا ، فيبكي أبوه ، فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه !

(٨١)

وروى أيضا بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال :
إني وثقة من قريش عند قينة ومعا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن
حسان ، ففكرنا دخوله وشق علينا ، فقال لنا عبد الرحمن أبنته : أيسركم ألا يجلس ؟
قلنا نعم . قال : فمروا هذه إذا نظرت إليه أن تُفني :

أولادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ آبِيهِمْ * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يُشَوِّنُونَ حَتَّى مَاتَهُ كَلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقِيلِ

قال : ففتته ، فوافقه لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه . ثم قال : أفبكم
الفاسيق ؟ لعمري لقد كرهتم جلوس اليوم . وقام فأنصرف . وهذا الشعر لحسان بن

ثابت وهو مما آتدح به جَلَّةُ بن الأيِّم، وهو من قصيدة طويلة منها قوله في مدح آلِ جفنة :

يَبْضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم * شمُّ الأنوفِ من الطَّرازِ الأوَّلِ

- وروى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى الحارث بن عبد الله بن العباس : أنه بينما هو يسير مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بطريق مكة في خلافة ومعه من معه من المهاجرين والأنصار، ترم عمر بيته فقال له رجل من أهل العراق — ليس به عراقية — : غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين ! قال : فأستحيا عمر وضرب راحته حتى أقطعت من الركب . قال المقدسي : ويزيد ذلك وضوحا — رفاق حديثا بسند رفعه إلى يحيى بن عبد الرحمن — قال : نرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحج الأكبر، حتى إذا كان عمرُ بالروحاء (١) كَلَّمَ النَّاسَ رَبَّاحَ بنَ المَعْرِفِ، وكان حسنَ الصوتِ ببناءِ الأعرابِ، فقالوا : أَسْمِعْنَا وَقَصِّرْ عَنَّا الطَّرِيقَ؛ فقال : إني أَفَرِّقُ منَ عمرَ . قال : فَكَلَّمَ الْقَوْمُ عُمَرَ . إنا كُنَّا رباحا أن يُسَمِعَنَا وَيُقَصِّرَ عَنَّا طَرِيقَ المَسِيرِ فَإِنِ إلَّا أن تَأْذَنَ لَهُ . فقال له : يارباح، أَسْمِعْهُمْ وَقَصِّرْ عَنْهُمْ المَسِيرَ، فإذا أَسْمَعْتَ فَأَرْفَعْ وَأَحْدِثْهُمْ بِشَعْرِ ضَرَارِ بنِ الخَطَّابِ؛ فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَقَتَّى وَهُمْ عَحْرَمُونَ .

وروى أيضا بسنده إلى يزيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر رضى الله عنه مرَّ برجل يتَقَتَّى فقال : إن الفناء زاد المسافر .

وروى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وشُعْبَةُ كلاهما عن أبي إسحاق السَّيِّدِيِّ عن عامر بن سعد البجلي : أن أبا مسعود البديري، وقرظة بن كعب، وثابت بن يزيد، وهم في عُمُرَينِ

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) في الأصل : « المرف » . والصواب عن أحمد النابغة .

وعندهم غناء ، فقلت : هذا وأتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! فقالوا : إنه رُخص لنا في الغناء في العرس والبكاء على الميت في غير نوح . إلا أن شعبة قال : ثابت بن وداعة مكان ثابت بن يزيد ، ولم يذكر أبا مسعود .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن أبي طالب المكي : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمنيرة بن شعبة ، ومعاوية وغيرهم ،
وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابي بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضل الملقب بسند رفعه إلى عمر بن أبي زائدة قال :
حدثتني امرأة عمر بن الأصم^(١) قالت : مررتا ونحن جوارٍ يجلس سعيد بن جبير ومعاوية جارية تفتي ومعهما دُفٌّ وهي تقول :

١٠ . **لئن فتنتنى فهي بالأصم أفنت * سعيداً فأمسى قد قلى كل مسلم**
والتي مفاتيح القراءة وأشترى * وصال العوائى بالكتاب المنتم
فقال سعيد : تكذيبين تكذيبين .

ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمه الله وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي^{١٥} الملقب بسند رفعه إلى أبي المريسى ، قال : مررتا مع الشافعي وإبراهيم ابن إسماعيل على دار قوم وجارية تنتميم :

خيلى ما بال المطايا كأنها * تراها على الأعقاب بالقوم تنكمس^(٢)

(١) الذى فى شرح الإحياء (ج ٦ ص ٤٦١) : « عمرو » .

٢٠ (٢) تنكس : ترجع . وقد ورد هذا البيت فى الأغاني (ج ٤ ص ١٦٤) هكذا :
خيلى ما بال المطايا كأنها * تراها على الأدبار بالقوم تنكس

فقال الشافعي: **يَلُؤا بَنَّا نَسْمَعُ** . فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم: **أُطِيرِكَ هَذَا؟** قال لا . قال: **فَا لَكَ حَسَّ!**

وروى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: كنت أحب السماع وكان أبي يكره ذلك، فواعدت ليلةً أبني الخبازة، فكنت عندي إلى أن طليتُ أُنَّ أبي قد نام، فأخذ يُغَنِّي، فسمعتُ خشفةً فوق السطح، فصعدتُ، فرأيتُ أبي فوق السطح يسمع ما ينثني وذيله تحت إبطه وهو يتبخر كأنه يرقص . قال: وقد رويت هذه الحكاية أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل — وساق سندا إليه — قال: كنت أدعو أبني الخبازة وكان أبي ينهانا عن الفناء، وكنت إذا كان عندي كتمته من أبي لئلا يسمع . فكان ذات ليلةً عندي وهو يقول، فعرصتُ لأبي عندنا حاجةً — وكانوا في زقاق — فجاء وسَمِعَهُ يقول، فوق في سَمْعِهِ شيء من قوله، فخرجتُ لأنظر فلذا بأبي يترجح ذاهبا وجائيا، فرددتُ الباب ودخلت . فلما كان من اللد قال أبي: يا بني، إذا كان مثل هذا فقم الكلام، أو ساء . قال أبو الفضل: وأبني الخبازة هذا هو أبو بكر

❦

محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر، وكان طاصرَ أحمد ورتاه حين مات .

وروى أبو الفضل أيضا بسند رفعه إلى [أبي] مصعب الزمري أنه قال: حضرتُ

مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع، فقال مالك: ما أدري، أهلُ العلم يبلدنا لا يتكرون ذلك ولا يفعدون عنه ولا ينكروه إلا غبي جاهل أو ناسك عراقي غليظ الطبع . وقال أيضا: أخبرنا أبو محمد التيمي ببغداد قال: سألتُ الشريف أبا علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقول فيه، غير أني حضرتُ دار شيخنا أبي الحسن عبدالعزيز بن الحارث التيمي سنة سبعين وثلاثمائة

(١) يترجح: يتأرجح .

(٢) أبو مصعب: كنية أحمد بن أبي بكر الزمري المدني أحد رعاة الموطأ عن الإمام مالك .

في دعوة عملها لأصحابها؛ حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعية، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن ابن سمعون شيخ الوعظ والزهاد، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التيمي شيخ الحنابلة؛ فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم، ومعهم أبو عبد الله غلام تام، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن، وربما قال شيئا. فقيل له: قل لنا شيئا؛ فقال لهم وهم يسمعون:

خَطَّتْ أُنَالُهَا فِي بطنِ قِرطاس * رسالةً بِبَسِيرٍ لَا بِأَقْصَاسِ^(١)
أَنْ زُرْتُكَ لِي مِنْ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ * فَاتَّ حَبْلُكَ لِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ^(٢)

فكان قولي لمن أَدَّى رسالتها * قف لي لأمشي على العيين والرايس ١٠
قال أبو علي: فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أُنْقِي في هذه المسألة يحظر ولا إباحة. ومن أحب السماع والنساء وسمعه من الزهاد والعباد والعلماء أبو السائب المخزومي. روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده إلى صفيّة بنت الزبير بن هشام قالت: كان أبو السائب المخزومي رجلا صالحا زاهدا متقللا يصوم الدهر، وكان أرق خلق الله قلبا وأشدّهم غزلا. فوجه غلامه يوما يأتيه بما يُهْطَرُ عليه، فبُذِلَ ١٥
الغلام إلى السّمة. فلما جاء قال له: يا عدو نفسي. ما أتراك إلى هذا الوقت؟ قال: اجترت بياض فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته. فقال: هاته يا بُنَيَّ، فوافقه لأن كنت أحسنَ لأحبّوك، وإن كنت أسأت لأضرّ بك. فأندفع يُفْنِي بشعر كثير:

(١) بأقاص: جمع قاص وهو الهاد. (٢) الذي في شرح الإحياء نسبه مرتصر:

* أَنْ زُرْتُكَ قَفْ لِي غَيْرِ مُحْتَشِمٍ *

(٣) في الأغاني (ج ٧ ص ٣٠ طبع بولاق): «ابنه».

وَلَا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ * قَطَّعُ مِنْ أَهْلِ الْهَجَازِ مَلَاقِي

فَلَا زِلْنِ حَسْرَى ظُلْمًا لَمْ حَمَلْنَاهَا * إِلَى بَلَدٍ نَاهٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

فلم يزل يفتنه ويستعيده الى نصف الليل . فقالت له زوجته : يا هذا ، قد أنتصف

الليل وما أفطرت . فقال لها : أنتِ الطلاقُ إن أفطرتا على غيره . فلم يزل يفتنه

• ويستعيده حتى أصبح . فقالت له : هذا السحر وما أفطرتا . فقال لها : أنت

الطلاق إن كان تحمورنا غيره . ثم قال لأبنته : يا بُنْتِي ، خذ جُتِي هذه واعطني خَلَقَكَ

ليكون الجِباءَ فضلًا ما بينهما . فقال له : يا أُمِّ ، أنت شيخ وأنا شابٌ وأنا أقوى

على البرد منك ، فقال له : يا بُنْتِي ، ما ترك هذا الصوتُ للبرد على سبيل ما حِيتُ .

ويؤيد هذه الحكاية ما حكاه أبو طالب المكي في كتابه ، قال : كان بعض

السامعين يقات بالسماع ليقوى به على زيادة طيِّه ، كان يطوى اليوم واليومين

والثلاثة ، فإذا تاقَت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع ، فثار تواجدُه ، فاستغنى

بذلك عن الطعام .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبدة الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جده قال :

كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفة ، وكان يقضى عبدة الله بن جعفر ، فسمع

جاريةً مَغْنِيَةً لبعض النخاسين تُنَقِّي :

بانت سعادٌ وأمسى حبُّها أنقطعًا * وأحلت النورَ فالجدين فالفرقا

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث إلا الشيبَ والصلما

فهام الناسك وترك ما كان عليه ، حتى مثنى إليه عطاء وطاؤس ولا ماء ؛ فكان جوابُه

لها أن تمثل :

يلومني فيك أقوامٌ أجالهمسم * فما إبالى أطارُ اللوم أم وقعما

(١) شُب : مثل بين طريق مصر والقنا . (من معجم ما استعجم للبكري) .

- فبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فأعرض الجارية وسمع غناها بهذا الصوت وقال: ممن أخذتِه؟ قالت: من حرّة الميلاء؛ فأبتاعها بأربعين ألف درهم. ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه؛ فقال: أتعجب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذته عنه تلك الجارية؟ قال نعم. فدعا حرّة الميلاء فقال: غنّيه إياه. فغنته، فصعق الرجل [ونزع] مَنَشِيًّا عليه. فقال ابن جعفر: أَمِنَّا فِيهِ، الماء الماء! فَنَضَح على وجهه. فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ قال: وما خفي عليك أكثر. قال: أفتعجب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكتها! فأخرجها إليه وقال: خذها فهي لك؛ ووالله ما نظرتُ إليها إلا عن عُرْض. فقَبِلَ الرجل يديه ورجليه وقال: أَتَمَّتْ عَنِّي، وأحييت قَمِي، وتركنتي أعيش بين قومي، ورددت إلى عقلي، ودعا له دعاء كثيرا. فقال عبد الله: ما أَرْضَى أَنْ أُعْطِيَكُمَا هَكَذَا، يا غلام، أَجِلْ معه مثل ثمنها، ففعل.
- قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين»: كان ابن مجاهد لا يُجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع. قال: وكان أبو الخير السقلافي الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع، وصنف فيه كتابا وردّ فيه على مُنْكَرِيهِ. وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الأنضري عليه السلام، فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال: هو الصِّفَا الزَّلَال^(٢١) الذي لا تُبَيِّن عليه إلا أقدام العلماء.

(١) الزيادة عن الأغلج (ج ١٦ ص ١٩ طبع بولاق).

(٢) الصفا: الرريض من الجارة الأملس.

وروى الأصفهاني بسند رفعه إلى ابن كُثَامة قال : اصطحب شيخ مع شاب في سفينة في القرات ومعهم مغيّة . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جارية وهي تنفّى ، فأحبينا أن نسمع غناها فبهناك ، فإن أدنّت قلنا . فقال : أنا أصعدُ على أطلال السفينة ، فأصنعوا أتم ماشتم ، فصعد وأخذت المغيّة عودها وغنّت :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه * وغابت الجوزله والمِرْزَمُ
أقبلت والوطء خفي كما * ينساب من مكته الأرقم^(٢١)

فطرب الشيخ وصاح ، ثم رمى بنفسه وبنيابه في القرات وجعل يفرس ويففو ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم ! فالتقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأيي ما أسخرجوه ، وقالوا : يا شيخ ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم عني ، فإني أعرف من معاني الشعر ما لا تمرّفون . فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دب من قدمي شيء إلى رأسي كدبيب النمل ونزل من رأسي مثله ، فلما اجتمعنا على قلبي عَمِلْتُ ما عَمِلْتُ .

وقال أحمد بن أبي دُواد : كنت أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله ؛ فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّيْخِيَّة في حرّاقة ، ووجه في طلي فصرتُ إليه . فلما قُرِبْتُ منه سمعتُ غناء حيرني وشغلني عن كل شيء ، فسقط سوطي عن يدي ، فالتفت إلى غلامي أطلب منه سوطاً ؛ فقال لي : قد والله سقط مني سوطي . فقلت له : أي شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته لخيرتي ، فما علمتُ كيف سقط ، فإذا قصّته قصّتي . قال : وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستغزّ الناس منه

(١) في الأصل : « في خلال السفينة » والتصويب عن الأغاني (ج ٤ ص ١٨) طبع دلائل الكتب

المصرية والأطلال : جمع طلال ، وظلال السفينة : شراصها .

(٢) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ١٧١ طبع بولاق) وفي الأصل : « في » .

فيغلب على عقولهم ، وأنظر المعتصم عليه . فلما دخلت عليه يومئذ أعلمته بالخبر ، فضحك وقال : هذا عمي كان يغني :

إن هذا الطويل من آل حَفِص * أنشَرَ المجدَ بعد ما كانَ مانا
فإن بُتَّ مما كنتَ تناظر عليه من ذمِّ الغناء سألته أن يُعيدَه ، ففعلتُ وفعل ،
فبلغ بي الطربُ أكثر مما يبلغه من غيري ، ورجعتُ عن رأيي منذ ذلك اليوم .
وعمه الذي أشار إليه هو إبراهيم بن المهدي .

ذَكَرَ مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَبْنائِهِمْ وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتٌ
مِنَ الْغَنَاءِ ثَقُلَتْ عَنْهُ

كانَ مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ — عل ما أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم
« بالأغاني » — ونُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتٌ بِجَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ نُسِبَتْ لَهُ
أَصْوَاتٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ . وَلَعَلَّ مَا قُلْتُ عَنْهُ كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ . وَكَانَ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا . فَكَانَ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ :

عَلَّقَ الْقَلْبُ سَعَادًا * عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كُلُّهَا عَوْتُبَ فِيهَا * أَوْ نُهِى عَنْهَا تَمَادَى
وهو مشغوفٌ بِسُعْدَى * وَعَصَى فِيهَا وَزَادَا

وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ مَا قِيلَ إِنَّهُ غَنَاهُ مِنْ شِعْرِ جَرِيرٍ :
فَقَا يَا صَاحِبِي تَزُرُّ سَعَادًا * لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَدَعَا الْبِعَادَا^(١)

(١) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش هكذا :
ألمأ صاحبي تزور سعادا * تقرب من أرواحها وذرا البعادا

٢٠ ورد هكذا أيضا في الأغاني (ج ٨ ص ١٥٠) هذا الشعر الثاني فانه هكذا :
* لو شئت فراقها وذرا البعادا *

لَعَمْرُكَ إِنَّ نَفْعَ سَعَادَ عَنِّي * لمصروف ونفعي عن سعاد
إلى الفاروق يَنْسِبُ ابْنُ لَيْلَى * وَمَرْوَانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَ
وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيلَ إِنَّهُ غَنَاهُ مِنْ شَعْرِ الْأَشْهَبِ بْنِ رَمِيلَةَ ^(٢) :

أَلَا يَا دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى * كَمَا قَدْ دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سَعَادَا
هِيَ سَيِّئَاتُ الْفُسَادِ وَهَاضَمَاتُهَا ^(٣) * وَلَمْ يُدْرِكْ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا
فَقِفَا تَعْرِفَ مَنَازِلَ مَنْ سُلَيْمَى * تَوَارِسَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عُرَادَا
ذَكَرْتُ لَهَا الشَّبَابَ وَكُلَّ لَيْلَى * فَلَمْ يَزِدْ الشَّبَابُ بِهَا مَزَادَا
فَإِنْ تَنَسَّبَ التَّوَائِبُ أُمُّ عَمْرُو * فَقَدْ لَا قِيَّتُ أَيَّامَا شَدَادَا

٨٤

وَمَنْ غَنَى مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، مَنْ دُوَّتْ لَهُ صِنْعَةُ الْوَائِقِ بِاللَّهِ
أَبُو جَعْفَرِ هَارُونَ بْنُ الْمُتَعَمَّرِ بِاللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ، حَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَدْرِهِ
إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا دَارَ الْوَائِقِ بِاللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَى مَوْضِعٍ
أَمَرَ أَنْ أَدْخُلَهُ إِذَا كَانَ جَالِسًا، فَسَمِعْتُ صَوْتَ عُودٍ مِنْ بَيْتٍ وَتَرْتُمًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ
مِنْهُ . فَأُطْلِعَ خَادِمُ رَأْسِهِ ثُمَّ رَدَّهُ وَصَاحَ بِي، فَدَخَلْتُ وَإِذَا أَنَا بِالْوَائِقِ بِاللَّهِ . فَقَالَ :
أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَ ؟ فَقُلْتُ : الطَّلَاقُ كَامِلٌ لِأَزْمُ لَهُ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حَرٌّ، لَقَدْ سَمِعْتُ
مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ حُسْنًا ! فَضَحَكَ وَقَالَ : وَمَا هُوَ ؟ إِنَّمَا هَذِهِ فَضْلَةُ أَدَبٍ وَعِلْمٍ
مِلْحَةِ الْأَوَائِلِ وَأَشْتَهَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّائِبِينَ بِهِمْ وَكَثُرَ
فِي حَرَمِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَمُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ ؟
قُلْتُ : إِي وَاقِهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِخُطَابِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ . فَقَالَ : يَا غُلَامُ، هَاتِ الْعُودَ وَأَعْطِ

١٥

(١) فِي الْأَصْلِ : "لَيْلَى" . وَالصُّوْبِيُّ عَنِ الْأَغْنِيِّ وَالِدِيَّانَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَصَلَةُ . وَالصُّوْبِيُّ عَنِ الْأَغْنِيِّ (ج ٨ ص ١٥٨) .

٢٠

(٣) فِي الْأَغْنِيِّ (ج ٨ ص ١٥٨) : «رَأْسَاتُهَا» .

إسحاق رطلا؛ فدفَعَ الرطل إلى وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه :
 أَصَحَّتْ قُبُورُهُمْ مِنْ بَمَدِ عِزَّتِهِمْ * تَنَفَّى عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجُفُ الشَّمْلُ
 لَا يَدْفَعُونَ هَوَامًا عَنْ وُجُوهِهِمْ * كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالْقَاجِ مُنْجِلُ
 فَشَرْتُ الرطل ثم قُتْ . فدَعَوْتُ له ، فَأَحْتَسِنِي وَقَالَ : أَتَشْتَمِي أَنْ تَسْمَعَهُ
 بَاقَهُ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاقِهِ ، فَتَنَانِيهِ ثَانِيَةً وَثَلَاثَةً ، وَصَاحَ بِيَعُضَ خَدَمِهِ وَقَالَ : إِحْلِلْ
 ٥ إِلَى إِسْحَاقِ السَّاعَةَ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : يَا إِسْحَاقُ ، قَدْ سَمِعْتَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ
 وَشَرِيتَ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ وَأَخَذْتَ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَأَنْصَرَفَ إِلَى أَهْلِكَ مَسْرُورًا
 لِيُسْرُوا مَعَكَ ، فَأَنْصَرَفْتُ بِالْمَالِ . وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بِسَنَدِهِ إِلَى عَرِيبِ الْمَأمُونِيَّةِ
 قَالَتْ : صَنَعَ الْوَائِقُ بَاقَهُ مِائَةَ صَوْتٍ مَا فِيهَا صَوْتٌ سَاقِطٌ . وَلَقَدْ صَنَعَ فِي هَذَا
 الشَّعْرِ :

١٠

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مِثْلَهُ * تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنْ الْحَبِّ أَقْصَايَ
 هَذَا كَتَبْتُ قَتَّى طَالَتْ بَلِيَّتُهُ * يَقُولُ بِأُمُشْتَكِي بَقَى وَأَحْزَانِي

قَالَ : وَكَانَ الْوَائِقُ بَاقَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْرُضَ صِنْعَهُ عَلَى إِسْحَاقِ نَسَبًا إِلَى غَيْرِهِ
 قَالَتْ : وَفَعَلَ إِلَيْنَا صَوْتُ قَدِيمٌ مِنْ بَعْضِ الْعَبَايِرِ فَأَسْمَعُهُ ، وَأَمْرٌ مِنْ بَغْيَتِهِ إِيَّاهُ . وَكَانَ
 ١٥ إِسْحَاقُ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ أَخْذًا ، فَإِنْ كَانَ جَيِّدًا رَضِيَهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ
 وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا أَوْ مُطَرَّحًا أَوْ مُتَوَسِّطًا ذَكَرَ مَا فِيهِ . فَإِنْ كَانَ لِلوَائِقِ فِيهِ هَوًى سَأَلَهُ
 تَقْوِيمَهُ وَإِصْلَاحَ فَاسِدِيهِ وَلَا أَطْرَحَهُ . وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : كَانَ الْوَائِقُ أَعْلَمُ
 النَّاسِ بِالْفَنَاءِ ، وَبَلَغَتْ صِنْعَتُهُ مِائَةَ صَوْتٍ ، وَكَانَ أَحَدُ قَنْ مَنْ غَنَّى بِضَرْبِ الْعُودِ ، ثُمَّ
 ذَكَرَ أَغَانِيَهُ . وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيَّ مِنْهَا أَصْوَاتًا مِنْهَا :

٢٠

وَلَمْ أَرِ لَيْلَى غَيْرَ مَوْقِفٍ لَيْسَلَةٍ * بِجَنَيفٍ مَنِ تَرَبَّى حِمَارَ الْحَصْبِ
 وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا خَذَقَتْ بِهِ * مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

ألا إنما غادرت يا أُم مالك * صدئى أينما تلحَّب به الريحُ بذهبٍ
وأصبحتُ من ليلَى القداة كظلي * مع الصبح في أعجاز نجم مُغربٍ
وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركا ذكرها اختصارا .

- قال : ولما خرج المتيم إلى عمورية استخلف الواثق . فوجه الواثق إلى
الجلساء والمغنين أن يُكرِّوا إليه يوما حده لم ، ووجه إلى إسمحاق ، فحضر الجميع .
فقال لهم الواثق : إني عزمتُ على الصُّبح ، واستُ أجلس على سريرٍ حتى أختلط
بكم ونكون كالشيء الواحد ، فأجلسوا معي حلقة ، وليكن إلى جانب كلِّ جليس
مُغَنٍّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ ، فأخذ العود فغنى وشروا وغنى من
بعده ، حتى انتهى إلى إسمحاق وأعطى العود فلم يأخذه ، فقال : دعوه . ثم غنوا
دورا آخر ، فلما بلغ الغناء إلى إسمحاق لم يُغنْ وفعل ذلك ثلاث مرَّات . فوثب
الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا ، فلما قال لأحد منهم : اجلس . ثم
قال : على إسمحاق . فلما رآه قال : يا خوزي^(١) يا كلبُ ، أتبذل لك وأغنى فتترقع
على ! أتراني لو قتلتك كان المتيم يُعِدُّني بك ! إبطحوه ، فبطح وضرب ثلاثين
مِقْرعة ضربة خفيفا وحلف لا يُغنى سائر يومه سواه ، فأعذر وتكلَّت الجماعة فيه ؛
فأخذ العود ، وما زال يغنى حتى أنهض مجلسه . وللواثق باق في الغناء أخبار
وحكايات يطول بذكرها الشرح .

٨٥

ومنهم المتصبر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر .
قال يزيد المهلبي : كان المتصبر حسنَ العلم بالغناء ، وكان إذا قال الشعر صَنَعَ فيه

(١) الخوزي : نسبة إلى الخوز ، وهي بلاد خوزستان ، وأهلها أُمُّ الناس واسقطهم قسا ، كما

وأمر المختين بإظهاره . فلما ولي الخليفة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه ؛ فلذلك لم تظهر أغانيه .

ومنهم المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . ذكر أيضا أنه كان يغني أصواتا . فما غنى به في شعر عدى بن الرقاع :

لعمري لقد أضحرت^(١) خيلنا * بأكاف دجلة للصعب
فمن يك منا يبيت أمنا * ومن يك من غيرنا يحرب

وهذه الأبيات من قصيدة لعدى بن الرقاع قالها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومُصعب بن الزبير وقُتل فيها مصعب بن الزبير ، حل ما ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار عبد الله بن الزبير .

ومنهم المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله . هو ممن له يد في الفناء وصنعة حسنة . وما قيل من أغانيه أنه غنى في شعر الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضد جمع النعم العشر في صوت صنعه في شعر دُرَيْد بن الصمة وهو :

باليثي فيها جدع * أخب فيها وأضع

قال : وأسألمني هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ، فعزّزه صحته وذلك على ذلك حتى يثقنه فسرّ به . قال عبيد الله : وهو لعمري من جيد الصنعة ونادرها .

قال : وقد صنع الحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القلماة والمُحْدَثِينَ^(٢)

(١) أضحرت : برزت إلى الصراة .

(٢) من هنا ابتداء الخوف في الحديث عن المعتضد الذي هو ابن المعتز ولم يترجم له كإفصل في ساجته

(٣) كذا في كتاب الأغاني (ج ٩ ص ٢٠) وفي الأصل : « في هذه الأشعار صنع » الخ .

وعارضهم بصنعتيه فأحسن وشاكل وضاهى فلم يعجز ولا قصر، ولا أتى بشيء يُعذر منه . قال : فمن ذلك أنه صنع في قول الشاعر :

أما القطاة فإني سوف أنمئها • نعمتا يوافق نيتي بعض ما فيها

بحفاء في نهاية الجودة وهو أحسن ما صنيع في هذا الشعر على كثرة الصنعة فيه .
وأشترك القدماء والمحدثين في صنعته مثل معبد ونسيط ومالك وأبن محرز وسنان وعمر الوادي وأبن جامع وإبراهيم وأبنه إسحاق وعلويه .

قال : وصنع في :

نَشَى الكَيْتُ الْبَرَى لَمَّا جَهَدَهُ • وَيَنْ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَكَلِّمًا

فما قصر في صنعته ولا عجز عن بلوغ الناية فيها مع أصوات له صنعها تتأخر مائة صوت ما فيها ساقط ولا مرذول . فهؤلاء الذين لم صنعة في الغناء من الخلفاء .



وأما أبناء الخلفاء الذين لم صنعة بد في هذا الفن .

فمنهم إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة بنت المهدي رحمهما الله تعالى ،
وإبراهيم يكنى أبا إسحاق أمه شَكْلَة أُمُّ مَوْلِدَةٍ كَانَ أَبُوهَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَازِيَارِ
يقال له : شاه أفرند قتل مع المازيار وسُيِّتَ شَكْلَة فُحِطَتْ إِلَى الْمَنْصُورِ فَوَهَبَهَا
لِحَيَاةِ أُمِّ وَلَدِهِ فَرَبَّهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الطَّائِفِ فَنَشَأَتْ هُنَاكَ ، فَلَمَّا كَبُرَتْ رَدَّتْ إِلَيْهَا .
فَرَأَاهَا الْمَهْدِيُّ فَأَعْجَبَتْهُ فَطَلَبَهَا مِنْ حَيَاةِ فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ .

(١) كذا بالأصل والأغاني (ج ٩ ص ٤٩) وفي الطبري : شكاة أم إبراهيم بن المهدي وهي بنت
نزداسان قهرمان المصنغان وكتب مصححه : نزيادان ، (أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب القمم

الثالث ص ١٤٠ طبع أوربا) .

قال أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم قال :

- كان إبراهيم بن المهدي أشد خلق الله إعظاما للفناء وأحرصهم عليه وأشدهم منافسة فيه . قال : وكانت صنعته لينة فكان إذا صنع شيئا نسبته إلى غيره لئلا يقع عليه طعن أو تقرع فقلّت صنعته في أيدي الناس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطريبا لا تكسبا وأغنيّ لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتي .
- قال : وكان حسن صوته يستر عوار ذلك . وكان الناس يقولون : لم يرق جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته طيبة . وكان إبراهيم يجادل إسماعيل ويأخذ عليه في مواطن كثيرة إلا أنه كان لا يقوم له ويظهر إسماعيل خطاه . ووقع بينهما في ذلك بين يدي الرشيد وفي مجلسه كلام كثير أنفضى إلى أمور نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبار إسماعيل بن إبراهيم .
- ١٠

- وكان إبراهيم بن المهدي في أقل أمره يتستر في الغناء بعض التستر إلا أنه يذكره في مجلس الرشيد أخيه . فلما كان من أمره في الوئوب على الخلافة ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا لخلافة المأمون بن الرشيد ، ثم [لمّا] ^(١) أتمه المأمون بعد هربه منه تهتك بالفناء ومشى مع المفتين ليلا إذا خرجوا من عند المأمون ، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهر للناس أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه
- ١٥ وأنه تهتك فلا يصلح لخلافة . وكان من أعلم الناس بالنظم والوتر والإيقاعات وأطيعهم في الغناء وأحسنهم صوتا . وكان مع طبعه وطبعه ومعرفة يقصر عن الغناء القديم وعن أن يحوّه في صنعته . فكان يحذف ثم الأغاني الكثيرة العمل حذفًا شديدًا

(١) كما في الأغاني . وفي الأصل : « لا يقوم به » وهو تصحيف .

(٢) زيادة يقتضيا السياق .

ويحققها على قدر ما يصلح له وينبغي بأدائه فإذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملك وأبني ملك وإنما أغنى على ما أشتي وكما ألتذ . فهو أول من أفسد الفناء القديم .

وروي عن حمدون بن إسماعيل قال : قال إبراهيم بن المهدي : لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت منها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبل مثل .

وروي أبو الفرج الأصفهاني عن جعفر بن سليمان الهاشمي قال : حدثنا إبراهيم بن المهدي قال :

دخلت يوما على الرشيد وبني فضلة^(١) تحاروين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي فقال : بجيأت يا إبراهيم غن ، فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغبت :

أَسْرَى بِجَالِدَةِ الْخِيَالِ وَلَا أَرَى * شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مِنْ تَمَلِّ حَدِيثِهِ * فَأَقْعَقَ فؤادك من حليث الواقع
أَهْوَاكِ فَوْقَ هَوَى النَّفْسِ وَلَمْ يَزَلْ * مَذْنِبَتِ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تَجَازِ مَوَدَّتِي * لَيْسَ الْمَكْتَبُ كَالْجَيْبِ الصَّادِقِ

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الفناء ما نطلب لما أكلنا خبرًا أبدا فقال ابن جامع : صدقت ، فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت : خدا في حقا ودعا باطلنا .

وروي عن إبراهيم قال :

كان الرشيد يحب أن يسمعي نغلا في مرآت إلى أن سمعني ، ثم حضرته مرة

(١) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٥٠) وفي الأصل : « طربة تحار » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « ثلاثة » باللام .

وعنده سليمان بن أبي جعفر فقال لى : عمك وسيد ولد المنصور بعد أبليك وقد أحب
أن يسمعك، فلم يتركنى حتى غنيت بين يديه :

سَقَا لِرَيْك مِّن رَّيِّ بَذَى سَلَمَ * وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ حَاصِيَةٌ * وَإِذَا أَمْرُ الْيَكِّ سَادِرًا رَّسَنِي^(١)

فأمر لى بألف ألف درهم ، ثم قال لى ليلة ولم يبق فى المجلس عنده إلا جعفر
أبن يحيى : أنا أحب أن تُشرف جعفرًا بأن تُغنيته صوتًا فغنيت لى صمته فى شعر
الداري :

كَأَنَّ صُورَتَهَا فِي الْوَصِيفِ إِذْ وُصِفَتْ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَضْرُوبَةِ الْعُتْقِ
فأمر لى الرشيد بألف ألف درهم .

١٠ وحكى عن إصحاق بن إبراهيم قال : لما صنعت صوتى الذى هو :
قُلْ لِمَنْ صَدَّ طَائِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَائِبًا
قد بلغت الذى أرد * تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاجِبًا
وَأَعْرَفْنَا بِمَا آدَبَ * سَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
فَأَفْصَلُ الْآنَ مَا أَرَدَ * تَ قَدْ جِئْتُ تَائِبًا

١٥ اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إلى يسألنى عنه ، فكتب إليه الشعر
وإيقاعه وبسبيله وجرأه وإصبعه وتجزئته وأقسامه وخارج نغمه ومواضع مقاطعه^(٢)
ومقادير أدواره وأوزانه فغناه ثم لغني فغنايه ، ففضلني فيه بحسن صوته .
وقال أبن أبي طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنصح فاطرب .

(١) السادر : المحير ، والرسن : الخيل .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وبساطه » وهو تحريف .

ومن محمد بن خير عن عبد الله بن العباس الرّبيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كلّ محسن من المؤمنين يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج تترنم إبراهيم بصوت فريدة في شعر أبي العتاهية :

قال لي أحمد ولم يدر ما بي * أتجيبُ القعدةَ عبّنةَ حقا

فنتفستُ ثم قلتُ نعم جأ جرى في السروق عرقاً فبرقا

وهو متكئ، فلما فرغ ترنم به مخارق فاحسن فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فغناه إبراهيم وزاد في صوته على غناء مخارق . فلما فرغ رده مخارق وغناه بصوته كله وتحفظ فيه وكدنا نظير سروراً . فاستوى إبراهيم جالماً وكان مُتكاملاً وغناه بصوته كله ووفاء قنمه وشذوره ونظرتُ إلى كتفيه تهتران وبدنه أجمع يحزك إلى أن فرغ منه ومخارق شاخص نحوه يُرعد وقد أُنقِص لونه وأصابه تَحْلِيلٌ خفيل إلى أن الإيوان يسير بنا، فلما فرغ منه تقدّم إليه مخارق فقبل يده وقال : جعلني الله فداك أين أنا منك ! لم يتفزع مخارق بنفسه بقية يومه في شيء من غناؤه، والله لكأنا ما كان يتحدث .

وروي عن منصور بن المهدي قال :

كنت عند أنس إبراهيم في يوم كانت عليه فيه قوبة لمحمد الأمين، فتشاكل بالشرب في بيته ولم يميض، وأرسل إليه الأمين عدّة رسل فتأخروا . قال منصور : فلما كان من غد قال لي : ينبغي أن نعمل على الراح إلى أمير المؤمنين فترضاه ، فما أشك في غضبه علينا . فضينا فسالنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو مخمور ، وكان من حادثه ألا يشرب إذا لحقه الخمار . فدخلنا ، وكان طريقنا على

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « يكي » وهو تحريف .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فأطرب » .

(٣) كذا في الأغاني . والحير : شبه الحفيرة . وفي الأصل : « حاشر الوحش » وهو تحريف .

تُجْمَرُ تُصْنَعُ فِيهَا الْمَلَاهِي ، فَقَالَ لِي : انْهَبْ فَاحْتَرِ مِنْهَا جُودًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْهُ غَايَةً
الإصلاح حتى لا يُجْتَاجَ إِلَى إِصْلَاحِهِ وَتَغْيِيرِهِ عِنْدَ الضَّرْبِ بِهِ ؛ فَفَعَلْتُ وَجَعَلْتُهُ
فِي كُفِّي . وَدَخَلْنَا عَلَى الْأَمِينِ وَظَهَرَهُ إِلَيْنَا . فَلَمَّا بَصُرْنَا بِهِ مِنْ بُعِيدٍ قَالَ : أَخْرِجْ
عُودَكَ فَأَخْرَجْتُهُ ، فَأَتَدْفَعُ بِغُفٍّ :

- وَكَأَيْسَ شَرِيبَتٍ عَلَى لَذَّةٍ * وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لِيَكُنَّ يَلْمُ النَّاسُ أُنَى أَمْرِي * أَتَيْتُ الْفُتُوَّةَ مِنْ بَابِهَا^(١)
وَشَاهَدْنَا الْوَرْدَ وَالْيَاسْمِينَ * مِنْ الْمُسْتِيمَاتِ بِقَصَابِهَا^(٢)
وَبَرَبَطْنَا دَائِمٌ مُصْعَلٌ * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرَى بِهَا

- فَأَسْتَوِي الْأَمِينَ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ
وَأَحْيَيْتَ لِي طَرِبًا . وَدَمَا بَرَطَلْ فَشَرِبَهُ عَلَى التَّرِيقِ وَابْتَدَأَ شَرِبَهُ . قَالَ مَنْصُورٌ :
وَقَفَى إِبْرَاهِيمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعُودِ ، وَمَا تَمَعَتْ مِثْلَ
غَنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطْ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ :
كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ بِغُفٍّ صَغَتِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى تَكَادَ
تَضَعُ رُؤُوسَهَا عَلَى الدُّكَّانِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ نَفَرَتْ وَبَعُدَتْ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ
إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ يُمْكِنُهَا التَّيَاعُدُ عَنَّا فِيهَا ، وَجَعَلَ الْأَمِينُ يَسْجَبُ مِنْ ذَلِكَ . وَأَنْصَرَفْنَا مِنْ
الْجَوَائِزِ بَمَا لَمْ يُنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطْ .

وَمِنْ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ :

كُنْتُ أَسْأَلُ مُحَارِقًا : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ غَنَاءً ؟ فَكَانَ يُجِيبُنِي جَوَابًا بِجَمَلٍ ، حَتَّى

- (١) فِي الْأَغْنَى وَالسَّانِ : « وَشَاهَدْنَا الْجَلَّ » . وَقَالَ صَاحِبُ السَّانِ : وَاجْلِسْ الَّذِي فِي شَرِّ
الْأَعْيُنِ هُوَ الْوَرْدُ ، فَارْبَعُ شَرِبَ . (٢) الْقَصَابُ : الْأَوْتَارُ الَّتِي تُؤْتَى مِنَ الْأَمْعَاءِ . وَقِيلَ :
جَمْعُ قَاصِبٍ وَهُوَ الزَّامِرُ . (٣) الْبَرِيطُ : الْعُودُ .
(٤) فِي الْأَغْنَى (ج) ص ٩٦ طبع بولاق : « وَاحْتَدَّ فِي شَرِبِهِ » .

حققت طيه يوما فقال : كان إبراهيم الموصلي أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات . ثم قال لي : أحسنُ الناس غناء أحسنهم صوتا . وإبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتا، وحسبك هذا !

وعن إسحاق بن إبراهيم قال :

غنى إبراهيم بن المهدي ليلة مجدا الأمين صوتا لم أرضه في شعرا لبي نواس ،

وهو :

يا كثير النوح في الدّمن * لا عليها بل على السّكن
سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستن^(١)
ظنّي من قد كلّفتُ به * فهو يخفوني على الظّن
رثا لولا ملاحظه * خلت الدنيا من القن

١٠

فأمر له بثلاثمائة ألف دينار . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين . أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم ! فقال : وهل هي إلا خراج بعض الكور . هكذا رواه إسحاق ، وقد حكيت هذه الحكاية عن محمد بن الحارث ، وفيها أن إبراهيم لما أراد الانصراف قال : أوقروا زورق عمي دنائير فأوقروه ، فأنصرف بمال جليل .
قال : وكان محمد بن موسى المنجم يقول : حكيت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناء يرهان ، وذلك أنّي كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يفتي المغنون ويثني ، فإذا ابتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما في يديه وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مضطجعا إليه لاهيا عما

١٥

(١) في الأغاني : " فاستن "

٢٠

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « بعض الكورة » وهو تحريف .

كان فيه ما دام يفتي ، حتى إذا أمسك وتفتي غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء . فلا برهان أقوى من هذا [في مثل هذا من] شهادة القطن به وأتفاق الطابع مع اختلافها وتشعب طرقها على الميل إليه والالتقاد نحوه .

- ولإبراهيم بن المهدي أصوات معروفة . منها ما غناه بشعر مروان بن أبي حفصة :
- هل تطمسون من السياء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها
- أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقالمها
- طرقك زائرة غي خيالها * زهراء تخط بالدلال جمالها

- وأما عليّة بنت المهدي . فقد قيل : ما أجمع في جاهليّة ولا إسلام
- أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة . وروى عن أبي أحمد ابن الرشيد قال : كنت يوما بمحضرة المأمون وهو يشرب ، ثم قام وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء أذهل عقلي ولم أقدر أن أقدم ولا أتاخر ، وقطن المأمون لما بي فضحك وقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمك إبراهيم .

- قال أبو الفرج : وأم عليّة أم ولد مغنيّة يقال لها مكنونة ، كانت من جواري المروانيّة المغنيّة . والمروانيّة هذه ليست من آل مروان بن الحكم ، وإنما هي زوجة الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس . وكانت مكنونة من أحسن جواري المدينة وجهًا ، وكانت ربحاء ، وكانت حسنة البطن والصدر . فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٩ ص ٧٢ طبع بولاق) .

(٢) رجاء : قليلة لحم العجيرة .

أمةً أَعْلَظَ عَلَىٰ مَنَّا . وَلَمَّا اشْتَرِيَتْ لِلْهَدْيِ سَرَّ أَمْرَهَا عَنْ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ حَتَّى مَاتَ ،
وَوَلِدْتُ لِلْهَدْيِ طَيْةً هَذِهِ .

وَكَانَتْ طَيْةُ بِنْتُ الْمُهْدِيِّ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ وَأُظْهِرَهُمْ ، فَقَوْلُ الشَّعْرِ الْجَيِّدِ
وَتَصَوُّغُ فِيهِ الْأَخْلَافِ الْحَسَنَةِ . وَكَانَ فِي جَيْبِنَا فَضْلٌ سَعَةً ، فَاتَّخَذْتُ الْعَصَائِبَ
الْمُكَلَّلَةَ بِالْجَوْهَرِ لِتَسْتُرَ بِهَا جَيْبِنَا ، فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ ذَلِكَ .

قَالَ : وَكَانَتْ طَيْةُ حَسَنَةَ الدِّينِ ، وَكَانَتْ لَا تَعْنَى وَلَا تَشْرِبُ الْبَيْنِدَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مُعْتَرِلَةً الصَّلَاةِ ؛ فَإِذَا طَهُرْتُ أَقْبَلْتُ عَلَى الصَّلَاةِ وَقَرَأَةَ الْقُرْآنِ وَقَرَأَةَ الْكُتُبِ . وَلَمْ تَلْهُ
بِشَيْءٍ غَيْرِ قَوْلِ الشَّعْرِ فِي الْأَحْيَانِ ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوَهَا الْخَلِيفَةُ إِلَى شَيْءٍ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى
خِلَافِهِ . وَكَانَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ تَقُولُ : مَا حَرَّمَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُ فِيهَا حَلًّا مِنْهُ
عَوَضًا ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَحْتَجُّ حَاصِيهِ وَالْمُتَشَبِّهِ لِحُرْمَاتِهِ ! . وَكَانَتْ تَقُولُ : لَا غَفَرَ اللَّهُ لِي
فَاحْشَةُ أَنْ تَكْبِتَهَا قَطُّ ، وَمَا أَقُولُ فِي شَعْرِي إِلَّا عِبَادًا .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ هُرَيْرٍ قَالَ : كَانَتْ طَيْةُ بِنْتُ الْمُهْدِيِّ تَحِبُّ أَنْ تُرَاسَلَ بِالْأَشْعَارِ
مِنْ تَخَصُّصِهِ ، فَاتَّخَصَّصَتْ خَادِمًا يُقَالُ لَهُ طَلٌّ مِنْ خُدَمِ الرَّشِيدِ ، تُرَاسِلُهُ بِالشَّعْرِ . فَلَمْ تَرَهُ
أَيَّامًا ، فَشَتَّ عَلَى مِيزَابٍ وَحَدَّثَهُ ثُمَّ قَالَتْ فِي ذَلِكَ :

قَدْ كَانَ مَا كُفِّتُهُ زَمَنًا * بَاطِلٌ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ يَكْنَى
حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَجِيزًا * أُمِئْتُ عَلَى حَتْفٍ إِلَى حَتْفٍ^(١)

خَلَفَ عَلَيْهَا الرَّشِيدُ الْأَنْكَلَمَ طَلًّا وَلَا تُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ ، فَصَفَّيْتُ لَهُ ذَلِكَ . وَاسْتَمِعَ
عَلَيْهَا يَوْمًا وَهِيَ تَقْرَأُ آخِرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ عِبْرٌ وَجَلْ : (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا
وَأَيْلٌ) فَأَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ : (فَطَلٌّ) فَقَالَتْ : فَالَّذِي نَهَى عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَخَلَ

الرشيد فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلاً ولا أملكُ بعدها من شيءٍ تُريدينه .
ولها في طَلِّ هذا عدة أشعار صنعت فيها الخنا ، وكانت في بعضها تصحّف اسمه وتكثي
عنه بنيره . وكانت أيضا تقول الشعر في خادم لها يقال له : رثا وتكثي عنه بزنب .
فمن شعرها فيه :

- وَجَدَ الْفَوَادُ بَزِينَبا * وَجَدْنَا شَدِيدًا مُتَعَبًا
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلَفِهَا * أَدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبًا
وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَقْضِيَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ * وَكَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبًا
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوِصَا * لَمْ أَلَمْ أَحْجِدْ لِي مَلْعَبًا
وَاللَّهِ لَا نِلْتَ الْمَوَدَّةَ أَوْ تَنَالِ الْكُوكِبَا

فصحفتُ اسمه في قولها : "زينا" ، وهذا من الخناس الخطي . قال : وكانت لأتم
جعفر جارية يقال لها طُفَيان ، فوشّت بملية إلى رثا وحكت عنها ما لم تقل .
فقال طية :

- لَطْفَيَانُ خُفِّ مَدُّ ثَلَاثِينَ حِجَّةَ * جَدِيدٌ فَلَا يَسْلَ وَلَا يَتَحَرَّقُ
وَكَيْفَ يَلِ خُفٌّ هُوَ الدَّهْرَ كُلَّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَعْلَقُ^(١)
فَاتَحَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تَبِلْ جُورَبًا * وَأَمَّا سَرَائِلَانِهَا فَمُتَزَقُ
وَرَوَى عَنْ أَبِي هَفَّانَ قَالَ :

- أَهْدَيْتُ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ؛ نَفَلَا مَعَهَا يَوْمًا وَأَخْرَجَ كُلَّ قَيْنَةٍ فِي دَارِهِ
وَأَصْطَلَحَ . وَكَانَ مَنْ حَضَرَ مِنْ جَوَارِيهِ الْغَنَاءَ وَالْخِدْمَةَ فِي الشَّرَابِ زُهَاءً أَلْفَى جَارِيَةٍ
فِي أَحْسَنِ زَيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَأَتَّصَلَ الْخَبْرُ بِأَمِّ جَعْفَرِ

(١) رواية الأغانى (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : "في المراء" .

فَعِظْ عَلِيًّا ذَلِكَ ؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى عَلِيَّةٍ تَشْكُو إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا عَلِيَّةٌ : لَا يَهْوَيْتُكَ
هَذَا ، وَاللَّهِ لَا رَدَّتْهُ إِلَيْكَ . قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَضَعُ شِعْرًا وَأَصَوِّغُ فِيهِ لَحْنًا وَأَطْرَحَهُ عَلَى
جَوَارِي ، فَلَا تَبْقَى عَسَلُكَ جَارِيَةً إِلَّا بَعَثْتُ بِهَا إِلَى الْوَلَسِيِّينَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ لِیَاخُذْنَ
الصَّوْتِ مَعَ جَوَارِي ؛ فَفَعَلْتُ أُمَّ جَعْفَرٍ مَا أَمَرَتْهَا بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ
لَمْ يَشْعُرِ الرَّشِيدُ إِلَّا وَعَلِيَّةٌ وَأُمُّ جَعْفَرٍ قَدْ خَرَجَتَا إِلَيْهِ مِنْ مُجَرَّبَتَيْهِمَا مَعَهُمَا زُهَاءُ الْغَى
جَارِيَةٌ مِنْ جَوَازِيهِمَا وَسَاثِرُ جَوَارِيِ الْقَصْرِ عَلَيْهِنَّ غَرَائِبُ الثِّبَاسِ وَكُلُّهُنَّ فِي لَحْنٍ
وَاحِدٍ هَزَجٍ صَنَعَتْهُ عَلِيَّةٌ وَهُوَ :

مُتَفَصِّلٌ عَنِّي وَمَا • قَلْبِي عَنْهُ مُتَفَصِّلٌ

يَا هَاجِرِي الْيَوْمَ لِمَنْ • تَوَيْتَ بَعْدِي أَنْ تَصِلَ

فَقَرَّبَ الرَّشِيدُ وَقَامَ عَلَى رَجْلَيْهِ حَتَّى اسْتَقْبَلَ أُمَّ جَعْفَرٍ وَعَلِيَّةَ وَهُوَ عَلَى غَايَةِ الْمُرُورِ ،
وَقَالَ : لَمْ أَرُكَ الْيَوْمَ قَطُّ . يَا مَسْرُورَ ، لَا تُبْقِيَنَّ فِي بَيْتِ الْمَالِ دِرْهَمًا إِلَّا تَرْتَمِيهِ .
فَكَانَ مَا يُدِيرُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ آلَافٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمَا يُشْمِعُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَرُوِيَ عَنْ عَرِيبٍ أَنَّهَا قَالَتْ : أَحْسَنُ يَوْمٍ رَأَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَأَطْيَبُهُ يَوْمٌ أَجْتَمَعْتُ
فِيهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عِنْدَ أُخْتِهِ عَلِيَّةَ وَعِنْدَهُمَا أَخُوهُمَا يَعْقُوبُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ، وَكَانَ
أَحَدُ النَّاسِ بِالزَّمَرِ . فَبَدَأَتْ عَلِيَّةٌ فَغَنَّتْ مِنْ صَنَعَتِهَا وَأَخُوهَا يَعْقُوبُ يَزُمُّ عَلَيْهَا :

تَحَبَّبْتُ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ • وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ الْبَارِئُ سَتُوجِبُ الْقَرِيبَ

تَبَصَّرْتُ فَإِنْ حَدَّثْتُ أَنَّ أَخَا هَوَى • نَجَا سَالِكًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مَخْطُوطًا وَلَا رِضَا • فَأَيْنَ حُلَاوَاتُ الرِّسَالِ وَالْكَتَبِ

وَعَنَى إِبْرَاهِيمُ فِي صَنَعَتِهِ وَزَمَرٍ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ :

لَمْ يُبْسِ لَكَ سُرُورٌ وَلَا حَزَنٌ • وَكَيْفَ لَا ، كَيْفَ يُبْسَى وَجْهُكَ الْحَسَنُ

وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي • كُلِّي بِكَ كُلِّكَ مَشْغُولٌ وَمُرْتَهَنٌ

يافردة الحسن مالى منك مذكَفَتْ * تَعْبَى بِحُبِّكَ إِلَّا اَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَسْرِ * حَتَّى تَكْمُلَ فِيكَ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ^(١)

قالت عريب : فاستمعتُ مثل ما سمعتُ منها قط وأعلم أنى لا أسمع مثله أبدا .

وروى عن خَشَفِ الواضحة قالت : تَمَارَيْتُ أَنَا وَعَرِيبٌ فِي غِنَاءٍ عَلِيَّةٍ بِحَضْرَةِ

⊗

المتوكل أو غيره من الخلفاء . قُلت أنا : هى ثلاثة وسبعون صوتا ، وقالت عريب :

هى اثنتان وسبعون صوتا . فقال المتوكل : غِنَاءُ غَنَاءِهَا ؛ فَلَمْ أَزَلْ أُغْنِ غَنَاءِهَا حَتَّى

مَضَى اثْنَانِ وَسَبْعُونَ صَوْتًا ، وَلَمْ أَدِرِ الثَّالِثَ وَالسَّبْعِينَ . قالت : فُقِطِعَ بى

وَأَسْتَعْلَتْ عَرِيبٌ وَأَنْكَسَرْتُ . قالت خَشَفُ : فلما كان الليل رأيتُ عَلِيَّةً فَمَا بَرَى

النَّاسُ ، فَقَالَتْ : يَا خَشَفُ خَالَفْتُكَ عَرِيبٌ فِي غِنَائِى . قلت : نعم يا سِدِّى .

قالت : الصوابُ مَعَكَ ، أَتَدْرِيْنَ مَا الصَّوْتُ الَّذِى أُتَسَبِّحُ بِهِ ؟ قلت : لا والله ،

وَلَوِدِدْتُ أَنِّى قَدَيْتُ مَا جَرَى بِمَجْمَعِ مَا أَمْلَكَ . قالت : هو :

يُنِى الْحُبُّ عَلَى الْخَسْرِ فَلَوْ * أَنْصَفَ الْمَشُوقُ فِيهِ لَسَمِعَ

لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْهَوَى * عَاشِقٌ يَعْرِفُ تَأْلِيفَ الْمُجْنَحِ

وَقَلِيلُ الْحَبِّ صَرَفًا خَالِصًا * لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُزِنَ

١٥ وكأنها قد أندفعتُ قَتْنِي بِهِ ، فَاسْتَمِعْتُ أَحْسَنَ مِمَّا غَنَتْهُ ، وَقَدْ زَادَتْنِى فِيهِ

أَشْيَاءٌ فِى نَوَى لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا ، فَأَتَبَّهْتُ وَأَنَا لَا أَعْقِلُ فَرَحًا بِهِ . فَبَاكَرْتُ الْخَلِيفَةَ

وَذَكَرْتُ لَهُ الْقِصَّةَ . فَقَالَتْ عَرِيبُ : هَذَا شَيْءٌ صَنَعْتَهُ أَنْتِ لِمَا جَرَى أَمْسُ ،

وَأَمَّا الصَّوْتُ فَصَحِيحٌ . خَلَفْتُ الْخَلِيفَةَ بِمَا رَضَى بِهِ أَنَّ الْقِصَّةَ كَمَا حَكَيْتُ . فقال :

رُؤْيَاكَ وَاللهِ أَعْجَبُ ، رَحِمَ اللهُ عَلِيَّةُ ! فَاتَرَكْتُ ظَرْفَهَا حَيَّةً وَلَا مَيِّتَةً . وَأَجَازَنِي جَائِزَةً سَيِّئَةً .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده إلى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شهدتُ أبي جعفرًا وأنا صغير وهو يحدث جدِّي يحيى بن خالد في بعض ما كان يُخبره به من خَلوته مع هارون الرشيد، قال : يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين وأقبل في حُجْرِهِ يَخْتَرِقُهَا حتى أتتهى إلى حُجْرَةِ مُنْقَلَةٍ، ففتحها بيده ودخلها ودخلت وأغلق بابها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رِوْاقٍ ففتحها، وفي صدره مجلس مُغْلَقٌ فقمعد على باب المجلس، وقرّ الباب بيده فقرأت فسمعتُ حَسًّا، ثم أعاد النقرَ ثانية فسمعتُ صوت حود، ثم أعاد النقرَ ثلاثة ففنتُ جارية ما ظننتُ وإلهِ أن الله جل وعزّ خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب . فقال [لها] أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غَنَّى صَوْتِي ؛ ففنتُ صوته ، وهو :

وَحُجْنَتِ شَهِدَ الرَّفَافَ وَقَبْلَهُ * غَنَّى الْجَوَارِي حَامِرًا وَسَقَبًا ١٠
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَقْرُدُّهُ * قَرَأَ أَقْرَبَهُ الْعَبُونَ وَأَطْرَبًا
إِنِّ النِّسَاءَ رَأَيْتُهُ فَشَقَقْتُهُ * فَشَكَّوْنَ شَيْئًا مَا يَنْفَأُ كَذِبًا

قال : فَطَرِبْتُ وَاهِهِ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَطْلُعَ بِرَأْسِي الْحَائِطَ . ثم قال : غَنَّى :

* طَال تَكْدِي وَتَصِيدِي *

١٥ ففنت :

طَال تَكْدِي وَتَصِيدِي * لَمْ أَيْدِ هَهْنَا لِمَخْلُوقٍ
إِنْ نَاسًا فِي الْهَوَى فَدَّرُوا * حَسَّنُوا قَعَصَ الْمَوَاشِقِ
لَا تَرَانِي بِمَدَمِّ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمَشُوقٍ

قال : فَرَقَصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ ؛ ثم قال : آمِضْ بِنَا ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو مِنَّا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَضَيَّنَا . فَلَمَّا صرنا إلى الدَّهْلِيزِ قال وهو قَابِضٌ عَلَى يَدِي : ٢٠

هل عرفت هذه المرأة؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أخبرك بها ، هذه عليّة بنت المهديّ . ووالله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلنك . قال : فسمعت جدّي يقول لأبي : فقد والله لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فأصنّع ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانيتها كثيرة ، وقد ذكرنا منها ما يكفي به .

قال أبو الفرج : وكانت مولد عليّة سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشرة ومائتين ، وقيل : سنة تسع ومائتين ، ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى ، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حُتت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت . رحمه الله .

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد . هو أبو عيسى أحمد ، وقيل : بل اسمه صالح بن هارون الرشيد . وأمه أُم ولد بربرية . كان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرة وأجنيهم وأحدّم نادرة وأشدّهم عبثاً . وكان أبو عيسى جميل الوجه جداً ، فكان إذا عزّم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما كانوا يحلسون للخلفاء . وكانت عيريب المأمونية تقول : ما سمعتُ غناءً أحسن من غناء أبي عيسى بن الرشيد ، ولا رأيتُ وجهاً أحسن من وجهه .

وروي أن الرشيد قال يوماً لأبي عيسى وهو صبيّ : ليت بك لبيد الله ! (يعني المأمون) فقال له : يا أمير المؤمنين ، على أن أحظّه منك لي . فحسب الرشيد من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله .

قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جَدَّ الصُّنْعَةِ ، وَلَهُ أَغَانٍ مَنسُوبَةٌ إِلَيْهِ وَمَمْرُوقَةٌ

بِهِ . مِنْهَا :

رَقَلْتُ عَنْكَ سَلَوْنِي * وَالْمَسْوَى لَيْسَ بِرَقْدٍ

وَأَطَارُ الْمَهَادِنُو * عِي فَسَوِي مُشَرَّدٍ

أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهَدُ

وَقُفْرَايَ بِحُسْنٍ وَجْهِكَ يَسْتَقِي وَيَكْدُ

وَلَهُ غَيْرُ هَذَا مِنَ الْأَصْوَاتِ . قَالَ : وَكَانَ كَثِيرَ الْهَسِيطِ وَالْجُنُونِ وَالْبَيْثِ .

وَكَانَ الْمَامُونُ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاةً لَهُ ، وَكَانَ يُعْتَمَدُ لِلْأَمْرِ بِعَلَدِهِ وَيَذْكُرُ ذَلِكَ كَثِيرًا .

حَتَّى لَقَدْ حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا : إِنَّهُ لَيْسَ لِي عَلَى أَمْرِ الْمَوْتِ وَقَدْ الْمُلْكُ ، وَلَا لِي سَهْلٌ

شَيْءٌ مِنْهُمَا عَلَى أَحَدٍ ؛ وَذَلِكَ لِخَفِي أَنْ يَلِيَ أَبُو عِيْسَى الْأَمْرَ بَعْدِي لِشَيْءٍ حَقِّي لِيَاءِهِ .

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي عِيْسَى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ .

رُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ الْمَامُونَ لَيْلَةً وَهُمْ يَتَرَامُونَ

هَلَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَبُو عِيْسَى أَخُوهُ مَعَهُ وَهُوَ مُسْتَطِقٌ عَلَى قَهَاءٍ ، فَرَأَوْهُ وَجَعَلُوا

يَدْعُونَ . فَقَالَ أَبُو عِيْسَى قَوْلًا أَنْكَرَ عَلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُ يَسْتَخْطُ لَوُرُودِ الشَّهْرِ ، فَمَا صَامَ

بَعْدَهُ . وَتَقِيلُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

دَهَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ * وَلَا صَحْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ

فَلَوْ كَانَ يُسَيِّدُنِي الْإِمَامُ بَقْدَرِي * عَلَى الشَّهْرِ لَا سَتَعْدِيْتُ جُهْدِي عَلَى الشَّهْرِ

فَنَالَهُ بِعَقَبِ هَذَا الْقَوْلِ صَرْعٌ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ . وَلَمَّا

مَاتَ وَجَدَ الْمَامُونُ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا .

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي (ج ٩ ص ٩٦ طبع بولاق) . وَفِي الْأَمَلِ : «دَعَانِي» .

(٢) يُقَالُ : اسْتَعْدَيْتَ مَلَاحِدَ الْأَمْرِ فَأَعْدَانِي أَيْ اسْتَعْدَيْتَ بِهِ عَلَيْهِ فَأَعْدَانِي .

رؤى من محمد بن عباد المهلبى قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت على المأمون فخلعت عمامتى وبنيتها
ورائى — وانلقاء لأتقى فى المأتم — فقال لى : يا محمد، حال القدر، دون الوطر.
فقلت : يا أمير المؤمنين، كل مصيبة أخطأتك شوى^(١)، بفعل الله الحزن لك لا عليك ! .
قال : فركب المأمون إلى دار أبى عيسى فحضر جهازه وصلى عليه ونزل فى قبره .
وأمتنع من الطعام أياما حتى يخف أن يضرك به . قال : وما رأيت مصابا حزينا
قط أجمل أثرا فى مصيبته ولا أحرق وجدا منه ، صامت ودموعه تهيم على خديه
من غير كلع ولا استنار .^(٢)

ورؤى عن أحمد بن أبى دؤاد قال : دخلت على المأمون وقد توفى أخوه أبو عيسى
وهو يبكى ويمسح عينيه بمنديل ، فقدمت لى جنب عمرو بن مسعدة وتمثل قول
الشاعر :

نقص من الدنيا وأسبابها * نقص المتايا من بنى هاشم

فلم يزل على تلك الحال يبكى ثم يمسح عينيه ، وتمثل :

سأبكيك ما فاضت دموعى فإن تنقص * فحسبك منى ما عجى الجوائح^(٣)

كان لم يمت حتى يسواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوائح^(٤)

ثم ألفت إلى وقال : هيه يا أحمد ! فتمثلت بقول عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن حاصم * ورحمته ما شاء أن يترعما

تحيه من أوليته منك نعمة * إذا زار عن تحيط بلادك سلما

(١) شوى : هينة . يقال : كل شىء شوى ما سلم لك دينك ، أى هين . (٢) كذا

فى الأصل والأغنى . واللقى فى صاحب اللغة : كلع (وزان مع) كلحا وكللا (بضمها) : تكثر

فى عبوس . (٣) كذا فى الأغنى . وفى الأصل : « الجوائح » .

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنات قوم تهلما
فبكي ساعة ، ثم ألقت إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم
يا أمير المؤمنين :

بكوا حذيفة لم يبكوا مثله * حتى تعود قبائل لم تخلق

• قال : فإذا عريب وجوار معهما يسمعن ما يدور بيننا ؛ فقالت : اجملوا لنا معكم
في القول نصيبا . فقال المأمون : قولي ، فرب صواب منك كثير . فقالت :

كذا فليجل الخطب وليفدج الأمر * فليس لعين لم يقض مأوها عند
كان بنى العباس يوم وفاته * نجوم سماء تحرم فيها البدر^(١)

فبكي وبكى . ثم قال لها المأمون : نوحى ، فتاحت وردها عليا الجوارى . فبكي
المأمون حتى قلت : قد فاضت نفسه وبكى معه أربكاه ، ثم أسكت . فقال المأمون :
أصننى فيه لحنا على مذهب النوح وغنى به ؛ ففعلت وغتته إياه على العود . فوالذى
لا يختلف بأعظم منه لقد بكى طبه غناء أكثر مما بكى عليه نوحا .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى • قال أبو الفرج : كان له فى الفناء
صنعة حسنة ، وله أصوات مذكورة ، منها قوله :

تفاضلك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تجزعن فإن الزمان * رهين بتشتيت ما ألقا
ولما رآك قليل الموم * كثير الموى ناعما مترفا
ألح عليك برؤعاه * وأقبل يرمىك مستهدفا

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي رثى بها محمدا ونحيلة وأبا نصر بن حيد

الطويس . وقد غيرت فيها عريب « بن نبيان » بـ « بن العباس » . ٢٠

قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له « قلم » ، فعلمه الضرب فحقيق فيه ؛ فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أم جعفر قال :

- كنت جالسا مع عبد الله بن موسى الهادي ، فتر به خادم لصالح بن الرشيد ؛ فقال له : ما اسمك ؟ قال : اسمي لائسل . فأعجبه حسنه وحسن منطقه ، فقال لي : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر ، فقمنا معه . فأنشدني في ذلك اليوم :

وشايد مر بنا * يجرح باللفظ المقل

مظلوم خضر ظالم * منه إذا يمشي الكفل

٢٠

إصليت قامته * والطرف منه ما عدل

بدر تراه أبدا * طالع سعد ما أقل

سأله عن اسمه * فقال : اسمي لائسل

وطلعت في وجنتي * وردتان من تجل

فقلت ما أخطأ الذي * سمك بل قال المشل

١٥

لائسلان عن شادين * فاق جمالا وكسل

وقال فيه :

حر الذي تهوى وذلل * صبب التواد محبئل

جد به الهجر وذال * هجر إذا جد قتل

من شادن ممتطق * فاق جمالا وكسل

٢٠

تناصف الحسن به * فلا تسئل عن لائسل

وعن أحمد بن المكي قال : دطاني عبد الله بن موسى يوما فقال لي : أقوم غلاما ضاربا مفتيا قيمة عدل لا حيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأنخرج إلى أبنة القمام ، وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمريلة البدر ، فأخذ عودا يضرب به ؛ فأكببت على يديه أقبلهما فقال لي عبد الله : أقبّل يد غلام مملوك ! فقلت : بأبي وأمي هو من مملوك ! وقبّلت رجله أيضا . فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتي في الضرب عليه أقمّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ، أنا متلذذ وهذا متكسب . فضحكت وقلت : هو كذلك يا سيدي . وعجبت من حنة جوابه معذرا على صغر منه .

قال عبد الله بن حبيب :

كان عبد الله بن موسى الهادي مغربا ، وكان قد أحضل المأمون مما يُعربد عليه إذا شرب معه ؛ فأمر به أن يُحمّس في منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابيه حرسا ؛ ثم تَدَمَّ من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابيه . ثم ناداه فعرّبه عليه أيضا وكأبه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغربا بالصيد ؛ فأمر المأمون خادما من خواص خدمه يقال له حسن فسَحَمَه في دُزَاج ؛ فلما أكله أحسن بالسم ، فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني ، ومات بعد أيام . وأكل معه خادمان ، فمات أحدهما لوقته ، وضئى الآخر ثم مات بعد مئة .

ومنهم عبد الله بن محمد الأمين . قال أبو الفرج الأصفهاني : كان عبد الله بن محمد الأمين ظريفا غزلا يقول شعرا لنا ويصنعه صنعة صالحة . وكان بينه وبين أبي نَهْشَل بن حُميد موقفة ؛ فاعترض عبد الله جارية مغنية

(١) كذا في الأغاني . وأحضل : أميا . وفي الأصل : « أحفظ » .

(٢) في الأغاني : « حين » .

لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالا عظيما . وعرفت مولاتها منه رغبة فيها فزادت عليه في السوم فتركها ؛ فأشترها أخ لأبي نهشل ، فبيعها فقص عبد الله ، فقال أبا نهشل أن يسأل أخاه التزول عنها ؛ فساله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

- يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أبا نَهْشَلٍ * مفتاح باب الحديث المَقْفَلِ
 يَا أَكْرَمَ النَّاسِ ودَادًا وَأَر * عامٍ لحق ضائع مُهْمَلٍ
 أَحْسَنْتَ فِي وَدِّي وَأَجَلْتِ بِل * جُرْتِ فَصَالِ الْحَسَنِ الْمُجْمَلِ
 بِئْسَ لَكَ فِي ذِي يَمِينٍ شَاخٌ * تَهْصُرُ عَنْهُ قُتْلًا يَدْبِلُ
 خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا ذَا النَّدَى * وَجُلْتَ جُودَ الْعَارِضِ الْمُسِيلِ
 ١٠ أَيْ - أَخْ أَنْتَ لَدَى وَحْدَةٍ * تَرْكُهُ بِالْعَزِّ فِي تَحْفِيلِ
 نَجْمٌ حَقْلِي مِنْكَ مَسْعُودٌ * فِيمَا أَرْجَى لَيْسَ بِالْأَقْلِ
 فَصَدَّقِي الظَّنَّ بِمَا قَلْتِهِ * وَسَهِّلِ الْأَمْرَ بِهِ يَسْهَلِ
 لَا تَحْزِنِي وَلَدَيْكَ الْمُنَى * بَالِقِهِ صَيْدُ الرِّشَا الْأَكْلِ
 رُمِيتُ مِنْهُ بِسَهَامِ الْمَوَى * وَمَا دَرَى مَا الرُّمَى فِي مَقْتَلِ
 ١٥ أَدْنَيْتِي بِالْوَعْدِ فِي صَبِيهِ * إِدْنَاءُ عَطْشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ^(١)
 ثُمَّ تَنَاسَيْتِ وَأَسْلَمْتَنِي * إِلَى مِطَالٍ مُوحِشٍ الْمُتَرَلِ
 تَرَكْتَنِي فِي بِلْجَةٍ عَانِمَا * لَا أَعْرِفُ الْمُدْرِمَ مِنْ مُقْبِلِ
 صَرَخَ بِأَمْرِ وَاضِحٍ بَيْنَ^(٢) * لِأَخِيرٍ فِي ذِي لَيْسَ مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعة منها فوله :

أَلَا يَأْدِرُ حَنْظَلَةُ الْمُفْسَدَى * لَقَدْ أَوْرَثَتْنِي سُقْمًا وَكَلَمًا
أَزَقَ مِنْ أَفْرَاتِ الْيَكِّ زَقًا * وَأَجْعَلُ حَوْلَهُ الْوَرْدَ الْمُخْتَدَى^(١)

ومنهم أبو عيسى بن المتوكل . قال عبد الله بن المعتز :

جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ صِنْعَةٌ مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا
الْجَيْدُ الصَّنِيعَةُ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ . وَقَالَ الثُّمَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ يَقُولُ :
إِذَا أَمَمْتَ صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ وَسْتَيْنِ صَوْتًا عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ تَرَكْتَ الصَّنِيعَةَ . فَلَمَّا أَمَمَهَا تَرَكَ
الصَّنِيعَةَ . فَفَتَاهَا قَوْلُهُ فِي شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ الْجَلَمِ :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْتَمِلُ * وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجْجُورُ وَتَصِيدُ
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو لعمري من جيّد الفناء وفاحر الصنعة ،
ولو لم يصنع غيره لكفى .^(٢)

ومنهم عبد الله بن المعتز . هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي .
قد وصفه أبو الفرج الأصفهاني فقال : وأمره مع قُرب عهده بعصرنا مشهور
في فضائله وأدبه شهرةً يشترك في أكثرها الخالص والعالم ، وشعره وإن كان فيه رقة
الملوكية وَغَرَلُ الظرفاء وهلهلة المُخَدِّثِينَ ، فإن فيه أشياء كثيرة فخرى في أسلوب
المجيدِينَ ، ولا تقتصر عن مدى السابقين وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس
ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . وأطنب في وصفه
وتقريظه ، وهو فوق ما قال . ثم قال :

(١) كذا في نسخ البلدان لا يافت . وفي الأصل : « نعت » . ورواية الأغانى (ج ١ ص ١٠٢) :
أَزَقَ مِنْ الْغَارِ الْيَكِّ دَنَا * وَأَجْعَلُ نَحْتَهُ الرُّوقَ الْمُخْتَدَى

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصل : « وما لم يصنع » .

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على التَّغَمِّ وعِلَّاهُ ؛ وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله أبي عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدلُّ على فضله وغرارة أدبه . وذكر منها شيئا ليس هذا موضع إيرادهِ . ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره :

هل تَرجِعُنَّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا - والدار جامعةُ أزمان أزمانا

قال أبو الفَرَج : ومن صنعته للطريقة الشكل مع جودتها :

وَأَبْلَأُ مِنْ مَحْضَرٍ وَمَنْيَبٍ - وَحَبِيبٌ مَنِ بَعِيدٍ قَرِيبٍ
لَمْ تَرِدْ ماءً وَجْهَهُ الْعَيْنُ إِلَّا - تَبَرَّقَتْ قَبْلَ يَمِّهَا بِرَقِيبٍ

قال : ومن صنعته التي تَنَظَّارُفُ فيها وَمَلْعٌ :

زاحمٌ كَيْ كُتِبَ فَأَلْتَوِيَا - وَافَقَ قَلْبِي قَلْبَهُ فَأَسْتَوِيَا
وطلالٌ إذا ما الهوى فَاكْتَوِيَا - يا قَرَّةَ الْعَيْنِ يَا هَمِّي وَيَا

وَحِكِي عن جعفر بن قُدَّامَةَ قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبُّه ، فغضب الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم يكن له فيه حيلة . ودخلت عليه فأنشدني فيه :

بأبي أنتَ قد نَمَّا - دَيْتَ في المَجْرُ والتَّغْضُبِ
وأصطباري على صَدُو - ذِكِّ يَوْمًا من العَجَبِ
ليس لي إن قَدَدْتُ وج - تَهَكَّ في العِشْرِ من أَرْبِ
ورحم الله مَنْ أَمَا - نَعَلَ الصِّلَحَ وأَحْسَبُ

قال : فضيت إلى السلام ، فلم أزل أداريه وأرفق به حتى رضيت له وجته به ؛ فتر لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذَكَرَ مَنْ غَفَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

كَانَ مِنْ غَفَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ عَلَى مَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ :

عبد العزيز بن المطلب^(١) . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن
علي المقيمي رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مسleme قال حدثني أبي قال : أتيت
عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجحش للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد
الأحزاب ما كان بدؤها، فوجدته مستقياً وهو يتنقئ :

فَا رَوْضَةً بِالْحَزْنِ طَيْبَةُ الثَّرَى * يَمُجُّ النَّدى جَنَاحُهَا وَعَرَّارُهَا
بَاطِبِيبٍ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنًا * وَقَدْ أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبُ نَارُهَا
مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ شِقْوَةً * وَبِالْحَسْبِ الْمَكُونُ صَافٍ نِجَارُهَا
فَإِنْ بَرَزْتَ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةٌ * وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا لَمْ يَفُكْ عَارُهَا^(٢)

فَقُلْتُ لَهُ : تَفَنَّى أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ فِي جَلَالِكَ وَشَرَفِكَ ! أَمَا وَاللَّهِ لِأَحْدُونَ هَذَا
رُكْبَانًا مَجْدًا . قَالَ : فَوَاقَهُ مَا أَكْثَرْتُ وَعَدَا يَتَغَنَّى :

فَا ظِلْمَةٌ أَدْمَاءُ خَفَافَةُ الْحَشَى * تَجُوبُ يَطْلُقُهَا بَطُونُ الْخَمَالِ
بِأَحْسَنِ مِنْهَا إِذْ يَقُولُ تَدُلُّلًا * وَأُدْمُعُهَا يُدْرِينَ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ
تَمْتَحُّ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ * وَهَيْئُ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ

(١) في الأصل «عبد العزيز بن عبد المطلب» والتصويب عن كتب التراجم والأخاف (ج ١٥ ص ٦٨
طبع بولاق) . وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنبل ولى قضاء المدينة لعهده المصون ثم المهدي
وولى قضاء مكة .

(٢) الجنتيات : شجرة له زهر أصفر طيب الرائحة . والعراو : الرئيس البرى .

(٣) رواية الأغاني (ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق) :

فَإِنْ خَفِيَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةٌ * وَإِنْ تَبَسَّ بِرُوحَا لَمْ يَفُكْ عَارُهَا

قال : فتدتمت على قولي له ، فقلت : أصلحك الله ، أتحذثنى في هذا بشيء ! فقال : نعم ، حذثنى أبى قال : دخلتُ على سالم بن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - وأشعب يقنيه :

مُعَقَّرَةٌ كَالْبِدْرِ سُنَّةٌ وَجْهَهَا • مَطَهْرَةُ الْأَنْوَابِ وَالْعِرْضُ وَافِرُ
لَهَا نَسَبُ زَاكِ وَعِرْضٌ مُهَذَّبٌ • وعن كل مكروه من الأثر زاجرُ
مِنْ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ رِيَّةً • ولم يستملها عن نقي الله شاعرُ
فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى • فقال :

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ كَأَنَّهُ • جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ تَقَضَّى الْقَطْرَا
فَقُلْتُ أَعْلَارُ قَوَى فِي رِحَالِنَا • وما احتملت ليل سوى ريحها عطرا
فقال سالم : أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجزلتُ جازيتك ، فلك من هذا الأمر
مكانٌ .

ومنهم إبراهيم بن سعد • هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف الزهرى • كان من العلماء الثقات المحدثين • سمع أباه
وأبن شهاب الزهرى وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن
يسار • روى عنه يزيد بن عبد الله بن الهاد وشعبة بن الجراح والليث بن سعد ،
وأبناه يعقوب وسعد أبنا إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدي • يزيد بن هارون ويونس
المؤدب وأبو داود الطيالسى وسليمان بن داود الهاشمى وعبد العزيز الآدمى وعلي بن
الجعدي ومحمد بن جعفر الوركانى وأحمد بن حنبل وغيرهم • كان يُبيح السماع

(١) فى الأصل : « يشبه وجهها » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وسند الوجه : سورة .

(٢) فى الأصول : « سعيد » . والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .

ويضرب بالعود وينتني عليه . وله في ذلك قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر الملقب بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عفيرة قال :

قدم إبراهيم بن سعد الزهري المرق سنة أربع وثمانين ومائة ، فأكرمه الرشيد وأظهر بزه . وسئل عن الغناء فأقنى بتحليله ؛ فأنما بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري ، فسمعه ينتني ، فقال : لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك ، فأنما الآن فلا سمعتُ منك حديثاً أبداً . قال : إننا لا أقصد إلا شخصك . عليّ وعليّ ألا أحدثت ببغداد ما أقتُ حديثاً واحداً حتى أغنى قبله . وشاعت هذه الحكاية ببغداد ؛ فبلغت الرشيد ، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقه الخلق ؛ فدعا بعوده . فقال الرشيد : أعود الحِجر ؟ قال : لا ولكن عود الطرب ، فتبسم . فقهيها إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بملك يا أمير المؤمنين حديث السيفيه الذي آذاني بالأمس وألجاني إلى أن حلفت . قال نعم . فدعا له الرشيد بعود فأخذه وغنى :

يا أُم طلحة إنَّ البين قد أقدنا • ملَّ التَّوَّاءِ لأنَّ كان الرِّحْلُ غدا
فقال له الرشيد : من كان من قههاكم يُنكر السماع ؟ قال : من ربط الله على قلبه .
قال : فهل بملك عن مالك في هذا شيء ؟ فقال : لا والله ، إلا أن أبي أخبرني أنهم
أجتمعا في مدعاة كانت في بني يربوع وهم يومئذ حِلَّة^(١) ، ومالك أقبلهم في قهه وقدر ،
ومعهم دفوف ومعاوز وعيدان يشنون ويلعبون . ومع مالك دُفٌّ مربع وهو
يشيهم :

سَلِمَى أزمعتُ بيتاً • وأيرت لساؤها أينما

وقد قالت لأتريب • لها زُمير تَلَّحِقَانَا

فَمَالَيْنَ فقد طاب • لنا العيشُ تَمَالَيْنَا

فضحك الرشيد ووصله بحال عظيم . ومات إبراهيم في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة . قال : وكان إبراهيم بن سعد يبلغ فيه إلى هذا الحد . وقد أجمعت الأئمة على ثقته وعدالته والرواية عنه . وآفق البخاريّ ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح . ولم تسقط عدالته بفعله عند أهل العلم ، بل قُلب قضاء بغداد على جلالته ، وقُلب أيوه القضاء بالمدينة على شرفها .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : شهدت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عن المدينة يُنكر الغناء ، فقال : من قمته الله خزيه : مالك بن أنس ، ثم حلف أنه سمع مالكا يفتي :

سليبي أزمعت بيتا • فأين لقاؤها أين

في عُرْس رجل من أهل المدينة يُكنى أبا حنظلة .

وروى أيضا بسنده إلى الحسين بن دحمان الأشقر قال :

كنت بالمدينة ، فخلا لي الطريق في نصف النهار ، فجعلت أنتقي :

مابال أهلك يا رباب • خُزوا كأنهم غضاب

قال : فإذا خوخة قد فُتحت وإذا وجه قد بدا لبيبة حمراء ، فقال :

يا فاسق ! أسأت التادية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ، ثم أندفع يفتيه ،

فظننت أن حُلومي قد تُشريفنيه ، فقلت : أصلحك الله ! من أين لك هذا الغناء ؟

قال : نشأت وأنا غلام أتبع المغنيين وأخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بني ، إن

المفتي إذا كان قبيح الوجه لم يُلَقَّ إلى غناؤه ، فدفع الغناء وأطلب الفقه فإنه

لا يضرّ معه قبيح الوجه . فتركت المغنيين وأتبع الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى .

فقلت : فاعذ جُعِلَتْ فداءك . فقال : لا ولا كرامة ! أريد أن تقول أخذته عن

مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنها محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
كان عالماً بالفقه والفناء جميعاً . وكانت يحيى بن أكرم وصفه للمأمون بالفقه ،
وصفه أحمد بن يوسف بالفناء . فقال المأمون : ما أعجب ما أجمع فيه العلم بالعلم
والفناء ! .

• ذكر مَنْ غنى من الأعيان والأكابر والقواد

مَنْ نُسِبَتْ لَهُ صِنْعَةٌ فِي الْفَنَاءِ

منهم أبو دُلْفِ الْعَجَلِيّ . هو أبو دُلْفِ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى بْنِ إِدْرِيسٍ أَحَدِ
بَنِي عَجَلٍ بْنِ لُحَيْمٍ بْنِ صَعْبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ . كَانَ حَلَّةً مِنَ الشَّجَاعَةِ وَبُيُودِ
الْهَمَةِ وَعَلَوِ الْحَلِّ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَعَظَمِ النَّتَاءِ فِي الْمَشَاهِدِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَجُودَةِ الشَّعْرِ
عَلَا كَبِيرًا لَيْسَ لكَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهِ .

قال أبو الفرج الأصبهاني : وله صنعة حسنة . فمن جيد صنعته قوله —
والشعر له أيضا — :

بِنَفْسِي يَا حَيَّانُ وَأَنْتَ مَنِي * مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْحَبَّانِ

وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ هَمِي * خَشِيتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ

لِإِقْدَامِي إِذَا مَا انْجَلِيلَ حَامَتِ * وَهَابَ كُكَّانُهَا حَرَّ الطَّعَانِ

قال : وكان أحمد بن أبي دُوَادٍ يُنْكَرُ أَمْرَ الْفَنَاءِ إِنْكَارًا شَدِيدًا ؛ فَاعْلَمَهُ الْمَعْتَصِمُ
أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ دُلْفِ صَدِيقِهِ يَتَنَى . فَقَالَ : مَا أَرَاهُ مَعَ عَقْلِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ! فَسْتَرِ الْمَعْتَصِمُ
أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ فِي مَوْضِعٍ وَأَحْضَرَ أَبَا دُلْفٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَنَى فَعَمِلَ ذَلِكَ وَأَطَاعَ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَلَيْهِ نَفْرَجَ وَالْكَرَاهَةَ ظَاهِرَةً فِي وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى أَحْمَدُ

قال: سَوْءَةٌ لِهَذَا مِنْ فِعْلٍ ! أَسَدُ [هَذِهِ] السَّنَةِ وَهَذَا الْمَحَلُّ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ مَا أَرَى !
نَجِيلُ أَبُو دَلْفٍ وَتَشْتَوِرُ ^(١) قَالَ : لَأَنْهُمْ لَيَكْرِهُونِي عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ : هَبْهُمْ أَكْرَهُوكَ
عَلَى الْغِنَاءِ أَمْ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ وَالْإِمَابَةِ ! .

قال: وكان أبو دلف يُنادم الواثق . فوصف للمتعصم فأحب أن يسمعه، وسأل
الواثق عنه فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا على نية القصد غداً وهو عندي . وقُصِدَ الواثق
فأتاه أبو دلف وأنته رسل الخليفة بالهدايا، فأعلمهم الواثق حصول أبي دلف عنده .
فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون: قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكل من كان
عنده حتى تَقَوَّوه؛ وجاء حتى جلس، وأمر بندماء الواثق فَرُدُّوا إلى مجالسهم . وأقبل
الواثق على أبي دلف فقال: يا قاسم، غنَّ أمير المؤمنين . فقال: صوتاً يعينه
أو ما اخترت؟ قال: بل من صَنَعْتُكَ في شعر جرير . فغنى:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعَا * أَوْكَلَمَا أَعْتَرَمُوا لِيَيْنِ تَجَزَّعُ
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مَذْجَهُمْ * قَلْبًا يَقْترَ وَلَا شَرَابًا يَنْتَقِعُ

فقال المتعصم: أحسن أحسن — ثلاثاً — وشرب رطلاً . ولم يزل يستعيده حتى
شرب تسعة أرطال . ثم دعا بجمار فركبه، وأمر أبا دلف أن ينصرف معه، فخرج
معه فُتَيْتَ في ندمائه، وأمر له بعشرين ألف دينار .

قال: وكان أبو دلف جواداً ممدحاً . وفيه يقول علي بن جبلة من قصيدة
يقول فيها:

ذَاذِ وَرْدٍ لَتَنِي مِنْ صَدْرِهِ * وَأَرْعَوَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرِهِ
تَدْبِي أَنَّ الشَّبَابَ مَضَى * لَمْ أَبْلُقْهُ مَدَى أَثَرِهِ

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٧ ص ١٥٥ طبع بولاق) - (٢) في الأغانى: « منع فسك
كما أرى » . (٣) يقال: شورت الرجل وبالرجل تشاور، إذا نجته نجيل .

حَسَرْتُ عَنِّي بِشَاشَتِهِ * وَفَوَى المَحْمُودُ مِنْ ثَمَرِهِ
وَدِيمٌ أَهْدَرْتُ مِنْ رَقَا * لَمْ يُرِدْ عَقْلًا عَلَى هَدَرِهِ
جاء منها :

دَعَجًا جَدًا حَقَطَانَ أَوْ مُضِرَّ * فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضَرِّهِ
وَأَمْسَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا * عَصْرُ الْآفَاقِ مِنْ عَصِيرِهِ
ومنها :

الْمَنَايَا فِي مَقَانِبِهِ * وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجَرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَّى أَنَامِلُهُ * كَأَنبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَأَنبَسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
ومنها :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُعْتَصِرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضِيرَةٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَعِرَةٍ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على علي بن جبلة حتى سئل لسانه من قفاه.
وقوله فيه :

أَنْتَ الَّذِي تُسْتَرِلُ الْأَيَّامَ مِتْرَمَلَا * وَتَتَقَلُّ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدَتْ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ * إِلَّا قَضَيْتَ بَارِزَاتِي وَأَجَالَ
تَزُورُ مُخْطَاطُضِيهِ الْبَيْضُ ضَاحِكَةً * وَتَسْتَهْلُ فَنَبْكِ أَعْيُنُ الْمَالِ
وكان سبب مدح علي بن جبلة أبا دُلْفٍ بقوله :

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل ، فكان يظهر من يري وأكرامى والتحنى بي أمرا عظيما مفريطا حتى تأخرت عنه حياء . فبعث إلى معقلا وقال : يقول لك الأمير : قد أتهطعت عني ، وأظنك قد استقلت يري ، فلا يفضبنك ذلك فإني سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا الإفراط في البر ، وكنت إليه :

هبرتك لم أهجرك من كفر نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا * فافطمت في يري عجرت عن الشكر
فيم الآن لا أتيتك إلا مسلما * أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر
فإن زدني برا تزايدت جفوة * ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

فلما قرأها معقل استحسنها وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير يعجبه هذا من المعاني . فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قائله الله ! ما أشعره وأرق معانيه ! وأجابني لوقته - وكان حسن البنية حاضر الجواب - :

ألا رب طيف طارق قد بسطته * وآتسته قبل الضيافة بالبشر
أعاني يرجيني فما حال دونه * ودون القرى والعرف من تأمل سترى
وجدت له فضلا على بقصده * إلى وبرأ زاد فيه على يري
فزودته مالا يدوم بقاؤه * وزودني مدسا يدوم على الدهر
قال : وبعث بالآيات وصيفا وبعث إلى معه ألف دينار . فقلت حينئذ :

* إنما الدنيا أبو دلف *

الآيات

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : كنا عند أبي العباس

المبرد يوما وعنده قى من ولد أبي البختري وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

وَقِيَّ من ولد أبي دُلْفٍ البُجْلَى شبيه به في الجمال . فقال المبرد لأبن أبي البَخْتَرِيِّ :
أعرف بجلدك قصة طرفة من الكرم حسنة لم يُسَقَّ إليها . قال : وما هي ؟ قال :
دُعِيَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذا غير الذي يشربون
منه ؛ فقال فيهم :

تَبَيَّنَانِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ * لِإِيْشَارِ مُثَرِّعٍ عَلَى مُثَقِّيرٍ
فَلَوْ كَانَ فَعْلُكَ ذَا فِي الطَّعَامِ * لَزِمْتَ قِيَاسَكَ فِي الْمَسْكِرِ
وَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَعْلَ الْكَرَامِ * صَبَتَ صَنِيعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ
تَبَيَّنَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ * فَأَغْنَى الْمِقْلَ عَنِ الْمَكْثَرِ

فبلغت الأبيات أبا البختري فبعث إليه ثلاثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت
وقد فعل جَدُّ هذا الشيء في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا . قال : وما فعل ؟
قلت : بلغه أن رجلا أفقر من ثروة ، فقالت له امرأته ، اقترض في الجند ،
فقال :

إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا * حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِمِينَ قِفْ
تَمْشِي الْمَنَايَا إِلَى قَوْمٍ فَأَكْرَهَهَا * فَكَيْفَ أَمْشَى إِلَيْهَا عَارِي الْكَثِيفِ
حَسِبْتُ أَنَّ فُسَادَ الْمَالِ غَيْرُنِي * أَوْ أَنَّ رُوحِي فِي جَنِّي أَبِي دُلْفٍ

فاحضره أبو دلف وقال : كم أملتِ أمراك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار ،
قال : كم أملتِ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك على ما أملت
وأملتِ أمراك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه . قال : فرايت
وجه ابن أبي دلف يتهلل وأنعسر ابن أبي البختري . وهذه الأبيات رويت
لأبن أبي فني .

ومنهم أخوه معقل بن عيسى . كان فارساً شاعراً جواداً مفتياً فهِماً
بالتَّمِّمِ والوَرِّ، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف . وهو القائل لمخارق — وقد
كان زاراً أبا دلف بالجبل ثم رجع إلى العراق، وله في ذلك غناء — :

لعمري لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَصِنَّ * لقد تَخَنَّتْ بِالْبُعْدِ عَنْكَ عَيُونُ
فَيْسَرُ أَوْ أَيْمُ، وَقَفَّ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي * مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحاً * وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بَحِثَ تَكُونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله . فأما عبد الله
فكان محلّه من طوق المنزلة وعظم القدر والتمكّن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور
في أخبارهم . وتقلّد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما إلى ذلك، ثم نُقِلَ إلى
تُرْسَانَ، وله عطايا وهبات وصِلَات لا يُنْكِرُهَا أَحَدٌ . ومحلّه من الشجاعة والإقدام
معروف . وكان يعنى بالفناء ويصنعه ، إلا أنه كان يترفع عن ذكره والاعتراف به
ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غَنَّى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة . وكان
أبنة عبيد الله إذا ذكر شيئاً منها من صَنَعته قال : الفناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر
شيئاً من صنعة نفسه قال : الفناء للدار الصغيرة . فمن الأصوات التي صنع فيها
عبد الله بن طاهر قوله :

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي حَزْمٍ أَسِيرَكُمْ * تَقْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غَلَّةٍ صَادِي
الطَّاعِنِ الطُّعْنَةَ النَّجْلَاءَ يَتَّبِعُهَا * مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزَادِ

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [بين] لين وشدة على رسم

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١٤ طبع بولاق) : « بن سيم » ثم قال : « وم من من مذل » .
وذكر في موضع آخر يحفظ « بن جرم » . (٢) الزيادة من الأغاني .

الحذائق القدماء . قال عبيد الله - وذكر موتاً من أصواته - : لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يسمع عنه شيء من الغناء ولا ينسب إليه ؛ لأنه كان يرتفع عن ذلك ، وما جس بيده وترًا قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول التربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كثير . قال : وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع في أبيات أصواتاً كثيرة ، فالتفاها على جواريه ، فأخذها عنه وضمها بها وسمها الناس منهن [ومن أخذ عنهن . فلما أن صنع هذا الصوت :

هَلَّا سَقِيمٌ بَنَى سَهْمٌ أَسِيرُكُمْ * فَنَسِيَ فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي قُلَّةٍ مَبَادِي^(١)

نسبه إلى مالك بن أبي السمع . وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة ، وكانت ترقب إلى عبد الله لما نديه المأمون إلى مصر ، وكانت تخبئه ؛ وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنون عنها ، وروى لمالك بن أبي السمع مدة . ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وغمي الصوت بحضرته ونسب إلى مالك ؛ فضحك عبد الله ضحكاً كثيراً ؛ فسئل عن القصة فصديق فيها وأعترف بصنعة الصوت . وكشف المأمون عن القصة ؛ فلم يزل كل من سئل^(٢) عنه يُخبر عن أخذها ، فينتهي بالقصة إلى راحة ويقف فلا يبدوها . فأحضرت راحة وسُئلت فأخبرت بقصته ؛ فلم أنه من صنعه حيثئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنه لم يحب من شيء عجبته من خلق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأما عبيد الله ، ويكنى أبا أحمد . قال أبو الفرج الأصبهاني : له عمل من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس

(١) كذا في الأغاني : وفي الأصل . « يرتفع » . (٢) التكرار عن الأغاني .

(٣) في الأغاني : « داحة » . (٤) كذا بالأغاني . وفي الأصل : « منها » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « من سئل عنه من أخذه » .

وعلم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والمهندسة وغير ذلك [مما] ^(٢) يحل عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجبية [تدل على ما ذكرناه هلطنا من توصله] ^(٣) إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد ^(٤) ثقبه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها .

- وكان المتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المتقين فيعدل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ، ويرتفع عن إظهار نفسه بذلك فيومئ إلى أنه من صنعة جاريته ساجي . وسند كرساجي إن شاء الله تعالى في أخبار القيلان ، وكانت تخرج عيد الله وتأديه .

- قال : ولما أخذت حال عييد الله كان المتضد بالله يتفقد بالصلوات . ومن أصول عيد الله التي جمع فيها النغم العشر قوله في شعر إبراهيم بن علي بن هرمة :
 وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا * وأياستني من بعد ذلك بالفضب
 كميكنة من دزها كف حالب * ودافقة من بعد ذلك ما حلب
 وأخبار عييد الله كثيرة سند كرساجي في هذا الباب في أخبار ساجي طرفا ، ونورد منها إن شاء الله تعالى في قرن التاريخ ما يناسب . وأستغفر الله العظيم .

- ١٥ (١) كذا بالأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) . وفي الأصل : « اللطيفة » .
 (٢) الزيادة عن الأغاني .
 (٣) في الأصل : « متقنة عجبية إلى ما يعجز عنه ... » . وانكته والصواب من الأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) .
 (٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « في صوت واحد حتى يلقه هو » .
 (٥) في الأغاني : « شاجي » .

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية

ومن أخذ عنهم ومن أشتهر بالغناء

والغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحناء والنشيد،
وكانوا يُسمونه «الركبانية». وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة
«سعيد بن مسجع» ومن أهل المدينة «سائب خاثر». وأول من صنع المزج
«مكوىس». ولنبداً بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر من أخذ عنهم إن شاء الله تعالى.

ذكر أخبار سعيد بن مسجع

هو أبو عثمان سعيد بن مسجع، مولى بني جهم، وقيل : مولى بني غزوم،
وقيل : مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . مكى أسود — وقيل :
أصفر — حسن اللون . وقيل : كان مولداً ، يُكنى أبا عيسى . وقيل : كان هو
وأبن سرج رجل واحد . مرق متقسم من لحول المنين وأكابرهم . وهو أول من
وضع الغناء منهم ، وأقول من غنى الغناء العربي بمكة ؛ وذلك أنه من بالفرس وهم
يتنون المسجد الحرام في أيام عبدالله بن الزبير ، فسمع غنهم بالفارسية فقلبه في شعر
عربي ، ثم رحل إلى الشام فأخذ الخان الروم والبريطية والأسطوخوسية ، وأقلب^(١)

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «الأسطوخوسية» . وقد رأى العلامة الأب أنستاس ماري
الكرمل أن تكون كلمة «البريطية» مصحفة عن «البرطية» (بضم الباء الموحدة ويحذف الزاى إليها فون
ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مشددة وفي الآخر هاء) : نسبة إلى برطية وهي مدينة القسطنطينية
قبل أن تبني . ويراد بالبرطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى
سقوط القسطنطينية بيد الترك .

ثم قال : وأما الأسطوخوسية فمراد جسم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس ، وهي جزيرة
في جنوب فرنسا ، كان أهلها صروفين بالقصف والغناء والأنس ، كما هم عليه إلى هذا العهد ، وكان سكانها
خليطاً من الروم واليونانيين والفلسطينيين . (انظر المجلد الثاني من مجلة الزعماء ص ٣٥٨ —

إلى فارس فأخذ غناء كثيرا وتعلم الضرب ، ثم قَدِم إلى الججاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استبحه من التبرات والنغم ؛ وكان أول من فعل ذلك ، وتبعه الناس بعد ؛ وعلم ابن سرج ، وعلم ابن سرج التريض . قالوا : وكان في صباه فطنا ذكيا ، وكان مولاه مُعجبا به ، فكان يقول : لَيَكُون لهذا الغلام شأن ، وما يمتنى من عتقه إلا حُسْنُ فِرَاسَتِي فيه ، ولئن حشْتُ لَأَتَمَرَّقَ ذلك ، وإن مُتُّ قبله فهو سر . فسمعه مولاه يوما يتغنى بشعر ابن الرِّقَاع يقول :

أَلَيْمٌ عَلَى طَلَلٍ عَفَا مُتَقَادِمٌ • بَيْنَ التَّوْبِ وَبَيْنَ غَيْبِ النَّاهِمِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَا • فِيهِ الْمِشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

فدماه مولاه فقال : أَعِدْ يَا بَنِي ؛ فأعاده فإذا هو أحسن مما أبتدأ به ، وقال :
١٠ إِنَّ هَذَا لَبَعْضُ مَا كُنْتُ أَقُول . ثم قال له : أُنَى لَكَ هَذَا ؟ قال : سمعتُ هذه الأطاليم تَتَغَنَّى بالفارسية فقلبتها في هذا الشعر . قال : فأنت حر لوجه الله . فلم يمضِ مولاه وكثر أدبه وأتسع في غنائه وشهر بمكة وأُعجبوا به . فبلغ إليه مولاه عُبيد بن سُرَيْج وقال : يا بَنِي عَلِمَهِ وَاجْتَهَدَ فِيهِ . وكان ابن سُرَيْج أحسن الناس صوتا ، فتعلم منه ثم برز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفُرس لما أمر معاوية ببناء دُورِهِ بمكة التي يقال لها « الرُّقَط » ، وكان قد حمل إليها بتائين من الفُرس
١٥ الذين كانوا بالعراق فكأنوا يننونها ، وكان سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ يَأْتِيهِمْ فَيَسْمَعُ غَنَاءَهُمْ عَلَى بَنَاتِهِمْ ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَ مِنْ أَلْحَانِهِمْ أَخَذَهُ وَقَهْلَهُ إِلَى الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ صَاغَ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ . وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأَلْحَانِ شعر الأَخْوَصِ ، وهو :

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَأُخْبِرِي • قَدْ يَمْلِكُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيُسَيِّجُ
مُنَى عَلَى عَارِيٍّ أَطْلَتِ عَنَامَهُ • فِي الثَّلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَاءُ تُسْرِخُ

٢٠

(١) في الأصل : « الفيك » . والصواب من معجم ياقوت (ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أدريا) .

إني لأتصحكم وأعلم أنه • سَيَانِ عِنْدَكَ مِنْ يَشُّو وَيَصَحُّ
وإذا شكوتُ إلى سَلَامَةِ حَبَا • قالت أجدُ منك ذا أم مَمْرُجْ

وهذا من أقدم الفناء العربي المتقول عن الفارسي . قال : وعاش سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ
حتى لقيه مَعْبُدٌ وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك .

ومن أخبار سعيد ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال : كتب عامل
لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجع قد أفسد
فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم . فكتب إليه : أن آقبض ماله وسيره إلى . فتوجه
أبن مسجع إلى الشام ؛ فصاحبه رجل له جوار مغنيات في الطريق . فقال له : أين
تريد ؟ فاجبره الخبر وقال : أريد الشام ؛ فصاحبه حتى بلغا دمشق ، فدخلا مسجدها
فسالاه : مَنْ أَحْضَرُ النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمه .
فوقف أبن مسجع عليهم فسلم ، ثم قال : يَا قَتِيَانُ ، هل فيكم مَنْ يُضَيِّفُ رجلا
غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى
قَيْنَةَ يقال لها « برقي الأفق » ، فتأقلوا به لَأَقْفَى مِنْهُمْ تَذَمُّمٌ فقال له : أَنَا أَضَيِّفُكَ ،
وقال لأصحابه : أَنْطَلِقُوا أَتَمُّ وَأَنَا أَذْهَبُ مَعَ ضَيْفِي . فقالوا : لَا ، بل نجيء معنا
أنت وضيفك . فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنَةِ . فلما أُتُوا بِالْفَاءِ قَالَ لَهُمْ سَعِيدُ :
إني رجل أسود ، ولعل فيكم من يَهْدُرُنِي ، فَأَنَا أَجْلِسُ وَأَكُلُ نَاحِيَةً وَقَامٌ فَاسْتَحْيُوا
منه وبعثوا له بما أَكَل . فلما صاروا إلى الشَّرَابِ قَالَ لَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ففعلوا .
ثم أخرجوا جَارِيَتَيْنِ ، بَغِلْسَتَا عَلَى مَرِيرٍ قَدْ وُضِعَ لهما فَفَتَا إِلَى الْعِشَاءِ ثُمَّ دَخَلَا ؛
وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها بَغِلْسَتَا أَسْفَلَ السَّرِيرِ عَنْ يَمِينِهِ
وشماله وجلست هي على السرير . قال أبن مسجع : فتحملت هذا البيت :

(١) تَذَمُّمٌ : خَشْيٌ الْقَدَمِ وَالرُّمِّ .

- فقلتُ أَسْمُسُ أم مصابيحُ بَيْعَةٍ * بدتْ لك خَلْفَ السِّجْفِ أم أنتَ حَالِمٌ
فَفَضَيْتُ الجاريةَ وقالت : أَيْضُرِبُ مِثْلُ هذا الأسودِ بى الأَثَالِ ! فنظروا إلى
نظراً منكراً ، ولم يزالوا يُسَكِّنُونَهَا . ثم غَتَّتْ صَوْتَا . قال ابن مسجج : فقلت :
أَحْسِنْتَ والله ! فَغَضِبَ مولاهُ وقال : أَمِثْلُ هذا الأسودِ يُقَدِّمُ على جاريتي !
فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قُمْ فَأَنْصُرِفْ إلى منزلى ، فقد قَهَلْتُ على القوم .
فذهبت أَعُومُ . فندمَ القوم وقالوا : بل أَيْمٌ وأَحْسِنُ أدبك : فأَقَبْتُ . فَنَفَتُ ، فقلتُ :
أَخْطَايَ والله وأَسَايَ ! ثم أَدْنَعْتُ فَنَفَيْتُ الصَّوْتِ ؛ فَوَيْتُ الجاريةَ فقالت
لمولاهُ : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجج . فقلت : إى والله ، أنا هو ، والله لا أَقِيمُ
عندكم ووييت ؛ فوثب القرشيون : فقال هذا : تكون عندى ، وقال هذا : تكون
عندى ، [وقال هذا : بل عندى ^(١)] . فقلت : والله لا أَقِيمُ إلا عند سيديك !
(بني الرجل الذى أتته منهم) وسألوهُ عما أَقْلَمَهُ . فأخبرهم . فقال له صاحبه : إني أَسْمُرُ
الليلة عند أمير المؤمنين ، فهل تُحْسِنُ أنْ تَحْمُو؟ فقال : لا والله ، ولكنى أصنعُ حُدَاءً .
فقال له : إِنْ مَتَلَى بِحِذَاءِ مِثْلِ أمير المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طَيْبَ نَفْسٍ أُرْسِلْتُ
إِلَيْكَ . ومضى إلى عبد الملك . فلما رآه طَيْبَ النَفْسِ أُرْسِلَ إلى آيَنَ مسجج ؛ فأخرج
رأسه من وراء شُرْفِ القصر ثم حدا :
إِنَّكَ يَا مُعَاذُ يَا بَنَى ^(٢) الْفُضْلِ * إِنْ زُلْزِلَ الْأَمْدَامُ لَمْ تُزْزَلْ
عَنْ دِينِ مُوسَى وَالْكَتَابِ الْمُنْقَلِ * تُهْمُ أَصْدَاغُ الْقُرُونِ الْمُنِيلِ
* لِلْحَقِّ حَتَّى يَتَحَوَّا لِأَعْدَلِ *

- (١) الزيادة عن الأغانى (ج ٣ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) فى الأمل : * إِنَّكَ يَا حَادَى الْفُضْلِ * والتصويب عن الأغانى .
(٣) فى الأمل : « أَضْرَاعُ » . وفى الأغانى : « أَصْدَاعُ » ، وظاهر أن كليهما محرف عما أُنْبِئَتْهُ ،
لأنه من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ، ومنه لأقْبَيْنَ صدغك أى مِيلَكَ .

فقال عبد الملك للقرشي : مَنْ هذا ؟ فقال : رجل حجازي قديم علي . قال : أحضره ، فأحضره . ثم قال له : [هل] تفتي غناء الرِّكبان ؟ فتفتي . فقال له : هل تفتي الذناء المتقن ؟ قال نعم . قال : هيه ، فتفتي ، فأهتر عبد الملك طرباً ، ثم قال : أقسم بالله إن لك في القسوم أسماً كبيراً ، مَنْ أنت ؟ ويطك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله للمسير عن وطنه «سعيد بن مسجع» ، قبض مالى عامل الحجاز ونفاني . فتبسم عبد الملك ثم قال : قد وصَّح عُذْرَتَان قريش في أن يُنفِقُوا عليك أموالهم ، وأقننه ووصله وكتب إلى عامله بالحجاز أن أُرَدِّدَ إليه ماله ، ولا تتعرض إليه بسوء . والله أعلم .

ذكر أخبار سائب خاثر

- ١٠ هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار ، مولى لبني ليث . وأصله من قيس كسرى ، وأستراه عبد الله بن جعفر فاعقده . وقيل : بل كان علي ولأمه لبني ليث ، ولكنه أقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرف به . وهو أوَّل مَنْ عمل العود بالمدينة وغنى به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن مُكرِّم سبي إماء صَنَاجَات فأتى بهنَّ المدينة . فكثرت يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهنَّ ، فأخذ عنهنَّ . وقدم رجل فارسي يُعرف بنَشِيط ، فتفتي ، فحجب عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثر : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالمرية . ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل في :

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) في الأغاني (ج ٧ ص ١٨٨) (طبع بولاي) : «اشترى» .

(٣) من اللعنات بالصنع ، وهو صحيفة مستديرة من نحاس تضرب بأنرى مثلها ، وقيل : الصنع ذر الأوتار الذي يلعب به .

لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ * لَعِبَتْ بِها الأرواحُ والقَطَرُ
 وخالها من بعد ساكنها * حَجَّجَ مَضِينَ ثَمَانٍ أَوْ عَشَرَ
 والزعفرانُ على ترائبها * شَرَّقُ به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

﴿١٨﴾

- قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غُفِّي به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نسيطا بعد ذلك ؛ فأخذ عنه سائب خاتر الغناء العربي ، وأخذ عنه ابن مَرْيَحٍ وجيلة ومعبدة وعزة الميلاء وغيرهم . وقيل : لأنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغني مر تجملا . قال ابن الكلبي : وكان [سائب تاجرا] مويسرا يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحسه أربع نسوة . وكان ألقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وهو مع ذلك يُخالط سَرَوَاتِ الناس وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحُسن صوته . وكان قد آلى على نفسه ألا يغني أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفةً أو وليَّ عهد أو ابن خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتل ، على ما نذكره . وأخذ عنه معبد غناء كثيرا . قال : وسمع معاوية غناء سائب خاتر مرارا ، فالتزت الأولى لها وقد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاوية ، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه ، فأذن له . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى :

- ﴿١٩﴾ فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى :
- لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ * الأبيات
- فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أشهد لقد حسنته . وقضى معاوية حوائجه وأحسن إليه ووصله . وقيل : أشرف معاوية ليلةً على منزل يزيد ، فسمع صوتا أعجبه ، وأستخفَّه السماع فاستمع حتى مل ؛ ثم دعا بكريّ بفلس عليه وأشتهى الاستراحة ، فاستمع بقية ليلته . فلما أصبح غدا عليه يزيد ؛ فقال : يا بني ، مَنْ كان

جليسك البارحة؟ قال : أرى جليسا يأمر المؤمنين؟ وأستعجم عليه . فقال : عرفتني به فإنه لم يخف على شيء من أمرك . قال : هو سائب خاثر . قال معاوية : فأكثر له يا بني من برِّك وصلتك ، فما رأيت يجالسته بأسا .

قال ابن الكلبي : وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالإذن للناس ؛ فخرج ثم رجع فقال : ما بالبواب أحد . فقال معاوية : وأين الناس؟ قال : عند عبد الله بن جعفر . فركب معاوية بقلته ثم توجه إليهم . فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرفي هذا لك إن آندقت تقني (وكان المطرف من بني) فقام بين السَّاطين وغنى فقال :

لنا الجفائنُ الثَّريلمعن بالضحى ^(١) * وأسباقتنا يقطرون من نَجْدَةٍ دَمَا

١٠ فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسِّن لذلك ، ثم أنصرف ، وأخذ سائب خاثر المطرف ^(٢) .

وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة . قال : وكان يخشى على نفسه من أهل الشام . فخرج إليهم وجعل يقول : أنا مغنٍّ ، ومن حالي ومن قصتي كَبِيتَ وَكَبِيتَ ، وقد خدمتُ أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا له : غنِّ لنا ، ففعل . فقام أحدهم فقال : أحسنت والله ، ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره ومروبه اسمه في أسماء من قُبل فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر؟ ففرَّقه به ، فقال : وبه ما له وما لنا ! ألم نُحسِّن إليه ونُصلِّه ونُخلطه بأنفسنا ! فما الذي حمَّله على ملأوتنا ! لا جرم أن يَنْبِيه علينا صرعه . وقيل : إنه لما بلغه قتله قال : إنا لله ! أو بلغ

٢٠ (١) كما في الأتاني (ج ٧ ص ١٩٠ طبع بولاق) وكامل المبرد ديوان قاتله سيدنا حسان بن ثابت الطليوح في أوربا . وفي الأصل : « في اللهجي » .

(٢) روى المبرد في الكامل حكاية لما روى مع عبد الله بن جعفر تشبه منه من بعض الوجوه (انظر صفحة ٣٩٠ طبع أوربا) .

القتل إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد ، وقال . فبحكم الله
ياهل الشام ! تجدهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه . وقد قيل : إنه
تقدم يوم الحرة وقاتل حتى قُتل . والله أعلم .

ذكر أخبار طويس

- هو عيسى بن عبد الله . وكنته أبو عبد المنعم ، وغيرها المختون فقالوا :
أبو عبد المنعم . وطويس لقبٌ غلب عليه ، وقيل : اسمه طاؤس ، مولى بنى غزوم .
وكان أيضا يُلقب بالدائب ؛ لأنه غني :

قد برأني الحب حتى * كدْتُ من وجدى أذوبُ

- وهذا أول غناء غناه وهزجَ هزجه . وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا :
« أشام من طويس » لأنه وُلِدَ يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وُفِطَ يوم
مات أبو بكر رضي الله عنه ، وَخُنَّ يوم مات عمر رضي الله عنه ، وَتَرَجَ يوم قُتِلَ
عثمان ، وُودِلَ له يوم مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان غنثا أحول
طويلا ، وقيل : إنه وُلِدَ ذاهب العين اليمنى . قالوا : وكانت أمه تمشي بين نساء
الأنصار بالتمام . وطويس أول من صَنَعَ المَرْجَ والرَّمْلَ في الإسلام ، وكان الناس
يضرِبون به المثل فيقولون : « أخرج من طويس » . وكان لا يضرب بالعود
وإنما ينقر بالدف . وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنسَاب أهلها .

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المدائني قال : قَدِمَ ابنُ مُرَيجِ المدينة ،
بفلس يوما في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مر بهم
طويس فسمعهم وما يقولون ، فاستل دُفَّهُ من حِضْنَتِهِ وقره وغنى ، فلما سمعه

أَبْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : هَذَا وَاقَهُ أَحْسَنُ النَّاسِ غَنَاءً ، لَا أَنَا . وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : قَالَ مُسْلِمٌ
 أَبُو عَرَابٍ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ : خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ وَمَعَنَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا
 فَاتَّيَيْنَا إِلَى وَادٍ ، فَدَعَوْنَا بِالْغَدَاءِ ، فَذَرَجَ الرَّجُلُ يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
 قَبْلَ ذَلِكَ يَا كُلَّ مَعْنَا ؛ فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ فَتَلَقَّى رَجُلًا طَوِيلًا أَحْوَلَ مُضْطَرِبٍ
 انْتَلَقَى فِي زِيٍّ الْأَعْرَابِ ؛ فَقَالَ لَنَا : مَا لَكُمْ ؟ فَأَنْكَرْنَا سُؤَالَ لَنَا ؛ فَأَخْبَرَنَا خَبَرَ الرَّجُلِ
 فَقَالَ : مَا أَسْمَ صَاحِبِكُمْ ؟ فَقُلْنَا : أَسِيدٌ ؛ فَقَالَ : هَذَا وَادٍ قَدْ أَخَذَتْ سِبَاعُهُ فَارْتَحَلُوا ،
 فَلَوْ قَدْ جَاوَزْتُمُ الْوَادِيَّ اسْتَمَرَّ صَاحِبُكُمْ وَأَسَدٌ وَأَكَلَ . قُلْنَا فِي أَنْفُسِنَا : هُوَ مِنَ الْخَلْقِ ،
 وَدَخَلْنَا فَرْصَةً . فَهَمَّ ذَلِكَ وَقَالَ : لِيُفْرِخَ رَوْحُكُمْ فَأَنَا طَوَيْسٌ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَنَا :
 مَرْحَبًا بِكَ يَا عَبْدَ النِّعَمِ ، مَا هَذَا الزِّيُّ ؟ ! فَقَالَ : دَعَانِي بَعْضُ أَوْدَانِي مِنَ الْأَعْرَابِ
 فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَخَطَّى الْأَحْيَاءَ فَلَا يُنْكِرُونِي . فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مَنَا أَنْ يَنْتَبِهَا ؛
 فَأَتَدْفَعُ وَتَقَرُّ بِدَفْعٍ كَانَ مَعَهُ مَرْجٌ ، فَلَقَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّ الْوَادِيَّ يَنْتَلِقُ مَعَهُ حَسَنًا .
 وَتَوَجَّعْنَا مِنْ عِلْمِهِ وَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِنَا .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : وَكَانَ طَوَيْسٌ وَلَيْعًا بِالشَّعْرِ الَّذِي قَالَتْهُ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ
 فِي حُرُوبِهِمْ ، وَكَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْإِعْرَاءَ ؛ فَقَلَّ مَجْلِسُ أَجْتَمَعٍ فِيهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ فَغَنَى
 فِيهِ طَوَيْسٌ إِلَّا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ . فَتَنَبَّأَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاقَهُ لَا تَرَكْتُ الْغَنَاءَ بِشَعْرِ
 الْأَنْصَارِ حَتَّى يُوسِّدُونِي التَّرَابَ ؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَوَلُّعِ الْقَوْمِ بِهِ ، وَكَانَ يُبْدِي السَّرَائِرَ
 وَيُخْرِجُ الصُّغَائِرَ ؛ وَغَنَاءُوهُ يُسْتَحْسِنُ وَلَا يُصْبِرُ عَنْ حَدِيثِهِ .

(١). كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ وَالْأَغْنَى (ج ٣ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وَهُوَ مُسْلِمٌ بْنُ عَرَابٍ بْنِ
 سَلَمٍ بْنِ زَيْدٍ الرَّائِي . وَفِي الْأُمُودِ : « سَلَمٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) مِثَارَةُ الْأَغْنَى : « هَقِيئًا رَجُلًا ... » . (٣) أَخَذَتْ سِبَاعَهُ : سَحَرَتْ .

(٤) اسْتَمَرَّ : قَوِيَ وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ .

(٥) كَذَا فِي الْأَمَلِ . وَاقَهُ فِي الْأَغْنَى : « اسْتَمَرَّ صَاحِبُكُمْ وَأَكَلَ » بِدُونِ « أَسَدٍ » .

- وحكى الأصهباني عفا الله عنه قال : كان بالمدينة مخنث يقال له النفاشي .
 فقيل لمروان بن الحَكَم : إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا . فبعث إليه فاستقرأه
 أتم الكتاب ؛ فقال : والله ما مى بناتها ، أو ما أقرأ النبات فكيف أقرأ أتمهن !
 فقال : أتهدأ لا أتم لك ! فأمر به فقتل ببطحان^(١) ، وقال : من جاعنى بمخنث فله
 عشرة دنانير . فأتى طُويس وهو في بني الحارث بن الخزرج فأخبر بمقالة مروان ؛
 فقال : أما فقتلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل في وفهم شيئا واحدا ! . ثم خرج
 حتى نزل السويداء (على ليلتين من المدينة في طريق الشام) فقلها ، فلم يزل بها بقية
 عمره . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . ثم ساق الأصهباني هذه
 القصة في موضع آخر بسند آخر قال : خرج يحيى بن الحَكَم وهو أمير على المدينة ،
 فبصر بشخص في السبخة مما يل مسجد الأحزاب ؛ فلما نظر إلى يحيى جلس ؛
 فاستراب به ، فوجه إليه أعوانه ، فأتى به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة
 وهو منشط مخضب . فقال له أعوانه : هذا ابن نفاش المخنث . فقال : ما أحسبك
 تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ! إقرأ أتم القرآن ؛ فقال : لو عرفت أتمهن عرفت
 النبات . فأمر به فضربت عنقه . وساق نحو ما تقدم ، إلا أنه قال : جعل في كل
 مخنث ثلثمائة درهم .

- وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره : أن أن بن عثمان لما
 أمره عبد الملك على الحجاز أقبل ، حتى [أذا] دفا من المدينة تلقاه أهلها وخرج
 إليه أشرافها ، فخرج معهم طُويس . فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ،

(١) بطحان (فتح الباء) ، وأكثرهم يضنها . قال ابن الأثير : ولعله (الأمح) : اسم وادي
 المدينة ، وإلى يصب البطحانيون . (انظر اللسان مادة « بطح ») .

(٢) الزيادة من الأغنى (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .



إِنِّي كُنْتُ قَدْ أُعْطِيتُ اللَّهُ تَعَالَى عَهْدًا إِنْ رَأَيْتُكَ أَمِيرًا لَأَخْضِبَنَّ يَدِي إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ ^(١٧)
ثُمَّ أَزْدُو ^(١٨) بِالتَّفْيِيزِ بَيْنَ يَدَيْكَ . ثُمَّ أَبْدَى عَنْ دَفْعِهِ وَتَقَنَّى [بِشِعْرَ ذِي جَدَنِ الْخَيْرِ] :

مَا بَالُ أَهْلِكَ يَا رَبَّابُ * نُخْرًا كَانَهُمْ غَضَابُ

فَطَرِبَ أَبَانَ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : حَسْبُكَ يَا طَاوُسُ ! — وَلَمْ يَقُلْ لَهُ
طَوِيسُ لِنَبْلِهِ فِي عَيْنِهِ — ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجْلِسْ ، بَغْلَسُ . فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : قَدْ زَعَمُوا
أَنْتَ كَافِرٌ . فَقَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] وَأَصْلَى الْخَمْسِ وَأَصُومُ رَمَضَانَ وَأُحِبُّ الْبَيْتَ . قَالَ :
أَفَأَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ ؟ — وَكَانَ عَمْرُو أَخَا أَبَانَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ — فَقَالَ
طَوِيسُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! أَنَا وَاللَّهِ مَعَ جَلَالِ نِسَاءِ قَوْمِي أُمْسِكُ بِذِيوَلْمَنْ يَوْمَ زُفَّتْ
أَمَّتُكَ الْمُبَارَكَةُ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ . فَاسْتَحْيَا أَبَانَ وَرَمَى بَعْرُونَهُ إِلَى الْأَرْضِ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ ^(١٩) بْنِ مَرْيَحٍ

هُوَ أَبُو يَحْيَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْيَحٍ ، مَوْلَى بَنِي تَوْقَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ :
إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى لَيْثٍ ، وَمَنْزَلُهُ بِمَكَّةَ .
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُثْبَةَ اللَّهِفِي : إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومٍ .
وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ أَنَّهُ كَانَ كَلَّمَ أَحْمَرَ ظَاهِرَ الدِّمِّ سَيَّاطًا ، فِي عَيْنَيْهِ قَبْلَ ،
وَبَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

(١) أَزْدُو : أَضْرِبُ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَغَانِي (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) فِي الْأَحْوَالِ : « عَلَى أَبِيكَ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي .

(٤) هَكَذَا بِالْأَحْوَالِ . وَسَيَأْتِي قَرِيبًا أَنَّهُ نَسِيَ « عَبْدَ بْنَ مَرْيَحٍ » . وَاضْطَرَبَتْ فِيهِ أَسْمُولُ الْأَغَانِي ،

فَوُودٌ فِي بَعْضِهَا : « عَيْدٌ » . وَفِي بَعْضِهَا : « عِيدُ اللَّهِ » . وَفِي بَعْضِهَا : « عَبْدُ اللَّهِ » .

(٥) السَّيَّاطُ : الَّذِي لَا حَيَّةَ لَهُ أَهْلًا أَوْ الْخَفِيفُ الْعَارِضُ أَوْ مَنْ لَهُ حَيَّةٌ وَلَيْسَ فِي عَارِضِهِ شَيْءٌ .

(٦) الْقَتِيلُ : مِثْلُ الْحَوْلِ فِي الْعَيْنِ أَوْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ .

- وقتل أيضا عن ابن الكلبي أنه كان غنّتا أحول أعمش ، يلقّب وجهه الباب .
 وكان لا يفتي إلا متقبّيا ، مُسَبِّلَ القِنَاعِ على وجهه . قال : وكان أحسن الناس
 غناء ، وكان يفتي مُرْتَجِلا ويوقع بقضيب ، وقيل : كان يضرب بالعود . وغنى في زمن
 عثمان بن عفّان ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان اسمه عبيد بن
 سريح من أهل مكة . وقال ابن جرّيج : كان عبيد بن سريح مولى آل خالد بن أسيد ،
 وقيل : كان أبوه تركيا . وقيل : كان عُودُهُ على صنعة عيدان الفُرس ، وهو أوّل من
 ضرب به على الغناء العربي بمكة ؛ وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدّم بهم ابن الزبير
 لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريح : أنا أضرب به على غنائي ،
 فضرب به فكان أحدق الناس . وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجع ، وقد قدّم
 ذكر ذلك . وأوّل ما أشتهر بالغناء في خِتان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن
 أبي حسين . قال ابن سريح لأُمّ الغلام : خَفَضِي عليك بعض المغرّم والكُفّة ،
 فوالله لأُلمِنَ نساءك حتى لا يدرين ما جئت به . وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه
 قال : أنا اليوم سُرَيْجِي .

- ومن أخباره أيضا أن عطّاء بن أبي رباح لقيه بذي طوى وعليه ثياب مُصَبَّغة
 وفي يده جَرَادَة مشدودة الرّجل بخيط يطيرها ويحبّسها كلما تحلّفت ؛ فقال له عطّاء :
 يا فتان ، ألا تكفّ عما أنت فيه ! كفى الله الناس مثونتك . فقال له ابن سريح :
 وما على الناس من تلويث ثيابي ولّعي يجرادتي ! فقال : تُفَتِّهِمُ أغانيك الخبيثة .
 فقال له ابن سريح : بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك ألا سمعت مني بيتا من الشعر ، فإن سمعت
 منكرا أمرتني بالإمسالك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البَيّنة إن أمرتني

بعد أستماعتك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن . فأطمع ذلك عطاءً في ابن سُرَيْح
وقال له : قل . فأندفع بضئٍ بشعر جرير :

إِنَّ الَّذِينَ قَدَّوْا بِلَيْكَ عَادِرُوا * وَشَلَّا بَيْنَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا

غِيْضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنَ لِي * مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً وداخلته أَرْيَحِيَّةٌ ، خفف الَّا يَكَلِّمْ

أحدًا بقية يومه إلا بهذا الشعر، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام، فكان كل من
يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يُجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى
ويُنشد هذا الشعر حتى صلى المغرب ، ولم يُعاود ابن سُرَيْح بعدها ولا تعرض له .

وحكى عنه أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة حج في عام من الأعوام ومعه ابن سُرَيْح ،

فلما رموا الجمرات تقدما الحاج إلى كتيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق

المدينة وطريق الشام وال عراق ، وهو كتيب شاخ مُفرد عن الكتبان ، فصارا إليه

فاكلا وشربا . فلما انتشيا أخذ ابن سُرَيْح الدف ففقره وجعل يتغنى وهم ينظرون

إلى الحاج . فلما أمسيا رفع ابن سُرَيْح صوته وتغنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة ، فسمعه

الركبان ، ففعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما ننتي الله ! قد حبست الناس عن

مناسكهم ، فيسكت قليلا حتى إذا مضوا رفع صوته فيقف آخرون ؛ إلى أن وقف

عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكتيب ، ثم نادى :

يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن ترقد شيئا مما سمعته منك ؟ قال : نعم ورفعة

عين ، فأبها تريد ؟ فأقترح صوتا فغناه . ثم قال له ابن سُرَيْح : إزدد إن شئت ، فأقترح

صوتا آخر فغناه ، فقال له : والثالث ولا أستريدك ، فغناه الثالث . وقال له ابن

سُرَيْح : أيقيت لك حاجة ؟ قال نعم ، قَرِّلْ لَأُخاطبك ؛ فترل إليه فإذا هو يزيد

ابن عبد الملك، فأعطاه حُلته وخاتمه وقال : خذهما ولا تُخَدِّعَ فيهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار؛ فعاد ابن سريج بهما فأعطاهما لعمر بن أبى ربيعة وقال : هما بك أشبهُ منهما بى، فأخذهما وعوضه عنهما ثلثائة دينار، وغدا فيهما إلى المسجد، فعرّفهما الناس وجعلوا يتمجّبون ويسألون عمرَ عنهما؛ فيُخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع ابن سريج وهو يفتى . فقال : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن ! .

قال إبراهيم بن المهدي : كان ابن سريج رجلا عاقلا أدبيا، وكان يباشر الناس بما يشتهون فلا يفتنهم بما مديح به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غضاضة منهم . ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أُنْخِصَ إلى ابن سريج، فأخصّصه إليه . فلما قدّم مكث أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه، ثم ذكره فأستحضره، فدخل عليه وسلم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه، فقال : وَيْحَكَ يَا عُبَيْدُ ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! « تسمع بالمعيدي ^(١) لا أن تراه »، قال الوليد : إني لأرجو ألا تكونَ أنتَ ذاك ، ثم قال : هلِ ما عندك ؟ فأندفع يفتى بشعر الأحوص :

وَأَيُّ إِذَا حَلَّتْ بَيْتِي مَقِيمَةً * وَحَلَّ بَوَّجٌ جَالِسًا أَوْ تَهَمًا ^(٢)

(١) هذى إحدى روايات المثل، حكاه الميمني في مجمع الأنال، والرواية المشهورة وهي التي صدّرت بها هذه الروايات (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) .

(٢) بيت (بالفتح) : أحد تخاليف اليمن . ويش (بالكسر) : من بلاد اليمن أيضا قرب دهلك .

(٣) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) ووج : اسم واد بالعلاف بالزيادة وفي الأصول : « بوج » بالحاء المهملة . ووج : قيل إنها تاحية يمان . وجالسا : أي المجلس وهو نجد . وتهم : أي تهامة .

يَمَانِيَّةً شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا * رَجَاءً وَطَنًا بِالْمَغِيبِ مَرْجَمًا
أَحَبُّ دَنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى * بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا تَشَلَّمَا
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِي سِوَى الظَّنِّ مَا بَكَى * أَحْيَا يَسْكَى أَمْ تَرَايَا وَأَعْظَمَا
فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مَذْحَةً * تُزِيلُ عَنْكَ بُؤْسِي أَوْ تَقِيدُكَ مَغْنَمَا^(١)
فَإِنَّ بِكَفِّهِ مِفْتَاحَ رَحْمَةٍ * وَغَيْثَ حَيَا يَحْيَا بِهِ النَّاسُ مُرْهِمًا^(٢)
إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُبْ * عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا
تَحْسِرُهُ رَبُّ الْعِبَادِ تَخْلُفُهُ * وَلِيًّا وَكَاتِبًا لِلنَّاسِ أَعْلَمَا
يُنَالُ الْغِنَى وَالْعِزُّ مَنْ نَالَ وَدَّهُ * وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَسَامَا^(٣)

(١٢٠)

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ الْأَحْوُسُ . ثُمَّ قَالَ : يَا حَبِيبَ هَيْه ! فَنَفَّاهُ بِشَعْرِ
عَدِي بْنِ الرَّقَّاعِ الْعَامِلِ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ :

طَارَ الْكُرَى وَالْمُحْمَ قَا كَتَمْنَا^(٤) * وَجِيلَ بَنِي وَبَيْنَ النُّومِ قَامَتَنَا
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاقًا أَسْتَكْنُ بِهِ * وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا نَمْتُ أَهْشَمَا
وَأَسْتَبْدِلُ الرَّأْسَ شَيْئًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ * قِنَانَةٍ مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا زَعَا^(٥)
فَإِنْ تَكُنْ مَبْعُوثٌ مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبْتَ * وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصُّبُورَةِ الْوَرَعَا
فَقَدْ أُبْدِتُ أَرَايَ الْخُودَ رَايَةً * عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُورًا بِهَا وَلِعَا^(٦)

- (١) فِي الْأَخْفَى : « أَنْبَا » . وَرَفَعَ الْقَطْلَ مَعَالَى تَرْمِ أَنْ الْأَوَّلَ مَرْفُوعٌ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : تَزِيلُ عَنْكَ
بُؤْسِي أَوْ تَقِيدُكَ نَفْعًا ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مُتَّكَفٍ كَأَنَّهُ قِيلَ : أَرْمِي تَحْيِيكَ مَغْنَمًا .
- (٢) يُقَالُ : أَرْمَيْتُ الْبَاءَ إِذَا أَتَيْتَ بِالْعَامِ ، جَمْعُ رَمَةٍ وَهِيَ الْعَارُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ .
- (٣) فِي الْأَصُولِ : « تَشَا » . وَالْمَصُوبُ مِنَ الْأَخْفَى .
- (٤) أَلَمْ : تَزِيلُ . وَكَاتِبٌ : دَقَّ وَحَضَرَ .
- (٥) قِنَانَةٍ : حَسَّةُ الشَّعْرِ طَوِيلَةٌ . وَالزَّعَا : انْحِصَارُ مَقْدَمِ شَعْرِ الرَّاسِ عَنْ جَانِبِي الْجِهَةِ .
- (٦) فِي الْأَخْفَى : « رَايَةً » .

بَرَقَّةُ الثَّغْرِ يَشْفِي الْقَلْبَ لَدُّهَا * إِذَا مُقْبَلَهَا فِي رِبْقِهَا كَرَّمَا
كَالْأَنْحُورِ بَضَائِحِ الرُّوضِ صَبَّحَهُ * غَيْثُ أَرْضٍ بِنْتِضَاجٍ وَمَا نَقَعَا
صَلَّى الَّذِي الصَّلَاةُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ * وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجَمْعَا
عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامُ ضَاحِيَةً * بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مَعَا^(١)
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أَقْنَتَهُ * عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا
عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَقْفِدَهُ * وَأَنْ نَكُونَ لِرَاجٍ بَعْدَهُ تَبَا
إِنِّ الْوَلِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ * مُلْكٌ أَعَانَ طَيْبَهُ اللَّهُ فَارْتَضَا^(٢)
لَا يَمْنَحُ اللَّهُ مَا أَعْطَى الَّذِينَ هُمْ * لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُسْطَوْنَ مَا مَنَّا

فقال الوليد : صدقت يا عبيد ، أتى لك هذا ؟ قال : (هوين عبيد الله) .
قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسن أدبك . قال ابن سريج : (ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء) قال الوليد : (يزيد في آتلي ما يشاء) . قال ابن سريج : (هذان
فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر) . قال الوليد : لعلك والله أكثر وأعجب إلى
من غنائك ! غني ، ففتناه بشعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد فقال :^(٣)

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهَمًا فَأَعْتَادَهَا * مِنْ بَعْدِ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ أَبْلَادَهَا^(٤)

(١) كذا في الأغانى (ج ١ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصول : « وصل
القي ... الخ » .

(٢) كذا في الأغانى . وفي الأصول : « لا يمنح الناس » .

(٣) رأينا أن ثبت هذه القصيدة كاملة ، وقد قلنا ما عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد
نشرها فيها المرحوم أحمد تيمور باشا وقال : إنه لا يوجد منها في كتب اللغة والأدب إلا أبيات منفردة وإنه
متر عليها تامة في مجموع مخطوط قديم بمخزاة المرحوم أحمد زكي باشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للمعالي .
والأبيات الموضوعة بين قوسين مرعيين غير موجودة بالأصل .

(٤) أبلاها : آثارها . وفي رواية أخرى « درس » بدل « شمل » .

[إلا رومى كلهم قد أصطلى * جمرًا وأشعل أهلها إيقاداً^(١)
 كانت رواحل للقدور فمرّت * منهن وأسلب الزمان رماذا
 وتكرت كل التنكر بعدنا * والأرض تعرف بسلها وجمادها^(٢)
 ولرب واضحة العوارض حرة * كالريم قد ضربت به أوتادها^(٣)
 تصطاد بهجتها الملل بالصبا * عرساً تقصده ولن يصطادها^(٤)
 كالظبية البكر الفريدة ترعى * من أرضها قفاها ويعهادها^(٥)
 خضبت لها عقد البراق جينها * من عركها عليانها وعراها^(٦)
 كالزئ في وجه العروس تبدلت * بسد الحياء فلابت أرادها
 ترحى أغن كأن إبرة روفة * قلم أصاب من النواة ينادها
 ركبت به من عاجل متغيراً * ففسراً تربت وحشيه أولادها^(٧)
 قدرى محاييسه التي تسقى الثرى * والمهبر يوفى بنها ووادها^(٨)
 بانث سعاد وأخلفت ميعادها * وتباعدت عنا لئتمن زادها

- (١) رواية الأغاني « وراكه » بدل « رومى » ، و « جمرًا أشعل » بدل « جمرًا وأشعل » .
 (٢) الجبل : الأرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، والجباد : اليابسة التي لم
 يصبها مطر ولا شيء فيها .
 (٣) في الأغاني (ج ١ ص ١١٩) : « حقة » .
 (٤) الملل بالصبا : المشغول به المتلهي . وأقصده : وماه بهم فقتله .
 (٥) القفا : جمع قفة ، وهي — كما قال الأزهري — شجرة مستديرة ترقع عن الأرض قدر
 شبر وتيسر . والهاد : جمع هاد بالفتح وعهدة (بالفتح والكسر) وهي مطربة مطردك أكره بل أوله .
 (٦) في الأصل :
 خضبت لها عقد البراق جينها * عن عركها عليانها وعراها
 والبراق : جمع برقة وهي أرض غليظة مختلطة بجسارة ورمل . والطينان والبراد نباتان .
 (٧) عاجل : اسم موضع .
 (٨) محاييه : مراحله وثناياه ، ويسق : من الوسق وهو الجمع ، والمهر : الملقن من الأرض .

إني إذا ما لم تصلني خلتي * وتباعدت عني أغفرت^(١) بإدائها
 [إتما ترى شئني تقشع لتي * حتى علا وصح يلوح سوادها^(٢)
 فلقد شئت يد الفتاة وسادة * لي جاعلا يسرى بدى وسادها
 وأصحاب الجيش المرمم فارساً * في الخليل أشهد كرها وطرادها
 وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها^(٣)
 نظر الثقف في كعوب قتاته * حتى يقيم تقافه متادها^(٤)
 فسترت عيب معيشتي بكرم * وأتيت في سعة النعم سدادها^(٥)
 وعليت حتى ما أسائل واحداً * عن علم واحدة لكي أزدادها
 صلي الله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها
 وإذا الربيع تسابت أنوائه * فسقى خنصرة الأحص لجادها^(٦)
 نزل الوليد بها فكان لأهلها * غيثاً أغاث أنيسها وبلادها
 ألا ترى أن البرية كلها * ألقت خزائنها إليه فقادها
 ولقد أراد الله إذ ولأصكها * من أمة إصلاحها ورشادها
 أغمرت أرض المسلمين فأقبلت * وكففت عنها من يروم فسادها
 وأصبحت في أرض العدو مصيبة * تمت أفاصي غورها ونجادها
 ظفراً ونصراً ما تناول مثله * أحد من الخلفاء كان أرادها

(١) الخلة بالنعم : الخلية . (٢) يلوح موادها : يبره .

(٣) السائد : هو اختلاف الحركات التي تل الأرداف في الروى .

(٤) مادها : معوجها . (٥) البداد : ما سده الخلة . (٦) الأحص : كورة

كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القنيطرة وبين الشمال من مدينة حلب فعينها « خنصرة » مدينة كان
 يترها عمر بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها كذا في ياقوت، وقد أورد البيت هكذا :

وإذا الربيع تسابت أنوائه * فسقى خنصرة الأحص وزادها

فإذا نشرت له الثناء وجدته • جمع المكالم طرقتها وتلاها
 [طلب الماسيح الوليد سماعة • وكفى قریش المعضلات وسادها
 تائبه أسلاب الإغزة عنوة • قسراً ويجمع الحروب عتادها
 وإذا رأى نار العدو نضرت • ساء جماعة أهلها فأقتادها
 يرمزهم تبدو الروابي ذى ونى • كالخزة أحتمل الضحى أطوادها^(١)
 أطفأت نارا للحروب وأوقدت • نار قدحت براحتيك زناها
 فهدت بصيرتها لمن بينى الهدى • وأصاب حر شديد حادها
 وإذا غدا يوماً بنفحة نائل • عرضت له الند مثلاً فأعادها
 وإذا عدت خيل تبدير غايه • فالسابق الجالى يقود جياها]

- ١٠ فاشار الوليد إلى بعض الخدم فنظروه بالطلع، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير
 وبدر الدرهم، ثم قال الوليد: يا مولى بن نوفل بن الحارث لقد أوتيت أمراً جليلاً
 فقال ابن سريج: وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرافاً عالياً وعزاً
 بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله، فأدام الله لك ما ولاك
 وحفظك فيما استرعاك، فإنك أهل لما أعطاك، ولا يترعه منك إذ رآك له موضعاً.
 قال: يا نوفل، وخطيب أيضاً! قال ابن سريج: عنك نطقت، ولسانك تكلمت،
 وبزك بينت، وكان قد أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعبدى بن
 الرقاع العاملي، فلما قديما عليه أمر بإتزالهما حيث أمر ابن سريج فأتزلا متزلاً يحوار متزله.
 قالا: والله أقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قريك يا مولى بن نوفل، وإن
 في قريك لما يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد. فقال لما ابن سريج: أوقلة شكر!

(١) الرعى: الجلبة، والحرة باقنح الأرض الملبدة بالطينة. والمعنى أن الروابي التي يحارب فيها هذا
 الجيش تبدو لناظر كأنها حرة حل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية.

- فقال له عدى : كأنك يا بن الفناء تَمُنُّ علينا ، [على وعلى] ^(١) إن جمعنا وإياك سقُب بيت أو صحن دار عند أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أولا تحتمل لأبي يحيى الزَّلَّةَ والهفوة ، وكفارة يمين خير من بلحاج في غير منفعة . فتحول عدى وبقي للأحوص . وبلغ الوليد ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج فأدخله بيتاً وأرسله دونه سترًا ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى من كلتيهما أن يفتى ، فلما دخلا وأنشده مدائح لما فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرؤونه وضرب بعود . فقال عدى : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عامل ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث الى ابن سريج يتخطى رقاب قريش والعرب من تهامة الى الشام ترفعه أرضٌ وتخفيه أخرى ليسمع غناؤه ! قال : ويحك يا عدى ! أولا تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الحق يتقنون ، فقال : أخرج عليهم ، فخرج فلذا ابن سريج . فقال عدى : حقّ لهذا أن يُجمل ! حقّ لهذا أن يحمل ! ثلاثا ، ثم أمر لها بمثل ما أمر به لابن سريج وأرتمل القوم .

- وروى أبو الفرج أيضا عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال : كان على مكة نافع بن علقمة الكافى فشئد فى الفناء والمغنين والنيّذ ونادى فى الختتين . فخرج فيئة من قريش الى بطن محسر وبعثوا برسول لهم ، فجاءهم براوية من شراب الطائف ، فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا ، فقلت : هو على لكم ، فقال لى بعضهم : دوتك هذه البغلة فاركها وأمض إليه ، فاتيتّه فأخبرتّه بمكان القوم وطلبهم إياه ، فقال لى : ويحك ! وكيف لى بذلك

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ١ ص ١١٩) .

(٢) بطن محسر : موضع بين مكة ودمرة ، وقيل : بين منى ودمرة .

مع شدة السلطان في الغناء وتلاؤه فيه . فقلت له : أتردّم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالمود ؟ فقلت : أنا أخبؤه لك فشأنك . فركب وسترّت المود فأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع بن علقمة قد أقبل ؛ فقال لي : يا ابن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك ! أرسل عتّان البغلة وأمض ولا تتخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريج ، فقال لي : يا ابن بركة ، من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون ! هذا ابن سريج ، فنبهتم ثم تمثل :

فإن تتجّ منها يا أبابُ مُسلماً * فقد أفلت المجتاجُ خيلَ شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلت له : غنّني مرتجلا ؛ فرفع صوته فغنى إلى أن الشجرة تنطق معه ، فغنى وقال :

كيف التّواء بطن مكة بعدما * همّ الذّيبُ عُجبَ بالإبحاد

أم كيف قلبك إذ قويتَ غمرا * سقيا خلافتهم وركبك بادي^(١)

هل أنت إن ظنن الأعبة غادي * أم قيل ذلك مُدجّ بسواد^(٢)

قال : فقلت : أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! ولو أن كئانة كلها سمعتك

لاستحسنتك ، فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور من غره نافع . ثم قلت : زدني وإن^(٣)

كان القوم متعلقة قلوبهم بك ؛ فغنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة ؛

فكان صوتُ الشجرة أحسن من خفق بطون الضّان على العيدان إذا أخذتها عيدان

الدّلّ^(٤) ، وغنى :

لا تجبني هجرًا على وغربة * فالهجر في تلفّ الحبّ سريج

(١) كذا في الأغاني (ج ١١ ص ٢٠ طبع يولاق) . وفي الأصل : « ولونك » .

(٢) في الأصل : « من قيل ذلك » . والتصويب من الأغاني .

(٣) في الأصل : « لاستحسنت » والتصحيح عن الأغاني .

(٤) العقل : شجر مر أخضر حسن المنظر يكون في الأودية .

- مَنْ ذَا فَدَيْتِكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ ۖ دَفَعْنَا إِذَا أَشْمَكْتَ عَلَيْهِ ضُلُوعُ
 قُلْتُ : بِنَفْسِي أَنْتَ وَاقِهِ ، مَنْ لَا يُكَلَّلُ وَلَا يُمَلَّ ! وَاقِهِ مَا جِئِلَ مِنْ فَيْهَكَ ، اِرْكَبْ
 بِنَا فَدَيْتَكَ نَفْسِي . قَالَ : أُمِّهَانِي كَمَا أُمِّهْلُكَ أَفِيضْ بَعْضَ شَأْنِي . قُلْتُ : وَهَلْ عَمَّا
 تَرِيدُ مَدْفَعٌ ! . قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّجَرَةِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ مَضَيْنَا وَالْقَوْمُ مُسْتَشِيرُونَ . فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ إِذَا
 الْغَرِيضُ يَنْفِيهِمْ :

- مِنْ خَيْلٍ حَتَّى لَا تَرَى مُغِيرَةً * سَمِعْتُ عَلَى شَرَفِ صَبِيلِ حِصَانٍ
 فَيَكِي أَبْنِ سَرِيحٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ نَزِجَتْ . قُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟
 جُمِلْتُ فِدَاكَ لَا يَسُوءُكَ اللَّهُ وَلَا يُرِيكَ سُوءًا ! قَالَ : أَبْكَانِي هَذَا الْخَنَثُ بِحَسَنِ
 خَنَاطِهِ وَجَبَّاحِ صَوْتِهِ ، وَاقِهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَفْنَى وَهَذَا الْمَصِيءُ حَتَّى ؛ ثُمَّ نَزَلَ وَاسْتَرَاحَ
 وَارْكَبَ . فَلَمَّا سَرْنَا هُنَيْةً أَنْدَفَعَ الْغَرِيضُ يَنْفَى لَمْ يَلْحَظْهُ :

- يَا خَلِيلُ قَدْ مَلِكْتُ قَوَائِي * بِالْمُصَلَّى وَقَدْ سَمِعْتُ الْبَقِيعَا
 بَلْفَانِي دِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى * وَأَرْجِمَانِي فَقَدَّهَوِيَّتُ الرِّجْوَا
 قَالَ : وَلِصَوْتِهِ دَوَى فِي تِلْكَ الْجِبَالِ . فَقَالَ أَبْنِ سَرِيحٍ : يَا بَنِي بَرَكَةَ ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا
 الْفَنَاءِ قَطُّ ؟ أَقَالَ : وَظَنُّوا إِلَيْنَا فَأَقْبَلُوا تَنَاسَوَى يَسْعَوْنَ أَغْطَانَهُمْ وَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ وَجْهَهُ
 أَبْنِ سَرِيحٍ . فَتَرَى قَانَامَ صَنْدَعٍ مَلَتًا ، وَالْغَرِيضُ لَا يَنْطِقُ بِحَرْفٍ ، وَأَخَذُوا فِي شَرَاهِمِ
 وَقَالُوا : يَا حَبِيبَ النَّفْسِ وَشَقِيقَهَا ، أَطْعَمَهَا بَعْضَ شَأْنِهَا . فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَبِيهِ فَأَنْزَجَ
 مِنْهُ مِضْرَابًا ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ وَوَضَعَ النُّوْدَ فِي حِمْرِهِ - فَلَمَّا رَأَيْتُ [يَدًا] أَحْسَنَ مِنْ يَدِهِ
 (١) فِي الْأَصُولِ : « وَاقِهِ لَا يَسُوءُكَ هَذَا وَلَا يَرِيكَ سُوءًا » . وَالصَّوْبُ مِنَ الْأَعْيَانِ .
 (٢) فِي الْأَعْيَانِ : « بَعْضُ مَنَاحَا » .
 (٣) كَمَا فِي الْأَعْيَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَلْ جَنْبَهُ » .
 (٤) الزِّيَادَةُ مِنَ الْأَعْيَانِ .

ولا خشبة تخيلت لي أنها جوهرة إلا هي - ثم ضرب فلقد صج القوم جميعاً؛ ثم غنى
فكل قال : لَيْتَكَ لَيْتَكَ ! فكان مما غنى به [واللهن له] مزج^(١) :

لَيْتَكَ يَا سَيِّدِي * لَيْتَكَ أَلْقَا مَدَنَا

لَيْتَكَ مِنْ ظَالِمَةٍ * أَحْبَبْتُهَا مَجْتَبِدَا

قُومِي إِلَى مَلْعَبِنَا * تَحِيَّ الْجَوَارِي الْخُرْدَا

وَضَعِ يَدِي فَوْقَ يَدِي * نَرْفَعُهَا يَدًا يَسَدَا

فكل قال : فعل ذلك ؛ فلقد رأيتنا نستيق أينما تقع يده على يده . ثم غنى :

مَا هَاجَ شَوْقَكَ بِالْعَرَاثِمِ * رَبْعُ أَحَالٍ لَأَلِّ عَاصِمِ^(٢)

رَبْعُ قَتَادِمِ عَهْدِهِ * هَاجَ الْمَحَبِّ عَلَى التَّقَادِمِ

فِيهِ النَّوَامُ وَالشَّبَا * بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَامِ

مِنْ كُلِّ وَاصِحَةٍ الْجِيَدِ * مِنْ عَمِيمَةٍ رِيَا الْمَعَاصِمِ

ثم غنى بقوله :

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَشَقَّتِ الْعَصَا * وَصَاحَ غِرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ

فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً * وَفِيهِ خَوْدُ كُلِّهَاةٍ غَضِيضُ

وَوَلَّيْتَ عَزُوزَ الْفُؤَادِ مُرَوَّعًا * كَكَيْفِيَا وَدُمُوعِي فِي الرِّدَاءِ يَغِيضُ

قال : فلقد رأيت جماعة من الطير وقعن بقربنا وما أئحس من قبل ذلك منها

شيئا . فقالت الجماعة : يَا نَعَامَ السُّرُورِ وَكَيْلَ الْمَجَالِسِ ، لقد سيعد من أخذ بحظه^(٣)

منك وخاب من حُرْمِكَ ، يَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَكَيْمَ الْنَفُوسِ جَلْنَا اللَّهُ فِدَاكَ ، غَنَّا .

فغنى :

(١) في الأغاني : « سج » . (٢) زيادة من الأغاني . (٣) في الأغاني :

« لَام مَام » . (٤) في الأصول : « بمطك » . والصواب من الأغاني .

يا هند إنك لو علمت • ست بآذلين نتابعا

قال : فبدرت من بينهم فقبلت عينه ، قهافت القوم عليه يقبلونه ، ولقد رأيته وأنا أرفعهم عنه شفقة عليه .

وكانت وفاة ابن سريج بالعلّة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان ابن عبد الملك أو في خلافة الوليد ، ودُفن في موضع يقال له « دسم » . رحمة الله عليه وعفاه عنه وغفر له . والحمد لله رب العالمين .

حكى أنه لما أحضر نظر إلى أخته نبكى فبكى وقال : إنه من أكبر همى أنت وأخشى أن تضيقى بمدى . فقالت : لا تخف فإغيت شيئا إلا وأنا أغنيه . فقال : هاتى ، فأندفعت فنتت وهو مصغ إليها . فقال : قد أصبت ما فى نفسى وهونت على أمرى . ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلى فزوجه إياها ، فأخذ أكثر غناه أيها وأتمهله .

ذكر أخبار معبد

هو معبد بن وهب ، وقيل : ابن قطنى . مولى ابن قطن ، وقيل : إن قطن مولى العاص بن اقصه المخزومى ، وقيل : مولى معاوية بن أبى سفيان . غنى معبد فى أيام بنى أمية فى أولائها ، ومات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بممود السرير والناس ينظرون إليها وهى تتدبه ويقولون شر الأحوص :

(١) دسم : موضع قرب مكة .

(٢) فى الأغنى (ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : « دابة » بالباء الموحدة .

قد لَمَرِي بَتْ لِي * كَأَنِّي الداءِ الوجيه
ونجى المم مِسْنِي * بات أدنى من نَجِيحِي
كلباً أبصرتُ ربّاً * خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيد كا * ن لنا غير مُضِج
لا تَلْمِنا إن خشنا * أو همّنا بخشوع

وكان معبد قد علمها هذا الصوت فتدبته به . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :
كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقاً ؛ وهو إمام
أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خائِر وتَسيط القارسي مولى عبد الله بن جعفر ،
وعن جميلة مولاة بَهْز (بن من بن سليم) . وفي معبد يقول الشاعر :

أجاد طُوَيْسٌ والسَّريجيُّ بعده * وما قصَّباتُ السُّبْقِ إلا لمعبد

وحكى أبو الفرج أيضاً :

أن الوليد بن يزيد أشتاق إلى معبد ، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره . فلما
بلغ الوليد قدمه أمر بركة مُلِث ماء ورد وخط بسك وزعفران ، ثم جلس الوليد
على حافة البركة وفُرش لمعبد مُقابله وضرب بينهما ستر ليس معهما ثالث . وجرى
بمعبد فقيل له : سلّم على أمير المؤمنين وأجلس في هذا الموضع ؛ فسلّم فردّ عليه من
خلف السجف ، ثم قال له : أتدري لم وجهت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين .
قال : ذكرك فاحببتُ أن أسمع منك . فقال له معبد : أغنى ما حضر أو ما يقترحه
أمير المؤمنين ؟ قال : [بل] عَنْ^(٢) :

ما زال يعلو عليهم رَيْبُ دهرهم * حتى تفانوا وريبُ الدهر علّاء

(١) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٨ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : «خفا» بالهاء .
المحبة وهو تصحيف . (٢) الزيادة عن الأغاني .

ففتاه . فرجع الجوارى السَّجَف ، ثم خرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها ، فأستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ، ثم شرب وسقى معبداً ثم قال له : غَنِيَّ يا معبد :

يَا رَبِّخْ مَالَكْ لَا تُجِيبُ مِنِّيَا * قَدْ عَاجَ نَحْوَكْ زَائِرًا وَمَسَلَمًا

جَادِلْتُكَ كُلَّ مَحَايَةِ هَطَالَةٍ * حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةٍ مَتَهَمًا ^(١)

لَوْ كُنْتُ تَعْرِى مِنْ دَعَاكَ أَجَبْتَهُ . * وَبَكَيْتُ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ إِذَا دَمَا

قال : ففتاه . وأقبل الجوارى فرغم السَّتْرَ ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبداً وقال له : غَنِيَّ يا معبد :

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتُنِي * أَنْدُبُ الرِّيعَ الْمَحِيلَا

وَاقْفَا فِي الدَّارِ أَيْكِي * لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا

كَيْفَ تَبْكِي لِأُنَاسٍ * لَا يَمْلِكُونَ الدَّمِيلَا ^(٢)

كَلِمَا قُلْتُ أَطْلَمَانْتُ * دَارُهُمْ جَدُّوا الرِّحِيلَا ^(٣)

قال : فلما غناه التقي نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبداً

وقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد حُظْوَةً عند الملوك فليكن أسرارهم . فقال : ^(٤)

ذَلِكَ تَمَّا لَا يَحْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِعْصَانِي بِهِ . فقال الوليد : يا غلام أحمل إلى

معبد عشرة آلاف دينار تحصيل له في بلده وأتني دينار لثقة طريقه ، فحُمِلَتْ

إليه كلها ، وحُمِلَ على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه في ذلك

المجلس خمسة عشر ألف دينار .

- (١) كذا في الأغاني . والزهرة : الهبة والفضارة والحسن . وفي الأصل : « ترى من زهره » .
وحسن المرحوم الأستاذ الشاذلي في نسخة من الأغاني : « يرى من زهره » . (٢) القليل : ضرب من السبر . (٣) في الأغاني (ج ١ ص ٥٤) : « قالوا » . (٤) أى كلف وقسم .

وقال أبو الفرج بسند رفيع :

إن معبدًا كان قد علم جاريةً من جوارى المجاز الفناء تدعى "طية"^(١) وعُني
بفخرها، فأشترها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ،
فأشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها ونهبت به كل مذهب وعلبت عليه ،
ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان ؛ فأخذ جواريه أكثر غنائها ،
فكان لحنه إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويظهر
التعصب له والميل إليه والتقديم لفنائه على سائر الأغاني من أهل عصره ، إلى أن
مُهرِف ذلك منه وبلغ معبدًا خبره . فخرج من مكة حتى أتى البصرة ؛ فلما وردها
صادفَ الرجلَ قد خرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز . فجاء معبدٌ في طلب
سفينةٍ ليمحله إلى الأهواز ، فلم يجدَ سفينةَ الرجل ، فركب فيها وكلامها لا يعرف
الآخر ، وأحدت السفينة . فلما صاروا بضم نهر الأبله^(٢) ، أمر الرجلُ جواريه بالفناء
فغَنَّ ، إلى أن غَنَّت إحدى صَوَاتٍ من غناء معبد فلم تُجدْ أداؤه ؛ فصاح بها معبد :
يا جارية ، إن غناؤك هذا ليس بمستقيم . فقال مولاها وقد غضب : وأنت
ما يدريك الفناء ما هو ! ألا تُسكِّ وتزَمُّ شأناك ! فأمسك . ثم غَنَّت أصوات من
غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلم حتى غَنَّت من غناؤه فأخَلَّت ببعضه ؛ فقال لها
معبد : يا جارية ، قد أخَلَّت بهذا الصوت إخلالا كثيرا . فغضب الرجل وقال له :
وبلك ! ما أنت والفناء ! ألا تُكف عن هذا الفضول ! فأمسك معبد . وعنى الجوارى

(١) في أكثر أصول الأغاني المخطوطة والمطبوعة : « طية » .

(٢) الأبله (بضم أمله وثانيه وشديد اللام وضحا) : اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى

في زارة الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، كما في صحيح البلدان لياقوت .

(٣) كذا في أكثر أصول الأغاني . وفي بعض أصوله : « لم لا تمسك ... » وفي الأصل ما :

« ... رأيت ما يدريك ما الفناء ما هو إلا أن تمسك ... » .

- ملئاً؛ ثم غت إحداهن صوتاً من غناؤه فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد :
يا ههه، أما تقومين على أداء صوت واحد! فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدعُ
هذا الفضول بوجه ولا حيلة! فأقسم بالله إن عاودت لأخرجك من السفينة .
فأمسك معبدٌ، حتى سكنت الجوارى سكنته، فاندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ
منه . فصاح الجوارى : أحسنت والله يارجل، فأعده . قال : لا والله ولا كرامة .
ثم اندفع يغنى الثاني؛ فقلن لسيدهن : ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسأله
أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً .
قال : قد سمعتن سوء رده عليكم وأنا خائف مثله منه، وقد استقبلنا بالإساءة، فأصبرن
حتى نذاريه . قال : ثم غنى الثالث فزول عليهم الأرض . فوشب الرجل فقبل رأسه،
وقال : يا سيدي أخطانا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : وهبك لم تعرف
موضعى، قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول .
فلم يزل يرقى به حتى نزل إليه، وكان معبدٌ قد أجلس فى مؤخر السفينة . فقال له
الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز، فن ابن أخذه
جواريك ؟ قال : أخذه من جارية كانت لى، كانت قد أخذت الغناء عن أبى عباد
معبد وكانت تحل منى مكان الروح من الجسد، ثم أسأثر الله بها وبقي هؤلاء الجوارى
وهن [من] تلميها، فانا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المنين جميعا، وأفضل
صنعتة على كل صنعة . فقال له معبد : وإناك لأنت هو ! أنتعري؟ قال لا .
قال : فصك معبد بيده صلته ثم قال : فانا والله معبدٌ وإليك قِدمت من الحجاز
ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز، وواجه لا قصرت فى جواريك

٢٠ (١) فى بعض أصول الأغاني : « اما تقوين » . (٢) الزيادة عن الأغاني .

(٣) فى الأصول : « فانه » والصواب عن الأغاني .

هؤلاء ولأجل ذلك في كل واحدة خلقاً من الماضية . فأكب الرجل والحواري على يده ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمت نفسك حتى جفوتك في المخاطبة وأسأنا عشرتك وأنت سيدنا ومن نتمنى أن نلقاه . ثم غير الرجل أبواب معبد وخلق عليه مدة خلغ وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وأنحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حذق جواربه ، ثم ودعه وأنصرف إلى الحجاز .

ذكر أخبار الغريص

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

هو عبد الملك ، وكنيته أبو زيد ، وقيل : أبو مروان . والغريص لقب لقب به ؛ لأنه [كان] طرى الوجه نصراً غص الشباب حسن المنظر ، فلقب بذلك .
والغريص : الطرى من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبّه بالإغريض وهو الجمار .
ثم نقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقيل : الغريص . وهو من موالدي البربر .
وولاه للتريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرضيا وقريبة وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . قالوا : وكان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب . وكان قبل النناء خياطاً . وأخذ النناء في أول أمره
عن حيد بن سريح ، لأنه كان قد خدمه ؛ فلما رأى ابن سريح طبعه وظرفه وحلاوة
منطقه ، خشي أن يأخذ غناؤه فيقبله عليه ويفوقه بحسن وجهه ، وحسده ، فأعتل
عليه وشكاه إلى موليائه ، وكفى دفعته إليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتحنن عليه ثم طرده .
فعرّف موليائه غرض ابن سريح فيه وأنه حسده ؛ فقلن له : هل لك أن تسمع

(١) القى في الأغاني (ج ٢ ص ٣٥٩ طبع دار الكتب المصرية) : «أبو زيد» .

(٢) الزيادة عن الأغاني . ٢٠

- نوحنا مل قلانا فئاخذء وفقئ علله ؟ قال نم . فاسمعنه المرائى فآخذناها ونرئج غناه علها . وكان بنوح مع ذلك فلدخل المائء وطررب دونه المئب ثم بنوح فلفقن كل من سمعه . فلما كثر غنائؤه عدل الناس إله لما كان فله من الشجاء ؛ فكان ابن سرج لا ففنى صوئا إلا عارضه فله فففى فله لنا آئر . فلما رأى ابن سرج موقع الفرلض اشءء علله وحصده ، فقئ الأرمال والأهزاج ، فآشهاها الناس . فقال له الفرلض : يا أباءى فصرء الفناء وحنفئه . قال : نم يا حنئ حن جملاء سوح على أبلك وألك . قال : ولم ففصل ابن سرج علله إلا بالسبق ، وأما غير ذلك فلا .

- وقال بعضهم : كان الفرلض أشهى غناء ، وابن سرج أحكم صعاء . وحنكى أبو الفرج الأصفهانى بسند رفمه إلى ألوب بن عبابة عن مولى لال الفرلض قال :
 ١٠ حذئى بعض مولىائى وقد ذكرن الفرلض فترحن طله وقلن : جاءنا يوما لحننا بحدث أنكراه علله ثم عرفناه بعد ذلك حقه . قالت : وكان ابن سرج فجوارنا فدفعناه إله ولقن الفناء ، وكان من أحسن الناس صوئا ، فقئن أهل مكة بمسن وجهه مع حسن صوته . فلما رأى ذلك ابن سرج نغاه عنه . فكان بعض مولىائه تعلمه النباحة فبرز فله . بفاهى يوما فقال : نهئى الجن أن أنوح وأسمعنى صوئا عجباء ، فقد أبئبئ علله لحننا فأسمعه منى ، فأندفع فقئ بصوئ عجباء فى شعر لمزار الأسدى :

حلفت لها بالله ما فبن ذى النضا « وهضب القنان من عوان ومن فكر

- (١) كذا فى الأغانى . وفق الأصول . « عدل الناس إله لشجاءه » .
 (٢) كذا فى الأغانى . وفق الأصل : « جلاءه » . (٣) كذا فى الأغانى . والقنان :
 ٢٠ جبل لئى أسد فله ما فدى الصلوة . وفق الأصل : « هضب القنان » وهو نحر فف .

أحب إلينا منك دلاً وما نرى * به عند ليل من ثواب ولا أجر
قالت : فكذبناه وقلنا : شيء فكر فيه وأخرج به على هذا الجنس . فكان في كل
يوم يأتينا فيقول : سمعت البارحة صوتاً من الجن يترجيع وتهطيط ، فقد بنيت عليه
صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نُنكر عليه . فإنا لكذلك ليلة
وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سمرنا فيه ليلتنا والغريصُ بضيتنا
بشعر عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

أمن آل زينب جد البكور * نعم قلائى هواها تصيرُ

(١٠٨)

إذ سمعنا في بعض الليل عَزَافاً عجيباً وأصواتاً ذعرتنا وأزعجتنا . فقال لنا الغريصُ :
إن في هذه الأصوات صوتاً إذا بُتِ سمعته وأصبح أبني عليه غنائى ، فأصغينا إليه
فإذا نعمته نعمة الغريص بينها ، فصعدناه تلك الليلة .

وكانت وفاة الغريص باليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز ،
وكان قد هرب من نافع بن علقمة لما ولي مكة من مكة إلى اليمن وأستوطنها
ومات بها .

والغريص أخبارٌ مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نُثبت في هذا
الموضع ، استقص عليه إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المترجم بالأغاني في أخبار
الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، بعد أن ساق قطعة من
أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهواها ويشبب بها في شعره ،
ثم قال في أثناء ذلك : لما قُدمت عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارثُ
وهو أمير مكة يومئذ ، وكان وليها من قبل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها :
إني أريد السلام عليك ، فإذا خف ذلك عليك أذنت ، وكان الرسولُ الغريصُ .

فأرسلت إليه : إنا حرم^١ ، فإذا أحلنا إذاك . فلما أحلت خرجت سرا على بظلمها ،
ولحقها الغريص^٢ بفسقان أو قريب منه ومعه كلاب الحارث إليها ، وفيه :

ما ضرَّكم لو قلتم سَدًّا * إن المطايا عاجلٌ غَدُها

ولها علينا نعمةٌ سَلَفَتْ * لسا على الأيام نجحدها

لو أتممت أسبابَ نعمتها * تمت بذلك عندنا يدُها

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ! . ثم قالت للغريص : هل أحدثت شيئا ؟ قال : نعم فأسمى ، ثم أندفع يغني في هذا الشعر . فقالت عائشة : والله

ما قلنا إلا سَدًّا ولا أردنا إلا أن نشتري لسانه ؛ وأستحسن الشعر ، وأمرت للغريص بخمسة آلاف درهم وأثواب^٣ ، [وقالت] : زدني . فغنى في قول الحارث

أيضا حيث يقول :

زعموا بأن البين بعد غد * فالقلب مما أحدثوا يحف

والعين منذ أجدد بينهم * مثل الجمان دموعها تكيف

نشكو ونشكو ما أشت بنا * كل بوْشك الين مُعترف

ومقالها ودموعها يُجْسم * أقلل حين تنصرف

فقالت عائشة : يا غريص ، بحق عليك أهو أمرك أن تفتني في هذا الشعر ؟ قال : لا وحياتك يا سيدي ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غنى

في [غير] شعره ؛ ففتأها بشعر عمر بن أبي ربيعة — وكان عمر قد سأله ذلك — فقال :

أجمعت خلقي مع الهجر يثنا * جلل الله ذلك الوجه زين

أجمعت بيننا ولم تك منها * لذة العيش والشباب قضينا

(١) في الأصل : « راقه ما قال » . والنصوب عن الأغاني (ج ٣ ص ٣٢٠ طبع دار الكتب

المصرية) . (٢) النكبة عن الأغاني .

فَوَلَّتْ مُوْمَلًا وَأَسْتَقَلَّتْ * لَمْ تُثَلِّ طَائِلًا وَلَمْ تَقْصُ دِينًا
وَلَقَدْ قَلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَمَّا * أُرْسِلْتُ تَهْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَا
أَنَّهُمُ اللَّهُ بِالرُّسُولِ الْقَدِيِّ أُرْ * سِلَ وَالْمُرْسِلِ الرِّسَالَةَ عَيْنَا

قال: فضحكت ثم قالت: وأنت يا غريض فأنهم الله بك عينا وأنهم بآبن أبي ربيعة عينا، لقد تطلعت حتى أدبت^(١) إلينا رسالته، وإنا وفاء له لما يريدنا رغبة فيك وثقة بك. وكان عمر سال الغريض أن يغنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لما غضبت بنو تميم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها. فقال له عمر بن أبي ربيعة: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فك خمسة آلاف درهم، فوق له، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم. ثم أنصرف الغريض من عندها، فلحق طائكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت في تلك السنة؛ فقال لها جوارها: هذا الغريض. فقالت لمن: على به؛ فلقن به إليها. قال الغريض: فلما دخلت سلمت فودعت على^(٢) وسألتني عن الخبر، فقصصته عليها. فقالت: غني بما غنيتها به، فقلعت؛ فلم أرها تهش لذلك؛ فغنيتها معرضا ومذكرا بنفسي في شعر مرة بن سحكان السعدي يخاطب أمراءه وقد نزل به أضياف:

أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشَى ذِمَّتِهِ * عَلَى الْكَرِيمِ وَحَقُّ الضَّيْفِ قَدْ وَجَا
بَارَبَةِ الْبَيْتِ قُوًى غَيْرَ صَاغِرَةٍ * مُخَيَّ إِلَيْكَ رِجَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرَبَا
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ * لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظُلُمَانِهَا الطُّبَا
لَا يَنْبِغُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ * حَتَّى يَلْقَى عَلَى خَيْشُومِهِ النَّبَا

(١) كما في الأغاني. وفي الأصل: «دم لقت».

(٢) كما في الأغاني (طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «فأقصصته».

(٣) القناعة (فتح الدال وكسر الهاء): القصة والعهد.

فَقَالَتْ وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ : نَعَمْ وَقَدْ وَجِبَ حَقُّكَ يَا غَرِيضُ ، فَفَتْنَيْهَا :

يَادْهَرُ قَدْ أَكْثَرَتْ بَجَعَتَنَا ^(١) * بَسْرَاتِنَا وَوَقَرَتْ ^(٢) فِي الْعَظَمِ

وَسَلَبَتْنَا مَا لَسَتْ تُحْلِفُهُ ^(٣) * يَادْهَرُ مَا أَنْصَفَتْ فِي الْحُكْمِ

لَوْ كَانَتْ لِي قَرْنٌ أَنَا ضِلُّهُ * مَا طَاشَ عِنْدَ حَفِيفَةٍ سَهْمِي

لَوْ كَانَ يُعْطَى النِّصْفُ قُلْتُ لَهُ * أُرْزِزَتْ قِسْمُكَ فَأَلَّهُ عَنِ قِسْمِي

فَقَالَتْ : تُعْطِيكَ النِّصْفَ فَلَا يَضِيعُ سَهْمُكَ عِنْدَنَا وَتُجْزَلُ لَكَ قِسْمُكَ ، وَأَمَزَتْ

لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَثِيَابَ عَدَنِيَّةٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْطَافِ . قَالَ الْغَرِيضُ : فَأَتَيْتُ

الْحَارِثَ بْنِ خَالِدٍ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ مَا أَمَرْتَا لِي

جَمِيعًا ، وَأَتَيْتُ أَبْنَى أَبِى رُبَيْعَةَ فَأَعْلَنَتْهُ بِمَا جَرَى ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ

أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِمِثْلِ مَا أَنْصَرَفْتُ بِهِ : نَظَرْتُ مِنْ مَائِسَةٍ ، وَنَظَرْتُ مِنْ مَائِكَةٍ — وَهَمَا

أَجَلُ نِسَاءِ طَائِفَتِهِمَا — وَبِمَا أَمَرْتَا لِي بِهِ ، وَالْمُتَزَلَّةُ عِنْدَ الْحَارِثِ — وَهُوَ أَمِيرُ مَكَّةَ —

وَأَبْنَى أَبِى رُبَيْعَةَ وَمَا أَجَازَانِي بِهِ جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ .

وَلِتَصِلَ هَذَا الْفَصْلَ بِشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ مَائِسَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ

يَذْكُرُ .

١٥ هِيَ مَائِسَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بِنْتُ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ

سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ . وَأُمُّهَا أُمُّ كَلْتُومَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَكَانَتْ مَائِسَةُ

لَا تَسْتَرُ وَجْهَهَا مِنْ أَحَدٍ . فَصَاتِبُهَا مُصْغَبٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

وَسَمَّيْتُ بِمِيسَمَ جَمَالَ أَحَبُّتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ فَسَا كُنْتُ لِأَسْتَرَهُ ،

وَوَاقَهُ مَا فِيَّ وَصِيَّةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ .

٢٠ (١) فِي الْأَصُولِ : « كَثُرَتْ بَجَعَتُنَا » . وَالنَّصُوبُ مِنَ الْأَغَانِي وَلِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ « وَقَرَّ ») .

(٢) وَقَرَّ الْعَظَمُ : مَدَحُهُ . (٣) فِي الْأَمَلِ : « مَا كُنْتُ » وَالنَّصُوبُ مِنَ الْأَغَانِي .

(٤) النِّصْفُ (مِثْلَةُ) : اسْمٌ بِمَعْنَى الْإِنْصَافِ .

قال أبو الفرج الأصمباني : وكانت مِرْسَةً لِحُلُقَى ، وكذلك نساء بني نيم ، هن
أشرفُ خلق الله خلقًا وأحفظهم عند أزواجهم . قال : وآلت عائشةُ من زوجها
مصعب بن الزبير ، فقالت : أمت على كظهر أمي ، وقعدت في غرفة وحيات
ما يُصلحها . فجهد مصعبُ أن تكلمه فابت . فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسأها
كلامه . فقالت : كيف يعني ؟ فقال : ما هنا الشَّعْبِيّ فقيه أهل العراق فاستفتيه .
فدخل الشَّعْبِيّ عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم .
وحكى أبو الفرج أنه مصعب بن الزبير لما عزم على زواج عائشة بنت طلحة ،
جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وسعيد بن العاص إلى عزة
الميلاء . وكانت عزة هذه يالقها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات ، وكانت
من أنظر الناس وأعلمهم بأمور النساء — فقالوا لها : إنا خطبتنا فأ نظري لنا .
فجالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ، ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة .
قالت : فانت يا ابن أبي أحيحة ؟ قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت :
فانت يا ابن الصديق ؟ قال : أم الميثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : يا جارية ،
هاتني منقلى (نصف غنما) ، فليستهما ونريحت ومعها خادم لها ، فبدأت بعائشة بنت
طلحة ، فقالت : فديتك ، كفا في مادبة أو ماتم لقريش ، فذاكروا جمال النساء
وحلقهن فذكرك فلم أدركك أصفك ، فديتك ، قالني ثيابك ، ففعلت فأقبلت
وأدبرت فأرتج كل شيء منها . فقالت لها عزة : خذني ثوبك . فقالت عائشة :
قد قضيت حاجتك وبيت حاجتي . فقالت عزة : وما هي ؟ فديتك ! قالت :
تفتني صوتا . فأندفعت تغني لحنها في شعر لجبل بن عبد الله بن معمر الطبري :
خيل لي عوجًا بالمحلة من جميل * وأترابها بين الأصغر والجليل
تقف بمغان قد عفا رصمها الليلى * تعاقبها الأيام بالريح والوبل

①

فلودرج النمل الصغار يجلدها * لانتذب أعلى جلدها مَدْرَجُ النمل
وأحسن خلق الله جيداً ومُقلَةً * تُسَبِّه [في النسيان بالشاذين الطفل]^(١)

- فقبلت عائشة ما بين عينها ودعت لها بعشرة أبواب وطرائف من أنواع الفضة،
فدفعته إلى مولاتها . وأنت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لمن . ثم أنت القوم
في السقيفة . فقالوا : ما صنعت ؟ فقالت : يابن أبي عبد الله ، أنا عائشة فلا والله ما رأيت
مثلاً مُقِلَّةً ولا مُدْبِرَةً ، عَطْلُوتُهُ^(٢) المتين ، عظيمة العبيزة ، ممثلة الترائب ، نقيّة
الثغر وصفحة الوجه ، فرطاء الشعر ، ممثلة الصدر ، نحيصة البطن ذات عكبي ، ضخمة
السرة ، مُسْرُولَةُ الساق ، يربح ما بين أعلاها إلى قدمها ؛ وفيها عيان ، أما أحدهما
فيواريه إيماناً ، وأما الآخر فيواريه الخُف : عِظْمُ الأذن والقدم . وكانت عائشة بنت
طلحة كذلك . ثم قالت عزة : وأما أنت يابن أبي أحيّة فإني والله ما رأيت مثل
خَلْقِ عائشة بنت عثمان لأمرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكانت أفرغت إفراغاً
ولكن في الوجه رقة ، وإن استَشَرَّتْني أشرتُ عليك . قال : هات . قالت : عليك
بوجه تستأنس به . وأما أنت يابن الصديق : فوالله ما رأيت مثل أم المهيم ، كأنها
خُوط بانه تنثني ، أو كأنها جانٌ يتثنى على رمل ، لو شئت أن تعقد طرفيها لفعلت ،
ولكنها شَحْنَةُ^(٣) الصدر وأنت عريض الصدر ، فإذا كان كذلك كان قبيحاً ، لا والله
حتى يلا كل شيء مثله . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

- وحكى أبو الفرج أيضاً : أن مصعب بن الزبير إنما تزوجها بعد عبد الله بن
عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال : وكانت عائشة بنت طلحة تُسَبِّه بجاتها عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها ، فزوجتها عائشة من ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو

(١) الحكمة من الأغاني (ج ١٠ ص ٥٥ طبع بولاق) .

(٢) عطلوة المتين : ملودتها . (٣) شحنة الصدر : دقيقه .

أول من تزوجها . ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران وبه كانت تُكنى ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكل من هؤلاء عقيب . وأنا من عقيب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث ابن طلحة . وليس هذا موضع سرد نسبي فأمرده .

قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مغضبة تريد عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها . فراها أبو هريرة فسبح الله تعالى وقال : كأنها من الحور العين . فحككت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر . وكان عبد الله قد آلى منها ؛ فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء ؛ فضمها إليه وكان مؤليا منها . فقيل له : طلقها ؛ فقال :

يقولون طلقها لأصبح ثويا * مقيما على المسم ، أحلام تائم
وإت فراق أهل بيت أحبهم * لهم زلفة عندى لإحدى العظام

ووثق عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فما قصت فأها عليه ؛ وكانت عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها تعذ هذا عليها فى ذنوبها التى تملأها . ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، ففهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك .

وكانت عائشة تمتنع على مصعب فى غالب الأوقات . فحكى أنه دخل عليها يوما وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبها وثر اللؤلؤ فى حجرها . فقالت : نومتى كانت أحب إلى من هذا اللؤلؤ . ولم تزل حاملة معه على مثل ذلك حتى شكها ذلك الى كاتبه ابن أبي قروة . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنت لى . قال : نعم ! افعل ما شئت . فأتاها ليلا ومعه أسودان فاستاذن عليها . فقالت : أفى

(١) كما فى الأغاني . وفى الأصل : « وبه كان يكتى » .

(٢) فى الأصول : « ملق فيها » . والتصويب عن الأغاني .

مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ؛ فأذنت له فدخل . فقال للأسودين : أحفرا هاهنا
 بئرا . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبر ؟ قال : شؤم مولائك ، أمرني هذا العالم
 أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فأنيظرنى أنهب
 اليه ؟ قال : هيئات لاسيلا إلى ذلك ، وقال للأسودين : أحفرا . فلما رأت الحد
 منه بكّت وقالت : يابن أبي فروة ، إنك لقاتل ما منه بد ؟ قال : نعم ، وإنى لأعلم
 أن الله عز وجل سيخزيه بذلك ، ولكنه قد غَضِبَ وهو كافر الغضب . قالت :
 وفي أى شيء غضبه ؟ قال : من امتناعك عليه وقد ظن أنك تُبْغِضِينِه وتُطْلَعِينِ إلى
 غيره ، فقد جُنّ . فقالت : أَسْأَلُكَ اللهَ إِلَّا عاودته . قال : أخاف أن يقتلنى ، فبكت
 وبكى جوارها . فقال لها : قد رَقَعْتُ لك وحلف لها إنه يقرّر بنفسه ، وقال لها :
 فما أقول ؟ قالت : تَصْنَعُ له عَنَى أنى لا أعود أبداً . قال : فالى عندك ؟ قالت :
 قيامُ بحَقِّك ما عِشْتُ . قال : فأعطينى المواثيق فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما .
 وأتى مصعباً فأخبره . فقال : أستوثق منها بالأيمان ؛ فأستوثق منها ففعلت ، ووصلحت
 بعد ذلك لمصعب .

قال : وكان مصعب من أشد الناس إعجاباً بها . ولم يكن لها شبيه في زمانها حسناً
 وديانةً وجمالاً وهيئةً وشارةً وعِفَّةً . وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش ، فلما جئنها
 اجلسن فى مجلس قد نُصِدَ فيه الرِيحان والفواكه والطيب والمجامر ، وضلعت كل
 كل امرأةٍ منهن خلعة من الوشئ والحز ونحو ذلك ، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها
 مثل ذلك واضمحنت ؛ ثم قالت لعزة : هايت يا عزة ففتيتنا . ففتنت فى شعر
 أمرئ القيس فقالت :

وفتر أغر شبيب اللثات * لذيذ المقبل والمُبْتَمِّم

وما ذقته غير ظرف به * وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوان له ، فقام فأنتقل حتى دنا منهن والمستور مُسَبَّله ، فصاح بها : يا هذه ، إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت ، فبارك الله فيك يا عزة . ثم أرسل إلى عائشة : أنا أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك ، وأما عزة فتأذين لما أن تفتننا هذا الصوت ثم تعود إليك ، ففعلت ونحريت عزة اليهم ففتنهم هذا الصوت مراراً ، وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزة ، إنك لثخينتين القول والوصف ، وأمرها بالموء إلى مجلسها .

قال : ولم تزل عند مصعب حتى قُتل عنها . فخطبها بشر بن مروان ، وقدم عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فزل الكوفة ، فبلغه أن بشرًا خطبها ، فأرسل إليها جارية لها وقال : قولي لأبنة عمي : ابن عمك يترك السلام ويقول لك : أنا خير لك من هذا المسوسر المظحول ، وأنا ابن عمك أحق بك ، وإن تزوجت بك ملأت بك خيراً . فترجته فبنى عليها بالحيرة ، فهدت له سبعة أفريشة عرّضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنى بها عن تسعة . فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص ، فديتك ! قد كُتبت في كل شيء حتى في هذا . وقيل إنه لما تزوجها حمل إليها ألف ألف درهم ، ثعمائة ألف مهر ، وثمانمائة ألف هدية ، وقال لمولاتها : لك على ألف دينار إن دخلت بها الليلة ، وأمر بالمال فحُمِلَ فأُلقي في الدار وغطى بالثياب ؛ ونحريت عائشة فقالت لمولاتها : ما هذا ؟ أفرك أم ثياب ؟ قالت : أنظري إليه ؛ فنظرت فإذا هو مال ، فبست . فقالت الجارية : أجزأ من حمل هذا المال أن يبيت عزياً ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أترن له وأستعد . قالت : وماذا ؟ فواجه لوجهك أحسن من كل زينة وما تمدن يديك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فراش إلا وهو عندك ، وقد عزمت عليك أن تأذني له .

فَقَالَتْ : أَصْلَى . فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ : بَيْتُ بِنَا اللَّيْلَةَ . بِغَاءِهِمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ
فَأَدْنَى إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ الطَّعَامَ كُلَّهُ حَتَّى أَعْرَى الْخُلْوَانَ وَغَسَلَ يَدَهُ وَسَالَ عَنْ الْمُتَوَضَّأِ
فَأَخْبَرَهُ ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ وَقَامَ يَصَلِّي حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَنَمْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَعَلَيْكُمْ أَذْنٌ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ فَأَدْخُلْ ، فَأَدْخَلْتُهُ وَأَسْبَلْتُ السُّتْرَ عَلَيْهِمَا . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ
فَقَالَ : أَتَقُولِينَ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاقِهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ! فَضَحَكَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى
مَنْكِبِ عَائِشَةَ وَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ أَبْنَ عَمِّكَ ؟ فَضَحَكَتْ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ :
قَدْ رَأَيْتُكَ فَلَمْ تَحُلْ لَنَا * وَبِلَوْلَاكَ فَلَمْ تَرْضَ الْخَبْرَ

(١١٦)

وَمَكَثَتْ عَائِشَةُ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ثَمَانِي سِنِينَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ .
وَلَمَّا مَاتَ نَدَبَتْهُ قَائِمَةٌ ، وَلَمْ تَنْدُبْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنْ أَزْوَاجِهَا إِلَّا جَالِسَةً . فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ
فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ أَكْرَمَهُمْ عَلَيَّ وَأَمْسَمُ بِهِ رَجُلًا ، فَأَرَدْتُ أَلَّا أَتْرُجِعَ بَعْدَهُ . وَكَانَتْ
الْمَرْأَةُ إِذَا نَدَبَتْ زَوْجَهَا قَائِمَةٌ لَا تَتْرُجِعُ بَعْدَهُ أَبَدًا . وَلَمْ تَتْرُجِعْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بَعْدَ
زَوْجِهَا عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَمِنْ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى يُزَيْدِ
أَبْنِ عِيَّاضٍ ، قَالَ :

إِسْتَأْذَنْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ يُزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي الْحَجِّ ، فَأَذِنَ لَهَا وَقَالَ :
أَرَفِي حَوَائِجَكَ وَأَسْتَظْهِرِي ، فَإِنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ تُحْجُّ ، فَفَعَلْتُ وَتَهَيَّأْتُ بِهَيْئَةٍ
جَهَلْتُ فِيهَا . فَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِذَا مَوْكِبٌ قَدْ جَاءَ فَضَغَطَهَا وَفَرَّقَ
بِجَمَاعَتِهَا ، فَقَالَتْ : أَرَى هَذِهِ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، فَسَالَتْ عَنْهَا ، فَقَالُوا : هَذِهِ جَارِيَتُهَا .
ثُمَّ جَاءَ مَوْكِبٌ آخَرُ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : عَائِشَةُ عَائِشَةُ ، فَضَغَطَهُمْ فَسَالَتْ عَنْهَا ،

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي (ج ١٠ ص ٦٠ طبع بولاق) . رَفِيَ الْأَصْلُ : « فَضَضْنَاهَا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « خَازِنَتُهَا » .

فقالوا : هذه ما سيطئها . ثم جاءت مواكب على هذا لحاشيتها ، ثم أقبلت في ثمانية راحلة عليها القباب والمواذج ؛ فقالت عائكة : ما عند الله خير وأبقى . قال : ووقلت عائكة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك ، فقال لها : ما أوفدك ؟ قالت : حبست السماء مطرها ومنع السلطان الحق . قال : فانا أصل رحمك وأعرف حَقَّك . ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائكة عندي فأسمروا عندي الليلة فحضروا ؛ فما تناكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجم ولا غار إلا أستمته . فقال لها هشام : أما الأثيل فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت : أخذته عن خالي عائكة رضى الله عنها ؛ فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المنيعة .

قال : ولما تأيكت عائكة كانت تحميم بمكة سنة وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالها بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتتزه وتجلس فيه بالعشبات ، فتتناضل بين [يلبها] ^(٣) الرؤاة . فترى القميري الشاعر ، فسالت عنه فأنسب لها ؛ فقالت : أشؤني به ، يخفى به . فقالت له : أنشدني مما قلت في زينب ؛ فأمتنع وقال : بنت عمي وقد صارت عظاما بالية . قالت : أقسمت عليك لما فعلت ؛ فأنشدتها قوله :

تَزَلْنِ بِفَخٍّ ثُمَّ رَحْنٍ عَشِيَّةٍ * يُلْبِنُ لِلرَّحْمَنِ مَعْتِمِرَاتِ
يُخْرِنُ أَطْرَافَ الْأَكْفِ مِنَ التَّقَى * وَيَخْرُجْنَ جُنْعَ اللَّيْلِ مَعْتِمِرَاتِ ^(٥)
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ الْقَمِيرِيِّ رَاعِمًا * وَكَتَنَ مِنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ حَذَايَا
تَضُوعُ مَسْكَا بَلَنْ تَمَلَّانِ أَنْ مَشَتْ * بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ خِفَرَاتِ

(١) هكذا بالأصول . وفي الأغانى : «أخفتها» .

(٢) هكذا بالأغانى . وفي الأصل : «مقبة» . (٣) زيادة يقتضها السياق .

(٤) اسم واد بمكة . (٥) في الكامل للبرد (ص ٢٩٠ طبع أوروبا) ورد هذا البيت هكذا :

يَخْرِنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى * وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مَعْتِمِرَاتِ

- وزينب هذه هي زينب بنت يوسف الثقفى أخت الحجاج، وكان النخعي يهاها ويُشَبِّبُ بها، وله معها أخبارٌ يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها — قال : فقالت له عائشة لما أنشدتها هذا الشعر : والله ما قلت إلا جميلاً، ولا وصفت إلا كرمًا وطيبًا ودينًا وثقى، أعطوه ألف درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها، فقالت : على به ، فجاء فقالت له : أنشدنى من شعرك فى زينب ؟ قال :
- فأنشدك من قول الحارث فيك . فوثب مواليا إليه ، فقالت : دعوه فإنه أراد أن يستعيد لكينة عمه ، هات ، فأنشدتها :

(١١٦)

- ظَنَنْتُ الأَمِيرَ بِأَحْسَنِ الخَلْقِ * وَغدا بِبَيْتِكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ
وَتَشْوَى تُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا * نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوَى بِالْوَسْقِ
ما صَبَحْتُ زَوْجِيًا بِطَلْعَتِهَا * إِلَّا غدا بِكواكِبِ الطَّلَاقِ
بِضَاءٍ مِنْ تَمِّ كَلَفْتُ بِهَا * هَذَا الجَنُونَ وَلَيْسَ بِالعَشِيقِ

١٠

فقالت : والله ما ذكر إلا جميلاً ، ذكر أنى إذا صبحتُ زوجاً بوجهى غدا بكواكب الطلاق ، وأنى غدوتُ مع أمير تروجنى الى الشرق ، أعطوه ألف درهم وأكسوه حُتَيْنِ ولا تُمدَّ لِيَتَيَانُنَا يانعميرى ؛ والله أعلم [ولترجع إلى أخبار المفتين] .

١٥

ذكر أخبار محمد بن عائشة

يكنى أبا جعفر ولم يكن له أبٌ يعرف فُنِيبَ الى أمه ، وكان يزعم أن أسمه أبيه جعفر . وعائشة أمه مولدةٌ لكثير بن الصلت الكندى حليف قريش ، وقيل : هى مولدة لآل المطلب بن [أبي] وداعة السهمي . وقال ابن عائشة — وقد سأله

(١) هذه الزيادة لى إحدى النسخ .

(٢) الزيادة عن الأفاق (ج ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

الوليد بن يزيد فقال : يا محمد البغيّة أنت؟ ^(١) — : كانت أوى يا أمير المؤمنين ماشطةً وكنت غلاماً، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت : أرفعوا هذا لابن عائشة، فنلبت على نسي . قالوا : وكان ابن عائشة يقفن كل من سمعه ، وكان قتيان ^(٢) [من] المعينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته وبجالسته . وأخذ عن معبد ومالك بن أبي السَّمْع ، ولم يموتاً حتى ساواهما على تهديده لهما وأعرافه بفضلهما . وكان تيّاهاً سيّ الخلق ، إن قال له إنسان : تخنّ قال : أئتملّ يقال هذا ! فإن غنى وقال له إنسان : أحسنت ، سكنت ، فكان قليلاً ما يُتَضَع به .

وكان ابن عائشة منقطعاً إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مُكرِّماً له . فإله الحسن أن يخرج معه إلى البُغْيَةِ ^(٣) ، فأتبع ابن عائشة ، فأقسم عليه وأظهر الخد . فلما حان ما ظهر عليه قال : أخرج طائفاً لا كاريها ، فأمر له ببغلة فركبها ومضياً إلى البُغْيَةِ ، فترا الشَّعب ثم أكلوا . وقال له : غنى ، فأنفع فناء صوتاً فاستحسنه . فقال ابن عائشة : والله لا غنيّتك في يومى هذا شيئا . فأقسم الحسن ألا يفارق البُغْيَةَ ثلاثة أيام . فأغم ابن عائشة ليمته ويدم . فلما كان في اليوم الثاني قال له : غنى فقد برت يمينك ، فنظر إلى ناقة تقدّم جماعة إلى فأنفع يبنى :

تَمَسَّرَ بِكُنْزِ الدِّلَةِ المُنَجِّبَةِ * فِي يَوْمِي بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ

وهي أبيات لأمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حماراً وحشياً ، والبيت « يمر » بالياء . وقيل : سال العقيق مرةً فدخل عَرَصَةً سعيد بن العاص [الماء] حتى ملاها ،

(١) في الأصل بعد هذه العبارة : « قال » وهي مكررة مع قوله : « وقال ابن عائشة » .

(٢) رواية الأغاني (ج ٢ ص ٦٢) « قالوا » .

(٣) الزيادة عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ضيعة بالمدنية أرمين غزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما في القاموس .

(٥) الزيادة عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .

نخرج الناس إليها ، وخرج ابن عائشة فجلس على قرن البئر . فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن على بظلة ومعه غلامان أسودان ، فقال لهما : امضيا رويدا حتى تهفأ بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة قال : بخير . قال : أنظر من تحتك ، فنظر فإذا العبدان . قال : أتصرفهما ؟ قال : نعم . قال : فهما حران لئن لم تُغني مائة صوت لأمرتكما بطرحك في البئر ، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما . فاندفع ابن عائشة وغنى بشعر المحدثين :

(١١)

أَلَا هَـ ذَكَرَ مِنْ * قَتَى قُومٍ إِذَا رَهَبُوا

وَقَالُوا مَنْ قَتَى لِحَر * ب يَرْقُبْنَا وَيَرْقُبُ

فَكُنْتُ نَسَامُ فِيهَا * إِذَا تُدْعَى لَهَا تَلْبُ

ذَكَرْتُ أَحَى فَعَاوِدِي * صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ

كَمَا يَتَأَدُّ ذَاتَ الْبُؤْسِ بَعْدَ سَلَوَا الطَّرْبُ

عَلَى عَبْدِ بْنِ زُهْرَةَ بَتْ طُولَ اللَّيْلِ أُنْتَجَبُ

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رقيه إلى حماد الراوية :

أن الوليد بن يزيد استقدمه من العراق إلى الشام على كواب البريد . وكان

مما حكاه عنه قال : قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى مَرِيرٍ مُمْتَدٍّ وَعَلَيْهِ

ثَوْبَانِ أَصْفَرَانِ وَعِنْدَهُ مَعْبِدٌ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ وَأَبُو كَامِلٍ مَوْلَاهُ ، فَأَسْتَنْشَدْنِي :

* أَمِنْ الْمُنُونِ وَرِيهَا تَتَوَجَّعُ *^(١٢)

(١) كذا في الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٦) وفي الأصل : « فهما أرادان لم تكن مائة صوت لأمرهما

بطرحك في البئر وهما حران لئن لم يفعلا لئن لم أقطعن أيديهما » .

(٢) في الأصل : « قرتب » والصحيح عن الأغاني وديوان المحدثين

(٣) ويرى : « ودي » وكلاهما صحيح ، لأن المتن يذكر وديت .

فأنشدته حتى أتيت على آخرها . ثم قال : يا مالك ، غنني :

الآهل هاجك الأنظما * ن إذ جاوزن مظلما

فغناه . ثم قال : غنني :

جلا أمة عني كل مظلمة * سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدنا

فغناه . ثم قال : غنني :

أتسمى^(١) إذ تودعنا سليبي * يهرج بشامة ، مقي البشام !

فغناه ؛ ثم أتاه الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، الرجل الذي طلبت بالباب ،

فأذن له فدخل شاب لم أر أحسن وجهاً منه . فقال له : غنني :

وهي إذ ذاك عليها ميثر * ولما يت جوار من لعب

فغناه ، فنبذ إليه الثوبين ، ثم قال : غنني :

طاف الخيال فرحاً * ألقا برؤية زينبا

فغضب مبعده وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقلون عليك بأقدارنا وأسانتنا وإنك

تركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي . فقال : يا أبا عبد ، ما جهلت قدرك

ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحنى في مثل الطنجير من حرارة غناه . قال حماد :

فسألت عن الغلام فقيل لي : هو ابن عائشة .

وحكى عن شيخ من تنوخ قال : كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد ، فرأيت

ابن عائشة عنده وقد غناه :

إني رأيت صبيحة النقر * حوراً قعين عزيمة الصبر

مثل الكواكب في مطالعها * بعد العشاء أطفن بالبدر

(١) رواية السان : « أتذكر » بدل « أتسمى » . وروى بوجه آخر والشعر بطرير :

* أتذكر يوم تصقل عارضها *

ونجحت أبنى الأبرمحتسيا * فرجعت موفوراً من الوزر

فطرب الوليد حتى كفر وألحد، وقال : يا غلام، أسيقتا بالماء السابعة، ثم قال :
أحسن الله والله يا أميري، أعد بحق عبد الشمس فأعاد، ثم قال : أحسنت يا أميري
واقه، أعد بحق أمية فأعاد، ثم قال : أعد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسه،
فقال : أعد بحياتي فأعاده ؛ فقام فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله ؛
ثم تزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجزدا إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار
وحمله على بغلة وقال : أركبها بأبي أنت وأنصرفت، فقد تركتني على مثل المقل من
حرارة غنائك . فركبها على بساطه وأنصرف .

وحكى أيضا أن ابن عائشة أنصرف من عند الوليد وقد غناه :

١٠ أبسلك مغللاً أرجو وحصناً * قد أعيتني الماقل والحصون^(٢)

فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار كسوة . فبينا ابن عائشة يسير
إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى، وكان يشتهي الفناء ويشرب النبيذ، فقال
لغلامه : من هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المقتى ، فدنا منه فقال : جعلت
فداك ! أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا أنا مولى لقريش وطائفة أمي، وحسبك
هذا . قال : وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والخسوة ؟ قال : غنيت أمير
المؤمنين صوتاً فاطربه فكفرت وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة .
قال : جعلت فداك ! فهل تمسك على أن تسميني ما أسميته إياه ؟ فقال : ويلك !

(١) في الأغانى (ج ٢ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية) : « الزاينة » .

(٢) كذا في الأغانى (ج ٢ ص ٢٢٧) . وفي الأصل : « وراحتي » .

(٣) انصاره الذي يحوز الثياب ويدفها . والكارة : ما يملأه من الثياب . قال صاحب اللسان :

وسميت بذلك لأنه يتكرر ثيابه في ثوب واحد ويملأها فيكون يفضها على بعض .

أمثلي يكلم بهذا في الطريق! قال: فما أصنع؟ قال: ألحقني بالباب . وحرك ابن عائشة
 بقلته ليحطّط عنه ، فلما معه حتى واثيا الباب كفرتمني رهان . ودخل ابن عائشة
 فكث طويلا طمعا ان يضجر فينصرف ، فلم يفعل حتى أعياه . فقال لغلامه :
 أدخله ، فلما دخل ، قال له : ويك ! من أين صبك الله عليّ ! قال : أنا رجل من
 أهل وادي القرى أشتى هذا الغناء . فقال له : هل لك فيما هو أرفع لك منه ؟ قال :
 وما ذاك ؟ قال : ماثا دينار وعشرة أثواب تصرف بها إلى أهلك . فقال له : جئت
 فداك ! واثقه إن لي بنية ما في أذننا — علم الله — حقة من الوريق فضلا عن الذهب ،
 وإن لي زوجة ما عليها — شهد الله — لبيص ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به
 أمير المؤمنين على هذه الحالة والفقر اللذين عرفتكهما وأضعفت لي هذا لكان
 الصوت أعجب إليّ . فتعجب ابن عائشة وغناه الصوت ، فجعل يترك رأسه
 ويضطرب له طربا شديدا حتى ظن أن عقه ستقصف ، ثم خرج من عنده ولم يرزأه
 شيئا . وبلغ الخبر الوليد بن يزيد ، فسأل ابن عائشة عنه ، فجعل يفيب عن الحديث ؛
 فلم يزل به حتى صدقه الحديث ، فطلب الرجل ، فطلب حتى أحضر إليه ووصله
 صلة سليمة وجعله من ندائه ووكله بالسقي ، فلم يزل معه حتى قتل رحمه الله .

ومن عليّ بن الجهم الشاعر قال : حدثني رجل أن ابن عائشة كان واقفا
 بالموسم مهجرا^(١) . فتر به بعض أصحابه فقال : ما يقيمك هاهنا ؟ قال : إني أعرف
 رجلا لو تكلم لحبس الناس هاهنا فلم يذهب أحد ولم يبق . فقال له الرجل : ومن
 ذاك ؟ قال : أنا ؛ ثم أنذع يتي :

جرت سُنَمًا فقلت لما أجزى • نوى مشجولة فتى اللقاء
 بنفسي من تذكره سقام • أطايه ومطلبه عناء

(١) في الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٨ طبع دار الكتب المصرية) : « ضيرا » .

قال : فحبس الناس وأضطربت المحامل ومدّت الإبل أعناقها، فكادت الفتنة أن تقع . فأبى به هشام بن عبد الملك، فقال له : يا صدوق الله ! أردت أن تفتن الناس ! قال : فأمسك عنه وكان تباها ، فقال له هشام : أرفق ببيتك . فقال : يحق لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تباها ! فضحك هشام وخلق سبيله .

- وَأُخْتُفَ في وفاة ابن عائشة وسببها . فقيل : كانت وفاته في أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل : في أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تقدّم أنه نادم الوليد وغناه . والذي يقول : إنه توفى في أيام هشام يزعم أنه نادم الوليد في أيام ولايته العهد . وكانت وفاته بذى حُشب ، وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سبب وفاته أن النمر بن يزيد نخرج إلى الشام ، فلما نزل قصر ذى حُشب جلس على سطحه ، فغنى ابن عائشة صوتاً طرب له النمر ، فقال : أعينه فأبى ، وكان لا يتردد صوتا لسوء خلقه . فأمر به فطرح من أعلى السطح فمات . وقيل : بل قام من الليل يبول وهو سكران فسقط من السطح فمات . وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن يزيد ، فلما قرب من المدينة نزل بذى حُشب ، وكان والى المدينة إبراهيم بن هشام المخزومي وكان في قصره هناك ، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم . فلما أخذوا في الشرب أخرج المخزومي جواريه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يميز جارية منهم ، فقال لخادمه : ١٥ إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فأرهم به من القصر ، وكانوا يشربون في سطح القصر . فلما قام رما الخادم فمات . وقيل : بل أقبل من الشام فقتل بقصر ذى حُشب فشرّب فيه ثم صعد إلى أعلى القصر فنظر إلى نسوة يمشين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ فقالوا : وكيف لنا بهن ! فليس ملاءة مدلوكة ثم قام على شرفة من شرفات القصر وغمغى بشعر ابن أُنَيْتة :

٢٠

وقد قالت لأترايب * لها زهر تلاقينا

تعالين فقد طاب • لنا العيش تمايلنا

فأقبلن عليه، فطرب وأستدار فسقط فات، عفا الله تعالى عنه ورحمه. وقيل : بل مات بالمدينة . وأول هذه الأبيات :

①

سَلِمَى أزمعت يَتَنَا • وابن لقاؤها أبنا

وقد قالت لأثراب • لها زُهر تلاقينا

تعالين فقد طاب • لنا العيش تمايلنا

فأقبلن إليها مُس • يركات يتهادينا

إلى مثل مَهَاة الرم • مل تكسو المجلس الزينا

إلى خُود مُنَمَّة • حَقَقَ بها وقَلَبنا

تَمَيَّنَ^(١) مُنَاهَن • فَكَا ما تَمَنُّنا

١٠

ذكر أخبار ابن مُحَرِّز

هو مسلم، وقيل : عبد الله بن مُحَرِّز. ويكنى أبا الخطاب. مولى عبد البار بن قُصَيٍّ . وكان أبوه من سَدَّة الكعبة، وأصله من الفرس . وكان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً . فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عَزَّة الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر. ثم يَخْصُ إلى فارس فتعلم الحان الفرس وأخذ غنائهم ، ثم صار إلى الشام فتعلم الحان الروم وأخذ غنائهم . وأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من غناء الفريقين ونغمهم وأخذ محاسنها، فزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعتها في أشعار العرب، فأتى بما لم يُسمع مثله . وكان يقال له صَنَاج العرب .

٢٠

(١) في الأصل : «فنين» . والتصويب عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) هكذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٧٨ طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل : «الحان الشام» .

- وقيل : إنه أول من أخذ الفناء عن ابن مسجح . وهو أول من غنى بالزمل وما غنى قبله . وكان ابنُ عمرز قليلُ الملاسة للناس ، فأحل ذلك ذكره . وأخذ أكثر غنائه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذها الناس عنها . ومات بعلة الجذام ، وكان ذلك سبب امتناعه من معاشره الخلفاء وغلاة الناس .
- وحكى أنه رحل إلى العراق ، فلما بلغ القادسية لقيه حينئذ فقال له : كم منك نفسك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : هذه خمسمائة دينار فخذها وأنصرف وأحلف ألا تمود ، ففعل . فلما شاع ما فعل حينئذ لاهه أصحابه : فقال : والله لو دخل العراق ما كان لي معه خبز أبكله ولا طيرحت ثم سقطت إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار ابن عمرز على أكثر من هذا فأورده . والسلام .

ذكر أخبار مالك بن أبي السمح

- هو أبو الوليد مالك بن أبي السمح . وأسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي ، وأمه قرشية من بني عذروم ؛ وقيل : بل أم أبيه [منهم] ؛ وقيل فيه : مالك بن أبي السمح بن سليمان . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتبعاً في حجرة أوصى به أبوه إليه . وكان مالكٌ أحول طويلاً . وأخذ الفناء عن جميلة ومعبود وعمر ، وأدرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

ودور. الأصفهاني يستند إلى الورداني ، قال :

كان مالك بن أبي السمح المقتى من طلي ، فأصابتهم ^(٢) حطمة في بلادهم بالجبلين ،

(١) الزيادة من الأتاني (ج ٥ ص ١٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الحطمة : السنة الشديدة .

فَقَدِمْتُ بِهِ أُمُّهُ وَبِاخْوَةَ لَهُ وَأَخَوَاتِ أَيْتَامٍ لَا شَيْءَ لَمْ . وَكَانَ يَسْأَلُ النَّاسَ عَلَى بَابِ
 حِمَزَةَ بْنِ الزَّيْرِ . وَكَانَ مَعْبُدٌ مُتَقَطِّعًا إِلَى حِمَزَةَ يَكُونُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَسَمِعَ مَالِكٌ
 غَنَاءَهُ فَأَعْجَبَهُ وَأَشْتَهَاهُ . وَكَانَ لَا يَفَارِقُ بَابَ حِمَزَةَ يَسْمَعُ غَنَاءَ مَعْبُدٍ إِلَى اللَّيْلِ
 وَلَا يَطُوفُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَا يَرِيحُ مَوْضِعَهُ ، فَيَنْصَرِفُ إِلَى أُمِّهِ وَلَمْ
 يَكْسِبْ شَيْئًا فَتَضَرُّهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَرَمَّ بِالْخَانَ مَعْبُدٍ يُؤْتِيهَا قَتْمًا بِغَيْرِ لَفْظٍ .
 وَجَعَلَ حِمَزَةُ كُلَّمَا ضَدَّ أَوْ رَاحَ رَأَاهُ مَلَاذِمًا لِبَابِهِ ؛ فَقَالَ لِفَلَانِهِ يَوْمًا : أَذْهَلُ هَذَا
 الْغَلَامُ إِلَى قَادِخِلِهِ الْفَسْلَامُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ حِمَزَةُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : غَلَامٌ مِنْ طَبِيعِ
 أَصَابِنَا حُطْمَةٌ بِالْجَلِيلِينَ فَهَبَطْنَا إِلَيْكُمْ وَمَعِيَ أُمِّي وَإِخْوَةٌ ، وَإِنِّي لَزِمْتُ بِأَبِّكَ فَسَمِعْتُ
 مِنْ دَارِكٍ صَوْتًا أَعْجَبَنِي وَلَزِمْتُ بِأَبِّكَ مِنْ أَجْلِهِ . قَالَ : فَهَلْ تَعْرِفُ مِنْهُ شَيْئًا ؟
 قَالَ : أَعْرِفُ لِحْنَهُ كُلَّهُ وَلَا أَعْرِفُ الشَّعْرَ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا إِنَّكَ لَتَعْرِفُهُمْ .
 وَدَعَا مَعْبُدٌ فَامْرَأَهُ أَنْ يَتَنَّى صَوْتًا فَغَنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ لِمَالِكٍ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحُولَهُ ؟
 قَالَ نَعَمْ . قَالَ : هَاتِهِ ؛ فَأَنْدَفَعَ فَغَنَاهُ فَادَّى نَحْمَهُ بِغَيْرِ شَعْرٍ ، يُؤَدِّي مَقَاتِلَهُ وَلِيَاتِهِ
 وَعَظْفَاتِهِ وَتَبْرَاتِهِ وَمَعْلَقَاتِهِ لَا يَحْتَرِمُ مِنْهُ حَرْفًا . فَقَالَ لِمَعْبُدٍ : خُذْ هَذَا الْغَلَامَ إِلَيْكَ وَخَرِّجْهُ
 فَلْيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ . قَالَ مَعْبُدٌ : وَلِمَ أَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِتَكُونَ عَاسَتُهُ مَفْسُوبَةً إِلَيْكَ
 وَلَا عَدَاكَ إِلَى غَيْرِكَ فَكَانَتْ عَاسَتُهُ مَفْسُوبَةً إِلَيْهِ . فَقَالَ مَعْبُدٌ : صَدَقَ الْأَمِيرُ ، وَأَنَا
 أَفْعَلُ مَا أَمَرَنِي بِهِ . قَالَ حِمَزَةُ لِمَالِكٍ : كَيْفَ [وَجَدْتَ] مُلَازِمَتَكَ لِابْنَانَا ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَ
 إِنْ قُلْتُ فَيْكَ غَيْرَ الَّذِي أَنْتَ لَهُ مُسْتَحَقٌّ مِنَ الْبَاطِلِ أَكُنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ ؟ قَالَ
 لَا . قَالَ : وَكَذَلِكَ لَا يَسْرُكُ أَنْ يُتَّخَذَ بِمَا لَمْ تَفْعَلْ ؛ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
 عَلَى بَابِكَ شَيْعَةً قَطُّ ، وَلَا أَقْبَلْتُ إِلَى أَهْلِ مِنْهُ بَخِيرَ . فَامْرَأَهُ وَلَأْتَمَهُ وَلِإِخْوَتِهِ بِمِثْلِ

٢٠ (١) لَا يَرِيحُ : لَا يَبْرَحُ . (٢) فِي الْأَسْمُولِ : « شَيْءٌ » وَالْمَصْبُوحُ مِنَ الْأَخَانِي (ج) .

ص ١٠٣ طبع دار الكتب المصرية - (٣) الزيادة عن الأخاني .

وأجرى عليهم رزقا وكسوة وأمر لم يخدم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجالسه، وأمر مبعدا أن يطارحه فلم ينشب أن مهر . فخرج مالك يوما فسمع امرأة توح على زيادة الذي قتله هذبة بن خشم - والشعر لأشئ زيادة - :

أبعد الذي بالنصف نيف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل

أذكر بالبقيا على من أصابني * وذلك أتى جاهد غير مؤتل^(١)

فلا يدعني قومي لزريد بن مالك * ثلث لم أعجل ضربة أو أعجل

والأ أنل ثاري من اليوم أو غد * بني عمنّا فاللهم ذو متطوّل

أنحتم علينا كل كل الحرب مرة^(٢) * فحن منيخوها عليكم بكل كل^(٣)

فنفى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في توحها ورقه وأصلحه،

والآخر نحا فيه نحو مبعد في غناه، ثم دخل على حمزة فقال له : أيها الأمير، إني قد صنعت

غناء في شريعت أهل المدينة ينشدونه وقد أعجبني، فإن أذن الأمير غنيته . قال :

هايت، فنفى اللحن الذي نحا فيه نحو مبعد، فطرب حمزة وقال : أحسنت يا غلام،

هذا الغناء غناء مبعد بطريقته . قال : لا تسجل أيها الأمير وأسمع مني شيئا ليس

من غناء مبعد ولا طريقته، فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة . فطرب حمزة حتى

ألقي عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار . ودخل مبعد فرأى حلة حمزة على مالك

فأنكرها . وعلم حمزة بذلك فأخبر مبعدا بالسبب، وأمر مالكا فغناه الصويين . فغضب

مبعد لما سمع الصوت الأول وقال : قد كرهت أن أخذ هذا الغلام فيعلم غنائي فيدعيه

(١) في الأغاني : « وبقيا أي ... » ورد البيت في السان (مادة « ين ») منسوبا إلى ابن

القمقام الأسدي هكذا :

أذكر بالبقوى على ما أصابني * وبقوا أي جاهد غير مؤتل

(٢) في الأصول : « الهمر » - والصويين عن الأغاني (ج ٤ ص ١٠٤) .

(٣) في الأصول : « سنخوها » - والصويين عن الأغاني .

لنفسه . فقال حمزة : لا تَجْعَلْ وأسمع غناء^(١) [صنعه] ليس من شأنك ولا غناك ، وأمره
 أن يغني الصوت الآخر فغناه ، فاطرق معبدٌ . فقال له حمزة : والله لو أنفرد بهذا لصاحاك
 ثم تزايد على الأيام : وكلما كبر وزاد شجعت أنت وأنتقصت ، فلأن يكون منسوباً
 إليك أجهل . فقال له معبدٌ وهو منكسر : صدق الأمير . فأمر حمزة لمعبدٍ بخلمة من
 ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه . فقام مالكٌ على رجليه وقبل رأس معبد وقال
 له : يا أبا عباد ، أساءك ما سمعت مني ؟ والله لا أغني لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حياً !
 وإن غلبتي فمعي ففتيتٌ في شعر أستحسنته لا نسبته إلا إليك ، فطب قسا وأرض
 عني . فقال له معبد : أخجل هذا وتني به ؟ قال : إني والله وأزید . فكان مالك
 إذا غنى صوتاً وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنيتُ لنفسي شيئاً قط ، وإنما أخذ
 غناءً لمعبد فأقله إلى الأشعار وأحسنه وأزید فيه وأقص منه . وحضر مالكٌ بن
 أبي السَّمْع عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وأبن عائشة ففتوه ، فأمر لكل واحد
 منهم بألف دينار .

(١١٨)

وحكى عن ابن الكلبي قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد :

قد آذنتي ولولتكَ هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلاكَ هذا ، فأطلباً لي
 رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبيكما . فقالا له : مالك بن أبي السمع ، فكتب
 في إشخاصه إليه وسائر من بالمجاز من المفتين . فلما قدم مالك على الوليد بن يزيد
 فيمن معه تزل على القمر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغناه فلم يسيحه . فلما أنصرف
 قال له القمر : إن أمير المؤمنين لم يسيحه شيء من غناك ، فقال له : جعلني الله
 فداك ! اطلب لي الإذن عليه مرة أخرى ، فإن أعجبه شيء مما أغنيه وإلا أنصرفتُ
 إلى بلادى . فلما جلس الوليد في مجلس اليهود ذكره القمر له ؛ فأذن له فشرى مالكٌ

ثلاث صراحيات^(١) صرفاء، ودخل على الوليد وهو يحطّر في مشبته، فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم وأخذ بحلقمة الباب ثم رفع صوته ففنى :

لا عيش إلا بمالك بن أبى السّمع فلا تلحنى ولا تلم
أبيض كالبدر أو كما يلمع الـ * بارق فى حالك من الظلم
فليس يصيبك إن رشت ولا * بيتك حق الإسلام والحرم
يصيب من لثة الكرام ولا * يجهل آى الترخيص فى اللّم
يارب ليل لنا كاشية الـ * بؤد ويوم كذلك لم يدم
نعمت فيه ومالك بن أبى السّمع العكرم الأخلاق والشيم

فطرب الوليد ورفع يديه حتى بان إبطاه وقام فأعتقه، ثم أخذ فى صوته ذلك فلم يزالوا فيه إياما، وأجزل له العطية حين أراد الانصراف . قال : ولما أتى مالك
على قوله : « أبيض كالبدر » قال الوليد :

أحول كالقرد أو كما يقرب السارق فى حالك من الظلم
قالوا : وكان مالك بن أبى السمع مع الوليد بن يزيد يوم قتل هو وابن عائشة .
قال ابن عائشة : وكان مالك من أحق الخلق، فلما قتل الوليد قال : أهرب بنا؛
قلت : وما يريدون منا؟ قال : وما يؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما
ليحسنا أمرهم بذلك !

ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرد بن شمير بن وهب هُرْمُزى، مولى لعمرو بن الزبير،
وملثوه ومثله بالمدينة، وكان أبوه قهبا فأسلمه فى الديوان وكان من مكابيه . وأخذ

(١) جمع صراحية وهى آتية تفسر .

(٢) فى الأغنى (ج ٤ ص ٣٩٨ طبع دار الكتب المصرية) : « وقيل : إنه مولى ... » الخ .

الفناء عن معبد وابن سريح وابن مُحَرِّز والغريص، وكان أكثر روايته عن معبد. ولم يكن في أصحاب معبد أحق منه ولا أقوم بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعر جيد. وهو أول من دَوَّن الفناء. وله كتاب في الأغاني نسبها إلى من غنى فيها. وخرج إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فاحضره والوليد إذ ذاك ولي المهدي. قال: فلما وصلت إليه سأمت عليه، فأمرني بالجلوس، ثم دما بالشراب والحواري. قال يونس: فكنتا يومنا وليتنا في أمر عجيب، وغنيتة فأعجب بناتنا إلى أن غنيتة:

إِنْ يَعْشِ مُصْعَبٌ فَتَحْنُ بَغِيرَ * قَدْ أَنَا نَا مِنْ مِيشَا مَا تُرْجِي

ثم تنهت ففطمت الصوت وأخذت أعتمر من غنائها بشعر في مصعب، فضحك ثم قال: إن مصعباً قد مضى وأقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه وإنا أريد الفناء، فامض الصوت؛ ففدت فيه فغنيته ولم يزل يستعده حتى أصبح فشرب مُصْطَحِماً وهو يستعدين هذا الصوت ولا يتجاوزوه. فلما مضت ثلاثة أيام قلت: جعلني الله فداك إني رجل تاجر نرجعت مع ثجاري وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالي، فقال: أنت تندو غداً، وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار. فحملت إلى وغدوت إلى أصحابي. فلما استخلف بحث إلى فاتيته فلم أزل معه حتى قُتل.

ذكر أخبار حنين

هو حنين بن بلّوع الحيري. وأختلف في نسبه، قليل: هو من العباديين من تميم، وقيل: إنه من بني الحارث بن كعب، وقيل: إنه من قوم بقوا من طميم وجديس، فزولوا في بني الحارث بن كعب فملئوا فيهم. ويكنى أبا كعب. وكان شاعراً مغنياً من فحول المغنين، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام، وكان

نَصْرَانِيًّا. وعن المدائني ^(١) قال : كان حُتَيْنٌ غلاماً يَحْمِلُ الفاكهةَ بِالْخِيرةِ ، وكان إذا حلَّ
الرياحين إلى بيوت القتيانِ ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيانِ والمُتَطَرِّينَ ورأوا
رشاقته وحسنَ قدِّه وحلاوته وَخِفَّةَ رُوحه أَسْتَحْلَوْه وأقام عندهم ، فكان يَسْمَعُ الغناءَ
ويُصْنِفِي له ، حتى شدا منه أصواتاً فَاسْتَمَعَهُ النَّاسُ ، وكان مطبوعاً حسنَ الصوتِ . واشتهر
غناؤه وشهر بالغناء ومهر فيه وبلغ فيه مبلغاً كبيراً . ثم رحل إلى عمر بن داود الوادي ^(٢) .
وإلى حكم الوادي وأخذ منهما وغنى لنفسه وأستولى على الغناء في عصره ، وهو الذي
بذل لأبن مُحْرِزٍ خمسمائة دينار حتى رجع عن العراق ، كما قدَّمناه في أخبار أبن محرز .
وبلغ من الناس بالغناء مبلغاً عظيماً ، حتى قيل له فيها حُكْي : إنك تفتي منذ خمسين سنة
فما تركت لكرم مالا ولا داراً ولا عقاراً إلا أنيت عليه . فقال : بأبي أتم ! إنما هي
أنفاسي أقسمها بين الناس ، أفلوموتني أن أغلي بها الثمن .

وحكى المدائني قال : حجَّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي ؛ فوقف
له حُتَيْنٌ بظهر الكوفة ومعه عودٌ وزامر له . فلما مرَّ به هشام عرض له فقال :
من هذا ؟ قيل : حنين ؛ فأمر به هشام فحُمِلَ في حُمْلٍ على جملٍ وعديله زامرُه
وسيره أمامه ، فغناه :

أَمِنْ سَلَمَى يَظْهَرِ الْكُو * فِ الْآيَاتِ وَالطَّلَلُ

تَلُوحُ كَمَا تَلُوحُ عَلَى * جَفُونِ الصَّبِيلِ الْخِلَلُ

فأمر له هشام بمائتي دينار وللزَّامر بمائة دينار .

وحكى أن خالد بن عبد الله القسري حرم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس
يوماً في الدخول عليه عامةً ؛ فدخل عليه حنين في جملة الناس ومعه عودٌ تحت ثيابه

(١) كذا في الأغاني (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « بيوت القيان » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « عمرو » وهو محريف .

فقال : أصليح الله الأمير ! كانت لي صناعةٌ أعود بها على عيالي فخرمها الأمير فاضر ذلك بي وبهم ، فقال : وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا . فقال له خالد : غنّ ، فحرك أوتاره وغنّى ^(١) :

أيها الشامتُ المغيرُ بالله * برأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيد * مام بل أنت جاهلٌ مغرور
من رأيت المتونَ خلدت أم من * ذا عليه من أن يضامَ خفيرو

قال : فبكي خالد وقال : قد أذنت لك وحلك خاصةً ، ولا تجالس سفيهاً ولا معريداً . فكان إذا دُعِيَ قال : أفيكم سفيه أو معريد ؟ فلذا قالوا لا ، دخل .

وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سُمرة بن جندب : حاش حنين بن بلوع

١٠ مائة سنة وسبع سنين .

ذكر أخبار سباط

هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسباط لقب غلب عليه . وهو مكّي مولى خراعة . كان مقبلاً في الفناء روايةً وصنعةً ، مقبلاً في الطرب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وعنه أخذنا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب . وكان سباط زوج أم ابن جامع . قيل : وإنما لُقّب سباط بهذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يغنى :
كأن مزاحفَ الحياتِ فيها * قيل الصبح آثارُ السباط ^(٢)

سُحّي أن إبراهيم الموصليّ غنّى صوتاً لسباط ، فقال أبنته إسحاق : لين هذا الفناء يا أبت ؟ قال : لين لو عاش ما وجد أبوك خبزاً يأكله ، سباط .

(١) في الأغني : « فحرك » .

(٢) في الأغني (ج ٦ ص ١٥٢ طبع دار الكتب المصرية) : « فيه » .

وحكى أن سياطاً مرَّ بأبي ريمانة في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه
سَمَلٌ ثوب رقيق رث؛ فوثب إليه أبو ريمانة المذنب وقال : بأبي أنت يا أبا وهب !
غَنِيَّ صوتك في شعر أبن جُنْدَب :

فَوَادِي رَهين في هوالك ومُهَجِّي * تَذَوُّبٌ وأجفاني عليك هُمُولُ

- فَنَنَاهُ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ قَبِيصَهُ وَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الشَّمْسِ وَقَدْ أَزْدَادَ بَرْدًا وَجَهَنًا .
- ٥ . فقال له رجل : ما أغنى عنك هذا مِنْ شَقِّ قَبِيصِكَ ؟ ! فقال : يَا بَنِ أُنَى ، إِنَّ الشَّعْرَ
الْحَسَنَ مِنَ الْمُغْنَى الْحَسَنِ ذِي الصَّوْتِ الْمَطْرِبِ أَدْفًا لِلْقُرُورِ مِنْ حَمَامٍ مُحَيٍّ . فقال له
رجل : أنت عندى مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ فَا رَجَحَتْ نِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُتَعِدِّينَ ﴾ فقال : بل أَنَا تَمِنَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد حكيت هذه الحكاية أيضًا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا غَنَاهُ هَذَا
- ١٠ . الصوت شَقَّ قَبِيصَهُ حَتَّى نَجَرَ مِنْهُ وَبَقِيَ طَارِيًا وَغُثِّي عَلَيْهِ وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ ،
وَسِيَاطٌ وَاقِفٌ يَتَجَبَّبُ مِمَّا فَعَلَ ، ثُمَّ أَفَاقَ قِفَامُ إِلَيْهِ . فقال له سِيَاطٌ : ^(١) مَا لَكَ
يَا مُشْعَمُ ! أَى شَيْءٍ تَرِيدُ ؟ قال : غَنِيَّ بِاللهِ عَلَيْكَ يَا سِيدِي :

وَدَّعَ أَمَامَهُ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ * إِنَّكَ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

- ١٥ . مِثْلَ الْقَضِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطَافُهُ * فَالزَّجْرُ تَجَنَّبَ مَتْنَهُ فِيمَعِلُ ^(٢)
إِنْ كَانَتْ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ * حَسَنٌ دَلَالُكَ يَا أُمَيْمُ جَمِيلُ

فَنَنَاهُ ، فَلَطَمَ وَجْهَهُ حَتَّى نَجَرَ النَّاسُ مِنْ أَفْئِهِ وَوَقَعَ صَرِيحًا . وَمَضَى سِيَاطٌ وَحَلَّ
النَّاسُ أَبَا رِيْمَانَةَ إِلَى الشَّمْسِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ نَحْوَ مَا تَقْتَضِيهِ . قَالَ :
وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ سِيَاطٌ بِقَمِيصٍ وَسِرَاطِلٍ وَجَبَّةٍ وَعِمَامَةٍ .

- (١) فِي الْأَمَلِ : « مَا لَكَ أَيْضًا » . وَلَا تُسَمَّى لَكَلَةً « أَيْضًا » وَهِيَ غَيْرُ مُوجُودَةٍ فِي الْأَفَاقِي .
- (٢) كَذَلِكَ فِي الْأَفَاقِي . وَفِي الْأَمَلِ :

... .. أَعْطَافُهَا * وَالزَّجْرُ تَجَنَّبَ مِنْهَا فِيمَعِلُ

وكانت وفاة سباط في أيام موسى الهادي . ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم لا تَرُدُّ في غثائي شيئا ولا تنقص منه ، فأما هو ثمانية عشر صوتاً دمه رأساً برأس . وقيل : بل كانت وفاته بغاة ، وذلك أنه دعاه بعض إخوانه فأطعمهم وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزله ، فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه إنا دعونا ابنك لنكرمك ونسربه ونأمن بقربه فأتت بغاة ، وما نحن بين يديك ، فأحكى ما شئت ، وثأنتك الله أن [لا] تُعرضنا للسلطان أو تدعى علينا ما لم نفعله . قالت : ما كنت لأفعل ، وقد صلتهم ، وهكذا مات أبوه بغاة ، وتوجهت معهم حملته إلى منزله ودفنته .

ذكر أخبار الأبيجر

هو عبيد الله بن القاسم بن منبه ، ويكنى أبا طالب ، وقيل : أحمد بن محمد بن القاسم ، والأبيجر لقب غلب عليه . وهو مولد لكثانة ثم لبني ليث بن بكر . وكان يقب بالחסاحس . وكان مديناً منشؤه مكة أو ميكا منشؤه المدينة . قال عورك اللهي :
لم يكن بمكة أحد أطرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبيجر ، كانت حثته بمائة دينار وفيرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المازين ويرفع خيبرته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضاً . وروى الأصفهاني بسنده إلى إسماعيل ابن إبراهيم الموصلي قال :

(١) النكتة من الأغاني .

(٢) في ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) : « خيبة » . وورد

في بعض أصول الأغاني : « خية » و « خيبة » .

(٣) الذي في الأغاني « وهو مولد لكثانة ثم لبني بكر » ويقال : إنه مولد لبني ليث .

جلس الأيجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التّعميم فإذا عسكر
جرار [قد أقبل^(١)] في آخر الليل وفيه دوابٌ تُجنَّبُ ومنها فرس أدم عليه سرجٌ حليته
ذهب، فاندفع يفتى :

عَرَفْتُ دِيَارَ الْحِجَا خَالِيَةً قَفْرًا * كَأَنَّ بِهَا لَمَّا تَوَهَّمْتُهَا سَطْرًا

فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا وصاح صائحٌ : ويحك أعد الصوت !
فقال : لا والله إلا بالفرس الأدم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار، وإذا الوليد بن
يزيد صاحبُ العسكر . فنودي : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأيجرُ، ومتلى على
رُقاق باب الخرازين . فعدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتحت
ثياب وثني وغير ذلك، ثم أتى به الوليدُ، فأقام وراح مع أصحابه عشية التّروية
وهو أحسنهم هيئة، ونرج معه أو بعده إلى الشام .

١٠

وحكى عن عمرو بن حفص بن أمّ كلاب^(٢)، قال :

كان الأيجرُ مولانا وكان مكيًا، وكان إذا قديم من مكة نزل علينا . فقال لنا يوما :
أسمعونا غناء ابن عائسكم هذا ؟ فأرسلنا إليه بفمعتنا بينهما في بيت ابن هبار . ففتى
ابن عائسة ؟ فقال الأيجرُ : كلُّ مملوكٍ له حرّان غنيت معك إلا بنصف صوتي،
ثم أدخل إصبعه في شِدْقِهِ وفتى فسمع صوته من في السوق ، فحشر الناس علينا،
فلم يفترقا حتى تشامسا .

١٥

ذكر أخبار أبي زيد الدّلال

هو أبو زيد ناقدٌ مدنيّ، مولى عائسة بنت سعيد بن الماص، وكان مُحَنَّتًا .

قال إسحاق :

- (١) الزيادة عن الأغاني . (٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « الجوارين » .
وهو تصحيف . (٣) التي في الأغاني : « من عمرو بن حفص بن أبي كلاب » .

٢٠

لم يكن في المختين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أطرف من الدلال . قالوا :
ولم يكن بعد طويس أطرف منه ولا أكثر مُلحًا . وكان كثير النوادر تَزَرَّ الحديث ،
فإذا تكلم أضحك التكالى ، وكان ضاحك السن ، ولم يكن يعنى إلا غناء مُضَمِّعًا
(يعنى كثير العمل) .

وقال أيوب بن عباية :

شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم ونفروا به ،
فصلت أن ذلك لفضيلة كانت عنده . قالوا : وكان مُبْتَلَى بالنساء والكون معهن ،
فكان يُطَلَّب فلا يُقَدَّر عليه . وكان صحيح النماء حسن الحرم . قالوا : وإنما نُقِبَ
بالدلال لشكله وحسن ظُرفه ودله وحلاوة مُنَظِّفه وحسن وجهه . وكان مشغوفًا
بمخالطة النساء يُكثر وصفهن للرجال . وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يخالسه عن الغناء
بأحاديث النساء كراهةً منه للغناء . وكان إذا غنى أجاد ، كما حكاه ابن المَاجِشُون
عن أبيه قال : غَنَّى الدلال يوما بشعر مجنون بن طامر ، فلقد خَفَّتُ الفتنة على
نفسى . وأستحضره سليمان بن عبد الملك من المدينة مرًا وغناه وأقام عنده شهرًا
ثم صرفه إلى الجحاز مكرما .

قال الأصمعي :

حج هشام بن عبد الملك ، فلما قَدِمَ المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام وقوادهم
يُجَنَّبُ دار الدلال ، فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغى إليه ويصعد فوق
السطح ليقرب من الصوت ، ثم بحث إلى الدلال : إما أن تزورنا وإما أن نوزرك .
فبحث إليه الدلال بل تزورنا . فبحث الشامي ما يصلح ومضى إليه بتلاميذ من غلمان
كأنهما دُرَّتان مكنونتان . فغناه الدلال ، فاستحسن الشامي غناه فقال : زدنى ؛
قال : أو ما يكفيك ما سمعت ! قال : لا والله ما يكفيني . قال : فإن لي حاجة .

قال : وما هي ؟ قال : تبينى أحد هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : آتتني
أيهما شئت ، فأختار أحدهما ، فقال له الشامي : هو لك ؛ فقبله منه الدلال ، ثم غناه
وغشني :

- دَعْنِي دَوَاعٍ مِنْ أَرْيَا فَهَيَّجَتْ * هَوَى كَانَ قَدَمًا مِنْ فَوَادٍ طَرُوبٍ
لعل زمانًا قد مضى أن يعود لي * فتغفر أروى عند ذلك ذنوبي
سَبَّحْنِي أَرْيَا يَوْمَ تَغِيْفُ حُسَيْرٍ * بوجه جميل للقلوب سَلُوبٍ
فقال له الشامي : أحسنت . ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي [إليك] حاجة ،
قال الدلال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً ولدت في حجر صالح ونشأت في خير ،
جميلة الوجه مجدولةً وضيفةً جعدةً في بياض مشربةً حرةً حسنة الهامة سبطة أسيلة
أخذت عذبة اللسان لها شكلٌ ^(١) [ودل] تملأ العين والنفس . فقال له الدلال : قد أصبتها
لك ، فما لي عندك إن دلتك عليها ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتهما قتلتهما فالغلام
لي ؟ قال نعم . قال : فأتى امرأةً كُتبي عن اسمها ، فقال لها : جُيِلْتُ فداؤك !
نزل بقربي رجلٌ من قواد هشام ، له ظرفٌ وحناءٌ ، وجاءني زائرًا فأكرمته ، ورأيتُ
معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة المنيرة والكواكب الزاهرة ما وقعت عيني على
مثلهما ولا يطول لسانِي بوصفهما ، فوهب لي أحدهما والآخرُ عنده ، وإن لم يَصُرْ
إلى نفسي ذاهبةً . قالت : وتريد ما ذا ؟ قال : طلب مني وصيفةً على صفةٍ
لا أعلمها إلا في أبنتك ، فهل لك أن تُريه إياها ؟ قالت : وكيف لك بأن يَنفَع
الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : إني قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع .
قالت : شأئك ، لا يعلم هذا أحد . فعضى الدلال وأتى بالشامي . فلما صار إلى المرأة
ووضِعَ له كرسيٌّ وجلس . فقالت له المرأة : أَمِنْ العرب أنت ؟ قال نعم . قالت :
- (١) كذا في الأغاني (ج ٤ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية) وفي الأصل : «لعل زمانًا الرضا» .

مِنْ أَيِّهِمْ ؟ قال : مِنْ ثُرَمَةَ . قالت : مرحباً بك وأهلاً ! أى شيء طلبت ؟
فوصف لها الصِّفَّةَ . قالت : قد أصبَّتها ، وأسرت إلى جارية لها فدخلت فككت
هنيئة ثم خرجت فنظرت فقالت : أخرجى ، فخرجت وصيفةٌ ما رأى [الراعون]^(١)
مثلها . فقالت لها : أقبل فأقبلت ، ثم قالت : أذرى فأذرت تملأ العين والنفس ،
فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه . فقالت له : أعجب أن تزرعها لك ؟ قال نعم .
قالت : أأثري ؟ فضمتها الإزار وظهرت عاصمها الخفية ، فضرب يده إلى عَجَبَتِها
وصدريها . ثم قالت : أعجب أن نجزدها لك ؟ قال نعم . قالت : [أى حبيبتى]^(١)
وصحى ، فالقت الإزار فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة . فقالت : يا أخا العرب ،
كيف رأيت ؟ قال : منية المتنى . قال : يك تمولين ؟ قالت : ليس يوم النظر
يوم البيع ، ولكن تمود غداً حتى نبأيك فلا تصرف إلا عن رضا ، فأصرف من
عندها . فقال له الدُّلَالُ : أَرْضيت ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه
فى الدنيا ، وإن الصفة لتقص دونها ، ثم دفع إليه الغلام الثانى . فلما كان من الغد
قال له الشامي : أمض بنا . فضياً حتى قرعنا الباب ، فأذن لهما فدخلنا فسلمنا ، فرجعت
المرأة بهما ثم قالت للشامي : أعطنا ما تبذل ، فقال : ما لها عندي ثم إلا وهى
أكثر منه ، فعولى أنت يا أمة الله . قالت : بل قل أنت ، فإنا لم نوطئك أعقابنا ونحن
نريد خلاصك وأنت لما رضا . قال : ثلاثة آلاف [دينار]^(١) . قالت : والله لقبلتُ منها
خير من ثلاثة آلاف [دينار]^(١) . قال : أربعة آلاف [دينار]^(١) . قالت : غفر الله لك
أعطنا أيها الرجل . قال : والله مامى غيرها — ولو كان لردتك — إلا رقيق ودواب .
قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدري من هذه ؟ قال : تُخبرني . قالت : هذه

أَبَقِيَ فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانٍ وَأَنَا فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانٍ، قُمْ رَائِدَنَا . فَقَالَ لِلذَّلَالِ : خَدَّعْنِي .
قَالَ : أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ تَرَى مَا رَأَيْتَ مِنْ مِثْلِهَا وَتَهَبُ مِائَةَ غَلَامٍ مِثْلَ غَلَامِكَ ؟ قَالَ :
أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . وَنَحْنُ مِنْ عِنْدِهَا .

وَالذَّلَالُ أَحَدُ مَنْ خُصِيَ مِنَ الْخُنَّيْنِ بِالْمَدِينَةِ لَمَّا أَمَرَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَامِلَهُ
عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا بَكْرَ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ بِتَحْصِيهِمْ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ عَطْرَدَ

هُوَ أَبُو هَارُونَ عَطْرَدُ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ [ثُمَّ مَوْلَى] بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَقِيلَ :
إِنَّهُ مَوْلَى مُزَيْنَةَ . مَدَنِيٌّ كَانَ يُقَالُ قُبَاءٌ . وَكَانَ جَمِيلَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْفَنَاءِ طَلِيبَ
الصُّوْتِ جَيِّدَ الصَّنْعَةِ حَسَنَ الزِّيِّ وَالْمَرْوَةَ فَقِيهًا قَارَأَ لِلْقُرْآنِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ
مُمَثِّلَ الشَّهَادَةِ بِالْمَدِينَةِ . وَأَدْرَكَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَقِيَ إِلَى أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ . وَكَانَ
يُفْتَى مَرَّةً بِلَا .

وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ قَالَ :

لَمَّا اسْتُخْلِفَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ فَأَمَرَهُ بِإِشْخَاصِ عَطْرَدَ
الْمَعْنَى إِلَيْهِ، فَعَفَلَ . قَالَ عَطْرَدُ : فَدَخَلْتُ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي قَصْرِهِ عَلَى شَفِيرِ
بُرْكَتِ مُرَّصَصَةٍ مَمْلُوءَةٍ نَحْمًا أَلَسْتُ بِالْكَبِيرَةِ وَلَكِنِّي أَدُورُ الرَّجُلُ فِيهَا [سَبَاحَةً]^(٢) . قَالَ :
فَوَافَهُ مَا تَرَكْنِي أَسْلَمَ حَتَّى قَالَ : أَعَطْرَدُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا زِلْتُ
إِلَيْكَ مُشْتَاقًا يَا أَبَا هَارُونَ، غُثِّي :

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِ (ج ٢ ص ٢٠٢ طبع دار الكتب المصرية) وَبِأَنَّى قَرِيبًا . وَفِي الْأَسْلَافِ :

«أَبُو مِرْدَانَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْوَيَادَةُ عَنِ الْأَغَانِ .

حَمْلُ الْحَمُولِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ * إِذْ لَا يَسَا كُلُّ شَكْلٍهَا شَكْلِي
اللهُ أَجْمَعُ مَا طَلَبْتُ بِهِ * وَالرَّخِيفُ حَقِيقَةُ الرَّحْلِ
إِنِّي بِجَهْلِكَ وَاصِلٌ حَيْلِي * وَبِرَيْشِ نَيْلِكَ رَائِسُ نَيْلِي
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ طَلَبْتُ وَمَا * نَجَحْتُ كِلَايَكِ طَارِقًا مَيْلِي

١٠ قال : فَنَبَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَوَافَقَهُ مَا أَمْتَمْتُهُ حَتَّى شَقَّ حُلَّةً وَشَيْ كَانَتْ عَلَيْهِ لَا أَدْرِي
كَمْ قِيَمَتُهَا ، فَتَجَزَّدَ مِنْهَا كَمَا وَلَقْتَهُ أَتَمَّهُ ، وَأَلْقَى قَفْصَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَتَهَلَّلَ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ
أَنَّهُ قَدْ نَقَصَتْ قَفْصَانَا بَيْنَا ، وَأُنْبِجَ مِنْهَا وَهُوَ كَالْمَيْتِ سَكْرًا ، فَأُصْجِعُ وَغُطِّي ، فَأَخَذْتُ
الْحُلَّةَ وَقَفْتُ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَتَرَلِي مُتَحَبِّبًا مِنْ فَعْلِهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي قُدْسٍ ، جَاءَنِي رَسُولُهُ
فِي مِثْلِ الْوَقْتِ فَأَحْضَرَنِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ : يَا عَطَرْدُ ! قُلْتُ : لَيْتَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : غُثِّي :

أَيَنْزِبُ عَمْرِي هَكَذَا لَمْ أَتَلَّ بِهِ * جَالَسَ تَشْنِي قَرَحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
وَقَالُوا تَدَاوَاكَ فِي الطَّبِّ رَاحَةً * فَعَلَلْتُ قَفْصِي بِالْبَوَاءِ فَلَمْ يُجِدِ

١٥ فَنَبَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَشَقَّ حُلَّةً وَشَيْ كَانَتْ تَلْمَعُ عَلَيْهِ بِاللَّهَبِ احْتَقَرْتُ وَاقَهُ الْأَوَّلَى عِنْدَهَا ،
ثُمَّ أَلْقَى قَفْصَهُ فِي الْبَرَكَةِ فَتَهَلَّلَ مِنْهَا حَتَّى تَبَيَّنَتْ قَفْصَانَا وَأُنْبِجَ كَالْمَيْتِ سَكْرًا ، فَأَلْقَيْتُ
وُغُطِّي وَنَامَ ، وَأَخَذْتُ الْحُلَّةَ وَأَنْصَرَفْتُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ ، جَاءَنِي رَسُولُهُ
فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي يَهْوٍ قَدْ أُلْقِيَتْ سِتْرُهُ ، فَكَلَّمَنِي مِنْ وَرَاءِ السُّتُورِ وَقَالَ :
يَا عَطَرْدُ ! قُلْتُ : لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : كَأَنِّي بِكَ الْآنَ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَقَمَمْتُ فِي جِوَالِهَا وَقَمَدْتُ وَقُلْتُ : دَعَانِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَقْرَحَ عَلَيَّ
فَنَبَيْتُهُ فَأَطْرَبْتُهُ فَشَقَّ ثِيَابَهُ وَأَخَذْتُ سَلْبَهُ وَفَعَلَ وَفَعَلَ ! وَوَافَقَهُ بِأَيِّنِ الزَّانِيَةِ إِنْ
تَحَزَّكَ شَفَتَاكَ بَشِيْرٌ مِمَّا جَرَى لِأَخِيرَتَيْنِ عُنُقِكَ يَا غَلَامَ أَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ خَذَهَا

وانصرف إلى المدينة . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تعجيل يده
ويزودني نظرة منه وأغنيه صوتاً ! فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فأنصرف .
قال عطرود : فخرجت من عنده وما علم الله أني ذكرتُ شيطاناً مما جرى حتى مضت
من دولة بني هاشم مدة . ودخل عطرود على المهديّ وغناه . قيل : ودخل ملي
الرشيد وغناه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عمر الواديّ

- هو عمر بن داود بن زاذان . وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان .
وأخذ الثناء عن حكم ، وقيل : بل أخذ حكم عنه . وهو من أهل وادي القرى .
قديم الحرم وأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد . وكان طيب الصوت شجيّاً
مطرباً . وهو أوّل من غنى من أهل وادي القرى ، وأتصل بالوليد بن يزيد في أيام
إمارته فتقدّم عنده جدّاً ، وكان يسميه « جامع لذاتي وعشي طربي » . وقُتل الوليدُ
وهو يفتيه ، وكان آخر الناس به عهداً . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن
أبي السّمج وغيرهما من المُغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه
والإصغاء إليه والاختصاص به . وفي عمر هذا يقول الوليدُ بن يزيد :
- ١٥ إنما فكرتُ في عُمر * حين قال القول واختلج
إنه لُمُستَير به * فمرّ قد طمس السُّرجا
ويغني الشمرَ يظلمه * سيّد القوم الذي قلبا
أكل الواديّ صمته * في كلاب الشعر فاندجما
أراد الوليدُ بن يزيد بقوله : « سيّد القوم » نفسه .

ذكر أخبار حكم الوادى

هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون . مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه سلافاً يَحْلِي رَأْسَ الوليد، فَأَشْرَاهُ فَأَحْتَقَهُ . وكان حَكْمٌ طويلاً أَحُولٌ، يُكْرَى الْجَمَالُ يَنْقُلُ [طعماً] الزيت من الشام إلى المدينة . وقيل : كان أصله من القُرس . وكان واحدٌ عصره في الحنق، وكان يَفْنَى بِالذِّفِّ وَفَنَى مَرَجَلاً . وعمر عمرًا طويلاً، غَنَى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشطر من خلافته .

(١٢٢)

وأخذ الفناء عن عمر الوادى، وقد قيل : إن عمر أخذ عنه . قال حماد بن إسحاق قال لى أبى : أربعة بُلُفَت في أربعة أجناس من الفناء مبلغاً قَصَرَ عنه غيرهم : «معبد» في الثعلب، و«ابن سريج» في الزمل، و«حكم» في الخنزير، و«إبراهيم» في المأخوذ . قال أبو الفرج الأصفهاني : وزار حَكْمُ الوادى الرشيد، فَبَرَّه ووصله بثلاثة آلاف درهم، وخيره فِيمَنْ يَكْتُبُ لَهُ بِهَا عَلَيْهِ، فقال : أكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي . — وكان إبراهيم إذ ذاك عاملًا له بالشام . فَقَدِمَ عَلَيْهِ حَكْمٌ يَكْتُبُ الرَشِيدَ؛ فَأَعْطَاهُ مَا كَتَبَ لَهُ بِهِ، وَوَصَلَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ قَصَصَهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَلْفِ، وَقَالَ لَهُ : لَا أَصِلُكَ بِمِثْلِ مَا وَصَلْتُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال إبراهيم بن المهدي : وَأَقَامَ عِنْدِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَخَذَتْ عَنْهُ فِيهَا ثَلَاثَةُ صَوْتٍ، كُلُّ صَوْتٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَلْفِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لَهُ . وقيل : إنه لم يَشْتَرِ بِالفناء حَتَّى صَارَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ، فَأَقَطَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ، فَأَعْجَبَ بِهِ وَأَخْتَارَهُ عَلَى الْمُغْتَنِينَ وَأَعْجَبَتْهُ أَهْرَاجُهُ . وَكَانَ يَقَالُ : إِنَّهُ أَهْرَجُ النَّاسِ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ غَنَى الْأَهْرَاجَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ؛ فَلَمَّا ابْنَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ : أَبْعَدُ الْكِبَرِ فَنَفَى غَنَاءَ الْخَثِيثِينَ ! فَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ

(١) كذا في الأغاني (ج ٦ ص ٢٨٠ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصلين : «غلاما» .

(٢) الزيادة من الأغاني .

فَأَنَّكَ جَاهِلٌ، غَنِيْتُ [الثَّقِيلُ] ^(١) سِتِينَ سَنَةً فَلَمْ أَتَلَّ إِلَّا الْقَوْتَ، وَغَنِيْتُ الْأَهْزَاجَ مِنْذُ سِتِينَ فَكَسَبْتُكَ مَا لَمْ تَرْمَلْهُ قَطُّ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

ذكر أخبار ابن جامع

- هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة
 ابن ضُبَيْرة بن سهم بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَيٍّ . قالوا : وكان ابن جامع من
 أحفاد خلق الله لكاتب الله تعالى ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي
 الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، فلا يصلي الناس الجمعة حتى يحتم القرآن
 ثم ينصرف إلى منزله . وكان حسن السمعة ، كثير الصلاة . وكان يتم بعمامة سوداء
 على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مرشياً في زى أهل الحجاز . وروى
 عنه أنه قال : لولا أن القار وحب الكلاب قد شغلاني لتركْتُ المَنَافِعَ لا ياكلون
 الخبز . قال ابن جامع : أخذت من الرشيد بيتين غنيتُ لهما عشرة آلاف دينار .
 قالوا : وكان إبراهيم بن المهدي يفضل ابن جامع فلا يقدم عليه أحداً . قال : وكان
 ابن جامع منقطعاً إلى موسى الهادي في أيام أبيه ، فصر به المهدي وطرده . فلما مات
 المهدي بعث الفضل بن الربيع إلى مكة فأحضر ابن جامع في قبة ولم يعلم به أحداً .
 فذكره موسى الهادي ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع
 وقد عرقت موقفه مني ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندي يأمر المؤمنين
 وأحضره إليه . فوصل الفضل في تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

(١) الكلمة عن الأغانى .

(٢) في الأصول : «مرسا» والصواب عن الأغانى (ج ٦ ص ٢٩١ طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠ والمرسئ : نسبة إلى مرس وهو أدنى بلاد النوبة التي تلي أرض أسوان ، وهي معروفة بمجرة الخير .

وحكى أنه دخل على الهادى ففتناه فلم يُسجبه ؛ فقال له الفضل : تركت الخفيف
وغنيت القليل . قال : فأدخلى عليه أخرى فأدخله ؛ ففتناه الخفيف ، فأعطاه ثلاثين
ألف دينار . قال أحمد بن يحيى المكي : كان ابن جامع أحسن ما يكون غناء إذا
حزن . وأحب الرشيد أن يسمع ذلك ، فقال للفضل بن الربيع : أبعث بخريطة
فيها نعتي أم ابن جامع — وكان برا بأمه — ففعل : فقال الرشيد : يابن جامع ،
في هذه الخريطة نعتي أمك ؛ فأنفخ ابن جامع يفتي بتلك الحُرقة والحزن الذي
في قلبه :

(١) كم بالدروب وأرض السند من قدم * ومن جاحم صرعى ما بها قبروا
وقد تكتب ميتته * بقندهار ريم دونه الخلد

قال : فوفاه ما ملكنا أفتنا ، ورأيت الغلمان يضربون برؤوسهم الحيطان
والأساطين ، وأمر له الرشيد بشرة آلاف دينار .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن علي بن عيسى بن مهران قال : سمعت
يزيد يحدث عن أم جعفر أنه بلغها أن الرشيد جالس وحده وليس معه أحد من
النساء ولا المسامرين ، فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إني لم أرك منذ ثلاث
وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها : عندى ابن جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنى
لا أتبعك بشرب ولا سماع ولا غيرها إلا أن تتركنى فيه ، ما كان عليك أن أتركك
في هذا الذى أنت فيه ! فأرسل إليها : إني صائر إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد
ابن جامع وقال للخدم : امض إليها وأعليها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد ؛ فلما نظر
(١) فى الأغاني : « وأرض الروم » . وورد هذا البيت فى معجم البلدان ياتوت عند الكلام على

« قندهار » هكذا :

كم بالروم وأرض الهند من قدم * ومن سراويل قتل ليهم قبروا
(٢) جاء فى معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد الهند وأحدث مشهورة فى الفتح .

إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله؛ فوجه إليها : إن
معى ابن جامع، فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض
المواضع التي يُسمع منه فيها، ثم أمر ابن جامع فأندفع يفتى :

مَا رَعَدْتُ رَعْدَةً وَلَا بَرَقْتُ * لَكِنَّا أَنشِثْتُ لَنَا خَلْقَهُ^(١)

أَلَمَاءُ يَجْرِي وَلَا نِظَامَ لَهُ * لَوْ يَجِدُ الْمَاءُ مَحْرُوقًا نَرَقَهُ^(٢)

يُنَا وَيَأْتِ عَلَى تَمَارِقِهَا * حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ عَيْنُهَا أَرَقَهُ

أَنْ قِيلَ إِنْ الرِّجِلَ بَعْدَ غَيْدٍ * وَالْأُذُنَ بَعْدَ الْجَمِيعِ مُفَرَّقَهُ

فقلت أتم جعفر للرشيد : ما أحسن ما أشتيت والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت

لمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد :

غَلَبَتِنَا يَابَنَةُ أَبِي الْفَضْلِ وَسَبَقَتِنَا إِلَى بَرِّ ضَيْفِنَا وَجَلِيسِنَا . فَلَمَّا نَحَجَّ حَمْلَ الرَّشِيدِ إِلَيْهَا
مَكَانَ كُلِّ دُومٍ دِينَارًا .

ذكر أخبار عمرو بن أبي الككّات^(٣)

(١٢٥)

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أبو عثمان، وقيل : أبو معاذ عمرو بن

أبي الككّات، مولى بني جُحَم . وهو مكّيٌّ مَنَحَ حَسَنُ الصَّوْتِ، من طبقة ابن جامع

وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أَحْسَنُ النَّاسِ فَأَعْلَمُوهُ غَتَاءً * رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَكَّاتِ

(١) يقال : نشأت لهم حجة خفة وخليفة أى فيها أثر الخلل .

(٢) في بعض أصول الأغاني : «عل نظام له» .

(٣) في الأصول : «الككّات» بالياء . الموحدة بدل التون وهكذا ورد في هذا الفصل كله . والمثبت هنا

هو ما ورد في الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق وما يبدوا إلى آخر الترجمة) .

- قال محمد بن عبد الله بن قزوة : قلت لإسماعيل بن جامع يوماً : هل غلبك أحدٌ من المغنين قط ؟ قال : نعم ، كنتُ ليلةً يبعداد إذ جاءني رسولُ أمير المؤمنين هارون الرشيد فأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرْتُ إلى الدار ، فإذا أنا بالفضل بن الربيع ومعه زَزَل العواد وبرصوما ؛ فسلمت وجلست يسيراً . فطلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء ؟ قال لا . قال : فابست إليه . ولم يزل المغنون يدخلون واحداً واحداً حتى تكاثرت أوسعةً . ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال لا ؛ فقال : قم فابست في طلبه ؛ فقام فغاب غير طویل فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكَثات . فسلم وجلس إلى جنبه ، فقال لي : مَنْ هؤلاء ؟ قلتُ : مُغَنِّون ، هذا « زَزَل » وهذا « برصوما » .
- فقال : لأغنيك غناءً يخرق هذا السقف ويحجبه الحيطان . ثم طلع الخصى فندما بكرامتي ، ونرج الحواري . فلما جلسنا قال الخادم : شُكُوا فاشتوا عيدانهم ؛ ثم قال : ١٠
- يُنْفِئُ أَبْنُ جَامِع ، فَتَنَيْتُ سَبْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةَ أَصْوَاتٍ ؛ قَالَ : أَسَكَتْ ، وَلَيْسَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ ؛ فَتَنَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ ثُمَّ سَكَتَ ، وَغَنَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى فَرَّغُوا . ثُمَّ قَالَ لَأَبْنُ أَبِي الْكَثَاتِ : غَنِّ ، فَقَالَ لَزَلْ : شُدَّ طَبَقُكَ فَشَدَّ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : شُدَّ فَشَدَّ ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ فَخَسَّهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِيدُهُ ، ١٥
- ثُمَّ قَالَ : عَلَى هَذَا . وَابْتَدَأَ الصَّوْتَ الَّذِي أَوَّلُهُ « أَلَا لَا » ؛ فَوَاقَهُ لَقَدْ خَيَّلَ إِلَى أَنَّ الْحِيطَانَ تَجَاوَبَهُ ؛ ثُمَّ رَجَعَ التَّنْمَةُ فِيهِ ؛ فَطَلَعَ الْخَصِيُّ فَقَالَ : أَسَكَتَ لَا تُبَيِّنُ الصَّوْتَ فَسَكَتَ . ثُمَّ قَالَ : يَجْلِسُ عَمْرُو بْنُ أَبِي الْكَثَاتِ وَيَنْصَرِفُ سَائِرُ الْمَغْنِينِ ؛ فَقَعْنَا بِأَسْوَأِ حَالٍ وَأَكْسَفِ بَالٍ ، وَلَا وَاقَهُ مَا زَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَّا يَسْأَلُ صَاحِبَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَرْوِيهِ مِنَ الْغَنَاءِ الَّذِي أَوَّلُهُ « أَلَا لَا » طَمَعًا فِي أَنْ يَعْرِفَهُ وَأَنْ يَوَاقِقَ غَنَاءَهُ فَمَا عَرَفَهُ مَنَّا أَحَدٌ . وَبَاتَ عَمْرُو بْنُ الرَّشِيدِ لَيْلَتَهُ وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ بِجَوَائِزٍ وَصِلَاتٍ ٢٠
- وَمُطَرِفِ سَنِيَةٍ .

وقال موسى بن أبي المهاجر: خرج ابن جامع وابن أبي الكّثّ حين دَفَع الإمام^(١) من عرفة ، حتى إذا كانوا بين المأزمتين جلس عمرو على طرف الجبل ثم أندفع يفتي ، فركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا به وأستغاثوا : يا هذا ، الله الله ! أُسْكُت عنا يَجِزُ الناسُ ؛ فضبط ابن جامع يده على فيه حتى مضى الناس إلى مُرْدَلِفَة .

- قال علي بن الجهم : حدثني من أتى به قال : واقفتُ ابنَ أبي الكّثّ على
 جسر بغداد أيام الرشيد فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه وقف في الموسم
 في أيام هشام ، فتر به بعض أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رجلاً لو
 تكلم لحبس الناس فلم يذهب منهم أحدٌ ولم ينجي^(٢) . فقلت له : من هذا الرجل ؟ قال :
 أنا ، ثم أندفع ففتى لحبس الناس ، فأضطربت المحامل ومدت الإبلُ أعناقها . فقال
 ابن أبي الكّثّ وكان مُعجِباً بنفسه : أنا أفعل كما فعل وقد رقي على القلوب أكثر
 من قدرته . ثم أندفع ففتى الصوت الذي غنى فيه ابن عائشة ، وهو :

جَرَّتْ سُنْماً فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي * نَوَى مَشْمُولَةً فَتَنَى الْقَلَاءُ
 بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ * أَطَالِحُهُ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

- قال : ففتناه ، وكنا إذ ذاك على جسر بغداد ، وكان على دجلة ثلاثة جسور ،
 فأتقطعت الطُّرُقُ وأمتلأت الجسورُ بالناس فأزدحموا عليها وأضطربت حتى خيف
 عليها أن تنقطع لِثِقَلِ من عليها من الناس . فَأَخَذَ فَأَتَى به الرشيد ، فقال له : يا عدو
 الله ، أردت أن تقتل الناس ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنّه بلغني أن ابن
 عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام ، فأحييت أن يكون في أيامك مثله . فأعجبه ذلك ،

(١) في الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « حين دفعا من مرة حتى إذا كالا » .

(٢) كذا في الأصل والأغانى . وكان مقتضى السياق أن يكون : « قال له » : اذ مرجع
 الضمير بعض أصحابه انتهى مره .

وأمر له ببال وأمره أن يفتي فتى؛ فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فأحبسه عنده شهراً يستريده، وكل يوم يستأذن له في الانصراف فلا يأذن له حتى تم شهراً، وأنصرف بأموال جسيمة.

وقال ضئان بن موسى: كنا على شراب يوماً ومعا عمرو بن أبي الكثات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس: من يحبون أن يخبثكم؟ قلنا: منصور الحنظلي. فقال: أمهلوا حتى يكون الوقت الذي يتخدر فيه إلى سوق البقر. فكثنا ساعة ثم أذفع يفتي:

أحسنُ الناسِ فأعلموه غناءً * رجلٌ من بني أبي الكثاتِ
حَفَّتِ الدَّارُ فالهضابُ اللواتي * بين نورٍ فلتقى عَرَقاتِ

١. فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل ركضاً دابته نحونا. فلما جلس إلينا قلت له: من أين علمت بنا؟ قال: سمعتُ صوت عمرو وأنا في سوق البقر، فخرجت أركض دابتي حتى صرتُ إليكم. قال: وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال.

وقال يحيى بن يعلى بن سعيد: بينا أنا ليلة في منزلي في الرَّمْضَةِ بأسفل مكة، إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكثات كآته معي، فامرأتُ الغلام فأمسج لي دابتي ونهرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكتيب العارض يعطن عرفة يفتي:

خُدَى المَقْوَمِ تَسْتَدِي مَوَدِّي * وَلَا تَتَلَقَى فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

- (١) في الأغانى (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع يولاق): * بمراد فلتقى عَرَقاتِ *
ونور: جبل بمكة فيه النار التي اغضى فيه النبي صلى الله عليه وسلم. وأما سوارفن فرى البحرين.
(انظر باقوت ج ١ ص ٩٣٨ وج ٣ ص ١٨٠).

ولا تَقْرَبِي قَسْرَةَ اللَّفِّ مَرَّةً * فَاتَّكَ لَا تَدْرِينِ كَيْفَ الْمَغِيبِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى * إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلَيْتِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ذكر أخبار أبي المهنا مُحَارِق

هو أبو المهنا مُحَارِقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ نَاوُوسِ الْجَزَارِ مَوْلَى الرَّشِيدِ . وَقِيلَ : بَلَ
• نَاوُوسٌ لَقَّبُ أَبَاهُ يَحْيَى ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِنَاوُوسٍ لِأَنَّهُ بَاعَ رَجُلًا أَنَّهُ يَمْضِي إِلَى نَاوُوسِ
الْكُوفَةِ فَيَطْبِخُ فِيهِ قَدْرًا بِاللَّيْلِ حَتَّى تَنْضَجَ ، فَيُطْرَحُ رَهْنَهُ بِذَلِكَ ؛ فَدَسَّ الرَّجُلُ الَّذِي
رَاهَنَهُ رَجُلًا فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّوُوسِ بَيْنَ الْمَوْتِ . فَلَمَّا فَرِغَ نَاوُوسٌ مِنَ الطَّبْخِ مَدَّ
الرَّجُلُ يَدَهُ مِنْ بَيْنِ الْمَوْتِ وَقَالَ لَهُ : أَطْلِعْنِي ؛ فَعَرَفَ بِالْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَوْتِ وَصَبَّهَا فِي يَدِ
الرَّجُلِ فَأَحْرَقَهَا وَضَرَبَهَا بِالْمَعْرِفَةِ وَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ حَتَّى نُطْعِمَ الْأَحْيَاءَ أَوَّلًا ثُمَّ تَتَفَرَّغُ
لِلْمَوْتِ ؛ فَلَقَّبَ نَاوُوسًا لِذَلِكَ .

١٠

قَالَ : وَكَانَ مُحَارِقٌ لَمَاتِكَةً بِنْتُ شَهْدَةَ ، وَهِيَ مِنَ الْمَغْنِيَّاتِ الْمُحْسَنَاتِ الْمُتَقَدِّمَاتِ
فِي الضَّرْبِ . نَشَأَ مُحَارِقٌ بِالْمَدِينَةِ ؛ وَقِيلَ : كَانَ مَنْشُؤُهُ بِالْكُوفَةِ . وَكَانَ أَبُوهُ جَرَّارًا
مَمْلُوكًا ، وَكَانَ مُحَارِقٌ وَهُوَ صَبِيٌّ يَتَادَى عَلَى مَا يَبِيعُهُ أَبُوهُ مِنَ الْهَمِّ . فَلَمَّا بَانَ طَيِّبُ
صَوْتِهِ عَتَبَتْهُ مَوْلَاتُهُ طَرَفًا مِنَ الْغَنَاءِ ، ثُمَّ أَرَادَتْ بَيْعَهُ ، فَأَشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ مِنْهَا
وَأَهْدَاهُ لِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، فَأَخَذَهُ الرَّشِيدُ مِنْهُ ثُمَّ أَعْتَقَهُ . وَقِيلَ : أَشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ
• مَوْلَاتِهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَزَادَهَا ثَلَاثَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . قَالَ : وَلَمَّا أَشْتَرَاهُ قَالَ لَهُ
الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : مَا خَبَرُ غَلَامٍ يَلْفَنِي أَنَّكَ أَشْتَرَيْتَهُ ؟ فَقَالَ : هُوَ مَا بَلَغَكَ . قَالَ :
فَارْتَبِعْ ، فَأَحْضَرَهُ ، فَتَنَّى بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَى فِيهِ الَّذِي رَأَيْتَ . قَالَ : تَرِيدُ
أَنْ يَكُونَ فِي الْغَنَاءِ مِثْلِي فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ! فَقَالَ : بِكَمْ تَبِيعُهُ ؟ قَالَ : أَشْتَرَيْتُهُ بِثَلَاثِينَ
• أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، وَهُوَ حَرٌّ لَوْجَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ بَعْتَهُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَفَنِيسِبُ

٢٠

الفضل وقال : إنما أردت ألا تيمه أو تجعله سببا لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال إبراهيم : أنا أصنع بك حصلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شركتك في نصفه [وأصله^(١)] ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال وإلا بعتك بعد ، وكان الرّيح بيني وبينك . فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره ، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه ، وغضب . فقال إبراهيم له : فانا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك . وغدا إبراهيم على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ، ما غلام يفتني أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم يملك العرب ولا الحسم مثله ، ولا يكون مثله أبدا . قال : فوجهه إلى الفضل يأمره بإحضاره . فوجه به إليه ، ففتي بين يديه ، فقال له : كم يساوي ؟ قال إبراهيم : يساوي نراج مصر وضياها . قال : ويحك ! أتدري ما تقول مبلغ هذا المال كذا وكذا ! قال : وما مقداره هذا المال في غلام لم يملك أحد مثله قط ! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد عرفت يعني أني لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا . فقال مسرور : فانا أمضي إلى الفضل فأستوحيه منه ، فإننا كان عندى فهو عندك . فقال له : شألك . فمضى مسرور إلى الفضل وأستوحيه منه ، فوجه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذى أهده الرشيد ، فأمره الرشيد بتعليمه فعلمه حتى بلغ ما بلغه . قال : وكان حمار يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يحطس وينتف وهو واقف . ففتي ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد :

كأن نيرانتا في جنب قلميتم * مصيغات على أرماني قصار^(٢)

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٢) . (٢) في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٢) :

« نيرانها » - (٣) القصار (كالتصر) : المحور للباب .

- هَوَتْ هِرْقَلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا • جَوَانِمًا تَرْنَمِي بِالْقَطْعِ وَالنَّارِ
- فطرب الرشيد وأستعاده مراراً ، وهو شعر مُبَحَّح به الرشيد في فتح هِرْقَلَةَ • فأقبل الرشيد على ابن جامع دون غيره • فغمز غمارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء ، فلما جاء قال له : مال أراك مُتَكَبِّراً ؟ فقال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ! فقال غمارق : قد والله أخذته • فقال : ويحك ! إنه الرشيد ، وابن جامع من تَسلَّم ، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو الموت ! فقال : دعني وخلاك ذم ، وعرفته أتى أغنى به ، فإن أحسنت فإليك ينسب ، وإن أسأت فإلى يعود • فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك مُتَعَجِّباً من هذا الصوت بشئ ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه ! فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء • قال : أول ابن جامع هو ؟ قال : نعم ، كنا ذكر • قال : فأت عبداً غمارقاً يفتيه • فنظر إلى غمارق ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين • قال : ها به ، ففتاه وتحفظ فيه فأتى بالعجائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ، ثم أقبل على ابن جامع فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فأبتدأ يحلف بالطلاق وكلَّ مُحَرَّجَةً أنه لم يسمع ذلك الصوت قط من غيره وأنه صنعه وأنها حيلةٌ جرَّت عليه • فأقبل على إبراهيم وقال : أصدقتني بجبانتي ، فصدقته عن قصة غمارق • فقال لغمارق : اجلس إذا مع أصحابك ، فقد تجاوزت مرتبة من يقوم . وأعطته ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعته ضيعةً ومزلاً . وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن هارون بن غمارق ، قال : كان أبي إذا غنى هذا الصوت :

- يَارُبِّعْ سَلَمِي لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا • زِدْتَ الْفَوَادِ عَلَى عِلَالِهِ وَصَبَا
رُبْعٌ تَبْدُلُ مِنْ كَلْبٍ يَسْكُنُهُ • عَفَرَ الطَّبَاءَ وَطَلَبَاتًا بِهِ عُصْبَا

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبت ؟ فقال : غيَّته
مولاي الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فلتنى
حاجتك ؛ فقلت : تُعَيِّضُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعَقَّكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ؛ فقال : أنت حرٌّ
لوجه الله تعالى ، فأعِدِ الصوتَ فأعدُّته ؛ فبكى وشرب رطلا ، ثم قال : أحسنت
يا مخارق ! فلتنى حاجتك ؛ فقلتُ : ضَبْعَةٌ يُقِيمُنِي غَلَّتْهَا ^(١) ؛ فقال : قد أمرتُ لك
بها ، أَعِدِ الصوتَ فأعدُّته ؛ فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،
تأمر لي بمثل وفريس وخادم ؛ فقال : ذلك لك ، أَعِدِ الصوتَ فأعدُّته ؛ فبكى وقال :
سل حاجتك ؛ فقبلتُ الأَرْضَ بين يديه وقلت : حاجتي أَنْ يُطِيلَ اللَّهُ بِقَاعِكَ وَيُدِيمَ
عَزَّكَ وَيَحْلِقَ مِن كُلِّ سَوْءٍ فِدَاكَ ؛ فَأَنَا مَوْلَى هَذَا الصَّوْتِ بَعْدَ مَوْلَايَ .

وَيُرَوَّى أَيْضًا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ عَنْ مُخَارِقٍ أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ يَوْمًا لِلْعَيْنِ
وَهُوَ مُصْطَبِحٌ : مَنْ مِنْكُمْ يَقْنِي :

* يَارِيعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرِبَا *

فَقَعْتُ وَقُلْتُ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فقال : هَاتِيهِ ؛ فَنَعَيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :
عَلَى بَهْرَمَّةٍ ؛ فقلتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا يَرِيدُ مِنْهُ ! بَغَاءُ هَرَمَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : مُخَارِقُ الشَّارِئِ
الَّذِي قَتَلَنَاهُ بَنَوَاحِي الْمَوْصِلِ مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ ؟ فقال : أَبُو الْمُهْتَا ؛ فقال : أَنْصَرِفْ
فَأَنْصَرَفَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّشِيدُ عَلَيَّ فَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أبا الْمُهْتَا لِإِحْسَانِكَ ؛ وَأَمَرَ لِي
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْصَرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونٍ : كُنَّا عِنْدَ الْوَائِقِ وَأَتَاهُ عَلِيَّةٌ . فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ دَخَلَ
إِلَيْهَا وَأَمَرَ أَلَا نَبْرَحَ ، فَجَلَسْنَا فِي مَحْفَنِ الدَّارِ ، وَكَانَتْ لَيْلَةً مَقْمِرَةً وَأَبْطَلَ الْوَائِقُ عَلَيْنَا ؛
فَانْدَفَعَ مُخَارِقُ يَقْنِي ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْنَا الْفُلَيْهَانُ ، وَخَرَجَ الْوَائِقُ فِصَاحًا : يَا ظَلَامُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ

(١) كَذَا فِي الْأَخْبَارِ (ج ٢١ ص ٢٢٤) . وَفِي الْأَصْلِ : «عَلِمَا» وَهُوَ صَحِيفٌ .

- أحد، ومثني في المجلس الى أن توسط الدار؛ فلما رأيته بأدركت إليه؛ فقال لي :
ويك ! هل حدث في دارى شيء؟ فقلت : لا يا سيدي . قال : فما بالي أصبح فلا
أجاب ؟ فقلت : غارق يفتي والعلمان قد اجتمعوا اليه فليس فيهم فضل لسماع
غير ما يسمعون . فقال : عذروا الله لم يأين حمدون وأى عذر! ثم جلس وجلسنا
بين يديه الى السحر . وقد روى نحو هذه الحكاية في أمر العلمان مع غارق عند
المتعم . وقال محمد بن عبد الملك الزيات : قال لي الواثق : ما غنائى غارق قط
إلا قدرت أنه من قبي خلق . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل غارق على
جميع أصحابه؟ أنظروا الى هؤلاء العلمان الذين يقفون في الساط، فكانوا يتفقونهم
وهم وقوف فكلهم يسمع الغناء من المنين جميعا وهو واقف مكانه ضابط لنفسه،
فاذا فتى غارق خرجوا عن صورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب
الطرب فيهم، وأزدهوا على الجبل الذى يقفون من ورائه .

- وحكى أنه خرج مرة الى باب الحُكاسة بمدينة السلام والناس يرحلون الى مكة؛
فنظر الى كثرتهم وأزدهامهم ، فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء في الخبر أن
أبن سرج كان يفتي في أيام الحج والناس يمشون فيستوقفهم بفنائهم، وسأستوقف لكم
هؤلاء الناس وأستلهمهم جميعا لعلوا أنه لم يكن ليُفضلنى إلا بصنعة دون صوته؛
ثم اندفع يؤذن، فاستوقف أولئك الخلق وأستلهمهم، حتى جعلت المحامل يفتي
بعضها بعضا .

- قالوا : وجاء أبو العتاهية الى باب غارق وطرقه فخرج اليه؛ فقال له : يا حُسان
هذا الإقليم، يا حُكم أرض بابل، أصيب في أذنى شيئا يفرح به قلبي وتتم به نفسي —
وكان في جماعة منهم محمد بن سعيد اليزيدي — فقال : أنزلوا، فقلوا، ففناهم .
فقال محمد بن سعيد : فكنت أسى على وجهى طربا . قال : وجعل أبو العتاهية

بيكي، ثم قال : يا دواء المجانين، لقد وقفت حتى كدت أن أحسوك، فلو كان الشتاء طعاماً لكان غناؤك أدماً، ولو كان شرباً لكان ماء الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمر بن شبة قال : حدثني بعض آل نوبخت قال : كان أبي وعبد الله بن أبي مهمل وجماعة من آل نوبخت وضيئهم وقونا بكاسة الذواب في الجانب الغربي ببغداد يتحدثون، وإنهم لكانوا إذ أقبل غارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم؛ فقال : فيم كنتم؟ فأخبروه . فقال : دعونا من وسواسكم هذا، أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي وغتيت صوتاً فلم يبق أحد بهذه الكاسة ولا في الطريق من مشتر ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي؟ فقال عبد الله : إني لأحِب أن أرى هذا، ففعل ماشئت . فقال غارق : فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمنتهيه . قال : هو لك إن فعلت ماقلت . قال : فرمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه، ثم اندفع يفتي بشعر أبي العتاهية :

نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيلَ الْيَأْمِ * أَطْلَسَتْ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِغْنَامُ
ومضى أمامك من رأيت وأنت لا * باقين حتى يلحقوك أمامُ
مالي أراك كأن عينك لا ترى * عِبراً تتر كأنهن سِهام
تمضي الخطوب وأنت متبها لها * فلنا مضت فكانها أحلامُ

قال : فرأيت الناس يأتون إلى المقبرة أرسلالين راكب وراجل وصاحب شغل ومات في الطريق حتى لم يبق أحد . ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقي أحد؟ قلنا : لا، وقد وجب الرهن . فقام فركب حماره، وحاد الناس إلى صلتهم؛ وقال لعبد الله : أحضر الفرس؛ قال : هل أن تهيم عندي؛ قال نعم ! فسلم الفرس إليه وبره وأحسن رفقته .

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّي قَالَ: خَرَجَ غَارِقٌ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُتَرَهَاتِ،
فَنَظَرَ إِلَى قَوْسٍ مُذْهَبَةٍ مَعَ بَعْضٍ مِنْ خُرُجٍ مَعَهُ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا، وَكَانَ الْمَسْئُولُ ضَرَبَ
بِهَا، وَسَمِعَتْ نِطْبَاءً بِالْقَرَبِ مِنْهُ؛ فَقَالَ لِصَاحِبِ الْقَوْسِ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَقَنَيْتُ صَوْتَا
فَعَطَفْتُ عَلَىٰ بِهِ خَدُودَ هَذِهِ الطَّبَاءِ أَتَدْفَعُ إِلَى الْقَوْسِ؟ قَالَ نَعَمْ! فَانْدَفَعَ يَفْتَنِي:

مَاذَا تَقُولُ الطَّبَاءُ * أَفَرَقَّةٌ أَمْ لِقَاءُ

أَمْ عَهْدُهَا بِسُلَيْمَى * وَفِي الْبَيَانِ شِفَاءُ

مَرَّتْ بِتَسَانِيحَاتٍ * وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ

فَمَا أَحَارَتْ جَوَابًا * وَطَالَ فِيهَا الْعَنَاءُ

قَالَ: فَعَطَفَتِ الطَّبَاءُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَتْ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ مُصْنِفَةً إِلَى
صَوْتِهِ. فَعَجِبَ مِنْ حَضَرٍ مِنْ رَجُوعِهَا وَوَقُوفِهَا؛ وَتَأَوَّلَهُ الرَّجُلُ الْقَوْسُ، فَآخَذَهَا وَقَطَعَ
الْعَنَاءَ [فَعَاوَدَتِ الطَّبَاءُ نِفَارَهَا وَمَضَتْ رَاجِعَةً عَلَى سَنَنِهَا^(١)].

وَرَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ بَايِنَ لَهُ
وِغَارِقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَفْتَنِيهِ:

يَا رِبْعَ بَشِيرَةٍ إِنْ أَضْرَبَكَ الْبَلَى * فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قَالَ: فَرَأَيْتُ أَبِي وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ وَهُوَ يَنْشِجُ أَحْرَ
نَشِيجٍ. فَلَمَّا رَأَى قَالَ: يَا إِسْحَاقُ، هَذَا وَاقِعُ صَاحِبِ الْوَاءِ قَدْ آتَى مَاتَ أَبُوكَ.
وَرَوَى عَنْ غَارِقٍ قَالَ: رَأَيْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ كَأَنَّ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى سُرُرِي فِي رَوْضَةٍ
حَسَنَةٍ، فَدَعَانِي فَقَالَ لِي: غَنِّي يَا غَارِقُ؛ فَقُلْتُ: أَصَوْتًا تَقْرَحُهُ أَوْ مَا حَضَرَ؟ فَقَالَ:
مَا حَضَرَ. فَغَنَيْتُهُ:

(١) الزيادة من الأغاني (ج ٢١ ص ٢٣٧).

دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزِدُّ خَبَالًا مَعَ الَّذِي * بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوَى جَوَاهُ الْمَكْتَمَا

وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْفِهِ * وَلِصَّكَتِهِ قَدْ خَالَطَ الْقَهْمَ وَالْذَمَّا

فقال لي : أحسنت يا غارق ! ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلقه على المضارب ودفعه اليّ ، فجعل المضارب يطول وينقُط والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضارب كالرَّح [عليه^(١)] وصار في يدي علمًا ، ثم انتهت لحدثت برؤياي إبراهيم الموصلي ، فقال لي : الشيخ بلا شك إلبس ، وقد عقد لواء صفتك فانت ما حيت رئيس أهلها .

وقال أحمد بن حمدون : غضب المعتصم على غارق فأمر أن يُجعل في المؤذنين ويأثمهم ففعل ذلك ؛ وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب ، فأذنت العصر ، فدخل إلى السّتر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جهده وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى حتى جرت دموعه وبكى كلّ من حضر ، ثم قال : أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ وَأَقْبِلْ عَلَيْنَا ؛ ثم قال : سمعتم هكنا قط ! هذا الشيطان لا يترك أحدًا ينضب عليه ! . فدخل إليه فقبل الأرض بين يديه ؛ فعداه المعتصم إليه فأعطاه يده قبلها وأمره بإحضار عوده فأحضره ، وأعادته إلى مرتبته . وأخبره كثيرة ، وفيها أوردناه منها كفاية . وكانت وفاته في أول خلافة المتوكل ، وقيل : بل في آخر خلافة الواثق . وغنى خمسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق . رحمهم الله تعالى .

ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكي

﴿١﴾

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكي، مولى بنى أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته للخلفاء من بنى العباس، وكان إذا سُئِلَ عن ولاته أتى الى قريش، ولم يذكر البطن الذى ولاؤه له، ويستعفى من يسأله عن ذلك .

قال الأصمهانى :

- وعمري بن المكي مائة وعشرين سنة، وأصاب بالفتاء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر . وكان قديم مع المجازين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته فبقي بالعراق . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلى وفُتِحَ يَزْعُونُ اليه في الفتاء التَّدِيمَ فَيَأْخُذُونَهُ عَنْهُ، وَيُمَايِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا يَأْخُذُونَهُ مِنْهُ . فَإِذَا خَرَجَتْ لَهُمُ الْخَوَازِئُ أُحْذَوْهُ مِنْهَا وَفَرَّوْا نَصِيحَتَهُ . وَلَهُ صِنْعَةٌ عَجِيبَةٌ نَادِرَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ . قَالَ : وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْأَغَانِي وَنِسَبِهَا وَأَجْنَاسِهَا كَبِيرٌ جَلِيلٌ مَشْهُورٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَالْمَطْرُوحِ عِنْدَ الرَّوَاةِ لِكثْرَةِ تَخْلِيطِهِ فِي رَوَايَاتِهِ، وَالْعَمَلُ عَلَى كِتَابِ ابْنِهِ أَحْمَدَ، فَإِنَّهُ صَحَّحَ كَثِيرًا مِمَّا أَضْبَغَ وَأَزَالَ مَا عَرَفَهُ مِنْ تَخَالِيطِ أَبِيهِ، وَحَقَّقَ مَا نَسَبَهُ مِنَ الْأَغَانِي إِلَى صَانِعِهِ . قَالَ : وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافِ صَوْتٍ .

قال أحمد بن سعيد :

- كَانَتْ صِنْعَةُ يَحْيَى ثَلَاثَةَ آلَافِ صَوْتٍ، مِنْهَا زُهَاءٌ أَلْفُ صَوْتٍ لَمْ يُقَارِبْهُ فِيهَا أَحَدٌ . وَسُئِلَ ابْنُهُ أَحْمَدُ عَنْ صِنْعَةِ أَبِيهِ فَقَالَ : الَّذِي صَحَّحْتُ عَنْهُ مِنْهَا أَلْفُ صَوْتٍ وَثَلَاثَةُ صَوْتٍ، مِنْهَا مِائَةٌ وَسَبْعُونَ صَوْتًا، قَلِبَ فِيهَا عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا مِنْ قَدَمِ مَنْهُمْ وَ[مِنْ] تَأْتِرٍ، فَلَمْ يَقُمْ لَهُ أَحَدٌ فِيهَا .

- (١) أحذاه: أحلاه مما أصاب من غيبة أو جائزة . (٢) في الأصل : «خطب»، والتصويب عن الأغاني (ج ٦ ص ١٧٨) . (٣) الزيادة عن الأغاني .

قال أحمد بن يحيى قال لى إسحاق : يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتاً
من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابح . والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكيّ الملقّب بطنّين^(١)

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكيّ، وكان يُلقّب طنّينا، وهو أحد المحسّنين
المُبرّزين الرواة للفناء المُحكّي الصنعة . كان إسحاق يقدّمه ويؤثّرهُ ويتنوّذُ بذكره
ويجّههُ بتفضيله .

قال أبو الفرج : وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصلٌ من الأصول المعول
عليها . قال : وكان مع جودة غناؤه وحسن صنّعه أحد الثّراب الموصوفين
المتّقمين .

قال عليّ بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ - وقد جرى ذكر أحمد
ابن يحيى المكيّ - : يا أبا محمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكاً كم كان يساوي؟
قال : أخبرك عن ذلك، انصرفت ليلة من دار الواثق فأجترتُ بدار الحسن بن وهب
فدخلتُ إليه فإذا أحمد عنده . فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن
وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال :
ثم رجع ففتى صوتاً؛ فقال لي الحسن : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلتُ : يساوي
ثلاثين ألف دينار . ثم فتى صوتاً آخر؛ فقلتُ للحسن : يا أبا عليّ أضعفها . ثم أردتُ
الانصراف فقلت لأحمد : غنيّ

لولا الحياء وأن السّتر من خلقي * إذا قمتُ إليك الدهر لم أقم

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « طنّين » بالفتح . المعجبة .

(٢) القى في الأغاني : « ويشيد » .

(٣) القى في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « السّر » .

أليس عندك سكرٌ^(١) لتي جعلتُ * ما أبيض من قدامات الرأس كاللحم
ففتاه فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قتُ للأصراف قلتُ : يا أبا عليّ، أضعف
الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعك تقولينه ولست أدري ما معناه ؟ فقال :
نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك :
سألني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما : من يني من المغنين ؟ قلت : وجه القرعة
محمد بن عيسى . فقال : صالح كيس ؟ ومن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي .
قال : ينجح ! ذاك الحسن الخليل الضارب المغني ، القائم يحلسه لا ينجح أهل
المجلس الى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

(١٣٠)

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بني أمية

- ١٠ يُكنى أبا العباس . وكان موسى الهادي يسميه أبا الفريض . قال أبو الفرج :
وهو حسن الصنعة غزيرها ، وفيه يقول الشاعر :
- يا وحشتي بعدك يا هاشم * غبت فشجوى بك لي لازم^(٢)
اللهم واللثة يا هاشم * ما لم تكن حاضره ماتم
- وقال الأصمعيّ بسند رفعه إلى هاشم :
- ١٠ أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده جماعة فقال : يا هاشم غنى :
- * أهاز قد هيجت لي أوجا *
- فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضية . قال : فغنيته ، وهو :
- أهاز قد هيجت لي أوجا * وتركيتني عبدا لكم مطواعا

(١) كفا في الأغاني . وفي الأمل : « شكر » .

(٢) في الأغاني (ج ١٤ ص ٤٤ طبع بولاق) : « دائم » .

بمحدثك الحسن الذي لو كُتبت * وحش القلعة به لحش من مراعا
وإذا مردت على البهار متضدا * في السوق هيج لي إليك نزا
واقه لو علم البهار بأنها * أضحت سميت له لصار ذراعا

فقال : أصبحت وأحسن ، سل حاجتك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن
يُملأ هذا الكانون دراهم - وكان بين يديه كانون عظيم - فأمر به فُلِّي فورس
ثلاثين ألف درهم . فلما حصلتُها قال لي : يا ناقص الهمة ، واقه لو سألت أن أملاه
لك دنائير لعلت . فقلت : أقتني يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل إلى ذلك
ولم يُسعدك الجدة به . وقد رويت هذه الحكاية في موضع آخر ، وذكر أن الذي
غناه غير هذا الشعر ، وأن الكانون وسع ست بئر ، فدفعها إليه .

ذكر أخبار يزيد حوراء

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛
ويكنى أبا خالد . مُنقحٌ محسنٌ كثير الصنعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي .
وكان ممن قديم على المهدي في خلافة فتنه . وكان حسن الصوت حلوا الشائل .
فحسده إبراهيم الموصلي على شمائله وإشاراته في الغناء ، فاشتري مئة جوار وشاركه [فيهن] ^(١) ،
وقال له : علمهن ، لما رزق الله تعالى من ربح فيهن فهو بيننا ، وأمرهن أن يعلن
وكدهن أخذ إشاراته فعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وأبنته ويأمرهن
بتعليم كل من يعرفه ذلك حتى شهرها في الناس ، فأبطل عليه ما كان مقررا به من
ذلك .

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٣ ص ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الركد : المم والقصد .

قال عبد الله بن العباس الرِّبَيعي :

كان يزيد حوراء نظيفاً طريفاً حسن الوجه شكلاً ، لم يقدم علينا من الحجاز
أنظف منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة لا تراها في أحد منهم
إلا رأيته فيه . وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع
منه ويُسِّع ذكره بالجميل ويُبَيِّن له مواضع هُذِنَتْه [وإحسانه] ، ويبحث بآبنة إسحاق
[إليه] يأخذ عنه .

وحكى أبو الفرج بسند رُفِعَ به إلى يزيد حوراء قال :

كلني أبو العتاهية في أن أكلم المهدي في عتبة ؛ فقلت : إن الكلام لا يُمكنني ،
ولكن قل شعراً أغنيه به ؛ فقال :

نفسى بشيء من الدنيا معلقة * الله والقيام المهدي يكفيها
إني لأياس منها ثم يطعمني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها
قال : فعملت فيه لحناً وغنيتُه . فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ؛
فقال : ننظر فيما سأل ؛ فأخبرت بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شرباءني فقال : هل
حدث خبر ؟ قلت لا . قال : فأذكري للمهدي . فقلت : إن أحببت ذلك فقل
شعراً تحركه به وتذكروه وصله حتى أغنيه به ؛ فقال :

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * فقد أتر الجواب لأمر
ما جواب أولى بكل جميل * من جواب يرد من بعد شهر
قال يزيد : فغيت المهدي ، فقال : علي بنبه فأحضرت ؛ فقال : إن أبا العتاهية
كلني فيك ، فما تقولين ولك عندي وله ما يُحَيِّيان مما [لا] تبلغه أمانيكما ؟ فقالت :

قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاي، وأريد أن أذكر هذا لها .
قال : فأفعل . قال : فأعلمت أبا العتاهية . ومضت أيام فإلني معاودة المهدي ؟
فقلت : قد عرفت الطريق ، فقل ما شئت حتى أغنيه به ؛ فقال :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ • عَنَّقُ بِحُبِّ إِلَيْكَ بِي وَرَسِيمِ
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جَوْدِكَ نَظِيرِي • أَرْغَى عَيْنَايَ بِرَفْهَاتِ وَأَسِيمِ
وَلَقَدْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي • فَإِنَّا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمِ
وَلَرَبِّمَا أَسْقِيسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا • إِنْ أَلَدَى وَعَدَ النَّجَاحِ كَرِيمِ

قال يزيد : فغنىته الشعر ، فقال : على بعتة فجاعت ؛ فقال : ما صنعت ؟ فقالت :
ذكرت ذلك لمولاي فكريهته وأبت أن فعل ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد . قال :
ما كنت لأفعل شيئا تكرهه . فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ • وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرَحُّالِ
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَائِلِي • وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَتَلَجَّنَ بِبَالِ
وَلَنْ طَلِعْتُ لِرَبِّ بَرْقَةٍ خَلْبِ • مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمْعَةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكاية وأختصرها ، ولم يذكر الأبيات التي منها

• أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ •

إلا أنه غير قوله : " أَشْرَبْتُ قَلْبِي " بقوله : " أَعْلَمْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ " . وقال :
فصنع فيه يزيد لحنا وغناء المهدي . قال أبا العتاهية وقال له : أما عتبة فلا سبيل
إليها ، لأن مولاتها قد منعت منها ، ولكن هذه خمسون ألف درهم فأشتر بيعها خيرا
من عتبة فحملت إليه ، فأخذها وأنشده .

وحكى عن حماد بن إسحاق قال :

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، وكانت تمر بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء . فقلت لها يوما : أفهمي قولى وردى جوابى وكوفى عند ظنى ، فقالت : هات ما عندك . فقلت : بالله ما أسميك ؟ فقالت : ثمينة . فاطرقت طيرة من أسمها مع طمعى فيها ، ثم قلت : بل بانلة ومبئولة . إن شاء الله فأسمى منى . فقالت وهى تنبهم : إن كان عندك شيء فقل . فقلت : ليهنك منى أتنى لست مفشياً * هواك إلى غيرة ولو مت من كربى ولا ما نحا حقا سواك محبة * ولا قاتلا ما عشت من حبكم حسبى فنظرت إلى طويلا ثم قالت : أئشدك الله ، أعن قوط محبة أم أحتاج غلمة [تكلمت] ؟ فقلت : لا والله إلا من فرط محبة . فقالت :

١٠

فوالله رب الناس لا تحنك الهوى * ولا زلت مخصوص المحبة من قلبي
فتق بي فاني قد وثقت ولا تكن * على غير ما أظهرت لي يا أبا الحب

❦

قال : فوالله لكأنما أضمرت في قلبي نارا . فكانت تلقانى في الطريق الذى كانت تسلكه فتحدثنى فاتفق بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، وكانت تكاتبني وتلاطفني دهرها طويلا .

١٥

ذكر أخبار فليح بن أبي العوراء

هو رجل من أهل مكة مولى لبنى مخزوم ، وهو أحد مفتي النبوة العباسية ، له عمل كبير من صناعته ، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المسألة الصوت للرشيد التى بنى أبو الفرج الأصفهاني كتابه المترجم بالأغاني عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ما سمعت أحسن من غناء فليح وأبن جامع . وكان المهدي لا يغبنيه مفتي

٢٠

(١) الإضافة عن الأغاني .

إلا من وراء الستارة إلا طليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه وبين المهديّ . وهو أول مُنقّ نظر وجه المهديّ .

وروى أبو الفرج الأصفهانيّ عن يوسف بن إبراهيم بن إبراهيم بن المهديّ قال : كتب إلى جعفر بن يحيى وأنا عامل الرشيد على [جند] دمشق : قد قدم علينا طليح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخيفه كلّ غناء سمعناه قبله . وأنا محال لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا . فلم ألبث أن ورد على طليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ، فورد على منه رجلٌ إذ كرى لقاءه الناس وأخبرني أنه قد فاهز المائة . فأقام عندي ثلاث سنين ، وأخذ جوارى عنه كلّ ما كان معه من الفناء ، وأقتنى بعض غنائهم بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكيّ عن طليح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة فتى يشقّ أبنة عم له ، فوعده أنها تزوره ؛ وشكا إلى أنها تأتيه ولا شيء عنده ؛ فأعطيته دينارا للشفقة . فلما زارته قالت له : من يُلهيّنا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ؛ ودعاني فأتيتُ ؛ وكان أول ما غنيتُ :

من الخفّرات لم تقصّح أخاها • ولم ترفع لوالدها شئارا

فقامت إلى نوبها فليسته لتصرف . فتعاقب بها وجهه كلّ الجهد في أن تُهمّ فتمّ فعل وأنصرفت . فأقبل يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هي شيء أعصمته به مساءتك ولكنك شيء أتفق . قال : فلم تَبجّ حتى عاد رسولها ومعه صرة فيها ألف دينار ، فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك أبنة عمك : هذا مهرى ، فادفعه إلى أبي وأخطئي ، ففعل وتزوجها .

(١) الزيادة عن الأغانى (ج ٤ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية) . والجند : المدينة وخص به أبو عبيدة مدّن الشام . وأجناد الشام خمس كور : دمشق وحمص وقسرين والأردن وقلعين .

ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

- هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون، وأصله من فارس، ومولده في سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة . قالوا : ومات ماهان وترك إبراهيم صغيراً، فكفله آل خزيمية بن خازم، فكان ولاؤه لبني تميم . وكان السبب في نسبه إلى الموصلي أنه لما كبر واشتد وأدرك صحب الفتيان وأشتهى الغناء وطلبه ؛ فاشتد أخواله بنو عبد الله بن دارم عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرب منهم إلى الموصلي فأقام بها سنة ؛ فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتي الموصلي ، فلب عليه ثم ارتحل إلى الري في طلب الغناء ، فطال مقامه هناك ، وأخذ الغناء الفارسي والعربي .

- قال إسحاق : حدثني أبي قال :
أول شيء أُعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية مال كان معي . فتر بنا خادم أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة ، فسمعت عند رجل من أهل الري فشغف بي وطلع علي دواج^(٢) سمور له قيمة ، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة ، فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه ، فأقام عندي ثلاثة أيام وذهب لي نصف الكسوة [التي معه] وألقى درهم . وكان ذلك أول مال كسبته من الغناء . فقلت : والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتنها . ووصف لي رجل بالآبلة^(٣)

(١) في الأغاني (ج ٥ ص ١٥٦ طبع دار الكتب المصرية) : « فكتب به » .

(٢) ضرب من الثياب . والسمور : دابة مبروة تسوى من جلدها فراء غالية الأثمان .

(٣) الزيادة عن الأغاني .

(٤) الآبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . النطس في زاوية الخليج القى يدخل إلى مدينة البصرة .

اسمه : "جُوَانَوِيَّة" وكان حاذقا، نَفِرَتْ إِلَيْهِ، وَصَحِبَتْ قِيَانَهَا وَأَخَذَتْ عَنْهُمْ وَغَنَّتْهُمْ فَشَفَعُوا بِهِ .

قال إبراهيم : ولما أتيت "جُوَانَوِيَّة" لم أصادفَه في منزله فافقت حتى جاءه .
فلما رآني أحتشمُني وكان مجوسيا؛ فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها؛ فرحب بي
وأفرد لي جَنَاحًا في داره ووَكَّلَ بي جاريةً، فقَدِمْتُ لِي ما أحتاج إليه . فلما كان
المِشَاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يَفِيّ، فنزلت إليه بفلستا وأخذوا
في شأنهم وضرَبوا وعرَّضوا ؛ فلم أجد في غناء أحد منهم فائدة؛ وبلغت النَّوْبَةَ إلى
فَضْرِبْتُ وَغَنَيْتُ؛ فقاموا جميعا إلى فقبَلُوا رَأْسِي وقالوا: تَحَيَّرْتَ بِنَا، نحن إلى تعليمك
إِذَانا أحوَج منك إلينا . فافقت على تلك الحال أَياما حتى بلغ [محمد بن] سليمان بن عليّ
خبري، فوجهَ إليّ فأحضرني وأمرني بملازمته . فقلتُ : أيها الأمير، لستُ أَتَكسَّب
بهذه الصنعة وإنما ألتذُّ بالغناء فلذلك تعلَّمتُ، وأريد العود إلى الكوفة؛ فلم أُنَفِّعْ
بذلك عنده وأخذَ بملازمته وسألني : من أين أنا؟ فأنتسبتُ إلى المُوَصِّل، فليزمني
وَعِرْفَتْ بِهَا . ولم أزل عنده مُكْرَمًا، حتى قَدِمَ عليه خادِمُ المهديّ . فلما رآني عنده
قال له : أمير المؤمنين أحوَجُ إلى هذا منك، فَنَافَظَهُ عَنِّي . فلما قَدِمَ الخادمُ على
المهديّ سألَه عما رَأَى في طريقه ومَقْصِده، فأخبره بما رَأَى، حتى أَتَى إلى ذكرى
فوصَفَنِي لَهُ . فأمره المهديّ بالترجوع وإشخاصي إليه، بَغَاءً وَأشخصني إلى المهديّ،
وَحَظِيْتُ عَنْده وَقَدِمَنِي .

(١٢٢)

قال : وما سَمِعَ المهديّ قَبْلِي أَحَدًا من المُغَنِّين سِوَى قُتَيْبِ بْنِ أَبِي العُوراء
وسَيَّاط؛ فَإِنَّ الفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَصَفَهُمَا لَهُ .

(١) جَوَانَوِيَّة : مغن مجوسية .

(٢) في الأغاني « أخته » .

(٣) الزيادة عن الأغاني .

- قال : وكان المهدي لا يشرب ، فأرادني على ملازمته وترك الشرب ، فأبى عليه . وكنت أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته متقياً ، فناظله ذلك مني وضررتي وحسنتي ، فحذفت القراءة والكتابة في المجلس . ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبدل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمت هذه الصناعة للذي وعشرة إخواني ولو أمكنني تركها تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى . فنضب غضباً شديداً وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، فواقه لئن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن . فقلت نعم . ثم بلغه أنني دخلت عليهما وشربت معهما وكانا مشتهرين بالتيذ ، فضررتي ثلاثمائة سوط وستين سوطاً . فقلت له وأنا أضرب : إن جري ليس من الأجرم التي يحل بها سفك دمي ، وواقه لو كان سر أبنيك تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو قطعتا ، ولو فعلت ذلك كنت في حالة أبان العبد الساعي . فلما قلت ذلك ضررتي بالسيف في جفنه فشجني ، فسقطت متقياً علي^(١) . وقال لعبد الله ابن مالك : خذني إليك وأجعل في مثل القبر . فدعا عبداً بكبش فدبحه وسلخه وألبسني جلده ليسكن الضرب عني ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي ، فجعلني في قبر ووكّل بي جارية . فتأذيت بتر كان في القبر وبقى^(٢) . فقلت للجارية : أصلي لي بحجرة وكنتوا ليذهب عني هذا البق ففعلت . فلما دخلت أظلم القبر وكادت نفسي تذهب ، ثم خفت ذلك وزال البق ، وإذا حيّتان مقبلتان نحوي من شق في القبر تلوران حولي ، فهيمت أن أأخذ واحدة بيدي اليمنى
- (١) في الأصل « ضلت » . والتصويب عن الأغاني (ج ٥ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) في الأغاني : « مشتهرين » . (٣) هو العبد الذي سعى به وموسى وهارون إلى المهدي وحده بما كانوا فيه . (٤) جفن السيف : غمده .
(٥) المراد بالبق هنا ما يسيه أهل مصر الثاموس ، وأهل العراق يسمونه البق ، ويطلقون الثاموس على ما يسيه أهل مصر البق . (٦) الكثير : البان .

والأخرى بيدى اليسرى، فأتانا على وإتاني، ثم كَفَيْتُهُمَا، فَدَخَلَا فِي الثَّقَبِ الَّذِي
نَجَرْتَا مِنْهُ . فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْهُ . وَأَحْلَفَنِي الْمَهْدَى
بِالطَّلَاقِ وَالنِّسَاقِ وَكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْخَ لِي فِيهَا إِلَّا أَدْخَلَ عَلَى آيِنِهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا
وَلَا أَغْنِيَهُمَا، وَخَلَّى سَبِيلَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : وَقَلْتُ وَأَنَا فِي الْحَبْسِ :

أَلَا طَال لَيْلِي أُرَايَ الْجُجُومَ * أَطَالُ فِي السَّاقِ كَجَلَا نَمِيلَا
بِدَارِ الْمَوَاتِ وَشَرِّ الدِّيَارِ * أَسَامُ بِهَا انْتَسَفَ صَبْرًا جَمِيلَا
كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ * فَلَمَّا حُيِّسْتُ أَرَاهِمُ قَلِيلَا
لَطُولِ بِلَاقِي مَلِّ الصَّدِيقِ * فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلٌ خَلِيلَا

قَالَ : فَلَمَّا وَلِيَ مُوسَى الْمَهَادَى اخْتِلَافَةَ أَمْسَتَرِ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ بِسَبَبِ
الْإِيمَانِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا لِلْمَهْدَى . فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ حَتَّى أَتَى بِهِ فَلَمَّا بَاقِيَهُ قَالَ : يَا سَيِّدِي،
[فَارَقْتُ] أُمَّ وَلَدِي أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَيَّ؛ ثُمَّ غَنَاهُ :

يَا بَنَ خَيْرِ الْمُلُوكِ لَا تَتْرَكْنِي * غَرَضًا لِلْمَدْقِ يَرِي حَيَالِي
فَلَقَدْ فِي هَوَاكَ فَارَقْتُ أَهْلِي * ثُمَّ عَرَضْتُ مَهْجَتِي لِلزَّوَالِ
وَلَقَدْ حَفَّتْ فِي هَوَاكَ حَيَاتِي * وَتَقَرَّبَتْ بَيْنَ أَهْلِي وَمَالِي

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَوُذِلَ الْمَهَادَى وَخَوَّلَهُ؛ وَبَحْسَبِكُ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ
وَنَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَلَوْ عَاشَ لَنَا لَبْنَتُنَا حَيْطَانٌ تَدُورُنَا بِالْغَيْبِ
وَالْفَقْصَةِ .

قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ لِي أَبِي :

وَأَقَهْ مَا رَأَيْتُ أَكَلْتُ مَرْوَةً مِنْ جَدِّكَ، وَكَانَ لَهُ طَعَامٌ يَمُدُّ أَبَدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ .
فَقُلْتُ لِأَبِي : كَيْفَ كَانَ يُمَكِّنُهُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثُ شَيْءٍ ،

- واحدة مقطعة في القدور، وأخرى مستوخة معلقة، وأخرى قائمة في المطبخ؛ فإذا أتاه قوم طعموا بما في القدور، فإذا فرضت القدور قُطعت الشاة المعلقة ووُضعت في القدور وذُبحت القائمة وأُتي بأخرى فأقيمت في المطبخ . وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى وسوى كسوته . ولقد كان مرة عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية، ما فيهن واحدة إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخص جواريه، فإذا رُدَّت الواحدة إلى مولاهما وصلها وكساها . ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعة دنانير قُضيت منها .

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال :

- ١٠ اشتري الرشيد من أبي جارية ستة وثلاثين ألف دينار، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع وقال له : إنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صفة وليست كما ظننا وما قريبها، وقد ثقل على الثمن وبينك وبينه ما بينكما؛ فأذهب إليه فسله أن يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار . قال : فأتاه الفضل، ففرج إليه وعلقاه ؛ فقال له : دعني من هذه الكرامة التي لا مئونة فيها، قد جئتُك في أمر، ثم أخبره الخبر . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يلو قدرك عندي . قال : هو ذاك ؟ قال : فإني في المساكين صدقة إن لم أُضِعْفه لك، قد حططتُك اثني عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر؛ فقال : ويحك ! اجعل إليه المال بجملة، فما رأيت سوقاً أنبل منه نفساً . قال إسحاق : وكنت قد آتيت أبي فقلت : ما كان لحطيطه هذا المال معنى ولا هو قليل يتغافل عنه، قال لي : يا أحمق، أنا أعرف الناس به، وانه لو أخذتُ المال منه كلاً ما أخذه إلا وهو كاره ولحق ذلك، وكنت أكون

(١) كما في الأغاني - وفي الأصل : « أمثل » .

عنده صغير القدر ، وقد مَنَنْتُ عَلَيْهِ وعلى الفضل وَأَنْبَسَطْتُ نَفْسَهُ وَعَظُمَ قَدْرِي
عنده ، وإِنَّمَا اشْتَرَيْتُ الْجَارِيَةَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَدْ أَخَذْتُ بِهَا أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا حُمِلَ إِلَيْهِ الْمَالُ بِكُلِّهِ دَعَانِي وَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَ يَا إِسْحَاقُ ، مَنِ
الْبَصِيرُ أَنَا أَمْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : أَنْتَ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ . قَالَ : وَإِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ عَلَّمَ
الْجَوَارِيَ الثَّمَنَاتِ الْغَنَاءَ فَإِنَّهُ بَلَغَ بِالْقِيَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ وَرَفَعَ مِنْ أَقْدَارِهِمْ .

(١٢٢)

ومن أخباره مع الرشيد ما رَوَى عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ :

إِنَّ الرَّشِيدَ غَضِبَ عَلَى قَتَادَةَ وَحَسَنَى بِالرَّقَّةِ وَجَلَسَ لِلشَّرْبِ يَوْمًا فِي مَجْلَسٍ قَدْ
زِينَهُ وَحَسَنَهُ . فَقَالَ لِمَيْسَى بْنِ جَعْفَرٍ : هَلْ لِمَجْلِسَاتِكَ حَيْبٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، غِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ
الْمَوْصُولِ عَنْهُ . فَأَمَرَهُ بِاحْضَارِي ، فَأَحْضَرْتُ فِي قِيَادِي ، فَكَلَّمْتُ عَنِّي يَدِيهِ ،
وَأَمَرَهُمْ فَنَأْوَلُونِي عَوْدًا ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّ يَا إِبْرَاهِيمُ ، فَغَنَيْتُهُ :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَهْأَنَ أَنْ مَسَّتْ * بِهِ زَيْنُ بْنُ نَسْوَةَ عَطَرَاتِ

فَاسْتَعَادَهُ وَشَرِبَ وَطَرِبَ وَقَالَ : هَتَأْتَنِي وَسَاهِيَتِكَ بِالصَّلَاةِ ، وَقَدْ وَهَبْتَ لَكَ الْهَنَى
وَالْمَرْءُ ، فَانْصَرَفْتُ ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عَوَّضْتُ مِنْهَا مِائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : دَخَلْتُ عَلَى مُوسَى الْهَادِي فَقَالَ لِي : يَا إِبْرَاهِيمُ ، غَنِّ مِنْ الْغَنَاءِ
مَا أَلَذُّ وَأَطْرَبُ عَلَيْهِ وَلَكَ حَكْمُكَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لَمْ يَهَابْنِي زُحْلُ يَرْدِهِ
رَجَوْتُ ذَلِكَ ، فَغَنَيْتُهُ :

وَإِنِّي لَتَمْرُونِي لَدَى كِرَالِكِ هِرَّةٍ * كَمَا أَتَقَفَضُ الصُّفُوفُ بِلَالِ الْقَطْرِ

(١) فِي الْأَسْلَ «أَوْ» .

(٢) الْهَنَى . وَالْمَرْءُ . : نَهْرَانِ بَازَاءِ الرَّقَّةِ وَالرَّاقَةِ خَفَرَهَا حَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَحْدَثَ فِيهَا «وَأَسَاطِ

الرَّقَّةِ» . وَيُرِيدُ أَنَّهُ أَتَمَّهُ حَيْثُمَا (أَنْظُرْ سَمْعُ الْبَهْدَانِ لِأَنفُوتِ ج ٤ ص ٩٩٤ طبع أدربا) .

فَضْرِبْ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ دُرَاعَتِهِ فَخُطَّهُ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! زِدْنِي، فَفَتَيْتُ:
فِيَا حُبَّيَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ * وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ
فَضْرِبْ يَدَهُ إِلَى دُرَاعَتِهِ فَخُطَّهَا ذِرَاعًا آخَرًا وَقَالَ: زِدْنِي وَيْلَكَ! أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ
وَوَجِبَ حَكَمُكَ، فَفَتَيْتُ:

- هَجْرَتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الْهَوَى * وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ! اللَّهُ أَبُوكَ! هَاتِ مَا تَرِيدُ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي
عَيْنَ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ، فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتَا كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ وَقَالَ:
يَا بَنَ الْهَتَاءِ! أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا الْمَجْلِسِ فَيَقُولَ النَّاسُ: أَطْرَبُهُ حُكْمَ عَلَيْهِ فَتَجْعَلَنِي
سَمَرًا وَحِدْنًا! يَا إِبْرَاهِيمَ الْخَزَّانِي، خُذْ بِيَدِ هَذَا الْجَاهِلِ فَادْخُلْهُ بَيْتَ مَالِ الْخَلِصَةِ، فَإِنْ
أَخَذَ كُلَّ مَا فِيهِ نَخْلَهُ وَإِيَّاهُ، فَدَخَلْتُ فَاخَذْتُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَهَذَا الشَّعْرُ
لَأَبِي مَحْضَرِ الْهَذَلِيِّ، وَأَوَّلُهُ:

- عَجِبْتُ لِسَمَى الدَّهْرِ بِنِي وَبَيْنَهَا * فَلَمَّا أَقْبَضَ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فِيَا حُبَّيَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ * وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ
وَيَا هَجْرَ لَيْلٍ قَدْ بَغْتَبَ بِي الْمَدَى * وَزِدْتُ عَلَى مَا لَيْسَ يَلْفِغُهُ الْهَجْرُ
وَأِنِّي لَتَمْرُونِي لَذَكَرَاكِ هَزْرَةً * كَمَا أَنْتَفَضَ الْمَصْفُورُ بِلَالِ الْقَطْرِ
• هَجْرَتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى * وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

(١) القِوَاة: جبة مشقوفة المقدم ولا تكون إلا من صوف.

(٢) في نسخة من الأصل: «الجداني». وفي أخرى: «الجداني» والتعريب عن الأغاني.
وهو من فناء الهادي وكان قيا على خزانة الأموال في أيامه.

(٣) ورد هذا الشعر هكذا في الأغاني وأمالى القائل (ج ١ ص ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية).
وفي الأصل: * وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر *

أما والذي أبكى وأضحك والذي * أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى * أليسين منها لا يروعهما الدهر

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة، سُورِدَ منها طرفا . منها
ما حكى عن مُحَارِقِ قال :

أَينَ لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيمَ في منازلنا ثلاثة أيام وأصلنا أنه يشتغل
فيها مع الحرم . ففضى المجلساء أجمعون إلى منازلهم وقد أصحبت السماء مُتَمِيمَةً تَطْلُشُ
طُشوشًا خفيفًا . فقلت : والله لأذهبن إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود،
وأمرت مَنْ عِنْدِي أن يسوّوا لنا مجلسا إلى وقت رجوعي . ففُتِّتْ إلى إبراهيم،
فدخلت إليه، فإذا هو جالس في رواق له والستارة منصوبة والجواري خلفها؛
فدخلت أترنم ببعض الأصوات وقلت له : ما بال الستارة لست أسمع من ورائها
صوتا؟ فقال : اقمدي ويحك ! إني أصبحت بخافني خبر ضيعة تجاورني قد والله طلبتها
زمانًا وتمنيتها ولم أملكها، وقد أعطى بها مائة ألف درهم . فقلت له : ما يمنعك منها؟
فواقه لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر . قال : صدقت، ولكن لست
أطيب نفسا بأن أُخرجَ هذا المال . فقلت : فن يُعْطيك الساعة مائة ألف درهم؟
قال^(١) : والله ما أطمع في ذلك من الرشيد، فكيف بمن دونه ! ثم قال : اجلس، خذ
هذا الصوت . ثم تقر بفضيب على الدواة وألقى على هذا الصوت :

نام الخليلون من هم ومن سقيم * وبت من كثرة الأحران لم آتم

(١) كلمة «قال» غير موجودة في الأثافي، وسياق كلامه أن ما بعدها من كلام مُحَارِقِ .

(٢) كذا في الأثافي . وفي الأصل : «من من ومن حزني» .

- يا طالبَ الجودِ والمعروفِ مجتهداً * اعتمد ليحيى حليفَ الجود والكرم
- قال : فأخذت الصوت وأحكسهُ . ثم قال لى : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يُفتح البابُ ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذِن عليه قبل أن يصل اليه أحدٌ ، فإنه يُنكر بجمك ويقول : من أين أقبلت فى هذا الوقت ؟ فخذته بقصدك إياى وما ألقيتُ إليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى قد صنعت هذا الصوت وأعجبني ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأنى ألقيتُ عليك [حتى أحكته] لطرحة عليها ؛ فسيدهوها وبأمر بالسارية فتنصبُ ويوضع لما كرسى ويقول لك : أطرحه عليها بحضورى ؛ فأفعل وأُتئى بما يكون بعد ذلك من الخبر . قال غارق : بلغت الى باب يحيى بن خالد فوجدته كما وصف . وسألتى فاعلمت بما أصرنى به ؛ ففعل كل شئ قاله لى إبراهيم وأحضر الجارية فألقيتُ عليها .
- ثم قال لى : تُقيم عندنا يا أبا المهنا أوتصرف ؟ فقلت : بل أنصرف ، أطلال الله بقاءك ، فقد ملئت ما أئذ لنا فيه . فقال يا غلام ، إحمل مع أبى المهنا عشرة آلاف درهم واحمل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت عشرة الآلاف معى ، وأتيْتُ متزلى وقلت : أصرُّ يومى هذا وأصرُّ من عندى . ومضى الرسول بالمال الى إبراهيم ؛ فدخلتُ متزلى وثرثُ على من عندى دراهم من تلك البذرة وتوسدتها وأكلتُ وشربت وطربت وسيررتُ يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لا تيين أستاذى ولا عرفق خبره ؛ فأتيتُه فوجدته كهيتته بالأمس على مثل ما كان عليه ، فترمتُ وطربت فلم يتأق ذلك بما يجب ؛ فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال بالأمس ؟ ! فقال : لى ، فما كان خبرك أمس ؟ فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ارفع السجف ، فرفسته فإذا عشر يدري ؛ فقلت : فأى شئ بقى عليك فى أمر

- الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت متزلى حتى قصّحت عليها وصارت مثل ماحويت قديما . فقلت : سبحان الله ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتا صنعته يفوق ذلك . فقمّت بجلست بين يديه ؛ فلقى عليّ :
وَيَقْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرِّمَكِ * بُنَاةُ النَّدَى ، وَالسِّفُ وَالرَّغْمُ وَالنَّصْلُ
وَتَنْبِيْطُ الْأَمَالِ فِيهِ لِفَضْلِهِ * وَلَا سِوَا إِنْ كَانَ وَاللَّهِ الْفَضْلُ .
- قال غمارق : فلما ألقى عليّ الصوت سمعت ما لم أسمع مثله قطّ وصعّرتني عني الأول ، فأحكته . ثم قال : امضي الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأن لأحد بعدّ وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ؛ فاستأنن عليه وحدته بجديتنا وما كان من أبيه إلينا ، وأعلمه أني صنعت هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلة من الصوت الأول الذي صنعت به بالأمس ، وأنى ألقيته عليك حتى أحكته ووجهت بك فاصدأ لتلقيه على فلانة جاريتيه . فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكر ، فاستأذنت فوصلت إليه ؛ وسألني عن الخبر ، فأعلمته بخبري وما وصل إلى وإليه من المال ؛ فقال : أنزى الله إبراهيم ! ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :
يَضْرِبِ السَّارَةَ ، فَضْرِبْهَا ؛ فقال لي : ألقه . فلما ألقيته وغتته الجارية لم أئمه حتى أقبل يجر مطرقه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال : أحسن والله أستاذك وأحسن أنت يا غمارق . ولم أبرح حتى أحكته الجارية ؛ فمررت بك مروراً عظيماً وقال : أقيم عندي اليوم . فقلت : يا سيدي إنما بقي لنا يوم واحد ، ولولا أنني أحب مرورك لم أنزع من منزلي . فقال : يا غلام ، اجعل مع أبي المهنة عشرين ألف درهم وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم . فانصرف إلى منزلي بالمال ، ونفخت بكرة وثّرت منها على الجوارى وشربت ومُزِرْتُ أنا ومن عندي يومنا .
- فلما أصبحت بكرت إلى إبراهيم أتزف خبره وأعرفه خبري ، فوجدته على الحال

- التي كانت عليها أولاً وآخراً؛ فدخلت أترتم وأصَفَق . فقال لي : أَدْنُ؛ فقلت : ما بقي عليك؟ فقال : اجلس وأرفع يَمَافَ هذا الباب؛ فرضته فاذا عشرون بدرّة مع تلك العشر . فقلت : ما تنتظر الآن؟ فقال : ويحك! ما هو إلا أن حصلت حتى جرت تجسري ما تقدّم . فقلت : والله ما أظن أحداً نال من هذه الدولة ما نلت! فلم يخل على نفسك بشيء تمتّته دهرًا وقد ملكك الله أضعاfe؛ ثم قال :
- اجلس نغذ هذا الصوت . فألقى على صوت أنساني صوتي الأولين وهو :
- أف كل يوم أنت صبّ ويلة * إلى أم بكر لا تُفيسق فقير
أحب على المجران كفاف بيتها * فيالك من بيت يحب ويهجر
إلى جعفر سارت بنا كل جمرّة * طواها سراها نحوّه والتجر
إلى واسع للجندين فئاؤه * تروح عطاياه عليهم وتبكر
- ١٠ — وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر [بن يحيى] — قال غناري : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعت مثل هذا قط؟ فقلت : ما سمعت قط مثله! فلم يزل يرقده عليّ حتى أخذه، ثم قال لي : امض إلى جعفر فافصل به كما فعلت بأبيه وأخيه . قال : قضيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت؛ فسرّبه ودعا خادماً فأمره أن يضرب الستارة، وأحضر الجارية وقعد على كرسي؛ ثم قال : هايت يا غناري؛ فألقيت الصوت عليها حتى أخذه؛ فقال : أحسنت يا غناري وأحسن أستاذك، فهل لك في المقام عندنا اليوم؟ فقلت : يا سيدي، هذا آخر أيامنا، وإنما جئت لموقع الصوت متى حتى ألقينه على الجارية . فقال : يا غلام، إحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلي ثلثمائة ألف درهم . فصرّت إلى متولى المال وأقلت ومن عندي مسروين تشرب طول يومنا ونطرب . ثم بكرت إلى إبراهيم

(١٢٥)

فتلقاني قائما، ثم قال لي : أحسنت يا غارق ! فقلت : ما الخبر ؟ قال : اجلس فقلت ؛ فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيها أتم عليه ثم رفع السجف فإذا المال . فقلت ما خبر الضيعة ؟ فادخل يده تحت مسورة وهو متكئ عليها فقال : هذا صك الضيعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلى : " قد علمت أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضيعة من مال يحصل لك ولو حوت الدنيا كلها ، وقد أبتعتها من مالي " . ووجه إلى بصكها ، وهذا المال كما ترى ، ثم بكى وقال : يا غارق ، إذا ماشرت فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت فخنكر مثل هؤلاء ، سقاة ألف ، وضيفة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك ، حصنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه ، متى يدرك مثل هؤلاء ! . وروى عنه قال : أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له : يا أبا عباس ، جعلت فداك ! هب لي دراهم فإن الخليفة قد حمس ربه . فقال : ويحك يا أبا إسحاق ما عندى ما أَرْضاه لك . ثم قال : هاه ! إلا أن هاهنا خَصْلَة ، أنا رسول صاحب اليمن ففضيتا حوائجه ، ووجه [ألياً] بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا . فإفعلت ضياء جاريتك ؟ قلت : عندى جعلت فداك . قال : فهو ذا ، أقول لم يشترونها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار ، فقبلت رأسه ثم أنصرفت . فبكرت على رسول صاحب اليمن ومعه صديق له ولى ، فقال : جاريتك فلاة [عندك] ؟ قلت : عندى . قال : أعرضها على فرسضها عليه ، فقال : بكم ؟ فقلت : بخمسين ألف دينار ولا أقص منها دينارا واحدا ، وقد أعطاني الفضل بن يحيى أس هذه العلية ،

(١) في الأغاني : « فإيا أتم فيه » . (٢) المسورة : الواسدة من الجلد .

(٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ١٨٤ طبع دار الكتب المصرية) ومطاط : إذا أردت أن تنفى

فنن لئلا هؤلاء . وفي الأصل : « وماذا استكرت فاحكر » وهو تحريف . (٤) الزيادة

من الأغاني . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « حتى يشترونها » . (٦) الزيادة

عن الأغاني .

- فقال : هل لك في ثلاثين ألف دينار مُسَلَّمة؟ وكان يشتري الجارية أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذكر كُثر ثلاثين ألف دينار أُرْتَج على^(١) ولَحَقْنِي زَمْع، وأشار على^(٢) صديق الذي معه بالبيع، وَخَفْتُ والله أن يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . ثُمَّ بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى صَاحِبِكَ وَقَالَ لِي : يَا صَاحِبُ الْعَطَيْنِ وَالْحَوْصَلَةِ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ، دَعَّ ذَا عَنكَ، فَوَالله لَقَدْ دَخَلْتُ شَيْءً أَجْزَأَ عَنْ وَصْفِهِ وَخَفْتُ أَنْ تَحْدُثَ بِي حَادِثَةٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمَشْتَرِيِّ أَوْ بِكَ أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فَبَادَرْتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا ضَيْرَ، يَا غَلَامُ حَيٌّ بِجَارِيَتِهِ، يَفِيءُ بِهَا، فَقَالَ : خُذْ بِبَيْدِهَا وَأَنْصَرِفْ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، مَا أَرَدْنَا إِلَّا مَتَاعَكَ وَلَمْ نُرِدْ بِالْجَارِيَةِ . فَلَمَّا نَهَضْتُ قَالَ لِي : مَكَانَكَ، إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ أَرْمِينِيَةِ قَدْ جَاءَنَا قَضِيئًا حَوَائِجُهُ وَتَقْدَانُ كُتِبَهِ وَوَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَشْتَرِي لَنَا بِهَا مَا نَحِبُّ، فَافْرِضْ عَلَيْهِ جَارِيَتَكَ هَذِهِ وَلَا تَقْصُصْهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَنْصَرَفْتُ بِالْجَارِيَةِ . وَبَكَرْتُ عَلَى رَسُولِ صَاحِبِ أَرْمِينِيَةِ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لِي آتَرُ، فَقَاوَلَنِي بِالْجَارِيَةِ، فَقُلْتُ : لَنْ أَقْصِصَهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ لِي : مَعِيَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمةً خُذْهَا بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فَدَخَلْتُ وَاللهَ مِثْلُ الَّذِي دَخَلْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى وَخَفْتُ مِثْلَ خَوْفِي الْأَوَّلِ، فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . وَبَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ، فَإِذَا هُوَ وَحْدَهُ . فَلَمَّا رَأَى ضَحْكَ وَضَرْبَ بَرَجَلِهِ ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللهُ، خَفْتُ وَاللهَ مِثْلَ مَا خَفْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَقَالَ : لَا ضَيْرَ، [أَنْتَرَجُ^(٣)] يَا غَلَامُ جَارِيَتَهُ يَفِيءُ بِهَا، فَقَالَ : خُذْهَا، مَا أَرَدْنَاهَا وَمَا أَرَدْنَا إِلَّا
- ٢٠ (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . رَأْسُ : شَبَّ الْفَرَسُ تَأَخَّدَ الْإِنْسَانُ . فِي الْأَمَلِ : « جَزَع » .
 (٢) كَذَا فِي الْأَغَانِي . فِي الْأَمَلِ : « أَنْ يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ » .
 (٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَغَانِي .

مفتحك . فلما ولت الجارية صحت بها : إرجعي فرجعت ؛ فقلت : أشهدك جعلت
فذلك هي حرة لوجه الله تعالى ، وإني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت
لي في يومين خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا . فقال : وثقت إن شاء الله تعالى .
وأخبراه مع البرامكة كثيرة وصلاهم له وافر . وقد ذكرنا منها ما فيه غنية
عن زيادة . فلقد كروفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة ،
ومات في يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر ، وهشيمة الخمار ؛ فرفع ذلك
إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلى عليهم ، فخرج وصلى عليهم .

قال إسحاق : لما مريض إبراهيم مرض موته ركب الرشيد حمارا ودخل على
إبراهيم يعوده وهو جالس في الأبن^(١) ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا
واقة يا سيدي كما قال الشاعر :

سقيم مل منه أقربوه • وأسلمه المديوى والمجيم
فقال الرشيد : إنا لله ! فخرج ، لما بعد حتى سمع الواعية^(٢) عليه .

(١) الأبن مثل الأزل : حوض يشعل فيه ، وقد يتخذ من نحاس ، معروف بزن .
(٢) الواعية : المصراخ على الميت ونحوه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .
والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم؛
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم
البكري التيمي القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس وأوله

ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

مطابق کورس تاسو داسې پوځي کړنه
د ټولنیزو علومو د پوهنځي د لومړي کورس
د ټولنیزو علومو د پوهنځي د لومړي کورس

Bibliotheca Alexandrina



0382595